بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الّذي أمر عباده بالعدل و هو تعالى أولى به من المأمورين ، و زجرهم فبيّن أنّه لايظلم المزجورين ، و كلّف الخلق بعد استطاعتهم ليكونوا بطاعته في جنّاته متنعّمين ، و بمعصيته في نيرانه معذّبين ، والصلاة على شافع المذنبين ، و فخر المرسلين ، محمّد خاتم النبيّين ، وعلى وصيّه رافع لواء الحمد يوم الدين ، والساقي من حوض أخيه شيعته المرحومين ، وعلى أوصيائهما الأطهرين ، وذرّيّتهما الأكرمين ما أظلّت السماوات على الأرضين .

أما بعد فهذا هو المجلّد الثالث من كتاب بحار الأنوار المشتمل على أخبار العدل والمعاد ، و علل تكليف العباد ، ممّا ألّفه الراجي لرحمة ربّه و شفاعة نبيّه يوم التناد محمّد باقر بن محمّد تقي رزقه الله سلوك سبيل الرشاد ، و غفر له و لوالديه يوم المعاد .

﴿ابواب العدل﴾

﴿باب ١﴾

﴿ نفى الظلم و الجور عنه تعالى ، و ابطال الجبر و التفويض ، ﴾

﴿و اثبات الامر بين الامرين ، واثبات الاختيار والاستطاعة﴾

الايات ، آل عمران «٣» ذلك بما قدّمت أيديكم وأنّ الله ليس بظلّام للعبيد ١٨٢.

النساء «٤» إنّ الله لا يظلم مثقال ذرّة وإن تك حسنة يضاعفها و يؤت من لدنه أجراً عظيماً ٤٠ «وقال» : ولا يظلمون فتيلاً ٤٩ «وقال» : ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيّئة فمن نفسك ٧٩ «وقال» : ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم و آمنتم وكان الله شاكراً عليماً ١٤٧ .

الانعام «٦» ذلك أن لم يكن ربّك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون ۞ ولكلّ درجات ممّا عملوا وما ربّك بغافل عمّا يعملون ١٣١ـ١٣٢ .

الاعراف «٧» إنّا جعلنا الشياطين أولياء للّذين لا يؤمنون ۞ وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إنّ الله لا يأمر بالفحشاء ٢٧ـ٢٨ .

الانفال «٨» ذلك بما قدّمت أيديكم وأنّ الله ليس بظلّام للعبيد ٥١ .

التوبة «٩» فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ٧٠ .

يونس «١٠» إنّ الله لا يظلم الناس شيئاً و لكنّ النّاس أنفسهم يظلمون ٤٤ «وقال تعالى» : قل يا أيّها الناس قد جاءكم الحقّ من ربّكم فمن اهتدى فإنّما يهتدي لنفسه ومن ضلّ فإنّما يضلّ عليها وما أنا عليكم بوكيل ١٠٨ .

النحل «١٦» وما ظلمهم الله و لكن كانوا أنفسهم يظلمون ۞ فأصابهم سيّئات ما عملوا ٣٣ـ٣٤ .

الحج «٢٢» ذلك بما قدّمت يداك وأنّ الله ليس بظلّام للعبيد ١٠ .

المؤمنون «٢٣» ولا نكلّف نفساً إلّا وسعها ولدينا كتاب ينطق بالحقّ وهم لا يظلمون ٦٢ .

النور «٢٤» لكلّ امرىء منهم ما اكتسب من الاثم ١١ .

سبأ «٣٤» قل لاتسئلون عمّا أجرمنا ولا نسئل عمّا تعملون ٢٥ .

فاطر «٣٥» ولا تزر وازرة وزر اُخرى وإن تدع مثقلة إلى حملها لايحمل منه شيء ولو كان ذاقربى ١٨ .

ص «٣٨» أم نجعل الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتّقين كالفجّار ٢٨ .

الزمر «٣٩» إن تكفروا فإنّ الله غنيٌّ عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم ولا تزر وازرةٌ وزر اُخرى ٧ .

المؤمن «٤٠» وما الله يريد ظلماً للعباد ٣١ «وقال تعالى» : من عمل سيّئة فلا يجزى إلّا مثلها ٤٠ «وقال تعالى» : اليوم تجزى كلّ نفس بما كسبت لاظلم اليوم إنّ الله سريع الحساب ١٧ .

السجدة «٤١» من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربّك بظلّام للعبيد ٤٦ .

الزخرف «٤٣» وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظّالمين ٧٦ .

ق «٥٠» لاتختصموا لديّ وقد قدّمت إليكم بالوعيد ☆ ما يبدّل القول لديّ وما أنا بظلّام للعبيد ٢٨ـ ٢٩ .

الطور «٥٢» إنّما تجزون ما كنتم تعملون ١٦ «وقال تعالى» : كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون ١٩ «وقال سبحانه» : كلّ امرىء بما كسب رهين ٢١ .

النجم «٥٣» ولله ما في السموات وما في الأرض ليجزي الّذين أساؤا بما عملوا ويجزي الّذين أحسنوا بالحسنى «إلى قوله تعالى» : أم لم ينبّأ بما في صحف موسى ☆ وإبراهيم الّذي وفّى ☆ ألّا تزر وازرة وزر اُخرى ☆ وأن ليس للإنسان إلّا ماسعى ☆ وأنّ سعيه سوف يرى ☆ ثمّ يجزيه الجزاء الأوفى ٣١ ـ ٤١ .

الواقعة «٥٦» جزاءً بما كانوا يعملون ٢٤ .

تفسير: المبالغة في قوله تعالى : « بظلّام » إمّا غير مقصودة ، أو هي لكثرة العبيد أو لبيان أنّ ماينسبون إليه تعالى من جبرهم على المعاصي وتعذيبهم عليها غاية الظلم ، أو لبيان أنّه لو اتّصف تعالى به لكان صفة كمال فيجب كماله فيه ؛ والفتيل : الخيط الّذي في شقّ النواة ؛[1] وفي تفسير عليّ بن إبراهيم : هي القشرة الّتي على النواة «ص١٢٨»

قوله تعالى : و إن تدع مثقلة إلى حملها أي إن تدع نفس أثقلتها الأوزار لحمل بعض أوزارها لم تجب لحمل شيء منه ولو كان المدعوّ ذا قرابتها .

١ ـ **لي** : أبي ، عن سعد ، عن ابن يزيد ، عن ابن أبي عمير ، عن صبّاح بن عبدالحميد ، وهشام و حفص وغير واحد قالوا : قال أبوعبدالله الصّادق عليه السلام : إنّا لا نقول جبراً ولاتفويضاً[2]. «ص١٦٨»

٢ ـ **يد ، ن ، لي** : السناني ، عن الأسديّ ، عن سهل ، عن عبدالعظيم الحسنيّ ، عن الإمام عليّ بن محمّد ، عن أبيه محمّد بن عليّ ، عن أبيه الرضا عليّ بن موسى عليهما السلام قال : خرج أبوحنيفة ذات يوم من عند الصادق عليه السلام فاستقبله موسى بن جعفر عليه السلام فقال له : ياغلام ممّن المعصية ؟ فقال عليه السلام : لاتخلو من ثلاثة : إمّا أن تكون من الله عزّ وجلّ و ليست منه فلاينبغي للكريم أن يعذّب عبده بمالم يكتسبه ،[3] وإمّا أن تكون من الله عزّ وجلّ و من العبد فلاينبغي للشريك القويّ أن يظلم الشريك الضعيف ، و إمّا أن تكون من العبد وهي منه فإن عاقبه الله فبذنبه وإن عفى عنه فبكرمه وجوده .[4] «ص٨٣ ص٧٩ ص ٢٤٦» .

٣ ـ **ب** : ابن حكيم ، عن البزنطيّ قال : سألت أباالحسن عليه السلام قال : فقال لي : اكتب قال الله تعالى : يا ابن آدم بمشيّتي كنت أنت الّذي تشاء ، وبنعمتي أدّيت إليّ

(١) مأخوذ من الفتيل ، لكونه على هيئته ، يضرب به المثل في الشيء الحقير .

(٢) في المصدر : انا لانقول جبرا ولاتفويضا . م

(٣) في اكثر المصادر : بما لا يكتسبه . م

(٤) سياتي الحديث مفصلا من الاحتجاج تحت رقم ٣٣ .

فرائضي ، وبقدرتي قويت على معصيتي ، خلقتك سميعاً بصيراً ، أنا أولى بحسناتك منك ، وأنت أولى بسيّئاتك منّي لأنّي لا اُسأل عمّا أفعل وهم يسألون ، قد نظمت جميع ما سألت عنه .[1] « ص ١٥١ »

٤ ـ ب : أحمد بن محمّد ، عن البزنطي ، عن الرضا عليه السلام قال : كان عليّ بن الحسين عليهما السلام إذا ناجى ربّه قال : ياربّ قويت على معصيتك بنعمتك . قال : و سمعته يقول في قول الله تبارك و تعالى : « إنّ الله لا يغيّر ما بقوم حتّى يغيّروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءً فلا مردّ له » فقال : إنّ القدريّة يحتجّون بأوّلها وليس كما يقولون ألا ترى أنّ الله تبارك و تعالى يقول : « وإذا أراد الله بقوم سوءً فلا مردّ له » و قال نوح على نبيّنا و آله وعليه السّلام : ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم . قال : الأمر إلى الله يهدي من يشاء . « ص ١٥٨ »

بيان : اعلم أنّ لفظ القدريّ يطلق في أخبارنا على الجبريّ و على التفويضيّ ، و

---

(١) في قرب الاسناد المطبوع : قد نظمت جميع ما تسأل عنه . أقول : أخرجه ثقة الاسلام في كتابه الكافي في باب الجبر والقدر أتم من هذا ، واللفظ هكذا : محمد بن أبي عبدالله وغيره ، عن سهل بن زياد ، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر قال : قلت لابي الحسن الرضا عليه السلام : إن بعض أصحابنا يقول بالجبر ، و بعضهم يقول بالاستطاعة ، قال : فقال لي : اكتب : بسم الله الرحمن الرحيم قال علي بن الحسين : قال الله عزوجل : يا بن آدم بمشيتي كنت أنت الذي تشاء ، وبقوتي أديت إلي فرائضي ، وبنعمتي قويت على معصيتي ، جعلتك سميعاً بصيراً ، ما أصابك من حسنة فمن الله ، وما أصابك من سيئة فمن نفسك ، وذلك أني أولى بحسناتك منك ، وأنت أولى بسيئاتك مني ، و ذلك لا اسئل عما أفعل وهم يسئلون ، قد نظمت لك كل شيء تريد . انتهى . وأخرجه أيضا في باب المشية والارادة بصورة أخصر من هذا و يأتي بالاسناد تحت رقم ٩٣ و يأتي أيضا تحت رقم ٨٨ بسند آخر مع اختلاف . قوله : بقوتي أديت إلي فرائضي اي بقوتي التي أعطيتك و بتوفيقي الذي وفقتك أديت فرائضي ، ولو وكلتك إلى نفسك وخذلتك لاسقطتك نفسك إلى هوية الضلال ؛ وأدخلتك مداخل السوء والفحشاء ، وذلك أني جعلتك سميعا لاستماع ما نطقت به أنبيائي وأدلة رشادي من شرائعي ومعالم ديني ، ووفقتك للاستماع ، وجعلتك بصيراً لتبصر آثار صنعي ، وآيات توحيدي والوهيتي ، فما أصابك من حسنة فمن ناحيتي ومن عندي ، ولتوفيقي وقوتي ، وما أصابك من سيئة فمن سوء اختيارك ، وغواية نفسك ، واغتيال سوء سريرتك .

المراد في هذا الخبر هو الثّاني ، وقد أحال كلّ من الفريقين ما ورد في ذلك على الآخر قال شارح المقاصد : لا خلاف في ذمّ القدريّة ، وقد ورد في صحاح الأحاديث : لعن الله القدريّة على لسان سبعين نبيّاً ، والمراد بهم القائلون بنفي كون الخير والشرّ كلّه بتقدير الله ومشيّته سمّوا بذلك لمبالغتهم في نفيه ، وقيل : لإثباتهم للعبد قدرة الإيجاد وليس بشيء لأنّ المناسب حينئذ القدري بضمّ القاف . وقالت المعتزلة : القدريّة هم القائلون بأنّ الخير والشرّ كلّه من الله وبتقديره ومشيّته لأنّ الشايع نسبة الشخص إلى ما يثبته ويقول به كالجبريّة و الحنفيّة و الشافعيّة ، لا إلى ما ينفيه ، وردّ بأنّه صحّ عن النبيّ صلى الله عليه وآله قوله : «القدريّة مجوس اُمّتي» وقوله : «إذا قامت القيامة نادى مناد : أهل الجمع أين خصماء الله ؟ فتقوم القدريّة» ولا خفاء في أنّ المجوس هم الّذين ينسبون الخير إلى الله والشرّ إلى الشيطان ، ويسمّونهما « يزدان و أهرمن» و أنّ من لا يفوّض الاُمور كلّها إلى الله تعالى ويفرز بعضها فينسبه إلى نفسه يكون هو المخاصم لله تعالى ، و أيضاً من يضيف القدر إلى نفسه ويدّعي كونه الفاعل والمقدّر أولى باسم القدريّ ممّن يضيفه إلى ربّه . انتهى .

و قال العلاّمة رحمه الله في شرحه على التجريد : قال أبو الحسن البصريّ و محمود الخوارزمي وجه تشبيهه عليه السلام المجبّرة بالمجوس من وجوه :

أحدها أنّ المجوس اختصّوا بمقالات سخيفة ، واعتقادات واهية معلومة البطلان وكذلك المجبّرة .

وثانيها أنّ مذهب المجوس أنّ الله تعالى يخلق فعله ثمّ يتبرّأ منه كما خلق إبليس ثمّ انتفى عنه ، وكذلك المجبّرة قالوا : إنّه تعالى يفعل القبايح ثمّ يتبرّأ منه .[1]

وثالثها : أنّ المجوس قالوا : إنّ نكاح الأخوات و الاُمّهات بقضاء الله و قدره و إرادته ، ووافقهم المجبّرة حيث قالوا : إنّ نكاح المجوس لأخواتهم واُمّهاتهم بقضاء الله وقدره و إرادته .

ورابعها : أنّ المجوس قالوا : إنّ القادر على الخير لا يقدر على الشرّ و بالعكس

(١) في شرح التجريد : ثم يتبرأ منها . م

والمجبّرة قالوا : إنّ القدرة موجبة للفعل غيرمتقدّمة عليه فالإنسان القادر على الخير لايقدر على ضدّه وبالعكس انتهى .

اقول . سيتّضح لك أنّ كلاً منهما ضالٌّ ، صادق فيما نسب إلى الآخر ، وأنّ الحقّ غيرما ذهبا إليه ، وهو الأمر بين الأمرين .

٥ ـ ب : بالإسناد المذكور قال : سمعت الرضا عليه السلام يقول : كان عليّ بن الحسين عليهما السلام إذا ناجى ربّه قال : اللّهمّ يارب إنّما قويت على معاصيك بنعمتك .[1] «ص١٦٧»

٦ ـ **فس** : قوله : «إنّ الله لايستحيي أن يضرب مثلاً إلى قوله : «يضلّ به كثيراً و يهدي به كثيراً» قال الصادق عليه السلام : إنّ هذا القول من الله ردّ على من زعم أنّ الله تبارك وتعالى يضلّ العباد ، ثمّ يعذّبهم على ضلالتهم «ص ٣٠»

بيان : الظّاهر أنّه عليه السلام جعل قوله تعالى : يضلّ به كثيراً ويهدي به كثيراً من جملة قول الّذين كفروا على خلاف ما ذهب إليه المفسّرون من أنّه من كلامه تعالى جواباً لقولهم .[2]

٧ ـ **ل** : الخليل بن أحمد ، عن ابن منيع ، عن الحسن بن عرفة ، عن عليّ بن ثابت عن إسماعيل بن أبي إسحاق ، عن ابن أبي ليلى ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلّى الله عليه و آله : صنفان من اُمّتي ليس لهما في الإسلام نصيب : المرجئة ، والقدريّة .

٨ ـ **كنز الكراجكي** : عن محمّد بن عليّ بن محمّد بن الصخر البصريّ ، عن عمر بن محمّد ابن سيف ،[3] عن عليّ بن محمّد بن مهرويه القزوينيّ ، عن داود بن سليمان ، عن الرضا عن آبائه عليهم السلام مثله . «ص٥١»

بيان : قال الكراجكيّ : ظنّت المعتزلة أنّ الشيعة هم المرجئة لقولهم : إنّا نرجو من الله تعالى العفو عن المؤمن إذا ارتكب معصية ومات قبل التوبة ، و هذا غلط

---

(١) أقول : غيرخفي أنه والخبر المتقدم تحت رقم ٤ قطعتان من الخبر الثالث .

(٢) ولعل الحديث مربوط بآخر الاية ، وهوقوله : وما يضل به إلاالفاسقين الاية . ط

(٣) في المصدر : يوسف . م

منهم في التسمية ، لأنّ المرجئة مشتقّ من الإرجاء ، وهو التأخير[١] بل هم الّذين أخّروا الأعمال ولم يعتقدوا من فرائض الإيمان . ثمّ قال : إنّ المعتزلة لها من الزلّات الفظيعة ما يكثر تعداده وقد صنّف ابن الراوندي كتاب فضائحهم فأورد فيه جملاً من اعتقاداتهم و آراء شيوخهم ممّا ينافر العقول ويضادّ شريعة الرسول وقد وردت الأخبار بذمّهم عن أهل البيت عليهم السلام ولعنهم جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام فقال : لعن الله المعتزلة أرادت أن توحّد فألحدت ورامت أن ترفع التشبيه فأثبتت .

٩ - ل : محمّد بن عليّ بن بشّار القزوينيّ ، عن المظفّر بن أحمد ، وعليّ بن محمّد بن سليمان ، عن عليّ بن جعفر البغداديّ ، عن جعفر بن محمّد بن مالك الكوفيّ ، عن الحسن ابن راشد ، عن عليّ بن سالم ، عن أبيه قال : قال أبوعبدالله جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام : أدنى ما يخرج به الرجل من الإيمان أن يجلس إلى غال ويستمع إلى حديثه و يصدّقه على قوله ، إنّ أبي حدّثني عن أبيه عن جدّه عليهم السلام أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال : صنفان من اُمّتي لانصيب لهما في الإسلام : الغلاة والقدريّة .

١٠ - عد : اعتقادنا في الاستطاعة ماقاله موسى بن جعفر عليه السلام حين قيل له : أيكون العبد مستطيعاً ؟ قال : نعم بعد أربع خصال : أن يكون مخلّى السرب ، صحيح الجسم ، سليم الجوارح ، له سبب وارد من الله عزّ وجلّ ، فإذا تمّت هذه فهو مستطيع فقيل له : مثل أيّ شيء ؟ فقال : يكون الرجل مخلّى السرب ، صحيح الجسم ، سليم الجوارح لايقدر أن يزني إلّا أن يرى امرأة فإذا وجد المرأة فإمّا أن يعصم فيمتنع كما امتنع يوسف ، وإمّا أن يخلّي بينه وبينها فيزني و هوزان ولم يطع الله بإكراه ، ولم يعص بغلبة .[٢]

---

(١) قال في الكنز بعد ذلك ص٥٠٠ : يقال لمن أخر أمراً : أرجأت الامر يارجل ، فأنت مرجيء قال الله : «أرجه وأخاه» أى أخره ، وقال تعالي : «وآخرون مرجون لامر الله» أى مؤخرون إلى مشيته ، وأما الرجاء فانما يقال : منه رجوت فأناراج ، فيجب أن تكون الشيعة راجية لا المرجئة والمرجئة هم الذين أخروا الاعمال ، ولم يعتقدوا من فرائض الايمان ، وقد لعنهم النبى فيما وردت به الاخبار . انتهى . ثم ذكر الحديث المتقدم .

(٢) سيوافيك الحديث مسنداً عن الرضا عليه السلام تحت رقم ٥٤ .

١١ـ وسئل الصادق عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ : «وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون» قال : مستطيعون للأخذ بما اُمروا به ، و الترك لما نهوا عنه ، و بذلك ابتلوا .[1]

١٢ ـ وقال أبو جعفر عليه السلام : في التوراة مكتوب مسطور : ياموسى إنّي خلقتك واصطفيتك وقويتك ،[2] وأمرتك بطاعتي ، و نهيتك عن معصيتي ، فإن أطعتني أعنتك على طاعتي وإن عصيتني لم أعنك على معصيتي ، ولي المنّة عليك في طاعتك ، ولي الحجّة عليك في معصيتك . «ص٧٢ـ٧٣»

١٣ ـ فس : في رواية أبي الجارود[3] قوله : «كما بدأكم تعودون فريقاً هدى وفريقاً حقّ عليهم الضلالة» قال : خلقهم حين خلقهم مؤمناً وكافراً و شقيّاً و سعيداً ، و كذلك يعودون يوم القيامة مهتدو ضالٌّ ، يقول : إنّهم اتّخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنّهم مهتدون ؛ وهم القدريّة الّذين يقولون : لاقدر ، ويزعمون أنّهم قادرون على الهدى والضلالة ، وذلك إليهم إن شاؤوا اهتدوا ، وإن شاؤوا ضلّوا ، وهم مجوس هذه الامّة ، وكذّب أعداء الله المشيّة والقدرة لله «كما بدأكم تعودون» من خلقه الله شقيّاً يوم خلقه كذلك يعود إليه ،[4] ومن خلقه سعيداً يوم خلقه كذلك يعود إليه سعيداً ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله : الشقيّ من شقي في بطن اُمّه ، والسعيد من سعد في بطن اُمّه . «ص٢١٤»

١٤ ـ ل : الفاميّ وابن مسرور ، عن ابن بطّة ، عن الصفّار ، و محمّد بن عليّ بن محبوب ،[5] عن ابن عيسى ، عن الحسين بن سعيد ، عن حمّاد بن عيسى ، عن حريز ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : الناس في القدر على ثلاثة أوجه : رجل زعم أنّ الله عزّ و جلّ أجبر الناس على المعاصي فهذا قد ظلم الله عزّ وجلّ في حكمه وهو كافر ، ورجل يزعم أنّ الأمر

---

(١) سيأتي الحديث مسنداً عن الصادق عليه السلام تحت رقم ٤١ و ٥٦ .

(٢) في الاصل : وهديتك وقويتك وفي آخر الحديث : في معصيتك لي .

(٣) في تفسير القمي بعد ذلك : عن أبي جعفر عليه السلام . م

(٤) وفيه ايضا : يعود اليه شقيا . م

(٥) في التوحيد بعد ذلك : ومحمد بن حسين بن عبدالعزيز ، عن ابن عيسى . م

مفوّض إليهم فهذا وهّن الله في سلطانه فهو كافر ، ورجل يقول : إنّ الله عزّ و جلّ كلّف العباد ما يطيقون ، ولم يكلّفهم مالا يطيقون ، فإذا أحسن حمدالله ، وإذا أساء استغفر الله فهذا مسلم بالغ .

يد : الورّاق ، عن ابن بطّة مثله .

١٥ ـ ل : أبي ، عن عليّ ، عن أبيه ، عن الحسن بن الحسن بن الفارسيّ ، عن سليمان بن جعفر البصريّ ، عن عبدالله بن الحسين بن زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب ، عن أبيه ، عن جعفر بن محمّد ، عن آبائه ، عن عليّ عليه السلام قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : إنّ الله عزّ وجلّ لمّا خلق الجنّة خلقها من لبنتين ، لبنة من ذهب ، و لبنة من فضّة ، و جعل حيطانها الياقوت ، وسقفها الزبرجد ، وحصبائها اللّؤلؤ ، [1] و ترابها الزعفران والمسك الأذفر ، فقال لها : تكلّمي ، فقالت : لا إله إلّا أنت الحيّ القيّوم ، قد سعد من يدخلني . فقال عزّ وجلّ : بعزّتي وعظمتي وجلالي و ارتفاعي لا يدخلها مدمن خمر ، ولا سكّير ، ولا قتّات [2] وهو النمّام ، ولا ديّوث وهو القلطبان ، ولا قلّاع وهو الشرطي ، ولا زنّوق وهو الخنثى ، ولا خيّوف [3] وهو النبّاش ، ولا عشّار ، ولا قاطع رحم ، ولا قدريّ .

توضيح : السكّير بالكسر وتشديد الكاف : الكثير السكر ، والفرق بينه وبين المدمن إمّا بكون المراد بالخمر مايتّخذ من العنب وبالسكّير من يسكر من غيره ، أو بكون المراد بالمدمن أعمّ ممّن يسكر . وشرط السلطان : نخبة أصحابه الّذين يقدمهم على غيرهم من جنده ، والنسبة إليهم شرطيّ كتركيّ ، ولم أجد اللّغويّين فسّروا الزنّوق والخيّوف بما فسّرا به في الخبر .

١٦ ـ ل : أبي وابن الوليد ، عن أحمد بن إدريس ، ومحمّد العطّار ، عن الأشعريّ عن محمّد بن الحسين بإسناده يرفعه قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : لا يدخل الجنّة مدمن

---

(١) في نسخة : وحصاها اللؤلؤ .

(٢) من القت وهو الكذب ، وسمى النمام قتاتا لانه يزوّر الحديث ويحسّنها و يبلغها على جهة الكذب و الفساد .

(٣) في نسخة من الكتاب : ولاخنوف . و في الخصال المطبوع : ولا خيوق في الموضعين .

خمر ، ولاسكّير ، ولاعاقّ ، ولاشديد السواد ، ولا ديّوث ، ولا قلّاع وهو الشّرطيّ ، ولا زنّوق و هو الخنثى ، ولا خيّوف وهو النبّاش ، ولا عشّار ، ولا قاطع رحم ، ولا قدريّ .

قال الصدوق رحمه الله : يعني بشديد السواد الّذي لايبيّض شيء من شعر رأسه ، ولامن شعر لحيته مع كبر السنّ ، ويسمّى الغربيب .[1]

١٧ ـ ن : السنانيّ ، عن الأسديّ ، عن سهل ، عن عبدالعظيم الحسنيّ ، عن إبراهيم ابن أبي محمود قال : سألت أباالحسن الرضا عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ : «وتركهم في ظلمات لايبصرون» فقال : إنّ الله تبارك وتعالى لا يوصف بالترك كما يوصف خلقه ، ولكنّه متى علم أنّهم لا يرجعون عن الكفر و الضلال منعهم المعاونة و اللّطف ، وخلّا بينهم وبين اختيارهم . قال : وسألته عن قول الله عزّ وجلّ « ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم » قال : الختم هو الطبع على قلوب الكفّار عقوبة على كفرهم كما قال تعالى : «بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلّا قليلاً » قال : وسألته عن الله عزّ و جلّ هل يجبر عباده على المعاصي ؟ فقال : بل يخيّرهم [2] و يمهلهم حتّى يتوبوا ، قلت : فهل يكلّف عباده ما لا يطيقون ؟ فقال : كيف يفعل ذلك و هو يقول : « وما ربّك بظلّام للعبيد » ؟ ثمّ قال عليه السلام : حدّثني أبي موسى بن جعفر ، عن أبيه جعفر بن محمّد عليهم السلام أنّه قال : من زعم أنّ الله يجبر عباده على المعاصي أو يكلّفهم ما لا يطيقون فلا تأكلوا ذبيحته ، ولاتقبلوا شهادته ، ولا تصلّوا وراءه ، ولا تعطوه من الزكاة شيئاً . «ص٧٠»

ج : مرسلاً عن الحسنيّ مثله . «ص٢٢٥»

١٨ ـ ن : تميم القرشيّ ، عن أبيه ، عن أحمد بن عليّ الأنصاريّ ، عن يزيد بن عمير ابن معاوية الشاميّ [3] قال : دخلت على عليّ بن موسى الرضا عليه السلام بمرو فقلت له : يابن

---

(١) وزان عفريت .

(٢) في الاحتجاج : لا بل يخيرهم . م

(٣) الموجود في العيون : «زيد بن عمير بن معاوية الشامي» وحكى فيه عن نسخة اخرى « يزيد بن عمير ، عن معاوية الشامي» .

رسول الله روي لنا عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام أنه قال : لاجبر ولا تفويض بل أمر بين أمرين فما معناه ؟ فقال : من زعم أن الله يفعل أفعالنا ثم يعذبنا عليها فقد قال بالجبر ومن زعم أن الله عز وجل فوض أمر الخلق والرزق إلى حججه عليهم السلام فقد قال بالتفويض فالقائل بالجبر كافر والقائل بالتفويض مشرك . فقلت له : يابن رسول الله فما أمر بين أمرين ؟ فقال : وجود السبيل إلى إتيان ما اُمروا به وترك مانهوا عنه . فقلت له : فهل لله عز وجل مشية وإرادة في ذلك ؟ فقال : أما الطاعات فإرادة الله ومشيته فيها الأمر بها ، والرضا لها ، والمعاونة عليها ؛ وإرادته ومشيته في المعاصي النهي عنها ، والسخط لها ، والخذلان عليها . قلت : فلله عز وجل فيها القضاء ؟[1] قال : نعم مامن فعل يفعله العباد من خير وشر إلا ولله فيه قضاء . قلت : فما معنى هذا القضاء ؟ قال : الحكم عليهم بما يستحقونه على أفعالهم من الثواب و العقاب في الدنيا والآخرة . «ص٧٨»

ج : رواه مرسلاً مثله .

*١٩ ـ ن : الدقاق ، عن محمد بن الحسن الطائي ، عن سهل بن زياد ، عن علي بن جعفر الكوفي قال : سمعت سيدي علي بن محمد عليهما السلام يقول : حدثني أبي محمد بن علي ، عن أبيه الرضا علي بن موسى ، عن أبيه موسى بن جعفر ، عن أبيه جعفر بن محمد ، عن أبيه محمد بن علي ، عن أبيه علي بن الحسين ، عن أبيه عليهم السلام .

وحدثنا محمد بن عمر الحافظ البغدادي ، عن إسحاق بن جعفر العلوي ، عن أبيه ، عن سليمان بن محمد القرشي ، عن إسماعيل بن أبي زياد ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جده ، عن علي عليهم السلام .

وحدثنا أبو الحسين محمد بن إبراهيم بن إسحاق الفارسي الغرائمي ، عن أحمد بن محمد ابن رميح النسوي ، عن عبدالعزيز بن إسحاق بن جعفر ، عن عبد الوهاب بن عيسى

---

(١) فى العيون المطبوع : فهل عزوجل فيها القضاء ؟.

(*) أورده الامام على بن محمد العسكرى عليه السلام ملخصاً فى رسالته إلى أهل الاهواز فى معنى الجبر والتفويض ، وسيوردها المصنف قدس سره فى الباب الاتى . و يأتى عن كتاب الاحتجاج أيضا فى الباب الثالث تحت رقم ١٩ وعن الارشاد تحت رقم ٧٥ وعن النهج تحت رقم ٧٩ .

المروزيّ ، عن الحسن بن عليّ بن محمّد البلويّ ، عن محمّد بن عبدالله بن نجيح ، عن أبيه ، عن جعفر بن محمّد ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن أبيه عليهم السلام .

وحدّثنا أحمد بن الحسن القطّان ، عن السكّريّ ، عن الجوهريّ ، عن العبّاس بن بكّار الضبّيّ ، عن أبي بكر الهذليّ ، عن عكرمة ، عن ابن عبّاس قالوا : لمّا انصرف أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام من صفّين قام إليه شيخ ممّن شهد الوقعة معه فقال يا أمير المؤمنين أخبرنا عن مسيرنا هذا أبقضاء من الله وقدر ؟ و قال الرضا في روايته عن آبائه ، عن الحسين بن عليّ عليهما السلام : دخل رجل من أهل العراق على أمير المؤمنين عليه السلام فقال : أخبرنا عن خروجنا إلى أهل الشام أبقضاء من الله وقدر ؟ فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : أجل ياشيخ فوالله ماعلوتم تلعة ولاهبطتم بطن واد إلّا بقضاء من الله وقدر ؛ فقال الشيخ عندالله أحتسب عنائي يا أمير المؤمنين ،[1] فقال : مهلاً ياشيخ لعلّك تظنّ قضاءاً حتماً وقدراً لازماً ، لو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب ، والأمر والنهي والزجر ، و لسقط معنى الوعد والوعيد ، ولم تكن على مسيء لائمة ، ولا لمحسن محمدة ، ولكان المحسن أولى باللّائمة من المذنب ، والمذنب أولى بالإحسان من المحسن ، تلك مقالة عبدة الأوثان و خصماء الرحمن ، وقدريّة هذه الأمّة ومجوسها ، ياشيخ إنّ الله عزّ وجلّ كلّف تخييراً ، ونهى تحذيراً ، وأعطى على القليل كثيراً ، ولم يعص مغلوباً ، ولم يطع مكرهاً ، ولم يخلق السماوات و الأرض وما بينهما باطلاً[2] ذلك ظنّ الّذين كفروا فويل للّذين كفروا من النار ، قال : فنهض الشيخ وهو يقول :

---

(١) الظاهر كما يستفاد من الكافي سقوط جملة من هنا إما من الصدوق أو من النساخ و من روى الحديث عنه ، وهي في الكافي هكذا : فقال له : مه ياشيخ فوالله لقد عظم الله الاجر في مسيركم وأنتم سائرون ، وفي مقامكم وأنتم مقيمون ، وفي منصرفكم وأنتم منصرفون ، ولم تكونوا في شيء من حالاتكم مكرهين ، ولا إليه مضطرين . فقال له الشيخ : وكيف لم نكن في شيء من حالاتنا مكرهين ولا إليه مضطرين وكان بالقضاء والقدر مسيرنا ومنقلبنا و منصرفنا ؛ فقال له : و تظن أنه كان قضاءاً حتماً إه وأورد مثله العلامة في شرح التجريد في باب القضاء والقدر باسناده عن الاصبغ مع اختلاف نشير إليه بعد ذلك . وفيه أيضاً بعد قوله : ياأمير المؤمنين قوله : ماأرى لي من الاجر شيئا . ويأتي نحوه أيضاً في خبر ١٩ من الباب الثالث مع زيادة .

(٢) يوجد في الكافي هنا أيضاً زيادة وهي : ولم يبعث النبيين مبشرين ومنذرين عبثاً .

أنت الإمام الّذي نرجو بطاعته ✡ يوم النجاة من الرحمن غفراناً
أوضحت من ديننا ما كان ملتبساً ✡ جزاك ربّك عنّا فيه إحساناً
فليس معذرة في فعل فاحشة ✡ قد كنت راكبها فسقاً و عصياناً
لا لا ولا قابلاً ناهيه أوقعه ✡ فيها عبدت إذاً يا قوم شيطاناً
ولا أحبّ ولا شاء الفسوق ولا ✡ قتل الوليّ له ظلماً و عدواناً
أنّى يحبّ وقد صحّت عزيمته ؟ ✡ ذو العرش أعلن ذاك الله إعلاناً

لم يذكر محمّد بن عمر الحافظ في آخر هذا الحديث من الشعر إلّا بيتين من أوّله.[١] «ص ٧٩»

يد : زاد ابن عبّاس في حديثه : فقال الشيخ : يا أمير المؤمنين القضاء والقدر اللّذان ساقانا ؟ وما هبطنا وادياً وما علونا تلعة إلّا بهما ؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام : الأمر من الله والحكم ، ثمّ تلا هذه الآية : «وقضى ربّك ألّا تعبدوا إلّا إيّاه وبالوالدين إحساناً» . «ص ٣٩٠»

بيان : التلعة : ما ارتفع من الأرض .

قوله : عند الله أحتسب عنائي أي لمّا لم نكن مستحقّين للأجر لكوننا مجبورين فأحتسب أجر مشقّتي عند الله لعلّه يثيبني بلطفه ، ويحتمل أن يكون استفهاماً على سبيل الإنكار ، وقال الجزريّ : الاحتساب من الحسب كالاعتداد من العدّ ، و إنّما قيل لمن ينوي بعمله وجه الله : احتسبه لأنّ له حينئذ أن يعتدّ عمله ، و الاحتساب في الأعمال الصالحات ، وعند المكروهات هو البدار إلى طلب الأجر ، وتحصيله بالتسليم و الصبر ، أو باستعمال أنواع البرّ والقيام بها على الوجه المرسوم فيها طلباً للثواب المرجوّ منها . انتهى .

قوله عليه السلام : ولكان المذنب أولى بالإحسان أقول : لأنّه حمله على ما هو قبيح عقلاً و شرعاً ، و صيّره بذلك محلاًّ للائمة الناس ، فهو أولى بالإحسان لتدارك ذلك وأيضاً لمّا حمل المحسن على ما هو حسن عقلاً و شرعاً و صار بذلك مورداً لمدح النّاس

(١) كالكليني في الكافي إلّا أنّه قال : أوضحت من أمرنا ما كان ملتبسا ✡ جزاك ربك بالاحسان إحسانا .

فإن عاقبه وأضرّ به تداركاً لما أحسن إليه كان أولى من جمع الإضرارين على المسيء ، وقيل : إنّما كان المذنب أولى بالإحسان لأنّه لايرضى بالذنب كما يدلّ عليه جبره عليه ، و المحسن أولى بالعقوبة لأنّه لا يرضى بالإحسان لدلالة الجبر عليه ، ومن لا يرضى بالإحسان أولى بالعقوبة من الّذي يرضى به .

ويحتمل أن يكون هذا متفرّعاً على ما مرّ أي إذا بطل الثواب والعقاب والأمر والنهي والوعد والوعيد لكان المذنب أولى الخ ؛ ووجهه أنّه لم يبق حينئذ إلا الإحسان والعقوبة الدنيويّة ، والمذنب في الدنيا متنعّم بأنواع اللّذات ، وليست له مشقّة التكاليف الشرعيّة ، والمحسن في التعب والنصب بارتكاب أفعال لا يشتهيها ، وترك ما يلتذّ بها مقترّ عليه لاجتناب المحرّمات من الأموال ، فحينئذ الإحسان الواقع للمذنب أكثر ممّا وقع للمحسن ، فهو أولى بالإحسان من المحسن ، والعقوبة الواقعة على المحسن أكثر ممّا وقع على المذنب فهو أولى بالعقوبة من المذنب .[(١)] والقدريّة في هذا الخبر اُطلقت على الجبريّة وقوله : لم يعص على بناء المفعول ، وكذا قوله : ولم يطع مكرهاً ـ بكسر الراء ـ وفي الفتح تكلّف .

و في الكافي بعد ذلك : ولم يملك مفوّضاً . إشارة إلى نفي التفويض التامّ ، بحيث لايقدر على صرفهم عنه ، أو بحيث لايكون لتوفيقه وهدايته مدخل فيه .

٢٠ ـ يد ، ن : ابن مسرور ، عن ابن عامر ، عن معلّى بن محمّد البصريّ ، عن

---

(١) و ذكر وجهين آخرين في كتابه المرآة أيضا ، أحدهما أنه لما اقتضى ذات المذنب أن يحسن إليه في الدنيا باحداث اللذات فيه فينبغي أن يكون في الاخرة أيضا كذلك ، لعدم تغير الذوات في النشأتين ، وإذا اقتضى ذات المحسن المشقة في الدنيا وإيلامه بالتكاليف الشاقة ففي الاخرة أيضا ينبغي أن يكون كذلك . الثاني ما قيل : لعل وجه ذلك أن المذنب بصدور القبائح والسيئات منه متألم منكسر البال ، لظنه أنها وقعت منه باختياره وقد كانت بجبر جابر و قهر قاهر فيستحق الاحسان ، وأن المحسن لفرحاته بصدور الحسنات عنه وزعمه أنه قد فعلها بالاختيار أولى بالعقوبة من المذنب أقول : لعل قوله : و لكان المحسن أولى إه فيه تصحيف ، وصحيحه كما في شرح التجريد في رواية الاصبغ: ولم يكن المحسن أولى بالمدح من المسيء ، ولا المسيء أولى بالذم من المحسن . أو كما ياتي في حديث ١٩ من الباب الثالث : ولا كان المحسن أولى إه ومعناه ظاهر لا يحتاج إلى شيء من التوجيهات المذكورة ، لان العبد اذا كان مجبوراً على الفعل مسلوباً عنه الاختيار كان المحسن والمسيء كلاهما متساويين في عدم صحة استناد الاحسان والاساءة إليهما فلا يكون أحدهما أولى بالمدح أو الذم من الاخر .

الوشّاء، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: سألته فقلت: الله فوّض الأمر إلى العباد؟ قال: الله أعزّ من ذلك؛ قلت: فأجبرهم على المعاصي؟ قال: الله أعدل وأحكم من ذلك، ثمّ قال: قال الله عزّ وجلّ: يا ابن آدم أنا أولى بحسناتك منك، و أنت أولى بسيّئاتك منّي، عملت المعاصي بقوّتي الّتي جعلتها فيك. «ص٣٧١ ص٨٢»

٢١ ـ يد، ن: الطالقانيّ، عن أحمد بن عليّ الأنصاريّ، عن الهرويّ قال: سمعت أبا الحسن عليّ بن موسى بن جعفر عليه السلام يقول: من قال بالجبر فلا تعطوه من الزكاة، ولا تقبلوا لهم شهادة،[1] إنّ الله تبارك وتعالى لا يكلّف نفساً إلا وسعها، ولا يحمّلها فوق طاقتها، ولا تكسب كلّ نفس إلّا عليها، ولا تزر وازرة وزر اُخرى. «ص٣٧١ ص ٨٢»

٢٢ ـ يد، ن: أبي، عن سعد، عن البرقيّ، عن أبيه، عن الجعفريّ، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: ذكر عنده الجبر والتفويض فقال: ألا اُعطيكم في هذا أصلاً لا تختلفون فيه ولا يخاصمكم عليه أحدٌ إلّا كسرتموه؟[2] قلنا: إن رأيت ذلك؛ فقال: إنّ الله عزّ وجلّ لم يطع بإكراه، ولم يعص بغلبة، ولم يهمل العباد في ملكه، هو المالك لما ملّكهم، والقادر على ما أقدرهم عليه، فإن ائتمر العباد بطاعته[3] لم يكن الله عنها صادّاً، ولا منها مانعاً، وإن ائتمروا بمعصيته فشاء أن يحول بينهم وبين ذلك فعل، وإن لم يحل وفعلوه فليس هو الّذي أدخلهم فيه، ثمّ قال عليه السلام: من يضبط حدود هذا الكلام فقد خصم من خالفه. «ص٣٧٠ ص ٨٢»

ج: مرسلاً مثله.[4] «ص٢٢٥ـ ٢٢٦»

بيان: لعلّ ذكر الائتمار ثانياً للمشاكلة، أو هو بمعنى الهمّ، أو الفعل من غير مشاورة، كما ذكر في النهاية والقاموس.

٢٣ـ يد، مع: حدّثنا أبو الحسن محتمل بن سعيد السمرقنديّ[5] الفقيه بأرض بلخ

---

(١) في المصدرين: ولا تقبلوا له شهادة. م

(٢) في التوحيد المطبوع: ولا تخاصمون عليه أحداً إلا كسرتموه.

(٣) ائتمر الامر وبه: امتثله. أقول: أورد الحديث الكليني في باب القضاء والقدر.

(٤) الآن صدر الرواية من قوله: «فقال الا اعطيكم» الى قوله: «قلنا ان رايت ذلك» غير مذكور في المصدر. م

(٥) كذا في النسخ ولعله تصحيف «محمد».

قال : حدّثنا أبوأحمد محمد بن أحمد بن الزاهد السمرقنديّ بإسناد رفعه إلى الصادق عليه السلام أنّه سأله رجل فقال له : إنّ أساس الدين التوحيد والعدل ، وعلمه كثير لابدّ لعاقل منه ، فاذكر ما يسهل الوقوف عليه ، ويتهيّأ حفظه ، فقال : أمّا التوحيد فأن لاتجوّز على ربّك ماجاز عليك ، وأمّا العدل فأن لاتنسب إلى خالقك مالامك عليه . «ص٨٣»

٢٤ ـ فس : قوله : «وقارون وفرعون وهامان ولقدجاءهم» إلى قوله : «سابقين»(١) فهذا ردّ على المجبّرة الّذين زعموا أنّ الأفعال لله عزّوجلّ ، ولاصنع لهم فيها ولا اكتساب ، فردّ الله عليهم فقال : فكلّاً أخذنا بذنبه ، ولم يقل : بفعلنا لأنّه عزّوجلّ أعدل من أن يعذّب العبد على فعله الّذي يجبره عليه . « ص ٤٩٦ »

٢٥ ـ فس : محمد بن أبي عبدالله ، عن موسى بن عمران ، عن النوفليّ ، عن السكونيّ قال : قال أبوعبدالله عليه السلام : وجدت لأهل القدر أسماءاً في كتاب الله : «إنّ المجرمين في ضلال وسعر يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مسّ سقر إنّا كلّ شيء خلقناه بقدر» فهم المجرمون . «ص٦٥٧» .

٢٦ ـ ج : عن أبي حمزة الثماليّ أنّه قال : قال أبوجعفر عليه السلام للحسن البصريّ : إيّاك أن تقول بالتفويض(٢) فإنّ الله عزّوجلّ لم يفوّض الأمر إلى خلقه وهناً منه وضعفاً ، ولاأجبرهم على معاصيه(٣) ظلماً . الخبر «ص١٧٨»

٢٧ ـ يد : الدقّاق ، عن الأسديّ ، عن خنيس بن محمد ، عن محمد بن يحيى الخزّاز ، عن المفضّل ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : لاجبر ولاتفويض ولكن أمر بين أمرين ، قال : قلت : ما أمر بين أمرين ؟ قال : مثل ذلك مثل رجل رأيته على معصية فنهيته فلم ينته فتركته ففعل تلك المعصية فليس حيث لم يقبل منك فتركته كنت أنت الّذي أمرته بالمعصية . « ص ٣٧١ »

٢٨ ـ عد : اعتقادنا في الجبر والتفويض قول الصادق عليه السلام : لاجبر ولاتفويض «ص٦٩»

---

(١) العنكبوت : ٣٩ .

(٢) ليست هذه العبارة مروية على استقلالها في المصدر ؛ بل مذكورة في ضمن حديث مفصل . م

(٣) في نسخة : المعاصي .

اقول : وساق الخبر إلى آخر مارواه المفضّل ، وقال الشيخ المفيد قدّس الله روحه في شرحه : الجبر هو الحمل على الفعل ، والاضطرار إليه بالقسر والغلبة ، وحقيقة ذلك إيجاد الفعل في الخلق من غير أن يكون له قدرة على دفعه والامتناع من وجوده فيه ، و قد يعبّر عمّا يفعله الإنسان بالقدرة الّتي معه على وجه الإكراه له على التخويف و الإلجاء أنّه جبر ، والأصل فيه مافعل من غير قدرة على امتناعه منه حسب ماقدّمناه ، و إذا تحقّق القول في الجبر على ماوصفناه كان مذهب الجبر هو قول من يزعم أنّ الله تعالى خلق في العبد الطاعة من غير أن يكون للعبد قدرة على ضدّها والامتناع منها ، وخلق فيهم المعصية كذلك ، فهم المجبّرة حقّاً ، والجبر مذهبهم على التحقيق ، والتفويض هو القول برفع الحظر[1] عن الخلق في الأفعال والإباحة لهم ، مع ماشاؤوا من الأعمال ، وهذا قول الزنادقة وأصحاب الإباحات ، والواسطة بين هذين القولين أنّ الله أقدر الخلق على أفعالهم ، ومكّنهم من أعمالهم ، وحدّ لهم الحدود في ذلك ، و رسم لهم الرسوم ، و نهاهم عن القبائح بالزجر والتخويف والوعد والوعيد ، فلم يكن بتمكينهم من الأعمال مجبراً لهم عليها ، ولم يفوّض إليهم الأعمال لمنعهم من أكثرها ، و وضع الحدود لهم فيها ، و أمرهم بحسنها ونهاهم عن قبيحها ، فهذا هو الفصل بين الجبر والتفويض على ما بيّنّاه .

٢٩ ـ ج : عن هشام بن الحكم قال : سأل الزنديق أباعبدالله عليه السلام فقال : أخبرني عن الله عزّ وجلّ كيف لم يخلق الخلق كلّهم مطيعين موحّدين وكان على ذلك قادراً ؟ قال عليه السلام : لو خلقهم مطيعين لم يكن لهم ثواب لأنّ الطاعة إذا ما كانت فعلهم لم تكن جنّة ولانار ، ولكن خلق خلقه فأمرهم بطاعته ، و نهاهم عن معصيته ، و احتجّ عليهم برسله ، و قطع عذرهم بكتبه ليكونوا هم الّذين يطيعون و يعصون ، و يستوجبون بطاعتهم له الثواب ، وبمعصيتهم إيّاه العقاب ، قال : فالعمل الصالح من العبد هو فعله ،

(١) الحظر : المنع ، وظاهره انه رحمه الله يفسر التفويض بالالحاد مع أن الظاهر ان المراد بالتفويض في الاخبار هو ما قالت به المعتزلة في مقابل الاشاعرة ، وهو أن الافعال مخلوقة للانسان ، وإن كانت القوى والادوات مخلوقة لله خلافا لما ينسب الى الاشاعرة أن الجميع مخلوقة لله . ط

والعمل الشرّ من العبد هوفعله ؟ قال : العمل الصالح العبد يفعله والله به أمره ، و العمل الشرّ العبد يفعله والله عنه نهاه ؛ قال : أليس فعله بالآلة الّتي ركّبها فيه ؟ [(١)] قال : نعم ، ولكن بالآلة الّتي عمل بها الخير قدر بها على الشرّ الّذي نهاه عنه . [(٢)]

قال : فإلى العبد من الأمر شيء ؟ قال : ما نهاه الله عن شيء إلّا وقد علم أنّه يطيق تركه ، ولا أمره بشيء إلّا وقد علم أنّه يستطيع فعله لأنّه ليس من صفته الجور والعبث والظلم وتكليف العباد مالايطيقون .

قال : فمن خلقه الله كافراً يستطيع الإيمان وله عليه بتركه الإيمان حجّة ؟ قال عليه السلام : إنّ الله خلق خلقه جميعاً مسلمين ، أمرهم ونهاهم ، والكفر اسم يلحق الفعل حين يفعله العبد ، ولم يخلق الله العبد حين خلقه كافراً إنّه إنّما كفر من بعد أن بلغ وقتاً ألزمته الحجّة من الله فعرض عليه الحقّ فجحده فبإنكاره الحقّ صار كافراً ، قال : فيجوز أن يقدّر على العبد الشرّ ويأمره بالخير وهو لايستطيع الخير أن يعمله ويعذّبه عليه ؟ قال : إنّه لايليق بعدل الله و رأفته أن يقدّر على العبد الشرّ و يريده منه ، ثمّ يأمره بمايعلم أنّه لايستطيع أخذه ، والإنزاع عمّا لايقدر على تركه ، ثمّ يعذّبه على تركه أمره الّذي علم أنّه لايستطيع أخذه الخبر . « ص ١٨٦ »

عد : اعتقادنا في أفعال العباد أنّها مخلوقة خلق تقدير لا خلق تكوين ، و معنى ذلك أنّه لم يزل الله عالماً بمقاديرها .

اقول : قال الشيخ المفيد قدّس الله روحه في شرح العقائد عند شرح هذا الكلام الّذي ذكره أبوجعفر رحمه الله : قدجاء به حديث غيرمعمول به ، ولا مرضيّ الإسناد ، [(٣)]

---

(١) وهي قدرته وإرادته و مشيته .

(٢) أي الالة التي جعلها الله في العبد لايقتضي طرفا من الفعل دون طرفه الاخر حتى يكون العبد مقهوراً لها ومجبوراً على الفعل بسببها فيستند الفعل إلى الله وينفي عن العبد ، بل الالة وهي قدرة العبد و إرادته يقتضي طرفي الفعل من الوجود والعدم ، ويمكن أن يستعملها في الخير والشر ، فتخصيص طرفي الفعل أو الخير والشر بالوجود من العبد .

(٣) وهو الحديث الاتي تحت رقم ٣٧ و ٣٨ ، وفيهما عبدالواحد بن محمد بن عبدوس ولم يرو توثيقه من قدماء أهل الرجال .

والأخبار الصحيحة بخلافه ، وليس نعرف في لغة العرب أنّ العلم بالشيء هو خلق له ، ولو كان ذلك كما قال المخالفون للحقّ لوجب أن يكون من علم النبيّ صلّى الله عليه وآله فقد خلقه ، ومن علم السماء والأرض فهو خالق لهما ، ومن عرف بنفسه شيئاً من صنع الله تعالى وقرّره في نفسه أن يكون خالقاً له ؛ وهذا محال لايذهب وجه الخطأ فيه على بعض رعيّة الأئمّة عليهم السلام فضلاً عنهم .

فأمّا التقدير فهو الخلق في اللّغة لأنّ التقدير لايكون إلّا بالفعل ، فأمّا بالعلم فلا يكون تقديراً ، ولايكون أيضاً بالفكر ، والله متعال عن خلق الفواحش والقبائح على كلّ حال . وقد روي عن أبي الحسن الثالث عليه السلام أنّه سئل عن أفعال العباد أهي مخلوقة لله تعالى ؟ فقال عليه السلام لو كان خالقاً لها لما تبرّأ منها وقد قال سبحانه : « إنّ الله بريء من المشركين » ولم يرد البراءة من خلق ذواتهم ، وإنّما تبرّأ من شركهم و قبائحهم ، و كتاب الله تعالى المقدّم على الأحاديث والروايات ، وإليه يتقاضى في صحيح الأخبار و سقيمها ، فماقضى به فهو الحقّ دون ماسواه ، قال الله تعالى : « الّذي أحسن كلّ شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين » فخبّر بأنّ كلّ شيء خلقه فهو حسن غير قبيح ، فلو كانت القبائح من خلقه لما حكم بحسن جميع ماخلق ، و قال تعالى : « ماترى في خلق الرحمن من تفاوت » فنفى التفاوت عن خلقه ، وقد ثبت أنّ الكفر والكذب متفاوت في نفسه ، و المتضادّ من الكلام متفاوت فكيف يجوز أن يطلقوا على الله تعالى أنّه خالق لأفعال العباد وفي أفعال العباد من التفاوت ماذكرناه ؟ .

* ٣٠ ـ ج : ممّا أجاب به أبوالحسن عليّ بن محمّد العسكريّ عليه السلام في رسالته إلى أهل الأهواز حين سألوه عن الجبر و التفويض أن قال : اجتمعت الأمّة قاطبة لا اختلاف بينهم في ذلك أنّ القرآن حقّ لاريب فيه عند جميع فرقها ، فهم في حالة الاجتماع عليه مصيبون ، وعلى تصديق ما أنزل الله مهتدون لقول النبيّ صلى الله عليه وآله : لا تجتمع اُمّتي على ضلالة ، فأخبر النبيّ صلى الله عليه وآله أنّ ما اجتمعت عليه الاُمّة ولم يخالف بعضها بعضاً هو الحقّ ، فهذا معنى الحديث لاما تأوّله الجاهلون ، ولاماقاله المعاندون من إبطال

(*) سيأتي الحديث مفصلا في الباب الاتي بصورة اخرى عن تحف العقول .

حكم الكتاب، واتّباع حكم الأحاديث المزوّرة، [١] والروايات المزخرفة، [٢] واتّباع الأهواء المردية المهلكة الّتي تخالف نصّ الكتاب وتحقيق الآيات الواضحات النيّرات ونحن نسأل الله أن يوفّقنا للصواب، ويهدينا إلى الرشاد.

ثمّ قال عليه السلام: فإذا شهد الكتاب بتصديق خبر وتحقيقه فأنكرته طائفة من الأمّة وعارضته بحديث من هذه الأحاديث المزوّرة فصارت بإنكارها ودفعها الكتاب كفّاراً ضلّالاً، وأصحّ خبر ما عرف تحقيقه من الكتاب مثل الخبر المجمع عليه من رسول الله صلّى الله عليه وآله، حيث قال: إنّي مستخلف فيكم خليفتين كتاب الله وعترتي، ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي، وأنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض. واللّفظة الأخرى عنه في هذا المعنى بعينه قوله صلّى الله عليه وآله: إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، و أنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض، أما إنّكم إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا. فلمّا وجدنا شواهد هذا الحديث نصّاً في كتاب الله مثل قوله: «إنّما وليّكم الله و رسوله والّذين آمنوا الّذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم راكعون» ثمّ اتّفقت روايات العلماء في ذلك لأمير المؤمنين عليه السلام أنّه تصدّق بخاتمه وهو راكع فشكر الله ذلك له، وأنزل الآية فيه، ثمّ وجدنا رسول الله صلّى الله عليه وآله قد أبانه من أصحابه بهذه اللّفظة: من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه. وقوله صلّى الله عليه وآله: عليّ يقضي ديني، وينجز موعدي، وهو خليفتي عليكم بعدي. وقوله صلّى الله عليه وآله حيث استخلفه على المدينة فقال: يا رسول الله أتخلّفني على النساء والصبيان؟ فقال: أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي. فعلمنا أنّ الكتاب شهد بتصديق هذه الأخبار، و تحقيق هذه الشواهد فيلزم الأمّة الإقرار بها كانت هذه الأخبار موافقة للقرآن، ووافق القرآن هذه الأخبار، فلمّا وجدنا ذلك موافقاً لكتاب الله وجدنا كتاب الله موافقاً لهذه الأخبار وعليها دليلاً كان الاقتداء بهذه الأخبار فرضاً لا يتعدّاه إلّا أهل العناد والفساد.

---

(١) أي الاحاديث المتزينة بالكذب، أو الاحاديث الكاذبة.

(٢) أي الروايات المموهة بالكذب.

ثمّ قال عليه السلام : ومرادنا وقصدنا الكلام في الجبر والتفويض وشرحهما وبيانهما ، وإنّما قدّمنا ماقدّمنا لكون اتّفاق الكتاب والخبر إذا اتّفقا دليلاً لما أردناه وقوّة لما نحن مبيّنوه من ذلك إن شاءالله ، فقال : الجبر والتفويض بقول الصادق جعفر بن محمّد عليهما السلام عندما سئل عن ذلك فقال : لاجبر ولاتفويض بل أمر بين أمرين . وقيل : فماذا يابن رسول الله صلّى الله عليه وآله ؟ فقال : صحّة العقل ، وتخلية السرب ، والمهلة في الوقت ، والزاد من قبل الراحلة ، والسبب المهيّج للفاعل على فعله ، فهذه خمسة أشياء فاذا نقص العبد منها خلّة[1] كان العمل عنه مطرّحاً بحسبه ، وأنا أضرب لكلّ باب من هذه الأبواب الثلاثة وهي الجبر والتفويض والمنزلة بين المنزلتين مثلاً يقرّب المغنى للطالب ، ويسهّل له البحث من شرحه ، ويشهد به القرآن بمحكم آياته ، وتحقّق تصديقه عند ذوي الألباب ، وبالله العصمة والتوفيق .

ثمّ قال عليه السلام : فأمّا الجبر فهو قول من زعم أنّ الله عزّ وجلّ جبر العباد على المعاصي وعاقبهم عليها ، ومن قال بهذا القول فقد ظلم الله و كذّبه ورد عليه قوله : ولايظلم ربّك أحداً وقوله جلّ ذكره : ذلك بما قدّمت يداك وأنّ الله ليس بظلام للعبيد » مع آي كثيرة في مثل هذا ، فمن زعم أنّه مجبور على المعاصي فقد أحال بذنبه على الله عزّ وجلّ وظلّمه في عقوبته له ، ومن ظلّم ربّه فقد كذّب كتابه ، ومن كذّب كتابه لزمه الكفر باجتماع الأمّة . والمثل المضروب في ذلك مثل رجل ملك عبداً مملوكاً لا يملك إلا نفسه ، ولايملك عرضاً[2] من عروض الدنيا ، ويعلم مولاه ذلك منه ، فأمره على علم منه بالمصير إلى السوق بحاجة يأتيه بها ، ولا يملّكه ثمن مايأتيه به ، و علم المالك أنّ على الحاجة رقيباً لايطمع أحد في أخذها منه إلّا بما يرضى به من الثمن ، وقد وصف مالك هذا العبد نفسه بالعدل والنصفة وإظهار الحكمة ونفي الجور ، فأوعد عبده[3] إن لم يأته بالحاجة أن يعاقبه ، فلمّا صار العبد إلى السوق و حاول أخذ الحاجة الّتي بعثه

(١) بضم الخاء : الخصلة .

(٢) العرض بفتح العين وسكون الراء : المتاع وكل شيء سوى الدراهم والدنانير ، و الجمع : العروض .

(٣) أى فتهدده .

المولى للإيتان بها وجد عليها مانعاً يمنعه منها إلّا بالثمن ، ولا يملك العبد ثمنها ، فانصرف إلى مولاه خائباً بغير قضاء حاجته فاغتاظ مولاه لذلك ، وعاقبه على ذلك فإنّه كان ظالماً متعدّياً مبطلاً لما وصف من عدله وحكمته ونصفته ، وإن لم يعاقبه كذّب نفسه أليس يجب أن لايعاقبه ؟ والكذب والظلم ينفيان العدل والحكمة ، تعالى الله عمّا يقول المجبّرة علوّاً كبيراً .

ثمّ قال العالم عليه السلام بعد كلام طويل : فأمّا التفويض الّذي أبطله الصادق عليه السلام وخطّأ من دان به فهو قول القائل : إنّ الله تعالى فوّض إلى العباد اختيار أمره و نهيه و أهملهم ،[1] و في هذا كلام دقيق[2] لم يذهب إلى غوره و دقّته إلّا الأئمّة المهديّة عليهم السلام من عترة آل الرسول صلوات الله عليهم ، فإنّهم قالوا : لو فوّض الله أمره إليهم على جهة الإهمال لكان لازماً له رضا ما اختاره ،[3] واستوجبوا به من الثواب ، ولم يكن عليهم فيما اجترموا العقاب[4] إذ كان الإهمال واقعاً ، وتنصرف هذه المقالة على معنيين : إمّا أن يكون العباد تظاهروا عليه فألزموه قبول اختيارهم بآرائهم ضرورة ، كره ذلك أم أحبّه ، فقد لزمه الوهن ، أو يكون جلّ وتقدّس عجز عن تعبّدهم بالأمر والنهي عن إرادته ، ففوّض أمره ونهيه إليهم ، و أجراهما على محبّتهم ، إذ عجز عن تعبّدهم بالأمر والنهي على إرادته فجعل الاختيار إليهم في الكفر والإيمان ، ومثل ذلك مثل رجل ملك عبداً ابتاعه ليخدمه ، ويعرّف له فضل ولايته ، ويقف عند أمره و نهيه ، و ادّعى مالك العبد أنّه قادر قاهر عزيز حكيم ، فأمر عبده ونهاه ، ووعده على اتّباع أمره عظيم الثواب وأوعده على معصيته أليم العقاب فخالف العبد إرادة مالكه ، ولم يقف عند أمره ونهيه ، فأيّ أمر أمره به أو نهي نهاه عنه لم يأتمر على إرادة المولى بل كان العبد يتّبع إرادة نفسه ، و بعثه في بعض حوائجه وفيها الحاجة له ، فصار العبد بغير تلك الحاجة

---

(١) أهمله : تركه ولم يستعمله عمداً أو نسياناً .

(٢) في المصدر : وهذا الكلام دقيق . م

(٣) في المصدر : ما اختاروه واستوجبوا به الثواب . م

(٤) أي لم يكن عليهم فيما اكتسبوا العقاب .

خلافاً على مولاه، وقصد إرادة نفسه، واتّبع هواه، فلمّا رجع إلى مولاه نظر إلى ما أتاه فإذا هو خلاف ما أمره فقال العبد: اتّكلت على تفويضك الأمر إليّ فاتّبعت هواي وإرادتي لأنّ المفوّض إليه غير محظور عليه لاستحالة اجتماع التفويض والتحصير.

ثمّ قال عليه السلام: فمن زعم أنّ الله فوّض قبول أمره ونهيه إلى عباده فقد أثبت عليه العجز، وأوجب عليه قبول كلّ ماعملوا من خير أو شرّ، وأبطل أمر الله تعالى ونهيه، ثمّ قال: إنّ الله خلق الخلق بقدرته وملّكهم استطاعة ماتعبّدهم به من الأمر والنهي، وقبل منهم اتّباع أمره، ورضي بذلك منهم، ونهاهم عن معصيته، وذمّ من عصاه وعاقبه عليها، ولله الخيرة في الأمر والنهي، يختار مايريد ويأمر به وينهى عمّا يكره، ويثيب ويعاقب بالاستطاعة الّتي ملّكها عباده لاتّباع أمره واجتناب معاصيه لأنّه العدل، ومنه النصفة والحكومة، بالغ الحجّة بالإعذار والإنذار، وإليه الصفوة يصطفي من يشاء من عباده، اصطفى محمّداً صلوات الله عليه وآله، وبعثه بالرسالة إلى خلقه، ولو فوّض اختيار اُموره إلى عباده لأجاز لقريش اختيار اُميّة بن الصلت وأبي مسعود الثقفيّ إذ كانا عندهم أفضل من محمّد لمّا قالوا: « لولا نزّل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم » يعنونهما بذلك، فهذا هو القول بين القولين ليس بجبر ولاتفويض، بذلك أخبر أمير المؤمنين عليه السلام حين سأله عباية بن ربعيّ الأسديّ، عن الاستطاعة، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: تملكها من دون الله أو مع الله؟ فسكت عباية بن ربعيّ[1]، فقال له: قل ياعباية؛ قال: وما أقول؟ قال: إن قلت: تملكها مع الله قتلتك وإن قلت: تملكها من دون الله قتلتك، قال: وما أقول يا أمير المؤمنين؟ قال: تقول: تملكها بالله الّذي يملكها من دونك، فإن ملّككها كان ذلك من عطائه، وإن سلبكها كان ذلك من بلائه، وهو المالك لما ملّكك، والمالك لما عليه أقدرك، أما سمعت الناس يسألون الحول والقوّة حيث يقولون: لاحول ولا قوّة إلّا بالله؟ فقال الرجل: وما تأويلها يا أمير المؤمنين؟ قال: لاحول لنا عن معاصي الله إلّا بعصمة الله، ولاقوّة لنا على طاعة الله إلّا بعون الله، قال: فوثب الرجل وقبّل يديه ورجليه.

(١) بالعين المهملة المفتوحة والباء الموحدة.

ثمّ قال عليه السلام : في قوله تعالى : « ولنبلونّكم حتّى نعلم المجاهدين منكم و الصابرين ونبلو أخباركم » وفي قوله : « سنستدرجهم من حيث لايعلمون » و في قوله : « أن يقولوا آمنّا وهم لايفتنون » وفي قوله : «ولقد فتنّا سليمان » وفي قوله : « إنّا قد فتنّا قومك من بعدك و أضلّهم السامريّ » وقول موسى : « إن هي إلّا فتنتك » وقوله : « ليبلوكم فيما آتيكم » وقوله : « ثمّ صرفكم عنهم ليبتليكم » و قوله : « إنّا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنّة » وقوله : « ليبلوكم أيّكم أحسن عملاً » وقوله : « وإذابتلى إبراهيم ربّه بكلمات » وقوله : « ولوشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض » إنّ جميعها جاءت في القرآن بمعنى الاختبار .

ثمّ قال عليه السلام : فإن قالوا : ماالحجّة في قول الله تعالى : « يهدي من يشاء ويضلّ من يشاء » وما أشبه ذلك ؟ قلنا : فعلى مجاز هذه الآية يقتضي معنيين : أحدهما أنّه إخبار عن كونه تعالى قادراً على هداية من يشاء وضلالة من يشاء، ولو أجبرهم على أحدهما لم يجب لهم ثواب ، ولا عليهم عقاب على ماشرحناه . والمعنى الآخر أنّ الهداية منه : التعريف، كقوله تعالى : « وأمّا ثمود فهديناهم فاستحبّوا العمى على الهدى » وليس كلّ آية مشتبهة في القرآن كانت الآية حجّة على حكم الآيات اللّاتي أمر بالأخذ بها وتقليدها وهي قوله : « هو الّذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هنّ أمّ الكتاب و أخر متشابهات فأمّا الّذين في قلوبهم زيغ فيتّبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله » الآية ، وقال : « فبشّر عبادي الّذين يستمعون القول فيتّبعون أحسنه أولئك الّذين هديهم الله و أولئك هم أولو الألباب » وفّقنا الله وإيّاكم لما يحبّ ويرضى ، ويقرّب لنا ولكم الكرامة و الزلفى ، وهدانا لماهولنا ولكم خير وأبقى ، إنّه الفعّال لما يريد ، الحكيم الجواد المجيد . « ص ٢٤٩ - ٢٥٢ »

٣١ - ج : عن داود بن قبيصة[1] قال : سمعت الرضا عليه السلام : يقول : سئل أبي عليه السلام

(١) هكذا في نسخ الكتاب و الاحتجاج المطبوع وهو غير مذكور في التراجم . ولكن الظاهر انه تصحيف «دارم بن قبيصة» المترجم في ص ١١٧ من رجال النجاشي بقوله : دارم بن قبيصة بن نهشل ابن مجمع أبو الحسن التميمي الدارمي السائح ، روى عن الرضا عليه السلام ، وله عنه كتاب الوجوه .

هل منع الله عمّا أمر به؟ وهل نهى عمّا أراد؟ وهل أعان على مالم يرد؟ فقال عليه السلام: أمّا ماسألت: هل منع الله عمّا أمر به؟ فلايجوز ذلك، ولوجاز ذلك لكان قدمنع إبليس عن السجود لآدم، ولومنع إبليس لعذره[1] ولم يلعنه؛ وأمّا ما سألت: هل نهى عمّا أراد؟ فلا يجوز ذلك، ولو جاز ذلك لكان حيث نهى آدم عن أكل الشّجرة أراد منه أكلها، ولو أراد منه أكلها ما نادى عليه صبيان الكتاتيب[2] «وعصى آدم ربّه فغوى» والله تعالى لايجوز عليه أن يأمر بشيء ويريد غيره؛ وأمّا ماسألت عنه من قولك: هل أعان على مالم يرد؟ فلايجوز ذلك، وجلّ الله تعالى عن أن يعين على قتل الأنبياء وتكذيبهم، وقتل الحسين بن عليّ والفضلاء من ولده، وكيف يعين على مالم يرد وقد أعدّ جهنّم لمخالفيه، ولعنهم على تكذيبهم لطاعته، وارتكابهم لمخالفته؛ ولوجاز أن يعين على مالم يرد لكان أعان فرعون على كفره وادّعائه أنّه ربّ العالمين! أفترى أراد الله من فرعون أن يدّعي الربوبيّة؟ يستتاب قائل هذا فإن تاب من كذبه على الله. وإلّا ضربت عنقه. «ص٢١٠»

٣٢ - ج: وروي عن عليّ بن محمّد العسكريّ عليه السلام[3] أنّ أباالحسن موسى بن جعفر عليهما السلام قال: إنّ الله خلق الخلق فعلم ماهم إليه صائرون فأمرهم ونهاهم، فماأمرهم به من شيء فقد جعل لهم السبيل إلى الأخذ به، ومانهاهم عنه من شيء فقد جعل لهم السبيل إلى تركه، ولايكونون آخذين ولاتاركين إلّا بإذنه، وماجبر الله أحداً من خلقه على معصيته، بل اختبرهم بالبلوى، كماقال تعالى «ليبلوكم أيّكم أحسن عملاً». «ص٢١٠»

قوله عليه السلام: ولا يكونون آخذين ولاتاركين إلّا بإذنه أي بتخليته وعلمه.

---

* والنظائر، وكتاب الناسخ والمنسوخ إه وقال العلامة في القسم الثاني من الخلاصة: يروى عن الرضا عليه السلام قال ابن الغضائري: لايؤنس بحديثه ولايوثق به. انتهى. أقول: دارم بفتح الدال وكسر الراء وزان فاعل، وقبيصة كسفينة، ونهشل بفتح النون وسكون الهاء وفتح الشين، ومجمع بالميم المضمومة والجيم المفتوحة والميم المشددة المكسورة وزان محدث.

(١) عذره يعذره على ماصنع: دفع عنه اللوم والذنب أوقبل عذره.

(٢) جمع الكتاب - بضم الكاف وتشديد التاء -: موضع التعليم.

(٣) في المصدر: عن الحسن بن علي بن محمد العسكري. م

٣٣ - ج : و روي أنّه دخل أبوحنيفة المدينة ومعه عبدالله بن مسلم فقال له : يا أباحنيفة إنّ ههنا جعفر بن محمّد من علماء آل محمّد عليهم السلام فاذهب بنا اليه نقتبس منه علماً فلمّا أتيا إذاً هما بجماعة من شيعته ينتظرون خروجه أودخولهم عليه ، فبيناهم كذلك إذخرج غلام حدث[1] فقام الناس هيبةً له ، فالتفت أبوحنيفة فقال : يا ابن مسلم من هذا ؟ قال : هذا موسى ابنه ، قال : والله لأجبهنّه[2] بين يدي شيعته قال : مه لن تقدر على ذلك ، قال : والله لأفعلنّه[3] ثمّ التفت إلى موسى عليه السلام فقال : ياغلام أين يضع الغريب حاجته في بلدتكم هذه ؟ قال : يتوارى خلف الجدار ، ويتوقّى أعين الجار ، و شطوط الأنهار ، ومسقط الثمار ، ولايستقبل القبلة ولايستدبرها ، فحينئذ يضع حيث شاء ،[4] ثمّ قال : ياغلام ممّن المعصية ؟ قال : ياشيخ لاتخلومن ثلاث إمّا أن تكون من الله وليس من العبد شيء فليس للحكيم أن يأخذ عبده بمالم يفعله ، وإمّا أن تكون من العبد ومن الله والله أقوى الشريكين فليس للشريك الأكبر أن يأخذ الشريك الأصغر بذنبه ، وإمّا أن تكون من العبد وليس من الله شيء فان شاء عفى وإن شاء عاقب . قال : فأصابت أباحنيفة سكتة كأنّما اُلقم فوه الحجر ،[5] قال : فقلت له ألم أقل لك لاتتعرّض لأولاد رسول الله صلّى الله عليه و آله ؟ « ص ٢١٠-٢١١ »

---

(١) الحدث : الشاب .

(٢) أى لانكسن رأسه ، وفى نسخة : لاهجبنه لعله من (الهجب) : السوق والسرعة ؛ الضرب بالعصا . وفى الاحتجاج المطبوع : والله اخجله .

(٣) يعرف من هذا نفسيات إمام السنة ورزانته وعفافه فى الحجاج ؛ هبه لم يكن يرى لسلالة النبوة قداسة وحرمة فبم كان يرى إباحة تخجيل امرء مسلم ، وهو يراه غلاماً حدثاً ؟ لم يكن بينه و بينه عداوة ولاخصام ؛ كما يعرف تبحر الامام عليه السلام فى الاصول والفروع وقوة حجاجه وهو غلام حدث .

(٤) أقول : أخرج الكلينى صدر الحديث من قوله : « ياغلام أين يضع الغريب ببلدكم » فى المجلد الاول من فروع الكافى ص٦ عن على بن ابراهيم رفعه ، وفيه زيادة وهوهكذا : فقال : اجتنب أفنية المساجد ، وشطوط الانهار ، ومساقط الثمار ، و منازل النزال ، ولاتستقبل القبلة بغائط ولابول ، وارفع ثوبك ، وضع حيث شئت . وأورده الشيخ باسناده عن الكلينى فى التهذيب ج ١ ص٩ .

(٥) مثل سائر يضرب لمن تكلم فاجيب بمسكتة .

و في ذلك يقول الشاعر هذه الأبيات :

لم تخل أفعالنا اللاّتي نذمّ بها ☆ إحدى ثلاث معان حين نأتيها
إمّا تفرّد بارينا بصنعتها ☆ فيسقط اللّوم عنّا حين ننشيها
أو كان يشركنا فيها فيلحقه ☆ ماسوف يلحقنا من لائم فيها
أولم يكن لإلهي في جنايتها ☆ ذنب فما الذنب إلّا ذنب جانيها

فس : و أمّا الردّ على المجبّرة الّذين قالوا : ليس لنا صنع ونحن مجبّرون ، يحدث الله لنا الفعل عند الفعل ، وإنّما الأفعال هي منسوبة إلى الناس على المجاز لا على الحقيقة ، و تأوّلوا في ذلك آيات من كتاب الله عزّ وجلّ لم يعرفوا معناها ، مثل قوله : « وماتشاؤون إلّا أن يشاء الله » و قوله : « ومن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضلّه يجعل صدره ضيّقاً حرجاً » وغير ذلك من الآيات الّتي تأويلها على خلاف معانيها ، وفيما قالوه إبطال الثواب والعقاب ، وإذا قالوا ذلك ثمّ أقرّوا بالثواب والعقاب نسبوا الله إلى الجور ، وأنّه يعذّب على غير اكتساب وفعل ، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً أن يعاقب أحداً على غير فعل وبغير حجّة واضحة عليه ، والقرآن كلّه ردّ عليهم ، قال الله تبارك و تعالى : « لايكلّف الله نفساً إلّا وسعها لها ماكسبت و عليها ما اكتسبت » فقوله عزّوجلّ : « لها وعليها » هو على الحقيقة لفعلها ، وقوله : « فمن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرّة شرّاً يره » و قوله : « كلّ نفس بما كسبت رهينة » وقوله : « ذلك بما قدّمت أيديكم » وقوله : « وأمّا ثمود فهديناهم فاستحبّوا العمى على الهدى » وقوله : « إنّا هديناه السبيل » يعني بيّنّا له طريق الخير وطريق الشرّ « إمّا شاكراً وإمّا كفوراً » وقوله : « وعاداً وثمود وقد تبيّن لكم من مساكنهم وزيّن لهم الشيطان أعمالهم فصدّهم عن السبيل و كانوا مستبصرين ☆ وقارون وفرعون و هامان ولقد جائهم موسى بالبيّنات فاستكبروا في الأرض وما كانوا سابقين فكلّاً أخذنا بذنبه » فلم يقل : بفعلنا « فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » ومثله كثير . « ص ٢٠ - ٢١ »

أقول : سيأتي مثل هذا الكلام بوجه أبسط في كتاب القرآن في تفسير النعماني ّ فيما رواه عن أمير المؤمنين عليه السلام .

٣٤ - **يد** : المفسّر بإسناده إلى أبي محمّد عليه السلام قال : قال الرضا عليه السلام : ما عرف الله من شبّهه بخلقه ، ولا وصفه بالعدل من نسب إليه ذنوب عباده[1] الخبر . « ص ٣٤ - ٣٥ »

٣٥ - **ن** : ابن عبدوس ، عن ابن قتيبة ، عن حمدان بن سليمان قال : كتبت إلى الرضا عليه السلام أسأله عن أفعال العباد أمخلوقة أم غير مخلوقة ؟ فكتب عليه السلام : أفعال العباد مقدّرة في علم الله عزّ وجلّ قبل خلق العباد بألفي عام . « ص٧٨ »

٣٦ - **يد** ، **ل** ، **ن** : أبو الحسن محمّد بن عمرو بن عليّ البصريّ ، عن عليّ بن الحسن الميثمي ، عن عليّ بن مهرويه القزوينيّ ، عن أبي أحمد الغازيّ ، عن عليّ بن موسى الرضا ، عن آبائه ، عن الحسين بن عليّ عليهما السلام قال : سمعت أبي عليّ بن أبي طالب عليه السلام يقول : الأعمال على ثلاثة أحوال : فرائض ، وفضائل ، ومعاصي ، فأمّا الفرائض فبأمر الله تعالى وبرضى الله و بقضائه و تقديره و مشيّته وعلمه ؛ وأمّا الفضائل فليست بأمر الله[2] و لكن برضى الله و بقضاء الله وبقدر الله و بمشيّة الله و بعلم الله ، وأمّا المعاصي فليست بأمر الله[3] ولكن بقضاء الله و بقدر الله و بمشيّة الله و بعلمه ثمّ يعاقب عليها . « يد : ٣٧٧ ، ن ٨١ »

يد ، **ن** : قال[4] مصنّف هذا الكتاب : المعاصي بقضاء الله معناه بنهي الله ، لأنّ حكمه عزّ وجلّ فيها على عباده الانتهاء عنها ،[5] ومعنى قوله : بقدر الله أي بعلم الله بمبلغها

(١) هذا صريح في انه من قول الرضا عليه السلام ، وفي المصدر صريح في انه من كلام رسول الله صلى الله عليه وآله .

(٢) أي الامر الوجوبي .

(٣) ولا برضاه ، لان الله لا يرضى بالكفر والمعاصي .

(٤) في التوحيد : قال مصنف هذا الكتاب قضاء الله عز وجل في المعاصي حكمه فيها ، ومشيته في المعاصي نهيه عنها ، وقدره فيها علمه بمقاديرها ومبالغها . م

(٥) هذا على أحد معاني القضاء وهو الحكم والالزام كما قال الله تعالى : وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه و بالوالدين إحسانا ، وقوله : والله يقضي بالحق ، أي يحكم . أقول : ويمكن أن يكون بمعنى الفصل والقطع وتحتم الامر ، لوقوعه قبال القدر وهو التقدير ، و إسناد ذلك إلى الله تعالى بحيث لا يستلزم الجبر إما بواسطة علمه تعالى بحصول ذلك الفعل عند وجود سببه و علته التامة و منها إرادة الانسان واختيار فاعله ، أو بواسطة جعله الانسان مختارا ، وعدم ردعه التكويني وكفه عن الفعل مع قدرته عليه ، أو لصحة إسناد الفعل إلى أحد علله الطولية .

ومقدارها ، ومعنى قوله : بمشيّة الله فإنّه عزّ وجلّ شاء أن لا يمنع العاصي إلّا بالزجر والقول والنهي والتحذير ، دون الجبر والمنع بالقوّة ، والدفع بالقدرة . «ص٢٧٧ ـ ٢٧٨ ص٨١»

٣٧ ـ مع ، ن : ابن عبدوس ، عن ابن قتيبة ، عن حمدان ،[1] عن الهرويّ قال : سمعت أبا الحسن الرضا عليه السلام يقول : أفعال العباد مخلوقة ، فقلت : يا ابن رسول الله ما معنى مخلوقة ؟ قال : مقدّرة . « مع : ١١٢» « ن : ١٧٥»

٣٨ ـ ن : ابن عبدوس ، عن ابن قتيبة ، عن الفضل ، عن الرضا عليه السلام فيما كتب للمأمون : من محض الإسلام أنّ الله تبارك وتعالى لا يكلّف نفساً إلّا وسعها ، وأنّ أفعال العباد مخلوقة لله خلق تقدير لا خلق تكوين ، والله خالق كلّ شيء ، ولا نقول بالجبر و التفويض . الخبر . « ص٢٦٧ »

☆ ٣٩ ـ يد : ابن الوليد ، عن الصفّار ، عن ابن معروف ، عن ابن أبي نجران ، عن حمّاد بن عثمان ، عن عبد الرحيم القصير قال : كتبت على يدي عبد الملك بن أعين إلى أبي عبد الله عليه السلام : جعلت فداك اختلف الناس في أشياء قد كتبت بها إليك ، فإن رأيت جعلت فداك أن تشرح لي جميع ما كتبت إليك ، اختلف الناس ـ جعلت فداك ـ بالعراق في المعرفة والجحود ، فأخبرني ـ جعلت فداك ـ أهما مخلوقتان ؟ واختلفوا في القرآن فزعم قوم أنّ القرآن كلام الله غير مخلوق وقال آخرون : كلام الله مخلوق ، وعن الاستطاعة أقبل الفعل أو مع الفعل ؟ فإنّ أصحابنا قد اختلفوا فيه ورووا فيه ، وعن الله تبارك وتعالى هل يوصف بالصورة وبالتخطيط ؟ فإن رأيت جعلني الله فداك أن تكتب إليّ بالمذهب الصحيح من التوحيد ، وعن الحركات أهي مخلوقة أو غير مخلوقة ؟ وعن الإيمان ما هو ؟

فكتب صلّى الله عليه على يدي عبد الملك بن أعين : سألت عن المعرفة ما هي ؟ فاعلم رحمك الله أنّ المعرفة من صنع الله عزّ وجلّ في القلب مخلوقة ، والجحود صنع الله في القلب

---

(١) لعله حمدان بن سليمان .

(☆) أقول : أخرج الكليني قطعة من الحديث وهي « وصف الله بالصورة والتخطيط » في باب النهي عن الصفة ، وقطعة وهي «الايمان ما هو؟» في باب « أن الاسلام قبل الايمان» في كتابه الكافي عن علي بن ابراهيم ، عن العباس بن معروف ، عن ابن أبي نجران ، عن حماد بن عثمان ، عن عبد الرحيم بن عتيك القصير . فيظهر من هذا اتحاد ابن عتيك مع عبد الرحيم القصير .

مخلوق ، وليس للعباد فيهما من صنع ، ولهم فيهما الاختيار من الاكتساب ، فبشهوتهم الإيمان اختاروا المعرفة فكانوا بذلك مؤمنين عارفين ، و بشهوتهم الكفر اختاروا الجحود فكانوا بذلك كافرين جاحدين ضلّالاً ، و ذلك بتوفيق الله لهم ، و خذلان من خذله الله ، فبالاختيار و الاكتساب عاقبهم الله وأثابهم ؛ و سألت رحمك الله عن القرآن واختلاف الناس قبلكم فإنّ القرآن كلام الله محدث غير مخلوق ، وغير أزليّ مع الله تعالى ذكره ، وتعالى عن ذلك علوّاً كبيراً ، كان الله عزّ وجلّ ولا شيء غير الله معروف ولا مجهول كان عزّ وجلّ ولا متكلّم ولا مريد ولا متحرّك ولا فاعل ، جلّ وعزّ ربّنا ، فجميع هذه الصفات محدثة عند حدوث الفعل منه ، جلّ وعزّ ربّنا ، والقرآن كلام الله غير مخلوق ، فيه خبر من كان قبلكم ، وخبر ما يكون بعدكم ،[1] أنزل من عند الله على محمّد رسول الله صلّى الله عليه وآله . وسألت رحمك الله عن الاستطاعة للفعل فإنّ الله عزّ وجلّ خلق العبد وجعل له الآلة و الصحّة ، وهي القوّة الّتي يكون العبد بها متحرّكاً مستطيعاً للفعل ، و لا متحرّك إلّا وهو يريد الفعل ، وهي صفة مضافة إلى الشهوة الّتي هي خلق الله عزّ وجلّ ، مركّبة في الإنسان فإذا تحرّكت الشهوة للإنسان [2] اشتهى الشيء و أراده ، فمن ثمّ قيل للإنسان : مريد ، فإذا أراد الفعل و فعل كان مع الاستطاعة و الحركة ، فمن ثمّ قيل للعبد : مستطيع متحرّك ، فإذا كان الإنسان ساكناً غير مريد للفعل و كان معه الآلة وهي القوّة والصحّة اللّتان بهما تكون حركات الإنسان وفعله كان سكونه لعلّة سكون الشهوة فقيل : ساكن ، فوصف بالسكون فإذا اشتهى الإنسان وتحرّكت شهوته الّتي ركّبت فيه اشتهى الفعل وتحرّك بالقوّة المركّبة فيه ، و استعمل الآلة الّتي يفعل بها الفعل فيكون الفعل منه عند ما تحرّك واكتسبه فقيل : فاعل ومتحرّك و مكتسب و مستطيع أولا ترى أنّ جميع ذلك صفات يوصف بها الإنسان ؟ وسألت رحمك الله عن التوحيد وما ذهب إليه من قبلك فتعالى الله الّذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، تعالى الله عمّا يصفه الواصفون المشبّهون الله تبارك وتعالى بخلقه ، المفترون على الله عزّ وجلّ ، فاعلم رحمك الله أنّ المذهب الصحيح في التوحيد ما نزل به القرآن من صفات الله عزّ وجلّ ،

---

(١) في نسخة : وخبر من يكون بعدكم .

(٢) في التوحيد المطبوع : في الانسان .

فانف عن الله البطلان والتشبيه فلانفي ولا تشبيه هوالله عزّ وجلّ ، الثابت ، الموجود ، تعالى الله عمّا يصفه الواصفون ، و لا تعد القرآن[1] فتضلّ بعد البيان ، و سألت رحمك الله عن الإيمان فالإيمان هو إقرار باللّسان ، و عقد بالقلب ، و عمل بالأركان ، فالإيمان بعضه من بعض ، [2] و قد يكون العبد مسلماً قبل أن يكون مؤمناً ، ولا يكون مؤمناً حتّى يكون مسلماً ، فالإسلام قبل الإيمان و هو يشارك الإيمان ، فإذا أتى العبد بكبيرة من كبائر المعاصي ، أوصغيرة من صغائر المعاصي الّتي نهى الله عزّ وجلّ عنها كان خارجاً من الإيمان ، و ساقطاً عنه اسم الإيمان ، و ثابتاً عليه اسم الإسلام ، فإن تاب واستغفر عاد إلى الإيمان ، [3] ولم يخرجه إلى الكفر والجحود و الاستحلال ، [4] وإذا قال للحلال : هذاحرام ، وللحرام : هذاحلال ودان بذلك فعندها يكون خارجاً من الإيمان والإسلام إلى الكفر ، وكان بمنزلة رجل دخل الحرم ثمّ دخل الكعبة فأحدث في الكعبة حدثاً فاُخرج عن الكعبة وعن الحرم فضربت عنقه وصار إلى النار . «ص٢٢٧- ٢٣٠»

قال الصدوق رحمه الله :كان المراد من هذا الحديث ماكان فيه من ذكر القرآن ، ومعنى مافيه أنّه غير مخلوق أي غير مكذوب ، ولايعني به أنّه غير محدث لأنّه قد قال : محدث غير مخلوق ، وغير أزليّ مع الله تعالى ذكره .

بيان : قوله : على يدي عبد الملك أي أرسلت الكتاب معه . قوله عليه السلام : إنّ المعرفة من صنع الله أي أصل المعرفة ، أوكمالها من الله تعالى بعد اكتسابهم و تفكّرهم فالمفيض للمعارف هو الربّ تعالى ، وللتفكّر والنظر والطلب مدخل فيها ، وإنّما يثابون ويعاقبون بفعل تلك المبادي وتركها ، أوالمعنى أنّ المعرفة ليست إلّا من قبله تعالى ، إمّا بإلقائها في قلوبهم ، أو ببيان الأنبياء و الحجج عليهم السلام ، و إنّما كلّف العباد بقبول ذلك

(١) أى لاتتجاوز عما فى القرآن .

(٢) فى الكافى هنا زيادة وهى قوله : وهودار وكذلك الاسلام دار والكفر دار ، فقد يكون الخ .

(٣) فى الكافى : الى دار الايمان .

(٤) في الكافى : ولايخرجه إلى الكفر الا الجحود والاستحلال أن يقول للحلال اه

و إقرارهم به ظاهراً و تخلية النفس قبل ذلك لطلب الحقّ عن العصبيّة والعناد ، وعمّا يوجب الحرمان عن الحقّ من تقليد أهل الفساد ، وهذا هو المراد بالاختيار من الاكتساب . ثمّ بيّن عليه السلام أنّ لتوفيق الله وخذلانه أيضاً مدخلاً في ذلك الاكتساب أيضاً كما سيأتي تحقيقه ؛ ولعلّ المنع من إطلاق الخلق على القرآن إمّا للتقيّة مماشاةً مع العامّة ، أو لكونه موهماً لمعنى آخر أطلق الكفّار عليه بهذا المعنى فقالوا : إن هذا إلّا اختلاق ، كما أشار إليه الصدوق رحمه الله .[1] قوله : معروف ولا مجهول أي لم يكن مع الله شيء يعرفه الخلق أو يجهلونه .

٤٠ ـ يد : أبي ، عن سعد ، عن ابن عيسى ، عن محمّد البرقيّ ، عن أبي شعيب المحامليّ ،[2] عن أبي سليمان الجمّال ،[3] عن أبي بصير ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : سألته عن شيء من الاستطاعة فقال : ليست الاستطاعة من كلامي ولا من كلام آبائي . «ص ٣٥٤ ـ ٣٥٥»

قال الصدوق رحمه الله : يعني بذلك أنّه ليس من كلامي ولا من كلام آبائي أن يقول لله عزّ و جلّ : إنّه مستطيع كما قال الّذين كانوا على عهد عيسى عليه السلام : « هل يستطيع ربّك أن ينزّل علينا مائدة من السماء » .

بيان : لعلّ منعه عن إطلاق الاستطاعة فيه تعالى لكونه استفعالاً من الطاعة فلا يليق إطلاقه بجنابه تعالى ، أو لأنّ الاستطاعة إنّما تطلق على القدرة المتفرّعة على حصول الآلات والأدوات ،[4] والله تعالى منزّه عن ذلك ، وسيأتي تحقيق معنى الخبر .

---

(١) بل الحق أن الكلام هو اللفظ لا بما انه صوت بل بما أنه دال على المعنى أى المعنى المدلول عليه بما انه مرتبط بالصوت الذى هو كيف مسموع ، وهذا معنى اعتبارى لايتعلق به الجعل و هذا بخلاف الحدوث ؛ ولتفصيل الكلام محل آخر . ط

(٢) هو صالح بن خالد الكوفى ، من رجال أبى الحسن موسى عليه السلام مولى على بن الحكم بن الزبير الانبارى ، له كتاب ، وثقه النجاشى فى باب الكنى من رجاله .

(٣) لم نجد ذكره فى التراجم . وفى المصدر : ابو سلمان .

(٤) هذا وماذكره الصدوق رحمه الله من عجيب التأويل . وظاهر الرواية أن المراد بالاستطاعة قول دائر بين الناس وليس إلا ماكان دائرا بين المعتزلة يومئذ من القول بالاستطاعة وهو استناد الفعل إلى قدرة العبد واستطاعته من غير ان يكون لله سبحانه فيه صنع . ويمكن ان يكون اشارة إلى مسألة تحقق الاستطاعة قبل الفعل الذى نفتها الاشاعرة ويكون الخبر واردا على التقية . ط

٤١ ـ يد : أبي وابن الوليد معاً ، عن سعد ، عن ابن عيسى ، عن الحسن بن فضّال ، عن أبي جميلة ، [1] عن محمّد بن عليّ الحلبيّ ، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزّ و جلّ : «وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون» قال : وهم مستطيعون ، يستطيعون الأخذ بما اُمروا به ، والترك لما نهوا عنه ، وبذلك ابتلوا ، قال : و سألته عن رجل مات وترك مائة ألف درهم ولم يحجّ حتّى مات ، هل كان يستطيع الحجّ ؟ قال : نعم إنّما استغنى عنه بماله وصحّته . «ص٣٥٥ـ٣٥٦»

بيان : ليس «عنه» في بعض النسخ وهو أظهر ، ومع وجوده يحتمل أن يكون « عن » بمعنى « اللام» كما قيل في قوله تعالى : « إلّا عن موعدة » و يحتمل أن يكون الاستغناء عنه كناية عن الترك ، و الباء بمعنى «مع» أي تركه مع وجود ماله وصحّته .

٤٢ ـ يد : بهذا الإسناد ، عن ابن عيسى ، عن عليّ بن حديد ، عن جميل ، عن زرارة ، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ « ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون » قال : صارت أصلابهم كصياصي البقر ـ يعني قرونها ـ « وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون» قال : [2] وهم سالمون ، وهم مستطيعون . «ص٣٥٦»

٤٣ ـ يد : بهذا الإسناد ، عن ابن عيسى ، عن محمّد البرقيّ ، عن محمّد بن يحيى الصيرفي عن صبّاح الحذّاء ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : سأله زرارة ـ وأنا حاضر ـ فقال : أفرأيت ما افترض الله علينا في كتابه وما نهانا عنه ؟ جعلنا مستطيعين لما افترض علينا ، مستطيعين لترك ما نهانا عنه ؟ فقال : نعم . « ص٣٥٧ »

٤٤ ـ يد : بهذا الإسناد ، عن ابن عيسى ، عن سعيد بن جناح ، عن عوف بن عبدالله الأزديّ ، عن عمّه قال : سألت أبا عبدالله عليه السلام عن الاستطاعة ، فقال : وقد فعلوا ؟ فقلت : نعم زعموا أنّها لا تكون إلّا عند الفعل وإرادة في حال الفعل [3] لا قبله ، فقال : أشرك القوم . «ص٣٦٠»

(١) هو المفضل بن صالح الاسدى النخاس ضعيف .
(٢) فى المصدر : قال : وهم مستطيعون .م
(٣) فى التوحيد المطبوع : دارادة فى حال الفعل .

بيان : قوله عليه السلام : وقدفعلوا أي نفوا الاستطاعةأيضاً بعد مانفوا سائر ضروريات الدين ؛ أوالمعنى أنّهم فعلوا الفعل باختيارهم فكيف لايستطيعون .

٤٥ ـ يد : بهذا الإسناد عن ابن عيسى ، عن عليّ بن عبدالله ، عن ابن أبي عمير ، عن أبي الحسن الحذّاء ، [١] عن المعلّى بن خنيس قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام مايعنى بقوله عزّ وجلّ : « وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون » ؟ قال : وهم مستطيعون . « ص٣٦١ـ ٣٦٢ »

٤٦ ـ يد : ابن الوليد ، عن سعد ، عن ابن عيسى ، ومحمّد بن عبدالحميد ، وابن أبي الخطّاب جميعاً عن البزنطيّ ، عن بعض أصحابنا ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : لايكون العبد فاعلاً ولا متحرّكاً إلّا والاستطاعة معه من الله عزّ و جلّ ، و إنّما وقع التكليف من الله عزّ وجلّ بعد الاستطاعة فلايكون مكلّفاً للفعل إلّا مستطيعاً . « ص٣٦٢ »

٤٧ ـ يد : عبدالله بن محمّد بن عبدالوهّاب ، عن أحمد بن الفضل ، [٢] عن منصور بن عبدالله ، [٣] عن عليّ بن عبدالله ، عن ابن أبي الخطّاب ، عن محمّد بن أبي الحسين ، [٤] عن سهل المصيصيّ ، [٥] عنه عليه السلام مثله . « ص٣٥٥ »

٤٨ ـ يد : أبي ، عن سعد ، [٦] عن ابن بزيع ، عن ابن أبي عمير ، عمّن رواه من أصحابنا ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : سمعته يقول : لايكون العبد فاعلاً إلّا وهو مستطيع وقد يكون مستطيعاً غير فاعل ، ولايكون فاعلاً أبداً حتّى يكون معه الاستطاعة . « ص٣٦٠ »

٤٩ ـ يد : أبي وابن الوليد معاً ، عن سعد ، عن ابن عيسى ، عن عليّ بن عبدالله

---

(١) لم نعرف اسمه ولاحاله . وفي بعض النسخ : « الخزاعي » بدل « الحذاء » .
(٢) في التوحيد : أحمد بن الفضل بن المغيرة . أقول : لم نجد له ذكراً في الرجال .
(٣) « « : منصور بن عبدالله بن ابراهيم الاصفهاني . أقول : هو كسابقه .
(٤) « « : محمد بن أبي الحسين القريضي . أقول هو أيضاً كسابقه .
(٥) « « : سهل (بن خ ل) أبي محمد المصيصي . أقول : هو أيضاً كسابقه .
(٦) « « : أبي ، عن سعد ، عن يعقوب بن يزيد ، عن محمد بن أبي عمير .

عن أحمد بن محمّد البرقيّ ، [1] عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله تعالى : « و سيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم و الله يعلم إنّهم لكاذبون » قال : أكذبهم الله في قولهم : لو استطعنا لخرجنا معكم ، و قد كانوا مستطيعين للخروج . « ص٣٦١ »

٥٠ ـ يد : بهذا الإسناد ، عن ابن عيسى ، عن الحجّال ، عن ثعلبة ، عن عبدالأعلى بن أعين ، عن أبي عبدالله عليه السلام في هذه الآية « لو كان عرضاً قريباً و سفراً قاصداً لاتّبعوك ولكن بعدت عليهم الشقّة و سيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم إنّهم لكاذبون » أنّهم كانوا يستطيعون للخروج ، وقد كان في العلم أنّه لو كان عرضاً قريباً وسفراً قاصداً افعلوا . « ص٣٦١ »

٥١ ـ يد : أبي وابن الوليد ، عن سعد والحميريّ ، هما عن ابن عيسى ، عن الحسن ابن عليّ بن فضّال ، عن أبي جميلة ، عن محمّد الحلبيّ ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : ما اُمر العباد إلّا بدون سعتهم ، فكلّ شيء اُمر النّاس بأخذه فهم متّسعون له ، وما لايتّسعون له فهو موضوع عنهم ، ولكنّ النّاس لاخير فيهم . « ص٣٥٨ »

٥٢ ـ يد : ابن الوليد ، عن ابن أبان ، عن الحسين بن سعيد ، [2] عن عبيد بن زرارة ، عن حمزة بن حمران قال : سألت أباعبدالله عليه السلام عن الاستطاعة فلم يجبني ، فدخلت عليه دخلة اُخرى فقلت : أصلحك الله إنّه قد وقع في قلبي منها شيء لايخرجه إلّا شيء أسمعه منك ؛ قال : فإنّه لايضرّك ما كان في قلبك ؛ قلت : أصلحك الله فإنّي أقول : إنّ الله تعالى لم يكلّف العباد إلّا مايستطيعون وإلّا مايطيقون ، فإنّهم لا يصنعون شيئاً من ذلك إلّا بإرادة الله و مشيّته وقضائه وقدره ، قال : هذا دين الله الّذي أنا عليه و آبائي ؛ أوكما قال . « ص٣٥٧ »

---

(١) لايعرف الرجل في أصحاب الصادق عليه السلام .

(٢) أقول : أخرج الحديث ثقة الاسلام في باب الاستطاعة من كتابه الكافي عن محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن الحسين بن سعيد ، عن بعض أصحابنا ، عن عبيد بن زرارة . والظاهر أنه الصحيح لبعد رواية الحسين بن سعيد عن عبيد بن زرارة بلا واسطة .

قال الصدوق رحمه‌الله: مشيّة الله و إرادته في الطاعات الأمر بها، و في المعاصي النهي عنها والمنع منها بالزجر والتحذير.

٥٣ - يد: العطّار، عن أبيه، عن ابن عيسى، عن عليّ بن الحكم، عن ابن بكير عن حمزة بن حمران قال: قلت لأبي عبدالله عليه‌السلام: إنّ لنا كلاماً نتكلّم به، قال: هاته؛ قلت: نقول: إنّ الله عزّ وجلّ أمر ونهى وكتب الآجال والآثار لكلّ نفس بما قدّر لها و أراد وجعل فيهم من الاستطاعة لطاعته مايعملون به ماأمرهم به ومانهاهم عنه، فإذا تركوا ذلك إلى غيره كانوا محجوجين بما صيّر فيهم من الاستطاعة والقوّة لطاعته، فقال: هذا هو الحقّ إذا لم تعده إلى غيره. «ص٣٥٧ - ٣٥٨»

٥٤ - يد: ابن الوليد، عن الصفّار، عن ابن أبي الخطّاب، عن ابن أسباط قال: سألت أبا الحسن الرضا عليه‌السلام عن الاستطاعة، فقال: يستطيع العبد بعد أربع خصال: أن يكون مخلّى السرب، صحيح الجسم، سليم الجوارح، له سبب وارد من الله عزّ وجلّ قال: قلت: جعلت فداك فسّرها لي، قال: أن يكون العبد مخلّى السرب، صحيح الجسم سليم الجوارح، يريد أن يزني فلايجد امرأة ثمّ يجدها، فإمّا أن يعصم فيمتنع كما امتنع يوسف عليه‌السلام، أو يخلّى بينه وبين إرادته فيزني فيسمّى زانياً، ولم يطع الله بإكراه، ولم يعص بغلبة. «ص٣٥٨ - ٣٥٩»

بيان: السبب الوارد من الله هو العصمة أو التخلية.

٥٥ - يد: ابن الوليد، عن ابن أبان، عن الحسين بن سعيد، عن حمّاد بن عيسى، عن الحسين بن المختار، عن إسماعيل بن جابر، عن أبي عبدالله عليه‌السلام قال: إنّ الله عزّ و جلّ خلق الخلق فعلم ماهم صائرون إليه، وأمرهم ونهاهم، فما أمرهم به من شيء فقد جعل لهم السبيل إلى الأخذ به، وما نهاهم عنه فقد جعل لهم السبيل إلى تركه، ولا يكونون فيه آخذين ولا تاركين إلّا بإذن الله عزّ وجلّ. قال[1] الصدوق رحمه‌الله: يعني بعلمه. «ص٣٥٩»

---

(١) ليست في النسخ الثلاثة المطبوعة من التوحيد جملة «قال الصدوق» ولعل العلامة المجلسي استظهر ان جملة «يعني بعلمه» من الصدوق رحمه‌الله. م

٥٦ ـ يد : بهذا الإسناد ، عن الحسين ، عن فضالة ، عن أبان ، عن حمزة بن محمّد الطيّار قال : سألت أباعبدالله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ : «وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون» قال : مستطيعون يستطيعون الأخذ بما اُمروا به ، والترك لما نهوا عنه ، و بذلك ابتلوا ، ثمّ قال : ليس شيء ممّا اُمروا به ونهوا عنه إلّا ومن الله عزّ وجلّ فيه ابتلاء وقضاء . «ص٣٥٩»

سن : ابن فضّال ، عن أبي جميلة ، عن محمّد الحلبيّ مثله . [1] «ص٢٧٩»

٥٧ ـ يد : أبي ، عن سعد ، [2] عن الحسين بن سعيد ، عن ابن أبي عمير ، عن هشام ابن سالم ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : ما كلّف الله العباد كلفة فعل ، ولا نهاهم عن شيء حتّى جعل لهم الاستطاعة ، ثمّ أمرهم و نهاهم فلا يكون العبد آخذاً و لا تاركاً إلّا باستطاعة متقدّمة قبل الأمر و النهي ، وقبل الأخذ والترك ، و قبل القبض والبسط . «ص٣٦٢»

٥٨ ـ يد : ابن الوليد ، عن الصفّار ، عن ابن عيسى ، عن عليّ بن الحكم ، عن هشام بن سالم ، عن سليمان بن خالد قال : سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول : لا يكون من العبد قبض ولا بسط إلّا باستطاعة متقدّمة للقبض والبسط . «ص٣٦٢»

٥٩ ـ يد : أبي ، عن سعد ، عن ابن أبي الخطّاب ، عن المحامليّ ، و صفوان بن يحيى معاً ، عن ابن مسكان ، عن أبي بصير ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : سمعته يقول ـ وعنده قوم يتناظرون في الأفاعيل والحركات ـ فقال : الاستطاعة قبل الفعل ، لم يأمر الله عزّ وجلّ بقبض ولا بسط إلّا والعبد لذلك مستطيع . «ص٣٦٢ ـ ٣٦٣»

---

(١) وزاد في المحاسن بعد قوله عليه السلام : ولذلك ابتلوا : وقال ليس في العبد قبض ولا بسط مما امر الله به او نهى عنه الا ومن الله فيه ابتلاء و قضاء . م

(٢) في التوحيد المطبوع : سعد ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن الحسن بن سعيد . وهو الصحيح لان سعد لايروى عن الحسن أو الحسين إلا بواسطة وهي أحمد بن محمد بن عيسى ، نص على ذلك الكاظمي في المشتركات ، وأما الحسين بن سعيد فهو شريك أخيه الحسن في رواياته ومشايخه إلا في زرعة بن محمد و فضالة بن أيوب ، فان الحسين يروى عنهما بواسطة أخيه الحسن ، فعلى ذلك يصح أن يكون ما في السند الحسين أو الحسن كما في التوحيد المطبوع .

٦٠ ـ يد : أبي ، عن سعد ، عن ابن يزيد ، عن مروك بن عبيد ، [١] عن عمرو رجل من أصحابنا ، عمّن سأل أباعبدالله عليه السلام فقال له : إنّ لي أهل بيت قدريّة يقولون : نستطيع أن نعمل كذا وكذا ، و نستطيع أن لانعمل ؛ قال : فقال أبوعبدالله عليه السلام : قل له : هل تستطيع أن لا تذكر ماتكره وأن لاتنسى ماتحبّ ؟ فإن قال : لافقدتركـ قوله ، وإن قال : نعم فلاتكلّمه أبداً فقد ادّعى الربوبيّة . « ص٣٦٣ »

٦١ ـ يد : أبي ، عن سعد ، عن صالح بن أبي حمّاد ، [٢] عن أبي خالد السجستانيّ ، [٣] عن عليّ بن يقطين ، عن أبي إبراهيم عليه السلام قال : مرّ أميرالمؤمنين عليه السلام بجماعة بالكوفة وهم يختصمون بالقدر ، [٤] فقال لمتكلّمهم : أبالله تستطيع ؟ أم مع الله ؟ أم من دون الله تستطيع ؟ فلم يدر مايردّ عليه ، فقال أميرالمؤمنين عليه السلام : إن زعمت أنّك بالله تستطيع فليس إليك [٥] من الأمر شيء ، وإن زعمت أنّك مع الله تستطيع فقد زعمت أنّك شريك معه في ملكه ، وإن زعمت أنّك من دون الله تستطيع فقد ادّعيت الربوبيّة من دون الله تعالى ؛ فقال : يا أميرالمؤمنين لا بل بالله أستطيع ، فقال : أما إنّك لوقلت غير هذا لضربت عنقك . [٦]
« ص٣٦٣ ـ ٣٦٤ »

---

(١) بفتح الميم وسكون الراء وفتح الواو هوصالح بن عبيدبن زياد أبي حفصة .

(٢) أبي الخير الرازي ، و اسم أبي حماد سلمة ، قال النجاشي : وكان أمره ملبسا ، يعرف و ينكر ، له كتب : منها كتاب خطب أميرالمؤمنين عليه السلام وكتاب نوادر .

(٣) لم نقف على اسمه إلا أن الفاضل المامقاني قال : لا يبعد أن اسمه سالم بن سلمة الكندي السجستاني ، ولكني لم أقف على من كناه بأبي خالد . م

(٤) في نسخة من التوحيد : في القدر . م

(٥) في المصدر : فليس لك .

(٦) لاريب ان اسباب الفعل والالات والقوى كلها من الله ولاخلاف فيه من معتزلي ولا أشعري ولا إمامي وانما الكلام في أن استطاعة الفعل هل هي قبل الفعل أومعه ؛ الثاني للاشعري و غيره لغيرهم . ثم اختلف في الاستطاعة قبل الفعل هل العبد مستقل بها بحيث يتصرف في الاسباب وآلات الفعل من غير ان يرتبط شيء من تصرفه بالله أم لله فيه صنع بحيث ان القدرة لله مضافة إلى سائر الاسباب وإنما يقدر العبد بتمليك الله إياه شيئا منها ؛ المعتزلة على الاول والمتحصل من أخبار أهل البيت عليهم السلام هو الثاني ، إذا عرفت ذلك ظهر لك مافي تفسير المصنف رحمه الله لمعنى الحديث فقد أوله تاويلا عجيبا مع أن الروايات صريحة في خلافه . ط

بيان : لعلّه أراد عليه السلام بقوله : بالله تستطيع أنّ الله يجبره على الفعل ، فلذا قال : فليس إليك من الأمر شيء ، ولمّا نفى المتكلّم الثلاثة وقال : بالله أستطيع علم أنّ مراده أنّي مستطيع قادر بما ملّكني الله من الأسباب والآلات ، فلذا لم يردّ عليه السلام كلامه و قبل منه ، ويحتمل على بعد أن يكون اختار الشقّ الأوّل ، فقوله عليه السلام : ليس إليك من الأمر شيء أي لاتستقلّ في الفعل بأن تقدر على تحصيل جميع مايتوقّف عليه الفعل ، والحاصل أنّه لمّا كان قدريّاً تفويضيّاً قال عليه السلام : إن اخترت هذا فقد أقررت ببطلان ماتعتقده من استقلال العبد ولابدّ لك من اختياره .

٦٢ ـ ن ، يد : تميم القرشيّ ، عن أبيه ، عن أحمد بن عليّ ، عن الهرويّ قال : سأل المأمون الرضا عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ : « الّذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري و كانوا لايستطيعون سمعاً » فقال : إنّ غطاء العين لايمنع من الذكر ، و الذكر لا يرى بالعيون ، ولكنّ الله شبّه الكافرين بولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام بالعميان لأنّهم كانوا يستثقلون قول النبيّ صلّى الله عليه وآله فيه ، وكانوا لايستطيعون سمعاً ، فقال المأمون : فرّجت عنّي فرّج الله عنك . « ص٧٨ ص٣٦٤ »

٦٣ ـ ف : كتب الحسن البصريّ إلى أبي محمّد الحسن بن عليّ عليهما السلام : أمّا بعد فإنّكم معشر بني هاشم الفلك الجارية في اللّجج الغامرة ، والأعلام النيّرة الشاهرة ، أو كسفينة نوح عليه السلام الّتي نزلها المؤمنون و نجا فيها المسلمون ، كتبت إليك يا ابن رسول الله عند اختلافنا في القدر ، وحيرتنا في الاستطاعة ، فأخبرنا بالّذي عليه رأيك ورأي آبائك عليهم السلام ، فإنّ من علم الله علمكم ، وأنتم شهداء على الناس ، والله الشاهد عليكم ، ذرّيّة بعضها من بعض والله سميع عليم

فأجابه الحسن عليه السلام : بسم الله الرّحمن الرّحيم وصل إليّ كتابك ، ولولا ماذكرته من حيرتك وحيرة من مضى قبلك إذاً ما أخبرتك ، أمّا بعد فمن لم يؤمن بالقدر خيره و شرّه أنّ الله يعلمه فقد كفر ، ومن أحال المعاصي على الله فقد فجر ، إنّ الله لم يطع مكرهاً ، ولم يعص مغلوباً ، ولم يهمل العباد سدى من المملكة ،[1] بل هو المالك لما ملّكهم ، و

(١) أهمله : تركه ولم يستعمله عمداً أو نسياناً . وسدى أي باطلا ومهملا .

القادر على ماعليه أقدرهم ، بل أمرهم تخييراً ، ونهاهم تحذيراً ، فإن ائتمروا للطاعة لم يجدوا عنها صادّاً ، وإن انتهوا إلى المعصية فشاء أن يمنّ عليهم بأن يحول بينهم و بينها فعل ، وإن لم يفعل فليس هو الّذي حملهم عليها جبراً ، ولا اُلزموها كرهاً ، بل منّ عليهم بأن بصّرهم وعرّفهم وحذّرهم وأمرهم ونهاهم ، لاجبلاً لهم على ماأمرهم به فيكونوا كالملائكة ، ولاجبراً لهم على مانهاهم عنه ، ولله الحجّة البالغة فلوشاء لهداكم أجمعين . والسلام على من اتّبع الهدى . « ص ٢٣١ »

أقول : سيأتي في كتاب الاحتجاجات بسند آخر أبسط من هذا .

٦٤ ـ سن : عليّ بن الحكم ، عن هشام بن سالم ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إنّ الله أكرم من أن يكلّف الناس مالايطيقون ، والله أعزّ من أن يكون في سلطانه مالايريد . « ص ٢٩٦ »

٦٥ ـ سن : أبي ، عن حمّاد ، عن الحسين بن المختار ، عن حمزة بن حمران قال : قلت له : إنّا نقول : إنّ الله لم يكلّف العباد إلّا ما آتاهم ، و كلّ شيء لايطيقونه فهو عنهم موضوع ، ولايكون إلّا ماشاء الله وقضى وقدّر وأراد ؛ فقال : والله إنّ هذا لديني ودين آبائي . [1] « ص ٢٩٦ »

٦٦ ـ سن : عليّ بن الحكم ، عن هشام بن سالم ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : ما كلّف الله العباد إلّا مايطيقون ، و إنّما كلّفهم في اليوم واللّيلة خمس صلوات ، وكلّفهم من كلّ مائتي درهم خمسة دراهم ، وكلّفهم صيام شهر رمضان في السنة ، وكلّفهم حجّة واحدة وهم يطيقون أكثر من ذلك ، وإنّما كلّفهم دون مايطيقون ونحو هذا . « ص ٢٩٦ »

٦٧ ـ سن : أبي ، عن العبّاس بن عامر ، عن محمّد بن يحيى الخثعميّ ، عن عبدالرحيم القصير ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : سأله حفص الأعور ـ وأنا أسمع ـ : جعلني الله فداك قول الله : [2] « ولله على الناس حجّ البيت من استطاع إليه سبيلاً » قال : ذلك القوّة في المال أواليسار ، قال : فإن كانوا موسرين فهم ممّن يستطيع إليه السبيل ؟ قال : نعم ، فقال له

(١) تقدم الحديث عن التوحيد تحت رقم ٥٢ وفيه زيادة .

(٢) في المصدر : فقال جعلني الله فداك ماقول الله . م

ابن سيّابة : بلغنا عن أبي جعفر عليه السلام أنّه كان يقول : يكتب وفد الحاجّ ؛ فقطع كلامه فقال : كان أبي يقول : يكتبون في اللّيلة الّتي قال الله : « فيها يفرق كلّ أمر حكيم » قال : فإن لم يكتب في تلك اللّيلة يستطيع الحجّ ؟ قال : لامعاذ الله ، فتكلّم حفص[1] فقال : لست من خصومتكم في شيء ، هكذا الأمر . « ص ٢٩٥ ـ ٢٩٦ »

٦٨ ـ ضا : أروي أنّ رجلاً سأل العالم عليه السلام فقال : يابن رسول الله أليس أنـا مستطيع لما كلّفت ؟ فقال له عليه السلام : ما الاستطاعة عندك ؟ قال : القوّة على العمل ، قال له عليه السلام : قد اُعطيت القوّة إن اُعطيت المعونة ، قال له الرجل : فما المعونة ؟ قال : التوفيق ؛ قال : فلمَ إعطاء التوفيق ؟ قال : لو كنت موفّقاً كنت عاملاً ، وقد يكون الكافر أقوى منك ولايعطى التوفيق فلايكون عاملاً . ثمّ قال عليه السلام : أخبرني عنك من خلق فيك القوّة ؟ قال الرجل : الله تبارك وتعالى ، قال العالم : هل تستطيع بتلك القوّة دفع الضرّ عن نفسك وأخذ النفع إليها بغير العون من الله تبارك و تعالى ؟ قال : لا ، قـال : فلم تنتحل مالاتقدر عليه ؟ ! ثمّ قال : أين أنت عن قول العبد الصالح :[2] « وماتوفيقي إلّا بالله » .

٦٩ ـ وأروي أنّ رجلاً سأله عن الاستطاعة ، فقال : أتستطيع أن تعمل مالم يكن ؟ قال : لا ، قال : أتستطيع أن تنتهي عمّا يكون ؟ قال : لا ، قال : ففيما أنت مستطيع ؟ قال الرجل : لاأدري ؛ فقال العالم عليه السلام : إنّ الله عزّ و جلّ خلق خلقاً فجعل فيهم آلة الفعل ، ثمّ لم يفوّض إليهم ، فهم مستطيعون للفعل في وقت الفعل مع الفعل . قال له الرجل : فالعباد مجبورون ؟ فقال : لو كانوا مجبورين كانوا معذورين . قال الرجل : ففوّض إليهم ؟ قال : لا . قال : فماهو ؟ قال العالم عليه السلام : علم منهم فعلاً فجعل فيهم آلة الفعل ، فإذا فعلوا كانوا مستطيعين .[3]

(١) في المصدر : حفص بن سالم . م

(٢) أي شعيب على نبينا وآله وعليه السلام حيث قال : « إن اريد إلا الاصلاح مااستطعت وماتوفيقي إلا بالله عليه توكلت واليه انيب » . هود : ٨٨ .

(٣) أقول : أخرج الكليني قدس الله روحه الحديث في باب الاستطاعة عن كتابه الكافي ، عن محمد بن يحيى وعلي بن ابراهيم جميعاً ، عن أحمد بن محمد ، عن علي بن الحكم ، و عبدالله بن يزيد جميعاً ، عن رجل من أهل البصرة ، عن أبي عبدالله عليه السلام . وفيه زيادة على ما في الكتاب فليراجعه .

بيان : ماورد في هذا الخبر من عدم تقدّم الاستطاعة على الفعل موافقاً لأخبار أوردها الكليني في ذلك يحتمل وجوهاً :

الأوّل : التقيّة لموافقته لما ذهب إليه الأشاعرة من أنّ للعبد قدرةً وكسباً ، مقارنة للفعل ، غيرمؤثّرة فيه ، ولمخالفته لماسبق من الأخبار الكثيرة الدالّة على تقدّم الاستطاعة وأنّ من لايقول به فهومشرك .

الثاني : أن يكون المراد بالاستطاعة في أمثال هذا الخبر الاستقلال بالفعل ، بحيث لايمكن أن يمنعه عنه مانع ، ولا يكون هذا إلّا في حال الفعل إذ يمكن قبل الفعل أن يزيله الله عن الفعل ولو بإعدامه وإزالة عقله ، أوشيء آخر ممّا يتوقّف عليه الفعل .

الثالث : أن يكون المعنى أنّ في حال الفعل يظهر الاستطاعة و يعلم أنّه كان مستطيعاً قبله ، بأن أذن الله له في الفعل ، كما وردأنّ بعدالقضاء لابداء ؛ والأوّل أظهر .

جا : عليّ بن مالك النحويّ ، عن محمّد بن الفضل ، عن محمّد بن أحمد الكاتب ، عن يموت بن المزرع ، عن عيسى بن إسماعيل ، عن الأصمعيّ ، عن عيسى بن عمر قال : كان ذوالرمة الشاعر[1] يذهب إلى النفي في الأفعال ، وكان رؤبة بن العجّاج[2] إلى الإثبات فيها ، فاجتمعا في يوم من أيّامهما عند بلال بن أبي بردة ـ و هو والي البصرة ـ و بلال يعرف مابينهما من الخلاف ، فحضّهما على المناظرة فقال رؤبة : والله ما يفحص طائر اُفحوصاً ولا يقرمص سبع قرموصاً إلّا كان ذلك بقضاء الله و قدره ، فقال له ذوالرمة : والله ماأذن الله للذئب أن يأخذ حلوبة عالة عيايل ضرايك ، فقال له رؤبة : أفبمشيّته أخذها ؟ أم بمشيّة الله ؟ فقال ذوالرمة : بل بمشيّته و إرادته ، فقال رؤبة : هذا والله الكذب على الذئب ! فقال ذوالرمة : والله الكذب على الذئب أهون من الكذب على

(١) اسمه غيلان بن عقبة ، وكنيته أبوالحارث ، أورد ذكره وأخباره ومن أشعاره أبوالفرج في الاغانى ج ١٦ ص ١١٠ توفى في خلافة هشام بن عبدالملك وله أربعون سنة .

(٢) و اسم العجاج عبدالله بن رؤبة ، يتصل نسبه بزيد بن مناة الراجز المشهور من مخضرمى الدولتين ومن اعراب البصرة ، سمع من أبي هريرة والنسابة البكرى ، وعداده فى التابعين ، روى عنه معمر بن المثنى والنضر بن شميل ، مات فى زمن المنصور سنة ١٤٥ قاله ياقوت فى ارشاد الاديب ج ٤ ص ٢١٤ .

ربّ الذئب ! فقال : و أنشدني أبوالحسن عليّ بن مالك النحويّ في أثر هذا الحديث لمحمود الورّاق :

أعاذل لم آت الذنوب على جهل ✲ ولا أنّها من فعل غيري ولا فعلي

ولا جرأة منّي على الله جئتها ✲ ولا أنّ جهلي لا يحيط به عقلي

ولكن بحسن الظنّ منّي بعفو من ✲ تفرّد بالصنع الجميل و بالفضل

فإن صدق الظنّ الّذي قد ظننته ✲ ففي فضله ماصدق الظنّ من مثلي

و إن نالني منه العقاب فإنّما ✲ أتيت من الإنصاف في الحكم والعدل

«ص ٦٢ ـ ٦٣»

أقول : روى السيّد المرتضى في الغرر هذا الخبر بسند آخر عن أبي عبيدة .

بيان : قال الجزريّ : اُفحوص القطاة : موضعها الّذي تجثم فيه [1] وتبيض كأنّها تفحص عنه التراب أي تكشفه ، والفحص : البحث والكشف . وقال : في مناظرة ذي الرمة ورؤبة : ماتقرمص سبع قرموصاً إلّا بقضاء ؛ القرموص : حفرة يحفرها الرجل يكتنّ فيها من البرد ، يأوي إليها الصيد ، وهي واسعة الجوف ضيّقة الرأس ، وقرمص وتقرمص : إذا دخلها ، وتقرمص السبع : إذا دخلها للاصطياد .

وقال : في قصّة ذي الرمة ورؤبة : عالة ضرائك الضرائك جمع ضريك ، وهو الفقير سيّء الحال ، وقيل : الهزيل .

وقال السيّد في الغرر : العيايل جمع عيل ، وهو ذو العيال ، والضرائك جمع ضريك وهو الفقير . وفي رواية السيّد : هذا كذب على الذئب ثان ، فالمعنى أنّه كذب ثان على الذئب بعدما كذب عليه في قصّة يوسف :

٧٠ ـ **كش** : حمدويه و ابراهيم ابنا نصير ، عن العبيديّ ، عن هشام بن إبراهيم المشرقيّ قال : قال لي أبوالحسن الخراسانيّ [2] : كيف تقولون في الاستطاعة بعد يونس ؟ فذهب فيها مذهب زرارة [3] ومذهب زرارة هو الخطأ ؛ فقلت : لا ولكنّه ـ بأبي أنت واُمّي ـ

(١) تجثم الطائر أو الحيوان : تلبد بالارض وأقام فيه .
(٢) في المصدر : ابوالحسن الخراساني عليه السلام . والظاهر انه هو الرضا عليه السلام . م
(٣) في الكشي المطبوع : تذهب فيها مذهب زرارة ؟ .

مايقول زرارة في الاستطاعة ، وقول زرارة هم قدر ،[1] ونحن منه برآء ، وليس من دين آبائك ، قال : فبأيّ شيء تقولون ؟ قلت : بقول أبي عبدالله عليه السلام و سئل عن قول الله عزّ وجلّ : « ولله على الناس حجّ البيت من استطاع إليه سبيلاً » مااستطاعته ؟ قال : فقال أبوعبدالله عليه السلام : صحّته وماله ، فنحن بقول أبي عبدالله عليه السلام نأخذ ، قال : صدق أبوعبدالله عليه السلام هذا هو الحقّ .[2] «ص ٩٦ـ٩٧»

بيان : قوله : مايقول زرارة في الاستطاعة وقول زرارة فيمن قدر كذا في بعض النسخ ، فلعلّ المعنى أنّ زرارة لايقول بالاستطاعة ، بل إنّما يقول بها فيمن قدر على الفعل بإذنه وتوفيقه تعالى ، ونحن من القول بالاستطاعة المحضة برآء ، فكلمة « ما » نافية ، ويحتمل أن يكون استفهاماً للإنكار والتحقير أي أيّ شيء قول زرارة فنقول به ؟ ثمّ بيّن أنّه قوله بالاستطاعة فيمن قدر على الفعل ، و في أكثر النسخ «هم قدّر » فيحتمل الوجه الثاني ، ويكون قدّر بضمّ القاف وتشديد الدال جمع قادر أي يقول : هم قادرون بالاستقلال . وفي بعض النسخ «قذر» بالذال المعجمة ، وربّما قرأ قوم زرارة ، وقد يقرأ هيّم قذر ، والهيّم بالكسر الإبل العطاش ، وأثر التصحيف والتحريف فيه ظاهر .

٧١ ـ **كش** : محمّد بن قولويه ، عن محمّد بن أبي القاسم ماجيلويه ، عن زياد بن أبي الحلال قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام : إنّ زرارة روى عنك في الاستطاعة شيئاً فقبلنا منه وصدّقناه وقد أحببت أن أعرضه عليك ، فقال : هاته ، فقلت : زعم أنّه سألك عن قول الله عزّ وجلّ : «ولله على النّاس حجّ البيت من استطاع إليه سبيلاً» فقلت : من ملك زاداً وراحلةً ؟ فقال : كلّ من ملك زاداً و راحلة فهو مستطيع للحجّ و إن لم يحجّ ؟ فقلت : نعم . فقال : ليس هكذا سألني ولاهكذا قلت ، كذب عليّ والله ، كذب عليّ والله

---

(١) في الكشي : ماتقول في الاستطاعة ، وقول زرارة فيمن قدر .

(٢) أقول : حمله الاصحاب وأمثاله مما ورد في ذم زرارة و نظرائه من أجلاء الاصحاب على التقية حفظا لهم وحقناً لدمائهم ، ويدل على صحة هذا الحمل ماورد من الروايات ، من الاعتذار عن ذمهم مثل قول الصادق عليه السلام لعبدالله بن زرارة : اقرء مني على والدك السلام ، وقل له اني انما أعيبك دفاعاً مني عنك ، فان الناس و العدو يسارعون الى كل من قربناه و حمدنا مكانه لادخال اذى فيمن نحبه ونقربه ، ويذمونه لمحبتنا له ، وقربه ودنوه منا . والحديث طويل فليراجعه .

لعن الله زرارة ! لعن الله زرارة ! إنّما قال لي : من كان له زاد وراحلة فهو مستطيع للحجّ ؟ قلت : وقد وجب عليه ، قال : فمستطيع هو ؟ قلت : لا حتّى يؤذن له . قلت : فأُخبر زرارة بذلك ؟ قال : نعم . قال زياد : فقدمت الكوفة فلقيت زرارة فأخبرته بما قال أبو عبدالله عليه السلام وسكتُّ عن لعنه ، قال : أما إنّه قد أعطاني الاستطاعة من حيث لا يعلم ، و صاحبكم هذا ليس له بصيرة بكلام الرجال .[1] « ص٩٨ »

٧٢ ـ **كش** : محمّد بن مسعود ، عن محمّد بن عيسى ، عن حريز ، قال : خرجت إلى فارس ، وخرج معنا محمّد الحلبيّ إلى مكّة ، فاتّفق قدومنا جميعاً إلى حنين ، فسألت الحلبي فقلت له : أطرفنا بشيء .[2] قال : نعم جئتك بما تكره ، قلت لأبي عبدالله عليه السلام : ما تقول في الاستطاعة ؟ فقال : ليس من ديني ولا من دين آبائي ، فقلت : الآن ثلج عن صدري والله لا أعود لهم مريضاً ، ولا أُشيّع لهم جنازة ، ولا أُعطيهم شيئاً من زكاة مالي . قال : فاستوى أبو عبدالله عليه السلام جالساً وقال لي : كيف قلت ؟ فأعدت عليه الكلام ، فقال أبو عبدالله عليه السلام : **كان أبي عليه السلام** يقول : أُولئك قوم حرّم الله وجوههم على النار ، فقلت : جعلت فداك وكيف قلت لي : ليس من ديني ولا من دين آبائي ؟ قال : إنّما أعني بذلك قول زرارة وأشباهه . «ص١٠٠»

---

(١) حكى عن ابن طاووس مناقشة في سند هذا الخبر بقوله : الذي يظهر أن الرواية غير متصلة لان محمد بن أبي القاسم كان معاصراً لابي جعفر محمد بن بابويه ، ومات محمد بن بابويه سنة احدى وثمانين وثلاثمائة ، ومات الصادق عليه السلام سنة مائة وثمان وأربعين ، ويبعد أن يكون زياد بن أبي الحلال عاش من زمان الصادق عليه السلام حتى لقي محمد بن أبي القاسم معاصر أبي جعفر محمد بن بابويه ، بل ذكر شيخنا في الرجال أن زياد بن أبي الحلال من رجال الباقر عليه السلام ومات الباقر عليه السلام سنة مائة وأربع عشرة ، وهذا آكد في كون السند مقطوعا انتهى .

أقول : المعروف المتكرر في الاسانيد رواية الصدوق عن محمد بن أبي القاسم بوساطة محمد بن علي ماجيلويه أوغيره ، وتجد روايته عنه بلاواسطة ، ولكن مع ذلك رواية ابن أبي الحلال عنه بعيد جدا ؛ ويمكن أن يقال : ان المعاصرة أعم من الملاقاة ونقل الرواية عنه . قلت : هذا وان كان حقا الا أن النجاشي صرح بأن محمد بن أبي القاسم هذا كان صهراً لاحمد بن أبي عبدالله البرقي الذي توفي سنة ٢٧٤ أو ٢٨٠ وهذا يبعد ادراك ابن بابويه عصره فتأمل ، و مع هذا كله ما قرب ابن طاووس من انقطاع الحديث قوي جدا .

(٢) أطرف : آتى بالطرفة أي الحديث الجديد المستحسن .

بيان : قوله : لأعود لهم مريضاً أي للقائلين بالاستطاعة من الشيعة فعرف عليه السلام أنّ مراده مطلق القائلين بالاستطاعة ، فردّ عليه بأنّ ما نفيته هو ما ينسب إلى زرارة موافقاً لمذهب التفويض ، بل الحقّ الأمر بين الأمرين كما مرّ ، و هذا هو معنى الخبر ، لا ما حمله عليه الصدوق رحمه الله سابقاً .

٧٣ ـ يف : روى جماعة من علماء الإسلام ، عن نبيّهم صلى الله عليه وآله أنّه قال : لعنت القدريّة على لسان سبعين نبيّاً ؛ قيل : ومن القدريّة يارسول الله ؟ فقال : قوم يزعمون أنّ الله سبحانه قدّر عليهم المعاصي وعذّبهم عليها . «ص٩٧ـ٩٨»

٧٤ ـ و روى صاحب الفائق و غيره من علماء الإسلام ، عن محمّد بن عليّ المكّي بإسناده قال : إنّ رجلاً قدم على النبيّ صلى الله عليه وآله فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله : أخبرني بأعجب شيء رأيت ، قال رأيت قوماً ينكحون اُمّهاتهم وبناتهم وأخواتهم فإذا قيل لهم : لم تفعلون ذلك ؟ قالوا : قضاء الله تعالى علينا وقدره ؛ فقال النبيّ صلى الله عليه وآله : سيكون من اُمّتي أقوام يقولون مثل مقالتهم ، اُولئك مجوس اُمّتي . «ص٩٨»

٧٥ ـ وروى صاحب الفائق وغيره ، عن جابر بن عبدالله ، عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال : يكون في آخر الزمان قوم يعملون المعاصي ، ويقولون : إنّ الله قد قدّرها عليهم ، الرادّ عليهم كشاهر سيفه في سبيل الله . «ص٩٨»

٧٦ ـ كش : محمّد بن مسعود ، عن عبدالله بن محمّد بن خالد ، عن الوشّاء ، عن ابن خداش ،[1] عن عليّ بن إسماعيل ، عن ربعيّ ، عن الهيثم بن حفص العطّار ، عن حمزة ابن حمران قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام : يقول زرارة : إنّ الله عزّ وجلّ لم يكلّف العباد إلّا ما يطيقون ، وإنّهم لم يعملوا إلّا إن يشاء الله ويريد ويقضي ، قال : هو والله الحقّ ، و دخل علينا صاحب الزطيّ ، فقال له : يا ميسر ألست على هذا ؟ قال : على أيّ شيء

---

(١) بكسر الخاء المعجمة كما في تقريب ابن حجر و ضوابط الاسماء للطريحي رحمه الله ، واسمه عبدالله بن خداش أبو خداش المهري ، قال النجاشي : ضعيف جدا وفي مذهبه ارتفاع انتهى . وحكى الكشي عن محمد بن مسعود أنه قال ، قال أبو محمد عبدالله بن محمد بن خالد : أبو خداش عبدالله بن خداش المهري ـ ومهر محلة بالبصرة ـ وهو ثقة .

أصلحك الله ؟ ـ أو جعلت فداك ـ قال : فأعاد هذا القول عليه كما قلت له ، ثمّ قال : هذا والله ديني ودين آبائي .[1] « ص٩٧ ـ ٩٨ »

٧٧ ـ كش : عليّ بن الحسين بن قتيبة ، عن محمّد بن أحمد ، عن محمّد بن عيسى ، عن إبراهيم بن عبدالحميد ، عن الوليد بن صبيح قال : مررت في الروضة بالمدينة فإذا إنسان قد جذبني ، فالتفتّ فإذا أنا بزرارة فقال لي : استأذن لي على صاحبك ، قال : فخرجت من المسجد و دخلت على أبي عبدالله عليه السلام فأخبرته الخبر ، فضرب بيده على لحيته ، ثمّ قال : لاتأذن له ـ ثلاثاً ـ فإنّ زرارة يريدني على القدر على كبر السنّ ، وليس من ديني ولا دين آبائي . « ص١٠٦ ـ ١٠٧ »

٧٨ ـ ما : الحسين بن إبراهيم القزوينيّ ، عن محمّد بن وهبان ، عن أحمد بن إبراهيم ، عن الحسن بن عليّ الزعفرانيّ ، عن البرقيّ ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن هشام بن سالم ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : ـ في قول الله تعالى : « وقالت اليهود يدالله مغلولة » ـ فقال : كانوا يقولون : قد فرغ من الأمر .

٧٩ ـ يد : عليّ بن أحمد الأسواري ، عن مكّيّ بن أحمد البردعيّ ، عن محمّد بن القاسم بن عبدالرحمن ، عن محمّد بن أشرس ، عن بشير بن الحكم ، و إبراهيم بن أبي نصر ، عن عبدالملك بن هارون ، عن غياث بن المجيب ، عن الحسن البصريّ ، عن عبدالله بن عمر ، عن النبيّ صلّى الله عليه وآله قال : قال : سبق العلم ، وجفّ القلم ، وتمّ القضاء بتحقيق الكتاب وتصديق الرسالة ، والسعادة من الله ، والشقاوة من الله عزّ وجلّ ، قال عبدالله بن عمر : إنّ رسول الله

---

(١) لم نجد الحديث بهذه الصورة في رجال الكشي ، والموجود فيه هكذا : محمد بن مسعود ، قال : حدثني عبدالله بن محمد بن خالد ، قال : حدثني الوشاء ، عن ابن خداش ، عن علي بن إسماعيل ، عن ربعي ، عن الهيثم بن حفص العطار قال : سمعت حمزة بن حمران يقول : ـ حين قدم من اليمن ـ لقيت أباعبدالله عليه السلام فقلت له : بلغني أنك لعنت عمي زرارة ، قال فرفع يده حتى صك بها صدره ، ثم قال : لا والله ماقلت ، ولكنكم تأتون عنه بالفتيا فأقول : من قال هذا فأنا منه بريء ؛ قال : قلت : وأحكي لك ماتقول ؟ قال : نعم ؛ قال : قلت : إن الله عزوجل لم يكلف العباد إلا مايطيقون إلخ أقول : قوله : واحكي لك ماتقول لعله تصحيف مايقول : أوما نقول .

صلّى الله عليه و آله كان يروي حديثه عن الله عزّ وجلّ، قال : قال الله : يا ابن آدم بمشيّتي كنت أنت الّذي تشاء لنفسك ماتشاء ، وبإرادتي كنت أنت الّذي تريد لنفسك ماتريد ، وبفضل نعمتي عليك قويت على معصيتي ، وبعصمتي وعفوي وعافيتي أدّيت إليّ فرائضي ، فأنا أولى بإحسانك منك ، وأنت أولى بذنبك منّي . فالخير منّي إليك بما أوليت بدا ، والشرّ منّي إليك بماجنيت جزاءً ، وبسوء ظنّك بي قنطت من رحمتي ، فلي الحمد و الحجّة عليك بالبيان ، ولي السبيل عليك بالعصيان ، ولك الجزاء الحسنى عندي بالإحسان ، لم أدع تحذيرك ، ولم أخذل عند عزّتك ، ولم اُكلّفك فوق طاقتك ، ولم اُحمّلك من الأمانة إلّاماقدرت عليه ، رضيت منك لنفسي ما رضيت به لنفسك منّي . قال عبدالملك : لن اُعذّبك إلّا بماعملت . «ص ٣٥١ ـ ٣٥٢»

بيان : قال الجزريّ : فيه : جفّت الأقلام ، و طويت الصحف ، يريد ما كتب في اللّوح المحفوظ من المقادير والكائنات والفراغ منها تمثيلاً بفراغ الكاتب من كتابته و يبس قلمه انتهى . قوله تعالى : بدأ كفعل أو كفعال أي ابتدأ من غير استحقاق ، وفي بعض النسخ يداً أي نعمة .

أقول : قول عبدالملك بن هارون في آخر الخبر تفسير للفقرة الأخيرة أي رضيت بسببك ، أومن الاُمور المتعلّقة بك لنفسي ، إن اُعذّبك كما رضيت لنفسك بفعل مايوجبه فيرجع حاصله إلى أنّه لن اُعذّبك إلّا بماعملت .

٨٠ ـ **يد** : تميم القرشيّ ، عن أبيه ، عن أحمد بن عليّ الأنصاريّ ، عن الهرويّ قال : سأل المأمون يوماً عليّ بن موسى الرضا عليه السلام فقال له : يا ابن رسول الله مامعنى قول الله عزّ وجلّ « ولو شاء ربّك لآمن من في الأرض كلّهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتّى يكونوا مؤمنين وما كان لنفس أن تؤمن إلّا بإذن الله» فقال الرضا عليه السلام : حدّثني أبي موسى بن جعفر ، عن أبيه جعفر بن محمّد ، عن أبيه محمّد بن عليّ ، عن أبيه عليّ بن الحسين ، عن أبيه الحسين بن عليّ ، عن أبيه عليّ بن أبي طالب عليه السلام أنّ المسلمين قالوا لرسول الله صلّى الله عليه وآله : لو أكرهت يا رسول الله من قدرت عليه من الناس على الإسلام لكثر عددنا وقوينا على عدوّنا ؛ فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله : ماكنت لألقى الله عزّ وجلّ ببدعة لم يحدث إليّ فيها شيئاً وما أنامن

المتكلّفين . فأنزل الله تبارك وتعالى : يا محمّد «ولو شاء ربّك لآمن من في الأرض كلّهم جميعاً» على سبيل الإلجاء والاضطرار في الدنيا ، كما يؤمنون عند المعاينة و رؤية البأس في الآخرة ، ولو فعلت ذلك بهم لم يستحقّوا منّي ثواباً ولامدحاً لكنّي اُريد منهم أن يؤمنوا مختارين غير مضطرّين ، ليستحقّوا منّي الزلفى والكرامة و دوام الخلود في جنّة الخلد ، «أفأنت تكره الناس حتّى يكونوا مؤمنين» و أمّا قوله عزّ وجلّ : « وما كان لنفس أن تؤمن إلّا بإذن الله » فليس ذلك على سبيل تحريم الإيمان عليها ، ولكن على معنى أنّها ما كانت لتؤمن إلّا بإذن الله ، وإذنه أمره لها بالإيمان ، ما كانت مكلّفة متعبّدة وإلجاؤه إيّاها إلى الإيمان عند زوال التكليف والتعبّد عنها . فقال المأمون : فرّجت عنّي يا أبا الحسن فرّج الله عنك «ص٣٥٢-٣٥٣»

بيان : قال الطبرسيّ رحمه الله في قوله تعالى : «ولو شاء ربّك» :[١] معناه الإخبار عن قدرة الله تعالى ، و أنّه يقدر على أن يكره الخلق على الإيمان كما قال : « إن نشأ ننزّل عليهم من السماء آية فظلّت أعناقهم لها خاضعين»[٢] ولذلك قال بعد ذلك : «أفأنت تكره الناس حتّى يكونوا مؤمنين» ومعناه أنّه لاينبغي أن تريد إكراههم على الإيمان ، مع أنّك لاتقدر عليه لأنّ الله تعالى يقدر عليه ولايريده لأنّه ينافي التكليف ؛ وقوله تعالى : « وما كان لنفس أن تؤمن إلّا بإذن الله » معناه أنّه لايمكن أحداً أن يؤمن إلّا بإطلاق الله له في الإيمان ، وتمكينه منه ، و دعائه إليه بما خلق فيه من العقل الموجب لذلك ؛ وقيل : إنّ إذنه ههنا أمره كما قال : « ياأيّها الناس قد جائكم الرسول بالحقّ من ربّكم فآمنوا خيراً لكم »[٣] وقيل : إنّ إذنه ههنا علمه ، أي لاتؤمن نفس إلّا بعلم الله ، من قولهم : أذنت لكذا : إذا سمعته وعلمته ، و آذنته : أعلمته ، فتكون خبراً عن علمه تعالى بجميع الكائنات ، ويجوز أن يكون معناه إعلام الله تعالى المكلّفين بفضل الإيمان وما يدعوهم إلى فعله ويبعثهم عليه .

---

(١) يونس : ٩٩ .
(٢) الشعراء : ٤ .
(٣) النساء : ١٧٠ .

٨١ - يد : أبي و ابن الوليد معاً ، عن محمّد العطّار و أحمدبن إدريس ، هما عن الأشعريّ ، عن ابن هاشم ، عن ابن معبد ، عن درست ، عن الفضيل قال : سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول : شاءالله أن أكون مستطيعاً لما لم يشأ أن أكون فاعله ؛ قال : وسمعته يقول : شاء وأراد ولم يحبّ ولم يرض ، شاء أن لا يكون في ملكه شيء إلّا بعلمه وأراد مثل ذلك ، ولم يحبّ أن يقال له : ثالث ثلاثة ، ولم يرض لعباده الكفر . «ص٣٥٣»

٨٢ - يد : ابن المتوكّل ، عن السعدآباديّ ، عن البرقيّ ، عن أبيه ، عن يونس ، عن غير واحد ، عن أبي جعفر و أبي عبدالله عليهما السلام قالا : إنّ الله عزّ وجلّ أرحم بخلقه من أن يجبر خلقه على الذنوب ثمّ يعذّبهم عليها ، والله أعزّ من أن يريد أمراً فلا يكون ، قال : فسئلا عليهما السلام : هل بين الجبر والقدر منزلة ثالثة ؟ قالا : نعم أوسع ممّا بين السماء والأرض . «ص٣٦٨ - ٣٦٩»

٨٣ - يد : الورّاق ، عن سعد ، عن إسماعيل بن سهل ، عن عثمان بن عيسى ، عن محمّد بن عجلان قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام : فوّض الله الأمر إلى العباد ؟ قال : الله أكرم من أن يفوّض إليهم ؛ قلت : فأجبر الله العباد على أفعالهم ؟ فقال : الله أعدل من أن يجبر عبداً على فعل ثمّ يعذّبه عليه . «ص٣٧٠»

٨٤ - يد : أبي ، عن سعد ، عن ابن يزيد ، عن حمّاد بن عيسى ، عن إبراهيم بن عمر اليمانيّ ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إنّ الله عزّ وجلّ خلق الخلق فعلم ما هم صائرون إليه ، وأمرهم ونهاهم ، فما أمرهم به من شيء فقد جعل لهم السبيل إلى الأخذ به ، وما نهاهم عنه من شيء فقد جعل لهم السبيل إلى تركه ، ولا يكونون آخذين ولا تاركين إلّا بإذن الله . [1] «ص٣٦٨»

٨٥ - يد : أبي ، عن عليّ بن إبراهيم ، عن اليقطينيّ ، عن يونس ، عن حفص بن قرط ، [2] عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : من زعم أنّ الله تعالى يأمر بالسوء

---

(١) تقدم مثله عن الامام موسى بن جعفر عليه السلام مع زيادة تحت رقم ٣٢ و أورده الكليني رضي الله عنه في باب الجبر والقدر من الكافي باسناده عن ابراهيم بن عمر اليماني ، وفي متنه نقصان .

(٢) بضم القاف وسكون الراء .

والفحشاء فقد كذب على الله ومن زعم أنّ الخير والشرّ بغير مشيّة الله فقد أخرج الله من سلطانه ،[١] ومن زعم أنّ المعاصي بغير قوّة الله فقد كذب على الله ومن كذب على الله أدخله الله النار . يعني بالخير والشرّ الصحّة والمرض ، وذلك قوله عزّ وجلّ : ونبلوكم بالشرّ والخير فتنة . «ص ٣٦٨»

٨٦ ـ **نهج** : سئل عليه السلام عن التوحيد والعدل ، فقال : التوحيد أن لا تتوهّمه والعدل أن لا تتّهمه .[٢]

٨٧ ـ **يد** : ابن الوليد ، عن ابن متّيل ،[٣] عن البرقيّ ، عن عليّ بن الحكم ، عن هشام بن سالم ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : الله أكرم من أن يكلّف الناس ما لا يطيقون ، والله أعزّ من أن يكون في سلطانه ما لا يريد . «ص ٣٦٩»

٨٨ ـ **ن ، يد** : الفاميّ ، عن الحميريّ ، عن أبيه ، عن ابن هاشم ، عن ابن معبد ، عن الحسين بن خالد ، عن أبي الحسن عليّ بن موسى الرضا عليه السلام قال : قلت له : يا ابن رسول الله إنّ الناس ينسبوننا إلى القول بالتشبيه والجبر . لما روي من الأخبار في ذلك عن آبائك الأئمّة عليهم السلام ، فقال : يا ابن خالد أخبرني عن الأخبار الّتي رويت عن آبائي عليهم السلام في التشبيه والجبر أكثر أم الاخبار الّتي رويت عن النبيّ صلّى الله عليه وآله في ذلك ؟ فقلت : بل ما روي عن النبيّ صلّى الله عليه وآله في ذلك أكثر ، قال عليه السلام : فليقولوا : إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله كان يقول بالتشبيه والجبر إذاً ؛ قلت له : إنّهم يقولون : إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله لم يقل من ذلك شيئاً وإنّما روي عليه ؛ قال عليه السلام : فليقولوا في آبائي عليهم السلام :

---

(١) فان من زعم استقلال الخلق و عدم قدرته تعالى على صرفهم عن أفعالهم و عدم مدخليته سبحانه في أعمالهم بوجه فقد أخرج الله من سلطانه وعزله عن التصرف في ملكه ، قاله المصنف في المرآة . أقول : أورده الكليني في الكافي إلى قوله : «أدخله الله النار» والظاهر أن ما بعده من كلام الصدوق .

(٢) يأتي مصدراً عن الصادق عليه السلام تحت رقم ١٠٦ .

(٣) بالميم المفتوحة ، والتاء المشددة ، قاله الطريحي في الضوابط ، وحكى عن ابن داود أنه ضبطه بالميم المضمومة ، وتضعيف التاء المفتوحة والياء المثناة من تحت ، هو الحسن بن متيل ، قال النجاشي : وجه من وجوه أصحابنا ، كثير الحديث له كتاب نوادر .

إنّهم لم يقولوا من ذلك شيئاً و إنّما روي عليهم . ثمّ قال عليه السلام : من قال بالتشبيه و الجبر فهو كافر و مشرك و نحن منه برآء في الدنيا و الآخرة ، يابن خالد إنّما وضع الأخبار عنّا في التشبيه والجبر الغلاة الّذين صغّروا عظمة الله ، فمن أحبّهم فقد أبغضنا ، ومن أبغضهم فقد أحبّنا ومن والاهم فقد عادانا ، ومن عاداهم فقد والانا ، ومن وصلهم فقد قطعنا ، ومن قطعهم فقد وصلنا ، ومن جفاهم فقد برّنا ، ومن برّهم فقد جفانا ، و من أكرمهم فقد أهاننا ، ومن أهانهم فقد أكرمنا ، ومن قبلهم فقد ردّنا ، ومن ردّهم فقد قبلنا ، ومن أحسن إليهم فقد أساء إلينا ، ومن أساء إليهم فقد أحسن إلينا ، ومن صدّقهم فقد كذّبنا ، ومن كذّبهم فقد صدّقنا ، ومن أعطاهم فقد حرمنا ، ومن حرمهم فقد أعطانا . يابن خالد من كان من شيعتنا فلا يتّخذنّ منهم وليّاً ولا نصيراً .[1] «ص ٨١-٨٢ ص ٣٧٢ - ٣٧٣»

٨٩ - يد : أبي ، عن أحمد بن إدريس ، عن الأشعريّ ، عن أبي عبدالله الرازيّ ، عن اللّؤلؤيّ ، عن ابن سنان ، عن مهزم[2] قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : أخبرني عمّا اختلف فيه من خلّفت من موالينا ، قال : فقلت : في الجبر والتفويض ، قال : فاسألني ، قلت أجبر الله العباد على المعاصي ؟ قال : الله أقهر لهم من ذلك ، قال : قلت : ففوّض إليهم ؟ قال : الله أقدر عليهم من ذلك ، قال : قلت : فأيّ شيء هذا أصلحك الله ؟ قال : فقلّب يده مرّتين أو ثلاثاً ثمّ قال : لو أجبتك فيه لكفرت . « ص ٢٧١ - ٢٧٢ »

بيان : قوله عليه السلام : الله أقهر لهم من ذلك لعلّ المعنى أنّ جبرهم على المعاصي ثمّ تعذيبهم عليها هو الظلم ، و الظلم فعل العاجزين ، كما قال سيّد الساجدين عليه السلام : إنّما يحتاج إلى الظلم الضعيف والله أقهر من ذلك . أو المعنى أنّه تعالى لو أراد تعذيبهم ولم يمنعه عدله من ذلك لما احتاج إلى أن يكلّفهم ثمّ يجبرهم على المعاصي ثمّ يعذّبهم عليها ، فإنّ هذا تلبيس يفعله من لا يقدر على التعذيب ابتداءاً ، وهو أقهر لهم من ذلك . والظاهر أنّه تصحيف أرأف أو نحوه ؛ وإنّما امتنع عليه السلام عن بيان الأمر بين الأمرين

---

(١) تقدم الخبر في باب نفي التشبيه تحت رقم .

(٢) بفتح الميم أو كسرها وسكون الهاء وفتح الزاي المعجمة ، هو والد إبراهيم بن مهزم ، لم نجد في التراجم ما يفيد وثاقته أو مدحه .

لأنّه كان يعلم أنّه لايدركه عقل السائل فيشكّ فيه أو يجحده فيكفر .

٩٠ ـ ضا : سألت العالم عليه السلام : أجبر الله العباد على المعاصي ؟ فقال : الله أعدل من ذلك ؛ فقلت له : فمفوّض إليهم ؟ فقال : هو أعزّ من ذلك ، فقلت له : فصف لنا المنزلة بين المنزلتين ، فقال : الجبر هو الكره ، فالله تبارك وتعالى لم يكره على معصيته ، و إنّما الجبر أن يجبر الرجل على مايكره وعلى مالايشتهي ، كالرجل يغلب على أن يضرب أو يقطع يده ، أو يؤخذ ماله ، أو يغصب على حرمته ، أو من كانت له قوّة و منعة فقهر ، فأمّا من أتى إلى أمر طائعاً محبّاً له يعطى عليه ماله لينال شهوته فليس ذلك بجبر ، إنّما الجبر من اكرهه عليه ، أو اغضب حتّى فعل مالايريد ولايشتهيه ، و ذلك أنّ الله تبارك وتعالى لم يجعل لهم هوى ولاشهوة ولا محبّة ولا مشيّة إلّا فيما علم أنّه كان منهم ، و إنّما يجرون في علمه و قضائه و قدره على الّذي في علمه و كتابه السابق فيهم قبل خلقهم ، والّذي علم أنّه غير كائن منهم هو الّذي لم يجعل لهم فيه شهوة ولا إرادة .

٩١ ـ وأروي عن العالم عليه السلام أنّه قال : منزلة بين منزلتين في المعاصي وسائر الأشياء ، فالله جلّ وعزّ الفاعل لها والقاضي والمقدّر والمدبّر .

٩٢ ـ وقد أروي أنّه قال : لايكون المؤمن مؤمناً حقّاً حتّى يعلم أنّ ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه .

٩٣ ـ وأروي عن العالم عليه السلام أنّه قال : مساكين القدريّة أرادوا أن يصفوا الله عزّ وجلّ بعدله فأخرجوه من قدرته و سلطانه .

٩٤ ـ وروي : لو أراد الله سبحانه أن لايعصى ماخلق إبليس .

٩٥ ـ وأروي أنّ رجلاً سأل العالم عليه السلام : أكلّف الله العباد مالا يطيقون ؟ فقال : كلّف الله جميع الخلق مالا يطيقون إن لم يعنهم عليه ، فإن أعانهم عليه أطاقوه ، قال الله جلّ وعزّ لنبيّه صلّى الله عليه وآله : «واصبر وماصبرك إلّا بالله» .

٩٦ ـ قلت : و رويت عن العالم عليه السلام أنّه قال : القدر و العمل بمنزلة الروح والجسد ، فالروح بغير الجسد لايتحرّك ولايرى ، والجسد بغير الروح صورة لاحراك له

فإذا اجتمعا قويا و صلحا و حسنا و ملحا ، كذلك القدر و العمل ، فلولم يكن القدر واقعاً على العمل لم يعرف الخالق من المخلوق ، ولولم يكن العمل بموافقة من القدر لم يمض ولم يتمّ ، ولكن باجتماعهما قويا و صلحا ولله فيه العون لعباده الصالحين . ثمّ تلا هذه الآية : «ولكنّ الله حبّب إليكم الإيمان وزيّنه في قلوبكم» الآية ، ثمّ قال عليه السلام : وجدت ابن آدم بين الله وبين الشيطان ، فإن أحبّه الله تقدّست أسماؤه خلّصه واستخلصه ،[1] وإلّا خلّا بينه وبين عدوّه .

٩٧ ـ و قيل للعالم عليه السلام : إنّ بعض أصحابنا يقول بالجبر و بعضهم يقولون بالاستطاعة ، قال : فأمر أن يكتب : بسم الله الرحمن الرحيم قال الله عزّ وجلّ : يا ابن آدم بمشيّتي كنت أنت الّذي تشاء . وساق إلى آخر ما سيأتي في خبر البزنطيّ .[2]

٩٨ ـ شي : عن الحسن[3] بن محمّد الجمّال ، عن بعض أصحابنا قال : بعث عبد الملك ابن مروان إلى عامل المدينة أن وجّه إليّ محمّد بن عليّ بن الحسين ولا تهيّجه ولا تروعه ، واقض له حوائجه ، وقد كان ورد على عبد الملك رجل من القدريّة فحضر جميع من كان بالشام فأعياهم جميعاً ، فقال : ما لهذا إلّا محمّد بن عليّ ، فكتب إلى صاحب المدينة أن يحمل محمّد بن عليّ إليه ، فأتاه صاحب المدينة بكتابه ، فقال أبو جعفر عليه السلام : إنّي شيخ كبير لا أقوى على الخروج ، وهذا جعفر ابني يقوم مقامي فوجّهه إليه ، فلمّا قدم على الأمويّ أزراه لصغره ، وكره أن يجمع بينه وبين القدريّ مخافة أن يغلبه ، وتسامع الناس بالشام بقدوم جعفر لمخاصمة القدريّة ، فلمّا كان من الغد اجتمع الناس بخصومتهما ، فقال الأمويّ لأبي عبدالله عليه السلام إنّه قد أعيانا أمر هذا القدريّ ، و إنّما كتبت إليه لأجمع بينه و بينه ، فإنّه لم يدع عندنا أحداً إلّا خصمه ، فقال : إنّ الله يكفيناه ، قال : فلمّا اجتمعوا قال القدريّ لأبي عبدالله عليه السلام : سل عمّا شئت ؛ فقال له : اقرأ سورة الحمد ، قال : فقرأها ، وقال الأمويّ وإنّا معه ما في سورة الحمد غلبنا ، إنّا لله وإنّا إليه راجعون قال : فجعل القدريّ

---

(١) بتوفيقه وتسديده وتأييده وعدم إيكاله على نفسه ، وتوجيه الاسباب له نحو مطلوبه الخير وإلا فتركه بحاله ، ولم ينصره على عدوه ، وهذا معنى التوفيق والخذلان ، و الهداية والاضلال .

(٢) الاتي تحت رقم ١٠٤ .

(٣) في نسخة : الحسين .

يقرأ سورة الحمد حتّى بلغ قول الله تبارك وتعالى: «إيّاك نعبد وإيّاك نستعين» فقال له جعفر: قف؛ من تستعين؟ وماحاجتك إلى المؤونة؟ إنّ الأمر إليك، فبهت الّذي كفر، والله لايهدي القوم الظالمين.

٩٩ - شي: عن صفوان بن يحيى، عن أبي الحسن عليه السلام قال: قال الله تبارك و تعالى: ابن آدم! بمشيّتي كنت أنت الّذي تشاء وتقول، وبقوّتي أدّيت إليّ فرائضي و بنعمتي قويت على معصيتي، ما أصابك من حسنة فمن الله، وما أصابك من سيّئة فمن نفسك، وذاك أنّي أولى بحسناتك منك، وأنت أولى بسيّئاتك منّي، وذاك أنّي لا أُسأل عمّا أفعل وهم يسألون.

١٠٠ - وفي رواية الحسن بن عليّ الوشّاء، عن الرضا عليه السلام: وأنت أولى بسيّئاتك منّي، عملت المعاصي بقوّتي الّتي جعلت فيك.

١٠١ - شي: عن ابن مسكان، عمّن رواه، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله: ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبّعتم الشيطان إلّا قليلاً فقال أبوعبدالله عليه السلام: إنّك لتسأل من كلام أهل القدر وماهو من ديني ولادين آبائي، ولا وجدت أحداً من أهل بيتي يقول به.

١٠٢ - شي: عن الحسن بن عليّ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سمعته يقول: ويح هذه القدريّة إنّما يقرؤون هذه الآية: «إلّا امرأته قدّرناها من الغابرين» ويحهم من قدّرها إلّا الله تبارك وتعالى؟.

١٠٣ - من كتاب مطالب السؤل لمحمّد بن طلحة البيهقيّ، بإسناده عن الشافعيّ عن يحيى بن سليم، عن الإمام جعفر بن محمّد، عن عبدالله بن جعفر رضي الله عنه، عن الجميع عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام أنّه قال يوماً: أعجب مافي الإنسان قلبه فيه موادّ من الحكمة وأضدادلها من خلافها، فإن سنح له الرجاء ولهه الطمع، وإن هاج به الطمع أهلكه الحرص، و إن ملكه اليأس قتله الأسف، وإن عرض له الغضب اشتدّ به الغيظ، و إن أسعد بالرضا نسي التحفّظ، وإن ناله الخوف شغله الحزن، وإن أصابته مصيبة قصمه

الجزع ،[١] وإن وجد مالاً أطغاه الغنى ، وإن عضّته فاقة[٢] شغله البلاء ، و إن أجهده الجوع قعد به الضعف ، وإن أفرط به الشبع كظّته البطنة ،[٣] فكلّ تقصير به مضرّ ، و كلّ إفراط له مفسد . فقام إليه رجل ممّن شهد وقعة الجمل فقال : ياأمير المؤمنين أخبرنا عن القدر ، فقال : بحر عميق فلاتلجه : فقال : يا أمير المؤمنين أخبرنا عن القدر ؛ فقال : بيت مظلم فلاتدخله . فقال : ياأمير المؤمنين أخبرنا عن القدر ؛ فقال : سرّ الله فلاتبحث عنه ، فقال : يا أمير المؤمنين أخبرنا عن القدر ، فقال : لمّا أبيت فإنّه أمر بين أمرين لاجبر ولاتفويض . فقال ياأمير المؤمنين إنّ فلاناً يقول بالاستطاعة وهو حاضر ، فقال علي عليه السلام : عليّ به ، فأقاموه فلمّا رآه قال له : الاستطاعة تملكها مع الله أومن دون الله ؟ وإيّاك أن تقول واحدة منهما فترتدّ ، فقال : وما أقول يا أمير المؤمنين ؟ قال : قل : أملكها بالله الّذي أنشأ ملكتها .

١٠٤ - ب : ابن حكيم ، عن البزنطيّ قال : قلت للرضا عليه السلام إنّ أصحابنا بعضهم يقول بالجبر ، وبعضهم يقول بالاستطاعة ، فقال لي : اكتب قال الله تبارك و تعالى : يا ابن آدم بمشيّتي كنت أنت الّذي تشاء لنفسك ماتشاء ، وبقوّتي أدّيت إليّ فرائضي ، وبنعمتي قويت على معصيتي ، جعلتك سميعاً بصيراً قويّاً ، ما أصابك من حسنة فمن الله ، و ما أصابك من سيّئة فمن نفسك ، و ذلك أنّي أولى بحسناتك منك ، و أنت أولى بسيّئاتك منّي ، و ذلك أنّي لاأُسأل عمّا أفعل وهم يسألون ، فقد نظمت لك كلّ شيء تريد .[٤] «ص ١٥٥»

يد ، ن : أبي و ابن الوليد ، عن سعد ، عن ابن عيسى ، عن البزنطيّ مثله . «ص ٣٤٩ - ٣٥٠ ص ٨٣»

---

(١) أى هلكه الجزع .

(٢) أى إن اشتدت عليه الفاقة .

(٣) كظ الطعام فلاناً : ملأه حتى لايطيق التنفس : وكظ الامر فلاناً . غمه وكربه و بهظه ، والمناسب للحديث المعنى الثاني .

(٤) تقدم ذيل الخبر الواقع تحت رقم ٣ ما يناسب هذا الخبر فراجعه .

١٠٥ - أعلام الدين للديلمي: روي أن طاووس اليماني [١] دخل على جعفر بن محمد الصادق عليه السلام وكان يعلم أنه يقول بالقدر، فقال له: يا طاووس من أقبل للعذر من الله ممن اعتذر و هو صادق في اعتذاره؟ فقال له: لا أحد أقبل للعذر منه، فقال له: من أصدق ممن قال: لا أقدر وهو لا يقدر؟ فقال طاووس: لا أحد أصدق منه، فقال الصادق عليه السلام له: يا طاووس فما بال من هو أقبل للعذر لا يقبل عذر من قال: لا أقدر وهو لا يقدر؟ فقام طاووس وهو يقول: ليس بيني و بين الحق عداوة، الله أعلم حيث يجعل رسالته، فقد قبلت نصيحتك.

١٠٦ - وقال الصادق عليه السلام لهشام بن الحكم: ألا أعطيك جملة في العدل والتوحيد؟ قال: بلى جعلت فداك، قال: من العدل أن لا تتهمه، ومن التوحيد أن لا تتوهمه. [٢]

١٠٧ - يف: روى كثير من المسلمين عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أنه قال يوماً لبعض المجبرة: هل يكون أحد أقبل للعذر الصحيح من الله؟ فقال: لا، فقال: فما تقول فيمن قال ما أقدر و هو لا يقدر؟ أيكون معذوراً أم لا؟ فقال المجبر: يكون معذوراً، قال له: فإذا كان الله يعلم من عباده أنهم ما قدروا على طاعته وقال لسان حالهم أو مقالهم يوم القيامة: يا رب ما قدرنا على طاعتك لأنك منعتنا منها أما يكون قولهم و عذرهم صحيحاً على قول المجبرة؟ فقال: بلى والله، فقال: فيجب على قولك أن الله يقبل هذا العذر الصحيح ولا يؤاخذ أحداً أبداً وهذا خلاف قول أهل الملل كلهم. فتاب المجبر من قوله بالجبر في الحال. «ص ٩٥»

١٠٨ - يف: روي أن الحجاج بن يوسف كتب إلى الحسن البصري وإلى عمرو ابن عبيد وإلى واصل بن عطا و إلى عامر الشعبي أن يذكروا ما عندهم وما وصل إليهم

---

(١) هو طاووس بن كيسان اليمانى، أبو عبدالرحمن الحميرى مولاهم الفارسى، يقال: اسمه ذكوان و طاووس لقب، مات سنة ١٠٦ وقيل بعد ذلك، قاله ابن حجر فى ص ٢٤١ من التقريب ووثقه وقال: فقيه فاضل من الثالثة انتهى. أقول: أورده الشيخ أبوجعفر الطوسى فى رجاله فى أصحاب السجاد عليه السلام، ويستفاد من بعض الاخبار كونه محبا للامام السجاد عليه السلام، ومن بعض آخر كونه متعنتا ممتحنا للباقر عليه السلام، وسيوافيك ذلك فى كتاب الاحتجاجات، والمسلم أن الرجل من العامة وزهادهم.

(٢) مأخوذ مما تقدم تحت رقم ٨٦ من كلام على عليه السلام.

في القضاء والقدر ، فكتب إليه الحسن البصري : إنّ أحسن ما انتهى إليّ ما سمعت أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام أنّه قال : أتظنّ أنّ الّذي نهاك دهاك ؟ وإنّما دهاك أسفلك وأعلاك ، والله بريء من ذاك . وكتب إليه عمرو بن عبيد : أحسن ما سمعت في القضاء والقدر قول أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام : لو كان الزور[1] في الأصل محتوماً كان المزوّر في القصاص مظلوماً . وكتب إليه واصل بن عطا : أحسن ما سمعت في القضاء والقدر قول أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام : أيدلّك على الطريق ويأخذ عليك المضيق ؟ . وكتب إليه الشعبيّ أحسن ما سمعت في القضاء والقدر قول أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام : كلّ ما استغفرت الله منه فهو منك ، وكلّ ما حمدت الله عليه فهو منه . فلمّا وصلت كتبهم إلى الحجّاج ووقف عليها قال : لقد أخذوها من عين صافية . «ص٩٥»

أقول : روى الكراجكيّ مثله . وفيه : من وسّع عليك الطريق لم يأخذ عليك المضيق وفي القاموس : دهاه : أصابه بداهية ، وهي الأمر العظيم . « ص ١٧٠ »

١٠٩ ـ يف : روي أنّ رجلاً سأل جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام عن القضاء والقدر فقال : ما استطعت أن تلوم العبد عليه فهو منه ، وما لم تستطع أن تلوم العبد عليه فهو من فعل الله ، يقول الله تعالى للعبد : لم عصيت ؟ لم فسقت ؟ لم شربت الخمر ؟ لم زنيت ؟ فهذا فعل العبد ؛ ولا يقول له : لم مرضت ؟ لم قصرت ؟ لم ابيضضت ؟ لم اسوددت ؟ لأنّه من فعل الله تعالى .

١١٠ ـ يف : روي أنّ الفضل بن سهل سأل الرضا عليه السلام بين يدي المأمون فقال : يا أبا الحسن الخلق مجبورون ؟ فقال : الله أعدل من أن يجبر خلقه ثمّ يعذّبهم ، قال : فمطلقون ؟ قال : الله أحكم من أن يهمل عبده ويكله إلى نفسه .

يف : ومن الحكايات ما روي أنّ بعض أهل العدل وقف على جماعة من المجبّرة ، فقال لهم : أنا ما أعرف المجادلة والإطالة لكنّي أسمع في القرآن قوله تعالى : «كلّما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله» ومفهوم هذا الكلام عند كلّ عاقل أنّ الموقد للنار غير الله ، وأنّ المطفيء للنار هو الله ، وكيف تقبل العقول أنّ الكلّ منه ؟ وأنّ

(١) في المصدر : لو كان الوزر في الاصل محتوماً اهـ . م

الموقد للنار هو المطفىء لها ؟ فانقطعوا ولم يردّوا جواباً . «ص٩٧»

ومن الحكايات أنّ جماعة من اليهود اجتمعوا إلى أبي بحر الخاقانيّ فقالوا له : مامعناه أنت سلطان عادل منصف ، ومن المسلمين في بلدك المجبّرة وهم الّذين يعوّلون عليهم في الأقوال و الأفعال ، وهم يشهدون لنا أنّنا لانقدر على الإسلام ولا الإيمان ، فكيف تأخذ الجزية من قوم لايقدرون على الإسلام ولا الإيمان ؟ ! فجمع المجبّرة وقال لهم : ماتقولون فيماقد ذكره اليهود من احتجاجهم عليكم ؟ فقالوا : كذا نقول : إنّهم لايقدرون على الإسلام والإيمان . فطالبهم بالدليل على قولهم فلم يقدروا عليه فنفاهم . «ص٩٧»

ومن الحكايات المذكورة في ذلك ماروي عن القاسم بن زياد الدمشقيّ أنّه قال : كنت في حرس عمر بن عبدالعزيز فدخل غيلان فقال : ياعمر : إنّ أهل الشام يزعمون أنّ المعاصي قضاء الله ، وأنّك تقول ذلك ؟ فقال : ويحك ياغيلان ! أولست تراني اُسمّي مظالم بني مروان ظلماً وأردّها أفتراني اُسمّي قضاء الله ظلماً وأردّه ؟ . «ص ٩٨»

أقول : أورد السيّد في الطرائف فصلاً مشبعاً في الردّ على المجبّرة تركنا إيراده لئلّا يطول الكتاب مع كونه خارجاً عن مقصودنا فمن أراد الاطّلاع عليه فليراجع إلى الكتاب المذكور ؛ وقد مرّ خبر الحسين بن خالد في ذلك في باب نفي التشبيه . (١)

١١١ ـ وقال الكراجكيّ في كنز الفوائد : قال الصادق عليه السلام لزرارة بن أعين : يازرارة اُعطيك جملة في القضاء والقدر ؟ قال : نعم جعلت فداك ، قال : إذا كان يوم القيامة وجمع الله الخلائق سألهم عمّا عهد إليهم ولم يسألهم عمّا قضى عليهم . «ص١٧١»

١١٢ ـ وروي عن محمّد بن أحمد بن شاذان القميّ ، عن الصدوق ، عن أبيه ، عن سعد ، عن أيّوب بن نوح ، عن الرضا ، عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : خمسة لاتطفىء نيرانهم ، ولاتموت أبدانهم : رجل أشرك ، ورجل عقّ والديه ، ورجل سعى بأخيه إلى السلطان فقتله ، ورجل قتل نفساً بغير نفس ، ورجل أذنب وحمل ذنبه على الله عزّ وجلّ . «ص٢٠٢»

---

(١) وتقدم في هذا الباب أيضا تحت رقم ٨٨ .

فائدة : قال السيّد المرتضى قدّس الله روحه : إن سأل سائل فقال : بمَ تدفعون من خالفكم في الاستطاعة وزعم أنّ المكلّف يؤمر بما لا يقدر عليه ولا يستطيعه إذا تعلّق بقوله تعالى : «انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلّوا فلا يستطيعون سبيلاً»[١] فإنّ الظاهر من هذه الآية يوجب أنّهم غير مستطيعين للأمر الّذي هم غير فاعلين له ، وأنّ القدرة مع الفعل ؛ وإذا تعلّق بقوله تعالى في قصّة موسى : « إنّك لن تستطيع معي صبراً»[٢] وأنّه نفى أن يكون قادراً على الصبر في حال هو فيها غير صابر ، وهذا يوجب أنّ القدرة مع الفعل ؛ وبقوله تعالى : «ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون»[٣] ؟ .

يقال له : أوّل ما نقوله : إنّ المخالف لنا في هذا الباب من الاستطاعة لا يصحّ له فيه التعلّق بالسمع ، لأنّ مذهبه لا تسلم معه صحّة السمع ، ولا يتمكّن مع المقام عليه من معرفة السمع بأدلّته ، وإنّما قلنا ذلك لأنّ من جوّز تكليف الله تعالى الكافر بالإيمان و هو لا يقدر عليه لا يمكنه العلم بنفي القبائح عن الله عزّ وجلّ ، و إذا لم يمكنه ذلك فلابدّ من أن يلزمه تجويز القبائح على الله في أفعاله و أخباره ، ولا يأمن من أن يرسل كذّاباً ، وأن يخبرهم بالكذب ، تعالى عن ذلك ، فالسمع إن كان كلامه قدح في حجّته تجويز الكذب عليه ، وإن كان كلام رسوله قدح فيه ما يلزمه من تجويز تصديق الكذّاب ، وإنّما طرق ذلك تجويز بعض القبائح عليه ، وليس لهم أن يقولوا : إنّ أمره تعالى الكافر بالإيمان وإن لم يقدر عليه يحسن من حيث أتى الكافر فيه من قبل نفسه لأنّه تشاغل بالكفر فترك الإيمان ، و إنّما كان يبطل تعلّقنا بالسمع لو أضفنا ذلك إليه تعالى على وجه يقبح ، وذلك لأنّ ما قالوه إذا لم يؤثّر في كون ما ذكرناه تكليفاً لما لا يطاق لم يؤثّر في نفي ما ألزمناه عنهم لأنّه يلزم على ذلك أن يفعل الكذب و سائر القبائح و تكون حسنة منه بأن يفعلها من وجه لا يقبح منه ، وليس قولهم : إنّا لم نضفه إليه من وجه يقبح بشيء يعتمد ، بل يجري مجرى قول من جوّز عليه أن يكذب ويكون الكذب منه حسناً ، ويدّعي مع ذلك صحّة معرفة السمع بأن يقول : إنّني لم أضف إليه قبيحاً فيلزمني إفساد

(١) الاسراء : ٤٨ .
(٢) الكهف : ٦٧ .
(٣) هود : ٢٠ .

طريقة السمع ، فلمّا كان من ذكرناه لاعذر له في هذا الكلام لم يكن للمخالف في الاستطاعة عذر بمثله .

و نعود إلى تأويل الآي : أمّا قوله : « انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلّوا فلا يستطيعون سبيلاً » فليس فيه ذكر للشيء الّذي لايقدرون عليه ولا بيان له ، و إنّما يصحّ ماقالوه لو بيّن لهم أنّهم لا يستطيعون سبيلاً إلى أمر معيّن ، فأمّا إذا لم يذكر ذلك كذلك فلامتعلّق لهم .

فإن قيل : فقد ذكر تعالى من قبل ضلالهم فيجب أن يكون المراد بقوله : « فلا يستطيعون سبيلاً » إلى مفارقة الضلال .

قلنا : إنّه تعالى كما ذكر الضلال فقد ذكر ضرب المثل منهم ، فيجوز أن يريد أنّهم لايستطيعون سبيلاً إلى تحقيق ماضربوه من الأمثال ، وذلك غير مقدور على الحقيقة ولامستطاع ، والظاهر أنّ هذا الوجه أولى لأنّه تعالى حكى عنهم أنّهم ضربوا له الأمثال ، وجعل ضلالهم وأنّهم لايستطيعون السبيل متعلّقاً بماتقدّم ذكره ، وظاهر ذلك يوجب رجوع الأمرين جميعاً إليه ، وأنّهم ضلّوا بضرب المثل ، و أنّهم لايستطيعون سبيلاً إلى تحقيق ماضربوه من المثل ، على أنّه تعالى قد أخبر عنهم بأنّهم ضلّوا ، و ظاهر ذلك الإخبار عن ماضي فعلهم ، فإن كان قوله : « فلايستطيعون سبيلاً » يرجع إليه فيجب أن يدلّ على أنّهم لايقدرون في المستقبل على ترك الماضي ، وهذا ممّا لايخالف فيه ، وليس فيه مانأباه من أنّهم لايقدرون في المستقبل أو في الحال على مفارقة الضلال والخروج عنه وتعذّر تركه ، وبعد[1] فإذا لم يكن للآية ظاهر فلم صاروا بأن يحملوا نفي الاستطاعة على أمر كلّفوه بأولى منّا إذا حملنا ذلك على أمر لم يكلّفوه ؟ أوعلى أنّه أراد الاستثقال والخبر عن عظم المشقّة عليهم ، وقدجرت عادة أهل اللّغة بأن يقولوا لمن يستثقل شيئاً : إنّه لايستطيعه و لا يقدرعليه ولايتمكّن منه ؛ ألاترى أنّهم يقولون : فلان لايستطيع أن يكلّم فلاناً ولا ينظر إليه وما أشبه ذلك و إنّما غرضهم الاستثقال وشدّة الكلفة والمشقّة .

(١) في الامالي المطبوع : وتعذر تركه بعد مضيه .

فإن قيل: فإذا كان لاظاهر للآية يشهد بمذهب المخالف فما المراد بها عندكم؟

قلنا: قد ذكر أبوعليّ أنّ المراد أنّهم لايستطيعون إلى بيان تكذيبه سبيلاً لأنّهم ضربوا الأمثال ظنّاً منهم بأنّ ذلك يبيّن كذبه، فأخبر تعالى أنّ ذلك غير مستطاع لأنّ تكذيب صادق وإبطال حقّ ممّا لاتتعلّق به قدرة ولاتتناوله استطاعة. وقد ذكر أبوهاشم أنّ المراد بالآية أنّهم لأجل ضلالهم بضرب المثل وكفرهم لايستطيعون سبيلاً إلى الخير الّذي هو النجاة من العقاب والوصول إلى الثواب، وليس يمكن على هذا أن يقال: كيف لايستطيعون سبيلاً إلى الخير والهدى وهم عندكم قادرون على الإيمان والتوبة؟ ومتى فعلوا ذلك استحقّوا الثواب، لأنّ المراد أنّهم مع التمسّك بالضلال والمقام على الكفر لاسبيل لهم إلى خير وهدى، وإنّما يكون لهم سبيل إلى ذلك بأن يفارقوا ماهم عليه، وقد يمكن أيضاً في معنى الآية ماتقدّم ذكره من أنّ المراد بنفي الاستطاعة عنهم أنّهم مستثقلون للإيمان، فقد يخبر عمّن يستثقل شيئاً بأنّه لايستطيعه على ماتقدّم ذكره، كذا في كتاب الغرر للسيّد رحمه الله.

فأمّا قوله تعالى في قصّة موسى عليه السلام: «إنّك لاتستطيع معي صبراً» فظاهره يقتضي أنّك لاتستطيع ذلك في المستقبل، ولايدلّ على أنّه غير مستطيع للصبر في الحال أن يفعله في الثاني، وقد يجوز أن يخرج في المستقبل من أن يستطيع ماهو في الحال مستطيع له، غير أنّ الآية تقتضي خلاف ذلك، لأنّه قد صبر عن المسألة أوقاتاً، وإن لم يصبر عنها في جميع الأوقات فلم تنتف الاستطاعة للصبر عنه في جميع الأحوال المستقبلة؟.

على أنّ المراد بذلك واضح، وأنّه تعالى خبر عن استثقاله الصبر عن المسألة عمّا لايعرف ولايقف عليه لأنّ مثل ذلك يصعب على النفس، ولهذا يجد أحدنا إذا جرى بين يديه ماينكره ويستبدعه تنازعه نفسه إلى المسألة عنه والبحث عن حقيقته، ويثقل عليه الكفّ عن الفحص عن أمره، فلمّا حدث من صاحب موسى عليه السلام مايستنكر ظاهره استثقل الصبر عن المسألة عن ذلك، ويشهد لهذا الوجه قوله تعالى: «وكيف تصبر على مالم تحط به خبراً» فبيّن أنّ العلّة في قلّة صبره ماذكرناه دون غيره، ولو كان الأمر على ماظنّوا لوجب أن يقول: وكيف تصبر وأنت غير مطيق للصبر؟.

وأمّا قوله تعالى : « ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون » فلاتعلّق لهم بظاهره ، لأنّ السمع ليس بمعنى فيكون مقدوراً ، لأنّ الإدراك على المذهب الصحيح ليس بمعنى ، ولو ثبت أنّه معنى على مايقوله أبوعليّ لكان أيضاً غيرمقدور للعبد من حيث اختصّ القديم تعالى بالقدرة عليه . هذا إن اُريد بالسمع الإدراك ، وإن اُريد به نفس الحاسّة فهي أيضاً غير مقدورة للعباد لأنّ الجواهر وماتختصّ به الحواسّ من البنية والمعاني ليصحّ به الإدراك ممّا ينفرد القديم تعالى بالقدرة عليه [1] فالظاهر لاحجّة لهم فيه .

فإن قالوا : و لعلّ المراد بالسمع كونهم سامعين ، كأنّه نفى عنهم استطاعة أن يسمعوا . قلنا : هذا خلاف الظاهر ، ولو ثبت أنّ المراد ذلك لحملنا نفي الاستطاعة ههنا على ماتقدّم ذكره من الاستثقال وشدّة المشقّة كمايقول القائل : فلان لايستطيع أن يراني ، ولايقدر على أن يكلّمني ، وما أشبه ذلك ، وهذا بيّن لمن تأمّله . [2]

وقال رضي الله عنه : إن سأل سائل عن قوله تعالى : « قال أتعبدون ماتنحتون والله خلقكم وما تعملون » [3] فقال : أليس ظاهر هذا القول يقتضي أنّه خالق لأعمال العباد ؟ لأنّ « ما » ههنا بمعنى « الّذي » فكأنّه قال : خلقكم وخلق أعمالكم .

قلنا : قد حمل أهل الحقّ هذه الآية على أنّ المراد بقوله : وما تعملون أي و ما تعملون فيه من الحجارة والخشب وغيرهما ممّا كانوا يتّخذونه أصناماً ويعبدونها ، قالوا : وغير منكر أن يريد بقوله : وماتعملون ذلك ، كما أنّه قد أراد ماذكرناه بقوله : « أتعبدون ماتنحتون » لأنّه لم يرد أنّكم تعبدون نحتكم الّذي هو فعل لكم بل أراد ماتفعلون فيه النحت ، كما قال تعالى في عصا موسى عليه السلام : « تلقف ما يأفكون » [4] « وتلقف ما

(١) هكذا في النسخ ولكن الصحيح كما في الامالي المطبوع : لايصح بها الادراك فانه مما ينفرد به القديم تعالى بالقدرة عليه .

(٢) يوجد ذلك كله في كتابه الامالي المسمى بالغرر ، في ج ٤ ص٧١-٧٤ ويوجد بعده في ص ١٤٣-١٤٦ من هذا المجلد .

(٣) الصافات : ٩٤ و ٩٥ .

(٤) الاعراف : ١١٧ .

صنعوا»[1] وإنّما أراد أنّ العصا تلقف الحبال الّتي أظهروا سحرهم فيها، وهي الّتي حلّتها صنعتهم وإفكهم فقال: «ماصنعوا وما يأفكون» وأراد ماصنعوا فيه، ومايأفكون فيه، ومثله قوله تعالى: «يعملون له مايشاء من محاريب وتماثيل وجفان»[2] وإنّما أراد المعمول فيه دون العمل ـ وهذا الاستعمال أيضاً سائغ شائع ـ لأنّهم يقولون: هذا الباب عمل النجّار؛ وفي الخلخال: هذا من عمل الصائغ؛ وإن كانت الأجسام الّتي أشير إليها ليست أعمالاً لهم، وإنّما عملوا فيها فحسن إجراء هذه العبارة.

فإن قيل: كلّ الّذي ذكرتموه وإن استعمل فعلى وجه المجاز والاتّساع، لأنّ العمل في الحقيقة لايجري إلّا على فعل الفاعل دون مايفعل فيه، وإن استعير في بعض المواضع. قلنا: ليس نسلّم لكم أنّ الاستعمال الّذي ذكرناه على سبيل المجاز، بل نقول: هو المفهوم الّذي لايستفاد سواه لأنّ القائل إذا قال: هذا الثوب عمل فلان لم يفهم منه إلّا أنّه عمل فيه، ومارأينا أحداً قطّ يقول في الثوب بدلاً من قوله: هذا من عمل فلان: هذا ممّا حلّه عمل فلان؛ فالأوّل أولى بأن يكون حقيقة، وليس ينكر أن يكون الأصل في الحقيقة ماذكروه، ثمّ انتقل بعرف الاستعمال إلى ماذكرناه، وصار أخصّ به وممّا لايستفاد من الكلام سواه كما انتقلت ألفاظ كثيرة على هذا الحدّ، ولا اعتبار بالمفهوم من الألفاظ إلّا بما استقرّ عليه استعمالها دون ما كانت عليه في الأصل فوجب أن يكون المفهوم.

والظاهر من الآية ما ذكرناه على أنّا لو سلّمنا أنّ ذلك مجاز لوجب المصير إليه من وجوه، فمن ذلك[3] أنّه تعالى أخرج الكلام مخرج التهجين لهم، والتوبيخ لأفعالهم، والإزراء على مذاهبهم، فقال «أتعبدون ماتنحتون والله خلقكم وماتعملون» ومتى لم يكن قوله: «وما تعملون» المراد به تعملون فيه ليصير تقدير الكلام أتعبدون الأصنام الّتي تنحتونها، والله خلقكم وخلق هذه الأصنام الّتي تفعلون فيها التخطيط والتصوير لم يكن للكلام معنى ولامدخل في باب التوبيخ، ويصير على مايذكره المخالف كأنّه

---

(١) طه: ٦٩ أقول: لقف الشيء: تناوله بسرعة.

(٢) سبا: ١٣.

(٣) في الامالي المطبوع هكذا: منها مايشهد به ظاهر الاية ويقتضيه ولايسوغ سواه، و منها ماتقتضيه الادلة القاطعة الخارجة عن الاية، فمن ذلك أنه تعالى أخرج. إه

قال : أتعبدون ماتنحتون والله خلقكم و خلق عباداتكم فأيّ وجه للتقريع ، وهذا إلى أن يكون عذراً أقرب من أن يكون لوماً وتوبيخاً لأنّه إذا خلق عبادتهم للأصنام فأيّ وجه للومهم عليها .[1] على أنّ قوله تعالى : « والله خلقكم وما تعملون» بعد قوله : «أتعبدون ماتنحتون » إنّما خرج مخرج التعليل للمنع من عبادة غيره تعالى فلابدّ أن يكون متعلّقاً بماتقدّم من قوله : « أتعبدون ماتنحتون » و مؤثّراً في المنع من عبادة غير الله ، فلو أفاد قوله : « ماتعملون » نفس العمل الّذي هو النحت دون المعمول فيه لكان لافائدة في الكلام لأنّ القوم لم يكونوا يعبدون النحت ، وإنّما كانوا يعبدون محلّه ، وأنّه كان لاحظّ في الكلام للمنع من عبادة الأصنام ، وكذلك إن حمل قوله تعالى : «ماتعملون» على أعمال أُخر ليست نحتهم ولاهي ماعملوا فيه لكان أظهر في باب اللّغو والعبث والبعد عن التعلّق بماتقدّم ، فلم يبق إلا أنّه أراد أنّه خلقكم وماتعملون فيه النحت فكيف تعبدون مخلوقاً مثلكم ؟ !

فإن قيل : لمَ زعمتم أنّه لو كان الأمر على ماذكرناه لم يكن للقول الثاني حظّ في باب المنع من عبادة الأصنام ؟ وما تنكرون أن يكون لما ذكرناه وجه في المنع من ذلك ، على أنّ ماذكرتموه أيضاً لو اُريد لكان وجهاً ، وهو أنّ من خلقنا وخلق الأفعال فينا لايكون إلّا الإله القديم الّذي تحقّ له العبادة ، وغير القديم تعالى كمايستحيل أن يخلقنا يستحيل أن يخلق فينا الأفعال على الوجه الّذي يخلقها القديم عليه فصار لما ذكرناه تأثير .

قلنا : معلوم أنّ الثاني إذا كان كالتعليل للأوّل والمؤثّر في المنع من العبادة فلأن يتضمّن أنّكم مخلوقان وما تعبدونه أولى من أن ينصرف إلى ماذكرتموه ممّا لايقتضي أكثر من خلقهم دون خلق ماعبدوه فإنّه لاشيء أدلّ على المنع من عبادة الأصنام من كونها مخلوقة كما أنّ عابدها مخلوق ، ويشهد بما ذكرناه قوله تعالى في موضع آخر : «أيشركون مالايخلق شيئاً وهم يخلقون ولايستطيعون لهم نصراً ولا أنفسهم ينصرون»[2]

(١) اضاف في الامالي المطبوع : وتقريعهم بها .

(٢) الاعراف : ١٩١ - ١٩٢ .

فاحتجّ تعالى عليهم في المنع من عبادة الآلهة دونه بأنّها مخلوقة لاتخلق شيئاً ولاتدفع عن أنفسها ضرّاً ولاعنهم ، وهذا واضح على أنّه لوساوى ماذكروه ماذكرناه في التعلّق بالأوّل لم يسغ حمله على ما ادّعوه لأنّ فيه عذراً لهم في الفعل الّذي عنّفوا به وقرّعوا من أجله ، وقبيح أن يوبّخهم بمايعذرهم ، ويذمّهم بماينزّههم على ماتقدّم ؛ على أنّا لانسلّم أنّ من يفعل أفعال العباد ويخلقها يستحقّ العبادة لأنّ من جملة أفعالهم القبائح ، ومن فعل القبائح لايكون إلهاً ولاتحقّ العبادة له ، فخرج ماذكروه من أن يكون مؤثّراً في انفراده بالعبادة ؛ على أنّ إضافته العمل إليهم بقوله تعالى : «تعملون» يبطل تأويلهم هذه الآية ، لأنّه لوكان خالقاً له لم يكن عملاً لهم لأنّ العمل إنّما يكون عملاً لمن يحدثه و يوجده ، فكيف يكون عملاً لهم والله خلقه ؟ ! وهذه مناقضة لهم ، فثبت بهذا أنّ الظاهر شاهد لنا أيضاً ؛ على أنّ قوله : « وما نعملون » يقتضي الاستقبال ، وكلّ فعل لم يوجد فهو معدوم ، ومحال أن يقول تعالى : إنّي خالق للمعدوم .

فإن قالوا : اللّفظ و إن كان للاستقبال فالمراد به الماضي فكأنّه قال : والله خلقكم وما عملتم . قلنا : هذا عدول منكم عن الظاهر الّذي ادّعيتم أنّكم متمسّكون به ، وليس أنتم بأن تعدلوا عنه بأولى منّا ، بل نحن أحقّ لأنّا نعدل عنه بدلالة ، و أنتم تعدلون بغير حجّة .

فإن قالوا : فأنتم تعدلون عن هذا الظاهر بعينه على تأويلكم ، وتحملون لفظ الاستقبال على لفظ الماضي . قلنا : نحن لانحتاج في تأويلنا إلى ذلك لأنّا إذا حملنا قوله : «وماتعملون» على الأصنام المعمول فيها ومعلوم أنّ الأصنام موجودة قبل عملهم فيها فجاز أن يقول تعالى : « إنّي خلقتها » ولايجوز أن يقول : « إنّي خلقت ماسيقع من العمل في المسبقبل » على أنّه لوأراد بذلك أعمالهم لاماعملوا فيه على ما ادّعوه لم يكن في الظاهر حجّة على ما يريدون لأنّ الخلق هو التقدير والتدبير ، وليس يمتنع في اللّغة أن يكون الخالق خالقاً لفعل غيره إذا قدّره و دبّره ألاترى أنّهم يقولون : خلقت الأديم وإن لم يكن الأديم فعلاً لمن يقول ذلك فيه ؟ ويكون معنى خلقه لأفعال العباد أنّه مقدّر لها ومعرّف لنا مقاديرها ومراتبها ، ومابه نستحقّ عليها من الجزاء .

﴿باب ٢﴾

﴿آخر وهو من الباب الاول﴾

وفيه رسالة أبي الحسن الثالث صلوات الله عليه في الردّ على أهل الجبر والتفويض و إثبات العدل والمنزلة بين المنزلتين بوجه أبسط تمام.

١ - ف : من عليّ بن محمّد : سلام عليكم وعلى من اتّبع الهدى و رحمة الله وبركاته، فإنّه ورد عليّ كتابكم وفهمت ماذكرتم من اختلافكم في دينكم وخوضكم في القدر، ومقالة من يقول منكم بالجبر، ومن يقول بالتفويض، وتفرّقكم في ذلك وتقاطعكم، وما ظهر من العداوة بينكم، ثمّ سألتموني عنه و بيانه لكم وفهمت ذلك كلّه، اعلموا رحمكم الله أنّا نظرنا في الآثار وكثرة ماجاءت به الأخبار فوجدناها عند جميع من ينتحل الإسلام[١] ممّن يعقل عن الله جلّ وعزّ لاتخلو من معنيين : إمّا حقّ فيتّبع، و إمّا باطل فيجتنب، وقد اجتمعت الأمّة قاطبة لااختلاف بينهم أنّ القرآن حقّ لاريب فيه عند جميع أهل الفرق، وفي حال اجتماعهم مقرّون بتصديق الكتاب و تحقيقه مصيبون مهتدون، وذلك بقول رسول الله صلى الله عليه وآله : «لاتجتمع أمّتي على ضلالة» فأخبر أنّ جميع ما اجتمعت عليه الأمّة كلّها حقّ، هذا إذا لم يخالف بعضها بعضاً، والقرآن حقّ لا اختلاف بينهم في تنزيله وتصديقه، فإذا شهد القرآن بتصديق خبر وتحقيقه وأنكر الخبر طائفة من الأمّة لزمهم الإقرار به ضرورة، حين[٢] اجتمعت في الأصل على تصديق الكتاب، فإن هي جحدت وأنكرت لزمها الخروج من الملّة، فأوّل خبر يعرف تحقيقه من الكتاب و تصديقه والتماس شهادته عليه خبر ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله، و وجد بموافقة الكتاب وتصديقه، بحيث لاتخالفه أقاويلهم حيث قال : «إنّي مخلّف فيكم الثقلين كتاب الله و عترتي أهل بيتي لن تضلّوا ماتمسّكتم بهما و أنّهما لن يفترقا حتّى يردا

(*) أورد شطراً من الحديث عن الاحتجاج في الباب المتقدم تحت رقم ٣٠ .

(١) أى من ينتسب إليه .

(٢) فى نسخة : حيث .

عليّ الحوض.[١]» فلمّا وجدنا شواهد هذا الحديث في كتاب الله نصّاً مثل قوله جلّ وعزّ: «إنّما وليّكم الله و رسوله والّذين آمنوا الّذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ومن يتولّ الله و رسوله و الّذين آمنوا فإنّ حزب الله هم الغالبون»[٢] وروت العامّة في ذلك أخباراً لأمير المؤمنين عليه السلام أنّه تصدّق بخاتمه وهو راكع فشكر الله ذلك له وأنزل الآية فيه، فوجدنا رسول الله صلى الله عليه وآله قد أتى بقوله: «من كنت مولاه فعليّ مولاه. و بقوله: «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لانبيّ بعدي. و وجدناه يقول: «عليّ يقضي ديني وينجز موعدي وهو خليفتي عليكم من بعدي. فالخبر الأوّل الّذي استنبط منه هذه الأخبار خبر صحيح مجمع عليه لا اختلاف فيه عندهم، وهو أيضاً موافق للكتاب، فلمّا شهد الكتاب بتصديق الخبر وهذه الشواهد الأُخر لزم على الأمّة الإقرار بها ضرورة، إذ كانت هذه الأخبار شواهدها من القرآن ناطقة، و وافقت القرآن والقرآن وافقها، ثمّ وردت حقائق الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وآله، عن الصادقين عليهم السلام نقلها قوم ثقاة معروفون فصار الاقتداء بهذه الأخبار فرضاً واجباً على كلّ مؤمن و مؤمنة، لايتعدّاه إلّا أهل العناد، و ذلك أنّ أقاويل آل رسول الله صلى الله عليه وآله متّصلة بقول الله، و ذلك مثل قوله في محكم كتابه: «إنّ الّذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعدّ لهم عذاباً مهيناً» ووجدنا نظير هذه الآية قول رسول الله صلى الله عليه وآله: «من آذى عليّاً فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله يوشك أن ينتقم منه» وكذلك قوله صلى الله عليه وآله: «من أحبّ عليّاً فقد أحبّني، ومن أحبّني فقد أحبّ الله» ومثل قوله صلى الله عليه وآله في بني وليعة:[٣] «لأبعثنّ إليهم رجلاً كنفسي يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله و رسوله قم ياعليّ فسر إليهم» وقوله صلى الله عليه وآله يوم خيبر: «لأبعثنّ إليهم غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله، ويحبّه الله ورسوله، كرّاراً غير فرّار، لايرجع حتّى يفتح الله عليه» فقضى

(١) سيوافيك الحديث وما يأتي بعدها من الاحاديث الواردة في أمير المؤمنين عليه السلام بأسنادها المتفقة عليها عند جمهور المسلمين في كتاب الامامة.

(٢) سيأتي كلام المفسرين من العامة والخاصة حول الاية وغيرها مما نزلت في أمير المؤمنين عليه السلام في كتاب الامامة.

(٣) قال الفيروزآبادي في القاموس: بنو وليعة كسفينة: حي من كندة.

رسول الله صلى الله عليه وآله بالفتح قبل التوجيه فاستشرف لكلامه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، فلمّا كان من الغد دعا عليّاً عليه السلام فبعثه إليهم فاصطفاه بهذه الصفة[1] وسمّاه كرّاراً غير فرّار، فسمّاه الله محبّاً لله ولرسوله، فأخبر أنّ الله ورسوله يحبّانه. وإنّما قدّمنا هذا الشرح والبيان دليلاً على ما أردنا وقوّة لما نحن مبيّنوه من أمر الجبر والتفويض، والمنزلة بين المنزلتين، و بالله العون والقوّة وعليه نتوكّل في جميع اُمورنا، فإنّا نبدأ من ذلك بقول الصادق عليه السلام: «لا جبر ولا تفويض ولكن منزلة بين المنزلتين» وهي صحّة الخلقة، و تخلية السرب، والمهلة في الوقت، والزاد مثل الراحلة، و السبب المهيّج للفاعل على فعله؛ فهذه خمسة أشياء جمع بها الصادق عليه السلام جوامع الفضل فإذا نقص العبد منها خلّة[2] كان العمل عنه مطروحاً بحسبه، فأخبر الصادق عليه السلام بأصل ما يجب على الناس من طلب معرفته، ونطق الكتاب بتصديقه، فشهد بذلك محكمات آيات رسوله، لأنّ الرسول صلى الله عليه وآله و آله عليهم السلام لا يعدو شيء من قوله وأقاويلهم حدود القرآن فإذا وردت حقائق الأخبار والتمست شواهدها من التنزيل فوجد لها موافقاً وعليها دليلاً كان الاقتداء بها فرضاً لا يتعدّاه إلّا أهل العناد كما ذكرنا في أوّل الكتاب، ولمّا التمسنا تحقيق ما قاله الصادق عليه السلام من المنزلة بين المنزلتين وإنكاره الجبر والتفويض وجدنا الكتاب قد شهد له وصدّق مقالته في هذا وخبّر عنه أيضاً موافقاً لهذا أنّ الصادق عليه السلام سئل: هل أجبر الله العباد على المعاصي؟ فقال الصادق عليه السلام: هو أعدل من ذلك، فقيل له: فهل فوّض إليهم؟ فقال عليه السلام: هو أعزّ وأقهر لهم من ذلك.

و روي عنه أنّه قال: الناس في القدر على ثلاثة أوجه: رجل يزعم أنّ الأمر مفوّض إليه فقد وهن الله في سلطانه فهو هالك، و رجل يزعم أنّ الله جلّ و عزّ أجبر العباد على المعاصي وكلّفهم ما لا يطيقون فقد ظلّم الله في حكمه فهو هالك، ورجل يزعم أنّ الله كلّف العباد ما يطيقون ولم يكلّفهم ما لا يطيقون فإذا أحسن حمد الله وإذا أساء استغفر الله فهذا

(١) في نسخة: المنقبة.

(٢) بضم الخاء وفتحها: خصلة.

مسلم بالغ ، فأخبر عليه السلام أن من تقلّد الجبر والتفويض ودان بهما فهو على خلاف الحقّ ، فقد شرحت الجبر الّذي من دان به يلزمه الخطاء ، و أنّ الّذي يتقلّد التفويض يلزمه الباطل فصارت المنزلة بين المنزلتين بينهما ، ثمّ قال : وأضرب لكلّ باب من هذه الأبواب مثلاً يقرّب المعنى للطالب ويسهّل له البحث عن شرحه ، تشهد به محكمات آيات الكتاب ، وتحقّق تصديقه عند ذوي الألباب وبالله التوفيق والعصمة .

فأمّا الجبر الّذي يلزم من دان به الخطاء فهو قول من زعم أنّ الله جلّ وعزّ أجبر العباد على المعاصي و عاقبهم عليها ، ومن قال بهذا القول فقد ظلّم الله في حكمه وكذّبه وردّ عليه قوله : « ولا يظلم ربّك أحداً » وقوله : « ذلك بما قدّمت يداك وأنّ الله ليس بظلّام للعبيد » وقوله : « إنّ الله لا يظلم الناس شيئاً ولكنّ الناس أنفسهم يظلمون » مع آي كثيرة في ذكر هذا ، فمن زعم أنّه مجبر على المعاصي فقد أحال بذنبه على الله ، وقد ظلّمه في عقوبته ، ومن ظلّم الله فقد كذّب كتابه ، و من كذّب كتابه فقد لزمه الكفر باجتماع الاُمّة ، ومثل ذلك مثل رجل ملك عبداً مملوكاً لا يملك نفسه ، ولا يملك عرضاً من عروض الدنيا ، و يعلم مولاه ذلك منه ، فأمره على علم منه بالمصير إلى السوق لحاجة يأتيه بها ولم يملّكه ثمن ما يأتيه به من حاجته ، وعلم المالك أنّ على الحاجة رقيباً لا يطمع أحد في أخذها منه إلّا بما يرضى به من الثمن ، وقد وصف مالك هذا العبد نفسه بالعدل والنصفة ، وإظهار الحكمة ، ونفي الجور ، وأوعد عبده إن لم يأته بحاجته أن يعاقبه على علم منه بالرقيب الّذي على حاجته أنّه سيمنعه ، وعلم أنّ المملوك لا يملك ثمنها ولم يملّكه ذلك ، فلمّا صار العبد إلى السوق وجاء ليأخذ حاجته الّتي بعثه المولى لها وجد عليها مانعاً يمنع منها إلّا بشراء وليس يملك العبد ثمنها فانصرف إلى مولاه خائباً بغير قضاء حاجته ، فاغتاظ مولاه من ذلك وعاقبه عليه ، أليس يجب في عدله وحكمته أن لا يعاقبه وهو يعلم أنّ عبده لا يملك عرضاً من عروض الدنيا ولم يملّكه ثمن حاجته ؟ فإن عاقبه عاقبه ظالماً متعدّياً عليه ، مبطلاً لما وصف من عدله وحكمته ونصفته ، وإن لم يعاقبه كذّب نفسه في وعيده إيّاه حين أوعده بالكذب والظلم اللّذين ينفيان العدل والحكمة ، تعالى عمّا يقولون علوّاً كبيراً ؛ فمن دان بالجبر أو بما يدعو

إلى الجبر فقد ظلّم الله ، ونسبه إلى الجور والعدوان ، إذ أوجب على من أُجبر العقوبة ، ومن زعم أنّ الله أجبر العباد فقد أوجب على قياس قوله أنّ الله يدفع عنهم العقوبة ، ومن زعم أنّ الله يدفع عن أهل المعاصي العذاب فقد كذّب الله في وعيده ، حيث يقول : « بلى من كسب سيّئة وأحاطت به خطيئته فاُولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » وقوله : « إنّ الّذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنّما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً » و قوله : « إنّ الّذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم ناراً كلّما نضجت جلودهم بدّلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب إنّ الله كان عزيزاً حكيماً » مع آي كثيرة في هذا الفنّ ، فمن كذّب وعيد الله يلزمه في تكذيبه آية من كتاب الله الكفر ، وهو ممّن قال الله : « أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلّا خزي في الحيوة الدنيا و يوم القيمة يردّون إلى أشدّ العذاب وما الله بغافل عمّا يعملون » بل نقول : إنّ الله عزّ وجلّ جازى العباد على أعمالهم ، ويعاقبهم على أفعالهم بالاستطاعة الّتي ملّكهم إيّاها فأمرهم ونهاهم ، بذلك ونطق كتابه « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيّئة فلا يجزى إلّا مثلها وهم لا يظلمون » وقال جلّ ذكره : « يوم تجد كلّ نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تودّ لو أنّ بينها وبينه أمداً بعيداً و يحذّركم الله نفسه » وقال : « اليوم تجزى كلّ نفس بما كسبت لا ظلم اليوم » فهذه آيات محكمات تنفي الجبر ومن دان به ، ومثلها في القرآن كثير ، اختصرنا ذلك لئلّا يطول الكتاب ، وبالله التوفيق .

فأمّا التفويض الّذي أبطله الصادق عليه السلام وخطّأ من دان به و تقلّده فهو قول القائل : إنّ الله جلّ ذكره فوّض إلى العباد اختيار أمره ونهيه وأهملهم ، وفي هذا كلام دقيق لمن يذهب إلى تحريره ودقّته ، وإلى هذا ذهبت الأئمّة المهتدية من عترة الرسول عليهم السلام ، فإنّهم قالوا : لو فوّض إليهم على جهة الإهمال لكان لازماً له رضى ما اختاروه ، واستوجبوا به الثواب ، ولم يكن عليهم فيما جنوه العقاب إذا كان الإهمال واقعاً ، و تنصرف هذه المقالة على معنيين : إمّا أن يكون العباد تظاهروا عليه فألزموه قبول اختيارهم بآرائهم ضرورة ، كره ذلك أم أحبّ ، فقد لزمه الوهن ؛ أو يكون جلّ وعزّ عجز عن تعبّدهم بالأمر والنهي على إرادته ، كرهوا أو أحبّوا ففوّض أمره ونهيه إليهم

وأجراهما على محبّتهم ، إذ عجز عن تعبّدهم بإرادته فجعل الاختيار إليهم في الكفر والإيمان ، ومثل ذلك مثل رجل ملك عبداً ابتاعه ليخدمه ، ويعرّف له فضل ولايته ، ويقف عند أمره ونهيه ، وادّعى مالك العبد أنّه قاهر عزيز حكيم فأمر عبده و نهاه و وعده على اتّباع أمره عظيم الثواب ، وأوعده على معصيته أليم العقاب ، فخالف العبد إرادة مالكه ، ولم يقف عند أمره ونهيه ، فأيّ أمر أمره به أو أيّ نهي نهاه عنه لم يأته على إرادة المولى ، بل كان العبد يتّبع إرادة نفسه ، واتّباع هواه ، ولا يطيق المولى أن يردّه إلى اتّباع أمره ونهيه والوقوف على إرادته ، ففوّض اختيار أمره و نهيه إليه ورضي منه بكلّ ما فعله على إرادة العبد لا على إرادة المالك ، و بعثه في بعض حوائجه وسمّى له الحاجة فخالف على مولاه ، وقصد لإرادة نفسه ، واتّبع هواه ، فلمّا رجع إلى مولاه نظر إلى ما أتاه به فإذا هو خلاف ما أمره به فقال له : لمَ أتيتني بخلاف ما أمرتك ؟ فقال العبد : اتّكلت على تفويضك الأمر إليّ فاتّبعت هواي و إرادتي لأنّ المفوّض إليه غير محظور عليه فاستحال التفويض ، أوليس يجب على هذا السبب إمّا أن يكون المالك للعبد قادراً يأمر عبده باتّباع أمره ونهيه على إرادته لا على إرادة العبد ، ويملّكه من الطاقة بقدر ما يأمره به وينهاه عنه ، فإذا أمره بأمر ونهاه عن نهي عرّفه الثواب والعقاب عليهما وحذّره ورغّبه بصفة ثوابه وعقابه ليعرف العبد قدرة مولاه بما ملّكه من الطاقة لأمره ونهيه و ترغيبه و ترهيبه فيكون عدله و إنصافه شاملاً له ، و حجّته واضحة عليه للإعذار والإنذار . فإذا اتّبع العبد أمر مولاه جازاه ، و إذا لم يزدجر عن نهيه عاقبه ؟ أو يكون عاجزاً غير قادر ففوّض أمره إليه أحسن أم أساء أطاع أم عصى عاجز عن عقوبته وردّه إلى اتّباع أمره ، وفي إثبات العجز نفي القدرة والتألّه ، و إبطال الأمر والنهي والثواب والعقاب ، ومخالفة الكتاب ، إذ يقول : « و لا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم » و قوله عزّ وجلّ : « اتّقوا الله حقّ تقاته ولا تموتنّ إلّا وأنتم مسلمون » وقوله : « وما خلقت الجنّ والإنس إلّا ليعبدون ما اُريد منهم من رزق وما اُريد أن يطعمون » وقوله : « اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً » وقوله : « وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول و لا تولّوا عنه وأنتم تسمعون » فمن زعم أنّ الله تعالى فوّض أمره

ونهيه إلى عباده فقد أثبت عليه العجز، وأوجب عليه قبول كلّ ما عملوا من خير وشرّ، وأبطل أمر الله ونهيه، ووعده ووعيده لعلّة مازعم أنّ الله فوّضها إليها لأنّ المفوّض إليه يعمل بمشيّته، فإن شاء الكفر أو الإيمان كان غير مردود عليه ولا محظور فمن دان بالتفويض على هذا المعنى فقد أبطل جميع ما ذكرنا من وعده ووعيده وأمره ونهيه، وهو من أهل هذه الآية «أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلّا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيمة يردّون إلى أشدّ العذاب وما الله بغافل عمّا تعملون» تعالى الله عمّا يدين به أهل التفويض علوّاً كبيراً؛ لكن نقول: إنّ الله عزّ وجلّ خلق الخلق بقدرته، وملّكهم استطاعة تعبّدهم بها، فأمرهم ونهاهم بما أراد فقبل منهم اتّباع أمره ورضي بذلك لهم، ونهاهم عن معصيته وذمّ من عصاه وعاقبه عليها، ولله الخيرة في الأمر والنهي، يختار ما يريد ويأمر به، وينهى عمّا يكره ويعاقب عليه، بالاستطاعة الّتي ملّكها عباده لاتّباع أمره واجتناب معاصيه لأنّه ظاهر العدل والنصفة والحكمة البالغة، بالغ الحجّة بالإعذار والإنذار، وإليه الصفوة يصطفي من يشاء من عباده لتبليغ رسالته واحتجاجه على عباده اصطفى محمّداً صلّى الله عليه وآله وبعثه برسالاته إلى خلقه فقال من قال من كفّار قومه حسداً واستكباراً: «لولا نزّل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم» يعني بذلك أُميّة بن أبي الصلت وأبا مسعود الثقفيّ، فأبطل الله اختيارهم ولم يجز لهم آراءهم حيث يقول: «أهم يقسمون رحمة ربّك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتّخذ بعضهم بعضاً سخريّاً ورحمة ربّك خير ممّا يجمعون» ولذلك اختار من الأُمور ما أحبّ، ونهى عمّا كره، فمن أطاعه أثابه، ومن عصاه عاقبه، ولو فوّض من اختيار أمره إلى عباده لأجاز لقريش اختيار أُميّة ابن أبي الصلت وأبي مسعود الثقفيّ إذ كانا عندهم أفضل من محمّد صلّى الله عليه وآله، فلمّا أدّب الله المؤمنين بقوله: «وما كان لمؤمن ولامؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم» فلم يجز لهم الاختيار بأهوائهم ولم يقبل منهم إلّا اتّباع أمره واجتناب نهيه على يدي من اصطفاه فمن أطاعه رشد، ومن عصاه ضلّ وغوى ولزمته الحجّة بما ملّكه من الاستطاعة لاتّباع أمره واجتناب

نهيه ، فمن أجل ذلك حرمه ثوابه ، وأنزل به عقابه ، وهذا القول بين القولين ليس بجبر ولا تفويض وبذلك أخبر أمير المؤمنين صلوات الله عليه عباية بن ربعيّ الأسديّ حين سأله عن الاستطاعة الّتي بها يقوم ويقعد و يفعل ، فقال له أمير المؤمنين : سألت عن الاستطاعة تملكها من دون الله أو مع الله ؟ فسكت عباية ، فقال له أمير المؤمنين : قل ياعباية ، قال وماأقول ؟ قال عليه السلام : إن قلت إنّك تملكها مع الله قتلتك ! و إن قلت : تملكها دون الله قتلتك ! قال عباية : فماأقول ياأمير المؤمنين عليه السلام ؟ قال عليه السلام : تقول : إنّك تملكها بالله الّذي يملكها من دونك ، فإن يملّكها إيّاك كان ذلك من عطائه ، وإن يسلبكها كان ذلك من بلائه هو المالك لما ملّكك ، و القادر على ماعليه أقدرك ، أما سمعت الناس يسألون الحول والقوّة حين يقولون : لاحول ولا قوّة إلّا بالله ؟ قال عباية : وما تأويلها يا أمير المؤمنين ؟ قال : عليه السلام لاحول عن معاصي الله إلّا بعصمة الله ، ولا قوّة لنا على طاعة الله إلّا بعون الله ، قال : فوثب عباية فقبّل يديه و رجليه .

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام حين أتاه نجدة يسأله عن معرفة الله قال : يا أمير المؤمنين بماذا عرفت ربّك ؟ قال عليه السلام : بالتمييز الّذي خوّلني ، [1] والعقل الّذي دلّني ، قال : أفمجبول أنت عليه ؟ قال : لو كنت مجبولاً ما كنت محموداً على إحسان ، ولا مذموماً على إساءة ، وكان المحسن أولى باللائمة من المسيء ، فعلمت أنّ الله قائم باق ، ومادونه حدث حائل زائل ، وليس القديم الباقي كالحدث الزائل . قال نجدة : أجدك أصبحت حكيماً يا أمير المؤمنين ! قال : أصبحت مخيّراً فإن أتيت السيّئة بمكان الحسنة فأنا المعاقب عليها .

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال لرجل سأله بعد انصرافه من الشام فقال : يا أمير المؤمنين أخبرنا عن خروجنا إلى الشام بقضاء وقدر ؟ قال : نعم يا شيخ ما علوتم تلعة ولا هبطتم وادياً إلّا بقضاء وقدر من الله ، فقال الشيخ : عندالله أحتسب عنائي يا أمير المؤمنين ، فقال : مه يا شيخ فإنّ الله قدعظّم أجركم في مسيركم و أنتم سائرون ، وفي مقامكم وأنتم مقيمون ، وفي انصرافكم وأنتم منصرفون ، ولم تكونوا في شيء من اُموركم

---

(١) خوله الشيء : أعطاه إياه متفضلا ، أوملكه إياه .

مكرهين، ولا إليه مضطرّين، لعلّك ظننت أنّه قضاء حتم وقدر لازم، ولو كان ذلك كذلك لبطل الثواب والعقاب، ولسقط الوعد والوعيد، ولما ألزمت الأشياء أهلها على الحقائق، ذلك مقالة عبدة الأوثان وأولياء الشياطين[1] إنّ الله جلّ وعزّ أمر تخييراً، ونهى تحذيراً، ولم يطع مكرهاً، ولم يعص مغلوباً، ولم يخلق السماوات والأرض وما بينهما باطلاً ذلك ظنّ الّذين كفروا فويل للّذين كفروا من النار. فقام الشيخ فقبّل رأس أمير المؤمنين عليه السلام وأنشأ يقول:

أنت الإمام الّذي نرجو بطاعته ✫ يوم النجاة من الرحمن غفرانا
أوضحت من ديننا ما كان ملتبساً ✫ جزاك ربّك عنّا فيه رضوانا
فليس معذرة في فعل فاحشة ✫ عندي لراكبها ظلماً و عصيانا

فقد دلّ قول أمير المؤمنين عليه السلام على موافقة الكتاب ونفي الجبر والتفويض اللّذين يلزمان من دان بهما وتقلّدهما الباطل و الكفر و تكذيب الكتاب، و نعوذ بالله من الضلالة والكفر، ولسنا ندين بجبر ولا تفويض، لكنّا نقول بمنزلة بين المنزلتين، وهو الامتحان والاختبار بالاستطاعة الّتي ملّكنا الله وتعبّدنا بها على ما شهد به الكتاب ودان به الأئمّة الأبرار من آل الرسول صلوات الله عليهم.

ومثل الاختبار بالاستطاعة مثل رجل ملك عبداً وملك مالاً كثيراً أحبّ أن يختبر عبده على علم منه بما يؤول إليه، فملّكه من ماله بعض ما أحبّ، ووقفه على أمور عرّفها العبد، فأمره أن يصرف ذلك المال فيها؛ ونهاه عن أسباب لم يحبّها، وتقدّم إليه أن يجتنبها، ولا ينفق من ماله فيها، والمال يتصرّف في أيّ الوجهين؛ فصرف المال أحدهما في اتّباع أمر المولى ورضاه، والآخر صرفه في اتّباع نهيه وسخطه، وأسكنه دار اختبار أعلمه أنّه غير دائم له السكنى في الدار، وأنّ له داراً غيرها، وهو مخرجه إليها فيها ثواب وعقاب دائمان، فإن أنفذ العبد المال الّذي ملّكه مولاه في الوجه الّذي أمره به جعل له ذلك الثواب الدائم في تلك الدار الّتي أعلمه أنّه مخرجه إليها، وإن أنفق المال في الوجه الّذي نهاه عن إنفاقه فيه جعل له ذلك العقاب الدائم في دار الخلود،

(١) في المصدر: الشيطان. م

و قد حدّ المولى في ذلك حدّاً معروفاً وهو المسكن الّذي أسكنه في الدار الأولى ، فإذا بلغ الحدّ استبدل المولى بالمال وبالعبد على أنّه لم يزل مالكاً للمال والعبد في الأوقات كلّها ، إلّا أنّه وعد أن لا يسلبه ذلك المال ما كان في تلك الدار الأولى إلّا أن يستتمّ[1] سكناه فيها ؛ فوفى له لأنّ من صفات المولى العدل والوفاء والنصفة والحكمة أوليس يجب إن كان ذلك العبد صرف ذلك المال في الوجه المأمور به أن يفي له بما وعده من الثواب وتفضّل عليه بأن استعمله في دار فانية و أثابه على طاعته فيها نعيماً دائماً في دار باقية دائمة ؟ و إن صرف العبد المال الّذي ملّكه مولاه أيّام سكناه تلك الدار الأولى في الوجه المنهيّ عنه وخالف أمر مولاه كذلك يجب عليه العقوبة الدائمة الّتي حذّره إيّاها غير ظالم له لما تقدّم إليه وأعلمه وعرّفه وأوجب له الوفاء بوعده ووعيده بذلك يوصف القادر القاهر ؟

وأمّا المولى فهو الله جلّ وعزّ ، وأمّا العبد فهو ابن آدم المخلوق ، و المال قدرة الله الواسعة ، ومحنته إظهار الحكمة والقدرة ، والدار الفانية هي الدنيا ، و بعض المال الّذي ملّكه مولاه هو الاستطاعة الّتي ملّك ابن آدم ، والأمور الّتي أمر الله بصرف المال إليها هو الاستطاعة لاتّباع الأنبياء و الإقرار بما أوردوه عن الله جلّ و عزّ ، واجتناب الأسباب الّتي نهى عنها هي طرق إبليس ؛ و أمّا وعده فالنعيم الدائم وهي الجنّة ، و أمّا الدار الفانية فهي الدنيا ، وأمّا الدار فهي الدار الباقية وهي الآخرة ، والقول بين الجبر و التفويض هو الاختبار والامتحان والبلوى بالاستطاعة الّتي ملك العبد ؛ وشرحها في خمسة الأمثال الّتي ذكرها الصادق عليه السلام أنّها جمعت جوامع الفضل ، و أنا مفسّرها بشواهد من القرآن والبيان إن شاء الله .

تفسير صحّة الخلقة ، أمّا قول الصادق عليه السلام فإنّ معناه كمال الخلق للإنسان بكمال[2] الحواسّ وثبات العقل والتمييز ، و إطلاق اللّسان بالنطق ، وذلك قول الله : «ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البرّ والبحر ورزقناهم من الطيّبات و فضّلناهم على

(١) في المصدر : الى ان يستتم . م

(٢) في المصدر : وكمال الحواس . م

كثير ممّن خلقنا تفضيلاً» فقد أخبر عزّ وجلّ عن تفضيله بني آدم على سائر خلقه من البهائم والسباع ودوابّ البحر والطير وكلّ ذي حركة تدركه حواسّ بني آدم بتمييز العقل والنطق، وذلك قوله: «لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم» وقوله، «يا أيّها الإنسان ماغرّك بربّك الكريم الّذي خلقك فسوّاك فعدلك في أيّ صورة ماشاء ركّبك» وفي آيات كثيرة، فأوّل نعمة الله على الإنسان صحّة عقله وتفضيله على كثير من خلقه بكمال العقل وتمييز البيان، وذلك أنّ كلّ ذي حركة على بسيط الأرض هو قائم بنفسه بحواسّه مستكمل في ذاته ففضّل بني آدم بالنطق الّذي ليس في غيره من الخلق المدرك بالحواسّ.

فمن أجل النطق ملّك الله ابن آدم غيره من الخلق حتّى صار آمراً ناهياً، وغيره مسخّر له، كما قال الله: «كذلك سخّرها لكم لتكبّروا الله على ما هداكم» وقال: «وهو الّذي سخّر البحر لتأكلوا منه لحماً طريّاً وتستخرجوا منه حلية تلبسونها» وقال: «والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلّا بشقّ الأنفس» فمن أجل ذلك دعا الله الإنسان إلى اتّباع أمره وإلى طاعته بتفضيله إيّاه باستواء الخلق وكمال النطق والمعرفة، بعد أن ملّكهم استطاعة ما كان تعبّدهم به بقوله: «فاتّقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا» وقوله: «لايكلّف الله نفساً إلّا وسعها» وقوله: «لايكلّف الله نفساً إلّا ما آتيها» وفي آيات كثيرة.

فإذا سلب العبد حاسّة من حواسّه رفع العمل عنه بحاسّته كقوله: «ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج» الآية، فقد رفع عن كلّ من كان بهذه الصفة الجهاد وجميع الأعمال الّتي لايقوم إلّا بها، وكذلك أوجب على ذي اليسار الحجّ والزكاة لما ملّكه من استطاعة ذلك، ولم يوجب على الفقير الزكاة والحجّ، قوله تعالى: «ولله على الناس حجّ البيت من استطاع إليه سبيلاً» وقوله في الظهار: «والّذين يظاهرون من نسائهم ثمّ يعودون لما قالوا فتحرير رقبة» إلى قوله: «فمن لم يستطع فإطعام ستّين مسكيناً» كلّ ذلك دليل على أنّ الله تبارك وتعالى لم يكلّف عباده إلا ماملّكهم استطاعته بقوّة العمل به، ونها هم عن مثل ذلك فهذه صحّة الخلقة.

وأمّا قوله : تخلية السرب فهو الّذي ليس عليه رقيب يحظر عليه ويمنعه العمل بما أمره الله به وذلك قوله في من استضعف وحظر عليه العمل فلم يجد حيلة ولم يهتد سبيلاً[1] : «من الرجال والنساء والولدان لايستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً» فأخبر أنّ المستضعف لم يخلّ سربه وليس عليه من القول شيء إذا كان مطمئنّ القلب بالإيمان .

وأمّا المهلة في الوقت فهو العمر الّذى يمتّع به الإنسان[2] من حدّ ما يجب عليه المعرفة إلى أجل الوقت ، وذلك من وقت تمييزه وبلوغ الحلم إلى أن يأتيه أجله ، فمن مات على طلب الحقّ ولم يدرك كماله فهو على خير وذلك قوله : «ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله» الآية ، وإن كان لم يعمل بكمال شرائعه لعلّة مالم يمهله في الوقت إلى استتمام أمره ، وقد حظر على البالغ مالم يحظر على الطفل إذا لم يبلغ الحلم في قوله تعالى : «وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهنّ» الآية فلم يجعل عليهنّ حرجاً في إبداء الزينة للطفل وكذلك لا تجري عليه الأحكام .

وأمّا قوله : الزاد فمعناه الجدة والبلغة[3] الّتي يستعين بها العبد على ما أمره الله به ، وذلك قوله : «ماعلى المحسنين من سبيل» الآية ألا ترى أنّه قبل عذر من لم يجد ما ينفق ، وألزم الحجّة كلّ من أمكنته البلغة ، والراحلة للحجّ والجهاد وأشباه ذلك ، كذلك قبل عذر الفقراء وأوجب لهم حقّاً في مال الأغنياء بقوله : «للفقراء الّذين اُحصروا في سبيل الله» الآية ، فأمر بإعفائهم ، ولم يكلّفهم الإعداد لما لايستطيعون ولا يملكون .

وأمّا قوله : في السبب المهيّج ، فهو النيّة الّتي هي داعية الإنسان إلى جميع الأفعال ، وحاسّتها القلب ، فمن فعل فعلاً وكان بدين لم يعقد قلبه على ذلك لم يقبل

---

(١) في المصدر : ولا يهتدى سبيلا كما قال الله تعالى «الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لايستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا» . م

(٢) في التحف المطبوع : يبلغ به الانسان .

(٣) الجدة بكسر الجيم وفتح الدال المخففة كعدة : الغنى . البلغة بضم الباء وسكون اللام : ما يكفي من العيش .

الله منه عملاً إلّا بصدق النيّة ، كذلك[١] أخبر عن المنافقين بقوله : « يقولون بأفواههم ماليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون » ثمّ أنزل على نبيّه صلى الله عليه وآله توبيخاً للمؤمنين «يا أيّها الّذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون » الآية ، فإذا قال الرجل : قولاً واعتقد في قوله دعته النيّة إلى تصديق القول بإظهار الفعل ، وإذا لم يعتقد القول لم يتبيّن حقيقة ، وقد أجاز الله صدق النيّة وإن كان الفعل غير موافق لها لعلّة مانع يمنع إظهار الفعل في قوله : « إلا من اُكره وقلبه مطمئنّ بالإيمان» وقوله : «لايؤاخذكم الله باللّغو في أيمانكم» الآية ، فدلّ القرآن وأخبار الرسول صلى الله عليه وآله أنّ القلب مالك لجميع الحواسّ يصحّح أفعالها ، ولا يبطل ما يصحّح القلب شيء ، فهذا شرح جميع الخمسة الأمثال الّتي ذكرها الصادق عليه السلام أنّها تجمع المنزلة بين المنزلتين ، وهما الجبر والتفويض ، فإذا اجتمع في الإنسان كمال هذه الخمسة الأمثال وجب عليه العمل كملاً لما أمر الله عزّ وجلّ به ورسوله ، وإذا نقص العبد منها خلّة كان العمل عنه مطروحاً بحسب ذلك .

فأمّا شواهد القرآن على الاختبار والبلوى بالاستطاعة الّتي تجمع القول بين القولين فكثيرة ، ومن ذلك قوله : « ولنبلونّكم حتّى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم » وقال : «سنستدرجهم من حيث لايعلمون » وقال : «الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنّا وهم لايفتنون » وقال في الفتن الّتي معناها الاختبار : «ولقد فتنّا سليمان » الآية ، وقال في قصّة قوم موسى : « فإنّا قد فتنّا قومك من بعدك وأضلّهم السامريّ » وقول موسى : « إن هي إلّا فتنتك » أي اختبارك ، فهذه الآيات يقاس بعضها ببعض ويشهد بعضها لبعض ، وأمّا آيات البلوى بمعنى الاختبار قوله : « ليبلوكم فيما آتاكم » وقوله : « ثمّ صرفكم عنهم ليبتليكم» وقوله : «إنّا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنّة» وقوله : «خلق الموت والحياة ليبلوكم أيّكم أحسن عملاً » وقوله : «وإذا ابتلى إبراهيم ربّه بكلمات » وقوله : « ولو شاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض » وكلّ ما في القرآن من بلوى هذه الآيات الّتي شرح أوّلها فهي اختبار وأمثالها في القرآن كثيرة ، فهي إثبات الاختبار والبلوى إنّ الله جلّ وعزّ لم يخلق الخلق عبثاً ، ولا أهملهم

(١) في المصدر : ولذلك . م

سدىً ، ولا أظهر حكمته لعباً ، بذلك أخبر في قوله : «أفحسبتم أنّما خلقناكم عبثاً» .

فإن قال قائل : فلم يعلم الله مايكون من العباد حتّى اختبرهم ؟ قلنا : بلى قد علم مايكون منهم قبل كونه ، وذلك قوله : « ولو ردّوا لعادوا لما نهوا عنه » وإنّما اختبرهم ليعلمهم عدله ولا يعذّبهم إلّا بحجّة بعد الفعل ، وقد أخبر بقوله : « ولو أنّا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربّنا لولا أرسلت إلينا رسولاً » وقوله : «وما كنّا معذّبين حتّى نبعث رسولاً » وقوله : « رسلاً مبشّرين ومنذرين» فالاختبار من الله بالاستطاعة الّتي ملّكها عبده وهو القول بين الجبر و التفويض بهذا نطق القرآن و جرت الأخبار عن الأئمّة من آل الرسول .

فإن قالوا : ما الحجّة في قول الله : « يهدي من يشاء ويضلّ من يشاء » و ما أشبهها ؟ قيل : مجاز هذه الآيات كلّها على معنيين : أمّا أحدهما فإخبار عن قدرته أي أنّه قادر على هداية من يشاء وضلال من يشاء ، وإذا أجبرهم بقدرته على أحدهما لم يجب لهم ثواب ولا عليهم عقاب على نحو ما شرحنا في الكتاب ، والمعنى الآخر أنّ الهداية منه تعريفه كقوله : « وأمّا ثمود فهديناهم » أي عرّفناهم « فاستحبّوا العمى على الهدى» فلو جبرهم على الهدى لم يقدروا أن يضلّوا ، و ليس كلّما وردت آية مشتبهة كانت الآية حجّة على محكم الآيات اللّواتي أمرنا بالأخذ بها ، من ذلك قوله : « منه آيات محكمات هنّ أمّ الكتاب وأخر متشابهات فأمّا الّذين في قلوبهم زيغ فيتّبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة و ابتغاء تأويله » الآية ، وقال : « فبشّر عبادي الّذين يستمعون القول فيتّبعون أحسنه » أي أحكمه و أشرحه « أولئك الّذين هديهم الله وأولئك هم أولوا الألباب » وفّقنا الله وإيّاكم من القول والعمل لما يحبّ ويرضى ، وجنّبنا و إيّاكم معاصيه بمنّه وفضله ، والحمد لله كثيراً كما هو أهله ، وصلّى الله على محمّد و آله الطيّبين ، وحسبنا الله و نعم الوكيل . « ص ٤٥٨ ـ ٤٧٥ »

بيان : قوله تعالى : فقد ظلّم الله على بناء التفعيل أي نسبه إلى الظلم . قوله عليه السلام : ومن زعم أنّ الله يدفع عن أهل المعاصي العذاب أي عموماً بحيث لا يعاقب أحداً منهم كما هو مقتضى الجبر ، فلا ينافي سقوط بعضها بالعفو أو الشفاعة . قوله عليه السلام : ولما لزمت

الأشياء أي الخطايا والذنوب ، وفي بعض النسخ الأسماء وهو أوفق بماروي عنه عليه السلام في موضع آخر أي لايصحّ إطلاق المؤمن و الكافر والصالح والطالح و أشباهها على الحقيقة .

فذلكة : اعلم أنّ الّذي استفاض عن الأئمّة عليهم السلام هو نفي الجبر والتفويض ، و إثبات الأمر بين الأمرين ، وقد اعترف به بعض المخالفين أيضاً ، قال إمامهم الرازيّ : حال هذه المسألة عجيبة فإنّ الناس كانوا مختلفين فيها أبداً بسبب أنّ مايمكن الرجوع فيها إليها متعارضة متدافعة : فمعوّل الجبريّة على أنّه لابدّ لترجيح الفعل على الترك من مرجّح ليس من العبد ؛ ومعوّل القدريّة على أنّ العبد لولم يكن قادراً على فعل لما حسن المدح والذمّ والأمر والنهي ، وهما مقدّمتان بديهيّتان ، ثمّ من الأدلّة العقليّة اعتماد الجبريّة على أنّ تفاصيل أحوال الأفعال غير معلومة للعبد ، و اعتماد القدريّة على أنّ أفعال العباد واقعة على وفق تصوّرهم و دواعيهم و هما متعارضتان ، و من الإلزامات الخطابيّة أنّ القدرة على الإيجاد صفة كمال لا يليق بالعبد الّذي هو منبع النقصان ، و أنّ أفعال العباد تكون سفهاً وعبثاً ، فلايليق بالمتعالي عن النقصان ، وأمّا الدلائل السمعيّة فالقرآن مملوّ بمايوهم بالأمرين وكذا الآثار ، فإنّ أمّة من الأمم لم تكن خالية من الفرقتين ، وكذا الأوضاع والحكايات متدافعة من الجانبين ، حتّى قيل : إنّ وضع النرد على الجبر ، ووضع الشطرنج على القدر ، إلّا أنّ مذهبنا أقوى بسبب أنّ القدح في قولنا : لايترجّح الممكن إلّا بمرجّح يوجب انسداد باب إثبات الصانع ، و نحن نقول : الحقّ ماقال بعض أئمّة الدين : إنّه لاجبر ولاتفويض ، ولكن أمر بين أمرين ، و ذلك أنّ مبنى المبادي القريبة لأفعال العبد على قدرته واختياره ، والمبادي البعيدة على عجزه واضطراره فالإنسان مضطرّ في صورة مختار كالقلم في يد الكاتب و الوتد في شقّ الحائط ، وفي كلام العقلاء : قال الحائط للوتد : لمَ تشقّني ؟ فقال : سل من يدقّني انتهى .

و أمّا معنى الجبر فهو ماذهبت إليه الأشاعرة من أنّ الله تعالى أجرى الأعمال على أيدي العباد من غير قدرة مؤثّرة لهم فيها ، و عذّبهم عليها .

و أمّا التفويض فهو ماذهب إليه المعتزلة من أنّه تعالى أوجد العباد و أقدرهم على تلك الأفعال ، وفوّض إليهم الاختيار ، فهم مستقلّون بإيجادها على وفق مشيّتهم وقدرتهم ، وليس لله في أفعالهم صنع .

وأمّا الأمر بين الأمرين فالّذي ظهر ممّا سبق من الأخبار هو أنّ لهداياته وتوفيقاته تعالى مدخلاً في أفعال العباد بحيث لايصل إلى حدّ الإلجاء والاضطرار كما أنّ سيّداً أمر عبده بشيء يقدر على فعله ، وفهّمه ذلك ، و وعده على فعله شيئاً من الثواب ، و على تركه شيئاً من العقاب فلو اكتفى من تكليف عبده بذلك ولم يزد عليه مع علمه بأنّه لا يفعل الفعل بمحض ذلك لم يكن ملوماً عند العقلاء لوعاقبه على تركه ، ولايقول عاقل بأنّه أجبره على ترك الفعل ، و لو لم يكتف السيّد بذلك و زاد في ألطافه ، والوعد بإكرامه ، والوعيد على تركه ، وأكّد ذلك ببعث من يحثّه على الفعل ويرغّبه فيه ، ثمّ فعل بقدرته واختياره ذلك الفعل فلايقول عاقل بأنّه جبره على ذلك الفعل ؛ وأمّا فعل ذلك بالنسبة إلى جماعة وتركه بالنسبة إلى آخرين فيرجع إلى حسن اختيارهم وصفاء طويّتهم ، أوسوء اختيارهم وقبح سريرتهم ، فالقول بهذا لايوجب نسبة الظلم إليه تعالى بأن يجبرهم على المعاصي ثمّ يعذّبهم عليها كمايلزم الأوّلين ، ولاعزله تعالى عن ملكه ، و استقلال العباد بحيث لامدخل لله في أفعالهم فيكونون شركاء لله في تدبير عالم الوجود كمايلزم الآخرين ، وقدمرّت شواهد هذا المعنى في الأخبار ؛ ويؤيّده مارواه الكلينيّ ، عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه سأله رجل : أجبر الله العباد على المعاصي ؟ قال : لا ؛ فقال : ففوّض إليهم الأمر ؟ قال : لا ، قال : فماذا ؟ قال : لطف من ربّك بين ذلك .[1] ويظهر من [2]

(١) أورده الكليني في باب الجبر والقدر من الكافي باسناده عن محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن الحسن زعلان ، عن أبي طالب القمي ، عن رجل ، عن أبي عبدالله عليه السلام .

(٢) ومرجع الخبرين في مؤداهما واحد ، وهوالذي يشاهده كل إنسان من نفسه عيانا وهو أنه مع قطع النظر عن سائر الاسباب من الموجبات والموانع يملك اختيار الفعل أوالترك فله أن يفعل وله أن يترك ، وأما كونه مالكا للاختيار فانما ملكه إياه ربه سبحانه كما في الاخبار ؛ ومن أحسن الامثلة لذلك مثال المولى اذا ملك عبده مايحتاج إليه في حياته من مال يتصرف فيه و زوجة يأنس اليها و دار يسكنها وأثاث ومتاع فان قلنا أن هذا التمليك يبطل ملك المولى كان قولا بالتفويض ، وإن قلنا أن ذلك لايوجب للعبد ملكا والمولى باق على مالكيته كماكان كان قولا بالجبر ، وان قلنا ان العبد يملك بذلك و المولى مالك لجميع مايملكه في عين ملكه وأنه من كمال ملك المولى كان قولا بالامر بين الامرين . ط

بعض الأخبار أنّ المراد بالتفويض المنفيّ هو كون العبد مستقلاً في الفعل بحيث لايقدر الربّ تعالى على صرفه عنه، و الأمر بين الأمرين هو أنّه جعلهم مختارين في الفعل و الترك مع قدرته على صرفهم عمّا يختارون، و منهم من فسّر الأمر بين الأمرين بأنّ الأسباب القريبة للفعل يرجع إلى قدرة العبد، والأسباب البعيدة كالآلات و الأسباب والأعضاء والجوارح والقوى إلى قدرة الربّ تعالى، فقد حصل الفعل بمجموع القدرتين؛ وفيه أنّ التفويض بهذا المعنى لم يقل به أحد حتّى يردّ عليه؛ ومنهم من قال: الأمر بين الأمرين هو كون بعض الأشياء باختيار العبد وهي الأفعال التكليفيّة، وكون بعضها بغير اختياره كالصحّة والمرض والنوم واليقظة، والذكر والنسيان وأشباه ذلك، ويرد عليه ما أوردناه على الوجه السابق والله تعالى يعلم وحججه عليهم السلام. وبسط القول في تلك المسألة وإيراد الدلائل والبراهين على ماهو الحقّ فيها و دفع الشكوك والشبه عنها لا يناسب ماهو المقصود من هذا الكتاب، والله يهدي من يشاء إلى الحقّ والصواب.

«باب ٣»

(القضاء والقدر[1] والمشية والارادة وسائر أسباب الفعل)

الايات، البقرة: «٢» ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكنّ الله يفعل ما يريد ٢٥٣.

آل عمران «٣» وما كان لنفس أن تموت إلّا بإذن الله كتاباً مؤجّلاً ١٤٥.

الانعام «٦» ولو شاء الله ما أشركوا ١٠٧ «وقال تعالى»: ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون ١٣٧ «وقال تعالى»: سيقول الّذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولاحرّمنا من شيء كذلك كذّب الّذين من قبلهم حتّى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتّبعون إلّا الظنّ وإن أنتم إلّا تخرصون * قل فلله الحجّة البالغة فلو شاء لهديكم أجمعين ١٤٨-١٤٩.

---

(١) مسألة القضاء والقدر من العقائد التي جاءت بها جميع الاديان، وليست خاصة بالمسلمين، ولكثرة استعمال هاتين اللفظتين ظن بعض الناس أن فيهما معنى الاكراه والاجبار وليس كما ظن، وسيوافيك الاخبار والروايات وكلمات الاعلام في ذلك فتعلم أنهما لاينافيان الاختيار.

الاعراف «٧» قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضرّاً إلّا ماشاءالله ١٨٧ .

الانفال «٨» ولكن ليقضي الله أمراً كان مفعولاً ٤٢ .

التوبة «٩» قل لن يصيبنا إلّا ماكتب الله لنا هو مولينا و على الله فليتوكّل المؤمنون ٥١ «و قال تعالى» : فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنّما يريدالله ليعذّبهم بها في الحيوة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون ٥٥ .

يونس «١٠» ولوشاء ربّك لآمن من في الأرض كلّهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتّى يكونوا مؤمنين ✡ وما كان لنفس أن تؤمن إلّا بإذن الله ويجعل الرجس على الّذين لايعقلون ٩٩ـ١٠٠ .

الاحزاب «٣٣» وكان أمرالله مفعولاً ٣٧ وقال وكان أمر الله قدراً مقدوراً ٣٨ .

فاطر «٣٥» وما تحمل من اُنثى ولاتضع إلّا بعلمه وما يعمّر من معمّر ولاينقص من عمره إلّا في كتاب إنّ ذلك على الله يسير ١١ .

السجدة «٤١» ولولا كلمة سبقت من ربّك لقضي بينهم ٤٥ .

حمعسق «٤٢» ولوشاء الله لجعلهم اُمّة واحدة ولكن يدخل من يشاء في رحمته والظالمون مالهم من وليّ ولانصير ٨ «وقال تعالى» : ولولا كلمة الفصل لقضي بينهم ٢١ .

الزخرف «٤٣» وقالوا لوشاء الرحمن ماعبدناهم مالهم بذلك من علم إن هم إلّا يخرصون ٢٠ .

القمر «٥٤» إنّا كلّ شيء خلقناه بقدر ٤٩ «وقال» : وكلّ شيء فعلوه في الزبر ✡ وكلّ صغير وكبير مستطر ٥٢ـ٥٣ .

الحديد «٥٧» ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلّا في كتاب من قبل أن نبرأها إنّ ذلك على الله يسير ٢٢ .

الحشر «٥٩» ماقطعتم من لينة أوتركتموها قائمة على اُصولها فبإذن الله ٥ .

التغابن «٦٤» ما أصاب من مصيبة إلّا بإذن الله ١١ .

الطلاق «٦٥» يتنزّل الأمر بينهنّ لتعلموا أنّ الله على كلّ شيء قدير و أنّ الله قد أحاط بكلّ شيء علماً ١٢ .

المدثر «٧٤» كذلك يضلّ الله من يشاء ويهدي من يشاء ٣١ «وقال تعالى» : وما يذكرون إلّا أن يشاء الله ٥٦ .

الدهر «٧٦» وما تشاؤن إلّا أن يشاءالله ٣٠ «و قال تعالى» : يدخل من يشاء في رحمته ٣١ .

كورت «٨١» وما تشاؤن إلّا أن يشاءالله ربّ العالمين ٢٩ .

تفسير : ولوشاءالله مااقتتلوا أي لوشاء أن يجبرهم ويلجئهم على ترك الاقتتال لفعل لكنّه مناف للتكليف فلذا وكلهم إلى اختيارهم فاقتتلوا ، وإذن الله أمره وتقديره ، وقيل : علمه ، من أذن بمعنى علم .

وقال الطبرسيّ في قوله تعالى : «فلوشاء لهداكم أجمعين» أي لوشاء لألجأكم إلى الإيمان ، و هذه المشيّة تخالف المشيّة المذكورة في الآية الأولى . لأنّ الله سبحانه أثبت هذه ونفى تلك ، فالأولى مشيّة الاختيار و الثانية مشيّة الإلجاء . وقيل : إنّ المراد به : لوشاء لهداكم إلى نيل الثواب و دخول الجنّة ابتداءاً من غير تكليف .

قوله تعالى : «قل لا أملك لنفسي نفعاً ولاضرّاً» أي مطلقاً لأنّ مايتوقّف عليه الفعل من الأسباب والآلات إنّما هو بقدرته تعالى ، وهو لاينافي الاختيار ، أوفيما ليس باختيار العبد من دفع البلايا و جلب المنافع ، و يؤيّده قوله تعالى بعد ذلك : «ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسّني السوء» .

قوله تعالى : «ليقضي الله أمراً كان مفعولاً» أي قدّرالله التقاءكم مع المشركين في بدر على غير ميعاد منكم ليقضي أمراً كان كائناً لامحالة ، أومن شأنه أن يكون هوإعزاز الدين وأهله ، وإذلال الشرك وأهله ، ومعنى «ليقضي» : ليفعل ، أوليظهر قضاؤه .

قوله تعالى : «في الزبر» أي في الكتب الّتي كتبتها الحفظة ، أوفي اللّوح المحفوظ ، «وكلّ صغير وكبير مستطر» أي وما قدّموه من أعمالهم من صغير وكبير مكتوب عليهم ، أوكلّ صغير وكبير من الأرزاق والآجال ونحوها مكتوب في اللّوح .

قوله تعالى : «وما يذكرون إلّا أن يشاء الله» أي إلّا أن يشاء أن يجبرهم على ذلك بقرينة قوله سابقاً : «إنّها تذكرة فمن شاء ذكره» وقيل : إلّا أن يشاءالله من حيث

أمر به ونهى عن تركه فكانت مشيّته سابقة أي لايذكرون إلّا والله قدشاء ذلك .

١ ـ ب : ابن طريف ، عن ابن‌علوان ، عن جعفر ، عن أبيه ، قال : قيلَ لرسول‌الله صلّى‌الله عليه وآله : يا رسول‌الله رقى[1] يستشفى بها هل تردّ من قدرالله ؟ فقال : إنّها من قدرالله . «ص ٤٥»

٢ ـ ل : الخليل بن‌أحمد السنجريّ ، عن محمّد بن‌إسحاق بن‌خزيمة ، عن عليّ بن‌حجر ، عن شريك ، عن منصور بن المعتمر ،[2] عن ربعي بن خراش ،[3] عن عليّ عليه السلام قال : قال رسول‌الله صلّى الله عليه وآله : لايؤمن عبد حتّى يؤمن بأربعة : حتّى يشهد أن لا إله إلّا الله وحده لاشريك له ، وأنّي رسول‌الله بعثني بالحقّ ، و حتّى يؤمن بالبعث بعدالموت ، و حتّى يؤمن بالقدر .

٣ ـ ل : أبوأحمد محمّد بن جعفر البندار ، عن جعفر بن محمّد بن نوح ، عن محمّد بن‌عمر ، عن يزيد بن‌زريع ، عن بشر بن‌نمير ، عن القاسم بن‌عبدالرحمن ، عن أبي‌أمامة[4] قال : قال رسول‌الله صلّى الله عليه وآله : أربعة لاينظر الله إليهم يوم‌القيامة : عاقّ ، ومنّان ، ومكذّب بالقدر ، ومدمن خمر .

٤ ـ ل : حمزة العلويّ ، عن أحمد الهمدانيّ ، عن يحيى بن الحسن بن جعفر ، عن

---

(١) جمع الرقية بالضم : العوذة .

(٢) قال العلامة في القسم الثاني من الخلاصة : منصور بن معتمر من أصحاب الباقر عليه‌السلام تبرى انتهى . وقال ابن‌حجر في تقريب‌التهذيب : منصور بن‌المعتمر بن‌عبدالله السلمي ، أبوعتاب - بمثلثة ثقيلة ثم موحدة - الكوفي ، ثقة ، ثبت ، وكان لايدلس ، من طبقة الاعمش ، مات سنة ١٣٢ .

(٣) ربعي بكسر الراء وسكون الباء ، والعين المهملة ، خراش بالخاء المعجمة المكسورة و الراء والسين المعجمة ، ضبطه كذلك الميرزا في هامش الوسيط ، وحكى ذلك أيضا عن ابن‌داود ، وضبطه ابن حجر في التقريب بكسر المهملة وآخره معجمة و قال : أبومريم العبسي الكوفي ثقة ، عابد ، مخضرم ، من الثانية ، مات سنة مائة ، وقيل : غير ذلك انتهى . أقول : و أرخ وفاته في الوسيط و في المحكي عن مختصر الذهبي سنة ١٠١ وحكى عن البرقي وغيره أنه وأخاه مسعود من خواص أمير المؤمنين عليه‌السلام من‌مضر .

(٤) لعله صدى - بالتصغير - ابن عجلان أبوامامة الباهلي الصحابي المشهور سكن الشام ومات بها سنة ٨٦ وقيل ٨١ .

محمّد بن ميمون الخزّاز ، عن عبدالله بن ميمون ، عن جعفر بن محمّد ، عن أبيه ، عن عليّ بن الحسين عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ستّة لعنهم الله و كلّ نبيّ مجاب : الزائد في كتاب الله ، والمكذّب بقدر الله ، و التارك لسنّتي ، و المستحلّ من عترتي ماحرّم الله ، والمتسلّط بالجبروت ليذلّ من أعزّه الله ويعزّ من أذلّه الله ، والمستأثر بفيء المسلمين المستحلّ له .

٥ ـ ل : ابن المتوكّل ، عن محمّد العطّار ، عن محمّد بن أحمد ، عن أحمد بن محمّد ، عن أبي القاسم الكوفيّ ، عن عبدالمؤمن الأنصاريّ ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلّى الله عليه و آله : إنّي لعنت سبعة لعنهم الله وكلّ نبيّ مجاب قبلي ، فقيل : ومن هم يا رسول الله ؟ فقال : الزائد في كتاب الله ، والمكذّب بقدر الله ، و المخالف لسنّتي ، و المستحلّ من عترتي ماحرّم الله ، والمتسلّط بالجبريّة[1] ليعزّ من أذلّ الله و يذلّ من أعزّ الله ، والمستأثر على المسلمين[2] بفيئهم مستحلاً له والمحرّم ما أحلّ الله عزّ وجلّ .

٦ ـ ل : محمّد بن عمر الحافظ ، عن محمّد بن الحسين الخثعميّ ، عن ثابت بن عامر السنجاريّ ، عن عبدالملك بن الوليد ، عن عمرو بن عبدالجبّار ، عن عبدالله بن زياد ، عن زيد بن عليّ ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن عليّ عليه السلام قال : قال النبيّ صلى الله عليه وآله : سبعة لعنهم الله وكلّ نبيّ مجاب ، المغيّر لكتاب الله ، والمكذّب بقدر الله ، والمبدّل سنّة رسول الله ، والمستحلّ من عترتي ماحرّم الله عزّ وجلّ ، والمتسلّط في سلطانه ليعزّ من أذلّ الله ويذلّ من أعزّ الله ، والمستحلّ لحرم الله ،[3] والمتكبّر عبادة الله عزّ وجلّ .

٧ ـ ل : أبي ، عن سعد ، عن إبراهيم بن هاشم ، عن أبي عبدالله البرقيّ ، عن زكريّا ابن عمران ، عن أبي الحسن الأوّل عليه السلام قال : لايكون شيء في السماوات والأرض إلّا بسبعة : بقضاء ، وقدر ، وإرادة ، ومشيّة ، و كتاب ، وأجل ، وإذن ، فمن قال غير هذا فقد كذب على الله ، أوردّ على الله عزّ وجلّ .

---

(١) المتسلط بالجبرية أو بالجبروت أى بالقدرة والسلطة والعظمة .

(٢) لمستأثر بالشيء على الغير أى استبدبه وخص به نفسه .

(٣) الحرم بضم الحاء والراء جمع الحرام : ضد الحلال .

٨ ـ فس : أبي ، عن ابن أبي عمير ، عن ابن مسكان ،[١] عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إنّ موسى عليه السلام سأل ربّه أن يجمع بينه و بين آدم عليه السلام فجمع ، فقال له موسى : ياأبه ألم يخلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأسجد لك ملائكته ، و أمرك أن لا تأكل من الشجرة ؟ فلمَ عصيته ؟ قال : يا موسى بكم وجدت خطيئتي قبل خلقي في التوراة ؟ قال : بثلاثين سنة ،[٢] قال : فهو ذلك ، قال الصادق عليه السلام : فحجّ آدم موسى عليه السلام .[٣] « ص٣٦ـ٣٧ »

بيان : من أصحابنا من حمل هذا الخبر على التقيّة ، إذ قد ورد ذلك في كتبهم بطرق كثيرة ، وقد رواه السيّد في الطرائف من طرقهم وردّه ، ويمكن أن يقال : إنّ المراد أنّه كتب في التوراة أنّ الله وكل آدم إلى اختياره حتّى فعل مافعل لمصلحة إهباطه إلى الدنيا ، و أمّا كونه قبل خلقه عليه السلام فلأنّ التوراة كتب في الألواح السماويّة في ذلك الوقت وإن وجده موسى عليه السلام بعد بعثته ، ويحتمل اطّلاع روح موسى على ذلك قبل خلق جسد آدم والله يعلم .

٩ ـ ع : أحمد بن محمّد ، عن أبيه ، عن جعفر بن محمّد بن مالك ، عن عباد بن يعقوب ، عن عمر بن بشر البزّاز قال : قال أبو جعفر محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام : مايستطيع أهل القدر أن يقولوا ؛ والله لقد خلق الله آدم للدنيا وأسكنه الجنّة ليعصيه فيردّه إلى ماخلقه له. «ص١٩٢ـ١٩٣»

بيان : قوله : ليعصيه أي عالماً بأنّه يخلّيه مع اختياره فيعصيه ، فيكون اللّام لام العاقبة أي ليخلّيه فيعصي بذلك مختاراً والله يعلم .

١٠ ـ مع : أبي ، عن سعد ، عن أحمد بن محمّد ، عن أبيه ، عن حمّاد بن عيسى ، عن

(١) قدعرفت سابقاً عدم ثبوت رواية ابن مسكان عن أبي عبدالله عليه السلام بلاواسطة مما ذكرنا عن النجاشي ، فانه قال : إنه روى عن أبي عبدالله عليه السلام وليس بثبت انتهى ، ومما نقلنا عن الكشي من أنه لم يسمع عنه عليه السلام إلا حديث من أدرك المشعر فقد أدرك الحج ، فعلى هذا فالرواية مرسلة .

(٢) في المصدر : بثلاثين ألف سنة .

(٣) أي غلب آدم موسى بالحجة .

شعيب، عن أبي بصير قال: قال أبوعبدالله عليه السلام: شاء و أراد، ولم يحبّ و لم يرض. قلت: كيف؟ قال: شاء أن لايكون شيء إلّا بعلمه، وأراد مثل ذلك، ولم يحبّ أن يقال له: ثالث ثلاثة، ولم يرض لعباده الكفر.

١ـ عد: اعتقادنا في الإرادة والمشيّة قول الصادق عليه السلام: شاءالله، و أراد، ولم يحب، ولم يرض، شاء أن لايكون شيء إلّا بعلمه، وأراد مثل ذلك، ولم يحبّ أن يقال له: ثالث ثلاثة، ولم يرض لعباده الكفر.[١] وقال الله عزّ وجلّ: «إنّك لاتهدي من أحببت ولكنّ الله يهدي من يشاء»[٢] و قال عزّ وجلّ: «وما تشاؤن إلّا أن يشاء الله»[٣] وقال عزّ وجلّ: «ولوشاء ربّك لآمن من في الأرض كلّهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتّى يكونوا مؤمنين»[٤] وقال عزّ وجلّ: «وما كان لنفس أن تؤمن إلّا بإذن الله»[٥] كما قال: «وما كان لنفس أن تموت إلّا بإذن الله كتاباً مؤجّلاً»[٦] كما قال: «يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ماقتلنا قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الّذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم»[٧] وقال عزّ وجلّ: «ولوشاء ربّك مافعلوه فذرهم وما يفترون»[٨] وقال عزّ وجلّ «ولو شاء الله ما أشركوا وماجعلناك عليهم حفيظاً»[٩] وقال عزّ وجلّ: «ولوشئنا لآتينا كلّ نفس هديها»[١٠] وقال عزّ وجلّ: «فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام و من يرد أن يضلّه يجعل صدره ضيّقاً حرجاً كأنّما يصّعّد في السماء»[١١] وقال عزّ وجلّ: «يريد الله ليبيّن لكم و يهديكم سنن الّذين من قبلكم ويتوب عليكم»[١٢] و قال الله عزّ وجلّ: «يريد الله أن لايجعل لهم حظّاً في الآخرة»[١٣] وقال عزّ وجلّ: «يريد الله

(١) تقدم مسنداً تحت رقم ١١ ويأتي بسند آخر تحت رقم ٣٤.
(٢) القصص: ٥٦.
(٣) الدهر: ٣٠.
(٤) يونس: ٩٩.
(٥) يونس: ١٠٠
(٦) آل عمران: ١٤٥.
(٧) آل عمران: ١٥٤.
(٨) الانعام: ١١٢.
(٩) الانعام: ١٠٧.
(١٠) الم السجدة: ١٣.
(١١) الانعام: ١٢٥.
(١٢) النساء: ٢٦.
(١٣) آل عمران: ١٧٦.

أن يخفّف عنكم »[1] وقال : « يريدالله بكم اليسر ولايريد بكم العسر »[2] وقال عزّ وجلّ : « والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الّذين يتّبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيماً »[3] وقال عزّ وجلّ : « وما الله يريد ظلماً للعباد» .[4]

فهذا اعتقادنا في الإرادة والمشيّة ، ومخالفونا يشنّعون علينا في ذلك ، ويقولون : إنّا نقول : إنّ الله عزّ وجلّ أراد المعاصي وأراد قتل الحسين عليه السلام وليس هكذا نقول ، ولكنّا نقول : إنّ الله عزّ وجلّ أراد أن يكون معصية العاصين خلاف طاعة المطيعين ، وأراد أن تكون المعاصي غير منسوبة إليه من جهة الفعل ، وأراد أن يكون موصوفاً بالعلم بها قبل كونها ، ونقول : أراد الله أن يكون قتل الحسين عليه السلام معصية له خلاف الطاعة ، ونقول : أراد أن يكون قتله منهيّاً عنه غير مأمور به ، ونقول : أراد الله أن يكون مستقبحاً غير مستحسن ، ونقول : أراد الله عزّ وجلّ أن يكون قتله سخطاً لله غير رضاه ، ونقول : أراد الله عزّ وجلّ أن لايمنع من قتله بالجبر والقدرة كما منع منه بالنهي ، ونقول : أراد الله أن لايدفع القتل عنه كما دفع الحرق عن إبراهيم عليه السلام ، حين قال عزّ وجلّ للنار الّتي اُلقي فيها : « يانار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم »[5] و نقول : لم يزل الله عالماً بأنّ الحسين عليه السلام سيقتل و يدرك بقتله سعادة الأبد ، و يشقى قاتله شقاوة الأبد ، و نقول : ماشاءالله كان وما لم يشأ لم يكن . هذا اعتقادنا في الإرادة والمشيّة ، دون ما نسب إلينا أهل الخلاف والمشنّعون علينا من أهل الإلحاد . «ص ٦٩ ـ ٧١»

أقول : قال الشيخ المفيد نوّرالله ضريحه : الّذي ذكره الشيخ أبوجعفر رحمه الله في هذا الباب لايتحصّل ومعانيه تختلف وتتناقض ، والسبب في ذلك أنّه عمل على ظواهر الأحاديث المختلفة ، ولم يكن ممّن يرى النظر فيميّز بين الحقّ والباطل ، ويعمل على ماتوجب الحجّة ؛ ومن عوّل في مذهبه على الأقاويل المختلفة وتقليد الرواة كانت حاله في الضعف ماوصفناه ؛ والحقّ في ذلك أنّ الله تعالى لايريد إلّا ماحسن من الأفعال ، ولا

---

(١) النساء : ٢٧ .
(٢) البقرة : ١٨٥ .
(٣) النساء : ٢٧ .
(٤) النساء : ٣١ .
(٥) الانبياء : ٦٩ .

يشاء إلّا الجميل من الأعمال، ولايريد القبائح، ولايشاء الفواحش، تعالى الله عمّا يقول المبطلون علوّاً كبيراً، قال الله تعالى: «وما الله يريد ظلماً للعباد» و قال: «يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر» وقال: «يريدالله ليبيّن لكم ويهديكم سنن الّذين من قبلكم» الآية «والله يريد أن يتوب عليكم و يريد الّذين يتّبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيماً؛ يريدالله أن يخفّف عنكم وخلق الإنسان ضعيفاً» فخبّر سبحانه أنّه لايريد لعباده العسر، بل يريد بهم اليسر، وأنّه يريد لهم البيان، ولايريد لهم الضلال، ويريد التخفيف عنهم، ولايريد التثقيل عليهم، فلو كان سبحانه مريداً لمعاصيهم لنافى ذلك إرادة البيان لهم، أو التخفيف عنهم واليسر لهم، فكتاب الله تعالى شاهد بضدّ ماذهب إليه الضالّون المفترون على الله الكذب، تعالى الله عمّا يقول الظالمون علوّاً كبيراً.

فأمّا ماتعلّقوا به من قوله تعالى: «فمن يرد الله أن يهديه» الآية فليس للمجبّرة به تعلّق ولافيه حجّة، من قبل أنّ المعنى فيه من أراد الله تعالى أن ينعمه ويثيبه جزاءاً على طاعته شرح صدره للإسلام بالألطاف الّتي يحبوه بها، فييسّر له بها استدامة أعمال الطاعات، والهداية في هذا الموضع هي التنعيم، قال الله تعالى - فيما خبّر به عن أهل الجنّة -: «الحمد لله الّذي هدانا لهذا»[1] الآية أي نعّمنا به وأثابنا إيّاه، و الضلال في هذه الآية هو العذاب، قال الله تعالى: «إنّ المجرمين في ضلال وسعر»[2] فسمّى العذاب ضلالاً والنعيم هداية، والأصل في ذلك أنّ الضلال هو الهلاك، و الهداية هي النجاة، قال الله تعالى - حكاية عن العرب -: «أئذا ضللنا في الأرض أئنّا لفي خلق جديد»[3] يعنون إذا هلكنا فيها، وكأنّ المعنى في قوله: «فمن يرد الله أن يهديه» ماقدّمناه «ومن يرد أن يضلّه» ماوصفناه، و المعنى في قوله: «يجعل صدره ضيّقاً حرجاً» يريد سلبه التوفيق عقوبةً له على عصيانه، ومنعه الألطاف جزاءاً له على إساءته، فشرح الصدر: ثواب الطاعة بالتوفيق، وتضييقه: عقاب المعصية بمنع التوفيق، وليس في هذه الآية على مابيّنّاه شبهة لأهل الخلاف فيما ادّعوه من أنّ الله تعالى يضلّ عن الإيمان، و يصدّ

(١) الاعراف: ٤٣.
(٢) القمر: ٤٧.
(٣) الم السجدة: ١٠.

عن الإسلام ، ويريد الكفر ، ويشاء الضلال ؛ و أمّا قوله تعالى : « ولوشاء ربّك لآمن من في الأرض كلّهم جميعاً » فالمراد به الإخبار عن قدرته ، وأنّه لوشاء أن يلجئهم إلى الإيمان ويحملهم عليه بالإكراه والاضطرار لكان على ذلك قادراً ، لكنّه شاء تعالى منهم الإيمان على الطوع والاختيار ، وآخر الآية يدلّ على ماذكرناه وهو قوله : « أفأنت تكره الناس حتّى يكونوا مؤمنين »[1] يريد أنّ الله قادر على إكراههم على الإيمان لكنّه لايفعل ذلك ، ولوشاءه لتيسّر عليه ، وكلّ ما يتعلّقون به من أمثال هذه الآية فالقول فيه ماذكرناه أو نحوه على مابيّنّاه ، وفرار المجبّرة من إطلاق القول : بأنّ الله يريد أن يعصى ويكفر به ويقتل أولياؤه إلى القول بأنّه يريد أن يكون ماعلم كماعلم و يريد أن يكون معاصيه قبائح منهيّاً عنها وقوع فيما هربوا منه ، و تورّط فيما كرهوه ،[2] و ذلك أنّه إذا كان ماعلم من القبيح كماعلم و كان تعالى مريداً لأن يكون ماعلم من القبيح كماعلم فقد أراد القبيح وأراد أن يكون قبيحاً ، فما معنى فرارهم من شيء إلى نفسه ؟ وهربهم من معنى إلى عينه ؟! فكيف يتمّ لهم ذلك مع أهل العقول ؟! وهل قولهم هذا إلّا كقول إنسان : أنا لا أسبّ زيداً لكنّي أسبّ أباعمرو وزيد هو أبو عمرو ؟ وكقول اليهود إذقالوا سخريّة بأنفسهم : نحن لانكفر بمحمّد صلى الله عليه وآله لكنّا نكفر بأحمد ؟! فهذا رعونة[3] وجهل ممّن صار إليه .

١٢ ـ ن : أحمد بن إبراهيم بن بكر الخوريّ ، عن إبراهيم بن محمّد بن مروان ، عن جعفر بن محمّد بن زياد ، عن أحمد بن عبدالله الجويباريّ ، عن عليّ بن موسى الرضا ، عن أبيه ، عن آبائه ، عن عليّ عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إنّ الله عزّ وجلّ قدّر المقادير ، و دبّر التدابير قبل أن يخلق آدم بألفي عام . «ص٨٠»

ن : بالأسانيد الثلاثة عنه عليه السلام مثله . صح : عنه عليه السلام مثله .

١٣ ـ فس : أبي ، عن النوفليّ ، عن السكونيّ ، عن جعفر ، عن أبيه صلوات الله

(١) قدأشرنا قبيل ذلك إلى موضع الاية وإلى مواضع سائر الايات .

(٢) تورط الرجل : وقع في الورطة أو في أمر مشكل .

(٣) الرعونة : الحمق والهوج في الكلام .

عليهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : سبق العلم وجفّ القلم ومضى القضاء و تمّ القدر بتحقيق الكتاب ، وتصديق الرسل ، وبالسعادة من الله لمن آمن و اتّقى ، و بالشقاء لمن كذّب وكفر ، و بالولاية من الله للمؤمنين ، وبالبراءة منه للمشركين . ثمّ قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : إنّ الله يقول : يابن آدم بمشيّتي كنت أنت الّذي تشاء لنفسك ماتشاء ، و بإرادتي كنت أنت الّذي تريد لنفسك ماتريد ، و بفضل نعمتي عليك قويت على معصيتي ، وبقوّتي وعصمتي و عافيتي أدّيت إليّ فرائضي ، وأنا أولى بحسناتك منك ، و أنت أولى بذنبك منّي ، الخير منّي إليك بما أوليتك به ،[1] والشرّ منّي إليك بما جنيت جزاءاً ، وبكثير من تسلّطي لك انطويت عن طاعتي ، وبسوء ظنّك بي قنطت من رحمتي ، فلي الحمد والحجّة عليك بالبيان ، ولي السبيل عليك بالعصيان ، ولك الجزاء الحسن عندي بالإحسان ، لم أدع تحذيرك بي ، ولم آخذك عند عزّتك ، و هو قوله : « ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ماترك على ظهرها من دابّة » لم اُكلّفك فوق طاقتك ، ولم أحملك من الأمانة إلّا ما أقررت بها على نفسك ، و رضيت لنفسي منك مارضيت به لنفسك منّي . «ص٥٤٧ ـ ٥٤٨»

١٤ ـ يد : أبي و ابن الوليد معاً ، عن محمّد العطّار ، وأحمد بن إدريس معاً ، عن الأشعريّ ، عن ابن يزيد ، عن عليّ بن حسّان ، عن السكوني ، عن ثور بن يزيد ، عن خالد بن سعدان ، عن معاذ بن جبل ، عن النبيّ صلى الله عليه وآله مثله . « ص٣٥٣ـ٣٥٤»

بيان : قوله صلى الله عليه وآله : بتحقيق الكتاب أي جنس الكتاب ، فالمراد كلّ كتاب منزل ، أو القرآن ، أو اللّوح . قوله تعالى : بمشيّتي كنت أنت الّذي تشاء أي شئت أن أجعلك شائياً مختاراً ، وأردت أن أجعلك مريداً فجعلتك كذلك وفي « يد » : الخير منّي بما أوليت بدءاً . فيمكن أن يقرأ أوليت على صيغة الخطاب والتكلّم .

قوله تعالى : وبكثير من تسلّطي لك أي من التسلّط الّذي جعلت لك على الخلق وعلى الأمور . وانطوى عن الشيء أي هاجره وجانبه . وفي التوحيد مكان تلك الفقرة : وبإحساني إليك قويت على طاعتي .

---

(١) في المصدر : الخير مني اليك واصل بما اوليتك .

قوله تعالى : ولم آخذك عند عزّتك أي لم أعذّبك عند غفلتك ، بل وعظتك و نبّهتك وحذّرتك . وقوله : وهوقوله إلىقوله : من دابّة ليس فيالتوحيد ولايبعد كونه كلام عليّ بن إبراهيم .

١٥ ـ فس : « والّذي قدّرفهدى » قال : قدّر الأشياء فيالتقدير الأوّل ثمّ هدى إليها من يشاء . « ص ٧٢١ »

١٦ ـ ج : روي أنّه سئل أميرالمؤمنين عليه السلام عن القضاء والقدر ، فقال : لاتقولوا : وكلهم الله إلى أنفسهم فتوهّنوه ، ولاتقولوا : جبرهم[1] على المعاصي فتظلّموه ، ولكن قولوا : الخير بتوفيق الله ، والشرّ بخذلان الله ، وكلّ سابق فيعلم‌الله . « ص ١١٠ »

١٧ ـ قال الرضا عليه السلام : ثمانية أشياء لاتكون إلّا بقضاء الله و قدره : النوم ، و اليقظة ، والقوّة ، والضعف ، والصحّة ، والمرض ، والموت ، والحياة .[2]

١٨ ـ و قال النبيّ صلى الله عليه وآله : يقول‌الله عزّوجلّ : من‌لم يرض بقضائي ، ولم يشكر لنعمائي ، ولم يصبر علىبلائي ، فليتّخذ ربّاً سوائي .[3]

١٩ ـ ج : روي عن عليّ بن محمّد العسكريّ عليهما السلام في رسالته إلى أهل الأهواز في نفي الجبر والتفويض أنّه قال : روي عن أميرالمؤمنين عليه السلام : أنّه سأله رجل بعد انصرافه من‌الشام فقال : ياأميرالمؤمنين أخبرنا عن‌خروجنا إلىالشام أبقضاء وقدر ؟ فقال له أميرالمؤمنين : نعم ياشيخ ماعلوتم تلعة ولاهبطتم بطن واد إلّا بقضاء من‌الله وقدره؛ فقال الرجل : عندالله أحتسب عنائي والله ماأرى لي من الأجر شيئاً .

فقال عليّ عليه السلام : بلى فقد عظّم‌الله لكم الأجر فيمسيركم وأنتم ذاهبون ، وعلى منصرفكم وأنتم منقلبون ، ولم تكونوا فيشيء من حالاتكم مكرهين ؛[4] فقال‌الرجل : وكيف لانكون مضطرّين والقضاء والقدر ساقانا وعنهما كان مسيرنا ؟ فقال‌أميرالمؤمنين

---

(١) فى‌المصدر : اجبرهم . م

(٢) لم نجده فى‌الاحتجاج . م

(٣) لم نجده ايضا فيه . م

(٤) فى‌المصدر : من‌حالاتكم مكرهين ولا اليه مضطرين . م

عليه السلام : لعلّك أردت قضاءاً لازماً وقدراً حتماً لو كان ذلك كذلك لبطل الثواب و العقاب ، وسقط الوعد والوعيد ، والأمر من الله والنهي ، وما كانت تأتي من الله لائمة لمذنب ، ولا محمدة لمحسن ، ولا كان المحسن أولى بثواب الإحسان من المذنب ، ولا المذنب أولى بعقوبة الذنب من المحسن ، تلك مقالة إخوان عبدة الأوثان ، و جنود الشيطان ، وخصماء الرحمن ، وشهداء الزور والبهتان ، وأهل العمى[1] والطغيان ، هم قدريّة هذه الأمّة ومجوسها ؛ إنّ الله تعالى أمر تخييراً ، و نهى تحذيراً ، وكلّف يسيراً ، ولم يعص مغلوباً ، ولم يطع مكرهاً ، ولم يرسل الرسل هزلاً ، ولم ينزّل القرآن عبثاً ، ولم يخلق السماوات و الأرض وما بينهما باطلاً ، ذلك ظنّ الذين كفروا فويل للّذين كفروا من النار . قال ثمّ تلا عليهم : « وقضى ربّك ألّا تعبدوا إلّا إيّاه » .

قال : فنهض الرجل مسروراً وهو يقول :

أنت الإمام الّذي نرجو بطاعته ☆ يوم النشور من الرحمن رضواناً

و ساق الأبيات إلى قوله :

أنّى يحبّ و قد صحّت عزيمته ؟ ☆ على الّذي قال أعلن ذاك إعلاناً

«ص١٠٩ـ١١٠»

٢٠ ـ و روي أنّ الرجل قال : فما القضاء والقدر الّذي ذكرته يا أمير المؤمنين ؟ قال : الأمر بالطاعة ، والنهي عن المعصية ، و التمكين من فعل الحسنة و ترك المعصية ، والمعونة على القربة إليه ، والخذلان لمن عصاه ، والوعد والوعيد ، والترغيب والترهيب كلّ ذلك قضاء الله في أفعالنا وقدره لأعمالنا ، أمّا غير ذلك فلا تظنّه فإنّ الظنّ له محبط للأعمال ، فقال الرجل : فرّجت عنّي يا أمير المؤمنين فرّج الله عنك «ص١٠٩»

٢١ ـ فوائد الكراجكيّ ، عن المفيد ، عن محمّد بن عمر الحافظ ، عن إسحاق بن جعفر العلويّ ، عن أبي جعفر محمّد بن عليّ ، عن سليمان بن محمّد القرشيّ ، عن السكونيّ ، عن الصادق عليه السلام ، عن أبيه ، عن جدّه عليهم السلام قال : دخل رجل من أهل العراق على أمير المؤمنين عليه السلام فقال : أخبرنا عن خروجنا إلى أهل الشام ؛ إلى آخر الخبرين .

«ص ١٦٩ـ١٧٠»

(١) في المصدر : وأهل الغي . م

٢٢ ـ عد : اعتقادنا في القضاء والقدر قول الصادق عليه السلام لزرارة حين سأله فقال : ماتقول في القضاء والقدر ؟ قال : أقول : إنّ الله عزّوجلّ إذا جمع العباد يوم القيامة سألهم عمّا عهد إليهم ، ولم يسألهم عمّا قضى عليهم ،[1] و الكلام في القدر منهيّ عنه كما قال أمير المؤمنين عليه السلام لرجل قد سأله عن القدر : فقال : بحر عميق فلا تلجه ، ثمّ سأله ثانية فقال : طريق مظلم فلا تسلكه ، ثمّ سأله ثالثة فقال : سرّ الله فلا تتكلّفه .[2] « ص ٧١ »

٢٣ ـ وقال أمير المؤمنين عليه السلام في القدر : ألا إنّ القدر سرّ من سرّ الله ،[3] وحرز من حرز الله مرفوع في حجاب الله ، مطويّ عن خلق الله ، مختوم بخاتم الله ، سابق في علم الله ، وضع الله عن العباد علمه ، ورفعه فوق شهاداتهم ،[4] لأنّهم لاينالونه بحقيقة الربّانيّة ، ولا بقدرة الصمدانيّة ، ولا بعظمة النورانيّة ، ولا بعزّة الوحدانيّة ، لأنّه بحر زاخر ، موّاج ، خالص لله عزّوجلّ ، عمقه ما بين السماء والأرض ، عرضه ما بين المشرق والمغرب ، أسود كاللّيل الدامس ، كثير الحيّات والحيتان ، تعلو مرّة وتسفل أُخرى ، في قعره شمس تضيء ، لاينبغي أن يطّلع عليها إلّا الواحد الفرد ، فمن تطلّع عليها فقد ضادّ الله في حكمه ، ونازعه في سلطانه ، وكشف عن سرّه وستره ، وباء بغضب من الله ، ومأواه جهنّم ، وبئس المصير .[5] « ص ٧١ »

٢٤ـ وروي أنّ أمير المؤمنين عليه السلام عدل من عند حائط مائل إلى مكان آخر ، فقيل له : يا أمير المؤمنين تفرّ من قضاء الله ؟ فقال عليه السلام : أفرّ من قضاء الله إلى قدر الله .[6] وسئل

---

(١) سيأتي الحديث مسنداً تحت رقم ٣٨ وتقدم مرسلا عن زرارة في الباب السابق تحت رقم ١١١ نحوه .

(٢) سيأتي مسنداً تحت رقم ٣٥ .

(٣) في المصدر : سرمن سرالله وستر من ستر الله . م

(٤) في المصدر : ورفعه فوق شهاداتهم ومبلغ عقولهم . م

(٥) أورده مسنداً في ص ٣٩٢ من التوحيد ، والسند هكذا : محمد بن موسى المتوكل ، عن السعد آبادي ، عن البرقي ، عن أبيه ، عن محمد بن سنان ، عن زياد بن المنذر ، عن ابن طريف ، عن الاصبغ ، عن أمير المؤمنين عليه السلام . فليراجعه .

(٦) انظر الحديث مسنداً تحت رقم ٤١ .

الصادق عليه السلام عن الرقى هل تدفع من القدر شيئاً ؟ فقال : هي من القدر . [1] «ص٧١-٧٢»

أقول : قال الشيخ المفيد رحمه الله في شرح هذا الكلام : عمل أبو جعفر في هذا الباب على أحاديث شواذ لها وجوه تعرفها العلماء متى صحّت و ثبت أسنادها ، ولم يقل فيه قولاً محصّلاً ، وقد كان ينبغي له لمّا لم يعرف للقضاء معنى أن يهمل الكلام فيه والقضاء معروف في اللّغة ، وعليه شواهد من القرآن فالقضاء على أربعة أضراب : أحدها الخلق ، والثاني الأمر ، والثالث الإعلام ، و الرابع القضاء بالحكم ؛ فأمّا شاهد الأوّل فقوله تعالى : « فقضيهنّ سبع سموات » [2] وأمّا الثاني فقوله تعالى : «وقضى ربّك ألّاتعبدوا إلّا إيّاه » [3] وأمّا الثالث فقوله تعالى : « و قضينا إلى بني إسرائيل» [4] و أمّا الرابع فقوله : « والله يقضي بالحقّ » [5] يعني يفصل بالحكم بالحقّ بين الخلق ، وقوله : « وقضي بينهم بالحقّ » . [6] وقد قيل : إنّ للقضاء معنى خامساً وهو الفراغ من الأمر ، واستشهد على ذلك بقول يوسف عليه السلام : « قضي الأمر الّذي فيه تستفتيان» [7] يعني فرغ منه ، و هذا يرجع إلى معنى الخلق .

وإذا ثبت ما ذكرناه في أوجه القضاء بطل قول المجبّرة : أنّ الله تعالى قضى بالمعصية على خلقه لأنّه لايخلو إمّا أن يكونوا يريدون به أنّ الله خلق العصيان في خلقه فكان يجب أن يقولوا : قضى في خلقه بالعصيان ، ولا يقولوا قضى عليهم لأنّ الخلق فيهم لا عليهم ، مع أنّ الله تعالى قد أكذب من زعم أنّه خلق المعاصي بقوله سبحانه : « الّذي

---

(١) تقدم الحديث مسنداً تحت رقم ١ عن كتاب قرب الاسناد ، وأورده الصدوق في ص٣٩٠ من التوحيد باسناد آخر وهو هكذا : الدقاق ، عن محمد بن أبي عبدالله الكوفي ، عن موسى بن عمران النخعي ، عن عمه الحسين بن يزيد النوفلي ، عن علي بن سالم ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : سألته عن الرقى أتدفع من القدر شيئاً ؟ فقال : هي من القدر ، وقال عليه السلام : إن القدرية مجوس هذه الامة ، وهم الذين أرادوا أن يصفوا الله بعدله فأخرجوه من سلطانه ، وفيهم نزلت هذه الاية : «يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر إنا كل شيء خلقناه بقدر» .

(٢) حم السجدة : ١٢ . (٣) اسرى : ٢٣ .

(٤) اسرى : ٤ . (٥) المؤمن : ١٠ .

(٦) الزمر : ٦٩ . (٧) يوسف : ٤١ .

أحسن كلّ شيء خلقه»[1] كمامرّ؛ ولاوجه لقولهم : قضى المعاصي على معنى أمر بها لأنّه تعالى قد أكذب مدّعي ذلك بقوله تعالى : «إنّ الله لايأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لاتعلمون»[2] ولامعنى لقول من زعم أنّه قضى بالمعاصي على معنى أنّه أعلم الخلق بها إذ كان الخلق لايعلمون أنّهم في المستقبل يطيعون أويعصون ، ولايحيطون علماً بمايكون منهم في المستقبل على التفصيل ؛ ولاوجه لقولهم : إنّه قضى بالذنوب على معنى أنّه حكم بها بين العباد لأنّ أحكام الله تعالى حقّ ، والمعاصي منهم ، ولالذلك فائدة وهو لغو باتّفاق فبطل قول من زعم أنّ الله تعالى يقضي بالمعاصي والقبائح .

والوجه عندنا في القضاء والقدر بعد الّذي بيّنّاه أنّ الله تعالى في خلقه قضاءاً و قدراً وفي أفعالهم أيضاً قضاءاً وقدراً معلوماً ، ويكون المراد بذلك أنّه قدقضى في أفعالهم الحسنة بالأمر بها ، وفي أفعالهم القبيحة بالنهي عنها ، وفي أنفسهم بالخلق لها ، وفيمافعله فيهم بالإيجاد له ؛ والقدر منه سبحانه فيما فعله إيقاعه في حقّه و موضعه ، و في أفعال عباده ماقضاه فيها من الأمر والنهي والثواب و العقاب لأنّ ذلك كلّه واقع موقعه و موضوع في مكانه لم يقع عبثاً ولم يصنع باطلاً .

فإذا فسّر القضاء في أفعال الله تعالى والقدر بماشرحناه زالت الشبهة منه وثبتت الحجّة به و وضح القول فيه لذوي العقول ولم يلحقه فساد ولا اختلال .

فأمّا الأخبار الّتي رواها في النهي عن الكلام في القضاء والقدر فهي تحتمل وجهين : أحدهما أن يكون النهي خاصّاً بقوم كان كلامهم في ذلك يفسدهم ويضلّهم عن الدين ولا يصلحهم إلّا الإمساك عنه وترك الخوض فيه ، ولم يكن النهي عنه عامّاً لكافّة المكلّفين وقد يصلح بعض الناس بشيء يفسد به آخرون ، ويفسد بعضهم بشيء يصلح به آخرون ، فدبّر الأئمّة عليهم السلام أشياعهم في الدين بحسب ماعلموه من مصالحهم فيه .

والوجه الآخر أن يكون النهي عن الكلام فيهما النهي عن الكلام فيما خلق الله تعالى و عن علله وأسبابه وعمّا أمر به وتعبّد ، وعن القول في علل ذلك إذ كان طلب علل الخلق والأمر محظوراً لأنّ الله تعالى سترها من أكثر خلقه ألاترى أنّه لايجوز لأحد

---

(١) الم السجدة : ٧ . (٢) الاعراف : ٢٨ .

أن يطلب لخلقه جميع ما خلق عللاً مفصّلات، فيقول: لمّ خلق كذا وكذا؟ حتّى يعدّ المخلوقات كلّها ويحصيها، ولايجوز أن يقول: لمَ أمر بكذا وتعبّد بكذا ونهى عن كذا؟ إذ تعبّده بذلك وأمره لما هو أعلم به من مصالح الخلق، ولم يطلع أحداً من خلقه على تفصيل ما خلق وأمر به وتعبّد، وإن كان قد أعلم في الجملة أنّه لم يخلق الخلق عبثاً، وإنّما خلقهم للحكمة والمصلحة، ودلّ على ذلك بالعقل والسمع، فقال سبحانه: «وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين»[1] وقال: «أفحسبتم أنّما خلقناكم عبثاً»[2] وقال: «إنّا كلّ شيء خلقناه بقدر»[3] يعني بحقّ، و وضعناه في موضعه، وقال: «وما خلقت الجنّ و الإنس إلّا ليعبدون»[4] وقال فيما تعبّد: «لن ينال الله لحومها ولادماؤها و لكن يناله التّقوى منكم».[5]

وقد يصحّ أن يكون تعالى خلق حيواناً بعينه لعلمه تعالى بأنّه يؤمن عند خلقه كفّار، أو يتوب عند ذلك فسّاق، أو ينتفع به مؤمنون، أو يتّعظ به ظالمون، أو ينتفع المخلوق نفسه بذلك، أو يكون عبرة لواحد في الأرض أو في السماء، و ذلك يغيب عنّا، و إن قطعنا في الجملة أنّ جميع ما صنع الله تعالى إنّما صنعه لأغراض حكميّة، ولم يصنعه عبثاً، وكذلك يجوز أن يكون تعبّدنا بالصلاة لأنّها تقرّبنا من طاعته و تبعّدنا عن معصيته، وتكون العبادة بها لطفاً لكافّة المتعبّدين بها أو لبعضهم.

فلمّا خفيت هذه الوجوه وكانت مستورة عنّا و لم يقع دليل على التفصيل فيها وإن كان العلم بأنّها حكمة في الجملة كان النهي عن الكلام في معنى القضاء والقدر إنّما هو عن طلب علل لها مفصّلة فلم يكن نهياً عن الكلام في معنى القضاء والقدر.

هذا إن سلمت الأخبار الّتي رواها أبوجعفر رحمه الله، فأمّا إن بطلت أو اختلّ سندها فقد سقط عنّا عهدة الكلام فيها، والحديث الّذي رواه عن زرارة حديث صحيح من بين ما روى، والمعنى فيه ظاهر ليس به على العقلاء خفاء، وهو مؤيّد للقول بالعدل

---

(١) الانبياء: ١٦.
(٢) المؤمنون: ١١٥.
(٣) القمر: ٤٩.
(٤) الذاريات: ٥٦.
(٥) الحج: ٣٧.

ألاترى إلى مارواه عن أبي‌عبدالله عليه السلام من قوله : إذا حشرالله تعالى الخلائق سألهم عمّا عهد إليهم ولم يسألهم عمّا قضى‌عليهم .(١) وقد نطق القرآن بأنّ‌الخلق مسؤولون عن‌أعمالهم انتهى كلامه رحمه‌الله .

و أقول : من تفكّر في‌الشبه الواردة على اختيار العباد و فروع مسألة الجبر و الاختيار والقضاء والقدر علم سرّ نهي المعصوم عن التفكّر فيها فإنّه قلّ من‌أمعن‌النظر فيها ولم يزلّ قدمه إلّا من عصمه‌الله بفضله .

٢٥ ـ يد : المفسّر بإسناده إلى أبي‌محمّد العسكريّ عليه السلام قال : قال الرضا عليه السلام ـ فيمايصف به الربّ ـ : لايجور في‌قضيّته ، الخلق‌إلى‌ماعلم‌منقادون ، وعلى‌ماسطر في كتابه ماضون ، لايعملون خلاف ماعلم منهم ، ولاغيره يريدون . الخبر .(٢)

٢٦ ـ يد : في‌خبرالفتح‌بن يزيد ، عن‌أبي‌الحسن عليه السلام إنّ لله إرادتين ومشيّتين : إرادة حتم ، وإرادة عزم ، ينهى وهويشاء ، ويأمر وهولايشاء ، أوماراأيت أنّ‌الله نهى آدم و زوجته أن يأكلا من الشجرة وهو شاء ذلك ؟ ولولم يشأ لم يأكلا ، ولوأكلا لغلبت مشيّتهما مشيّة‌الله ، وأمر إبراهيم بذبح ابنه وشاء أن لايذبحه ، ولولم يشأ أن لايذبحه لغلبت مشيّة إبراهيم مشيّة‌الله عزّوجلّ . «ص٤٦ـ٤٧»

أقول : أوردنا الخبر بإسناده وتمامه في‌باب جوامع التوحيد ، قال الصدوق رحمه‌الله بعد إيراد هذا الخبر : إنّ الله تعالى نهى آدم و زوجته عن أن يأكلا من‌الشجرة وقد علم أنّهما يأكلان منها لكنّه عزّوجلّ شاء أن لايحول بينهما و بين الأكل منها بالجبر والقدرة ،كما منعهما عن الأكل منها بالنهي والزجر، فهذا معنى‌مشيّته فيهما ، ولوشاء عزّوجلّ منعهما من‌الأكل بالجبر ثمّ أكلا منها لكان‌مشيّتهما قدغلبت مشيّة الله‌كما قال العالم ، تعالى‌الله عن العجز علوّاً كبيراً .

بيان : قيل : المراد بالمشيّة في تلك الأخبار هو العلم ، وقيل : هي تهيئة أسباب الفعل بعد إرادة العبد ذلك‌الفعل ، وقيل : إرادة بالعرض يتعلّق بفعل‌العبد ، والأصوب

---

(١) يأتي‌الحديث مسنداً تحت‌رقم٣٨وفيه : إبراهيم بن‌هاشم وعلي بن‌معبد .

(٢) تقدم الحديث بتمامه في‌باب نفي الجسم والصورة .

أنّها عبارة عن منع الألطاف والهدايات الصارفة عن الفعل و الداعية إليه لضرب من المصلحة ، أوعقوبة لماصنع العبد بسوء اختياره كمامرّ بيانه .(١)

٢٧ـ يد : الدقّاق ، عن الكلينيّ ، عن ابن عامر ، عن المعلّى قال : سئل العالم عليه السلام كيف علم الله ؟ قال : علم وشاء ، وأراد وقدّر ، وقضى وأمضى ؛ فأمضى ماقضى ، و قضى ماقدّر ، وقدّر ماأراد ؛ فبعلمه كانت المشيّة ، وبمشيّته كانت الإرادة ، وبإرادته كان التقدير ، وبتقديره كان القضاء ، و بقضائه كان الإمضاء ، فالعلم متقدّم على المشيّة ، و المشيّة ثانية ، والإرادة ثالثة ، والتقدير واقع على القضاء بالإمضاء ، فللّه تبارك وتعالى البداء فيماعلم متى شاء ، وفيما أراد لتقدير الأشياء ، فإذا وقع القضاء بالإمضاء فلابداء ، فالعلم بالمعلوم قبل كونه ، والمشيّة في المشاء قبل عينه ، والإرادة في المراد قبل قيامه ، والتقدير لهذه المعلومات قبل تفصيلها وتوصيلها عياناً وقياماً ،(٢) والقضاء بالإمضاء هو المبرم من المفعولات ذوات الأجسام المدركات بالحواسّ ، من ذي لون وريح ، و وزن وكيل ، ومادبّ و درج ، من إنس وجنّ ، وطير وسباع ، وغير ذلك ممّا يدرك بالحواسّ ، فللّه تبارك وتعالى فيه البداء ممّا لاعين له ، فإذا وقع العين المفهوم المدرك فلابداء ، والله يفعل مايشاء ، وبالعلم علم الأشياء قبل كونها ، وبالمشيّة عرف صفاتها وحدودها وأنشأها قبل إظهارها ، و بالإرادة ميّز أنفسها في ألوانها وصفاتها و حدودها ، وبالتقدير قدّر أقواتها (٣) وعرّف أوّلها و آخرها ، وبالقضاء أبان للناس أماكنها و دلّهم عليها ، و بالإمضاء شرح عللها وأبان أمرها ذلك تقدير العزيز العليم . «ص٣٤٥ ـ ٣٤٦»

بيان : قوله عليه السلام : قبل تفصيلها وتوصيلها أي في لوح المحو و الإثبات ، أو في الخارج . قوله عليه السلام : فإذا وقع العين المفهوم المدرك أي فصّل وميّز في اللّوح ، أوأوجد في الخارج ، ولعلّ تلك الأمور عبارة عن اختلاف مراتب تقديرها في لوح المحو و

(١) ماتضمنه الخبر هي الارادة التشريعية ، والارادة التكوينية المتعلقة بأفعال العباد من طريق اختيارهم وإرادتهم ، والذي ذكره المصنف رحمه الله بقوله : والاصوب الخ من لوازم تعلق الارادة من طريق الاختيار . ط

(٢) في الكافي : عياناً و وقتاً .

(٣) في المصدر : في ألوانها وصفاتها و بالتقدير قدر اوقاتها . م

الإثبات قد جعلها الله من أسباب وجود الشيء وشرائطه لمصالح ، وقد مرّ بيانها في باب البداء ، فالمشيّة كتابة وجود زيد وبعض صفاته مثلاً مجملاً ، والإرادة كتابة العزم عليه بتّاً مع كتابة بعض صفاته أيضاً ، والتقدير تفصيل بعض صفاته و أحواله لكن مع نوع من الإجمال أيضاً ، والقضاء تفصيل جميع الأحوال وهو مقارن للإمضاء أي الفعل والإيجاد ، والعلم بجميع تلك الأمور أزليٌّ قديم ، فقوله : وبالمشيّة عرّف على صيغة التفعيل ، وشرح العلل كناية عن الإيجاد .

و قال بعض الأفاضل : الظاهر من السؤال أنّه كيف علم الله ؟ أبعلم مستند إلى الحضور العينيّ في وقته والشهود لموجود عينيّ ؟[1] أو في موجود عينيّ كما في علومنا ؟ أو بعلم مستند إلى الذات سابق على خلق الأشياء ؟ فأجاب عليه السلام بأنّ العلم سابق على وجود المخلوق بمراتب ، فقال : علم وشاء وأراد وقدّر وقضى وأمضى ، فالعلم ما به ينكشف الشيء ، والمشيّة ملاحظته بأحوال مرغوب فيها يوجب فينا ميلاً دون المشيّة له سبحانه لتعاليه عن التغيّر والاتّصاف بالصفة الزائدة ، والإرادة تحريك الأسباب نحوه بحركة نفسانيّة فينا بخلاف الإرادة فيه سبحانه ، والقدر التحديد وتعيين الحدود والأوقات ، والقضاء هو الإيجاب ، والإمضاء هو الإيجاد ، فوجود الخلق بعد علمه سبحانه بهذه المراتب ؛ وقوله : فأمضى ما قضى أي فأوجد ما أوجب ، وأوجب ما قدّر ، و قدّر ما أراد ، ثمّ استأنف البيان على وجه أوضح فقال : بعلمه كانت المشيّة وهي مسبوقة بالعلم ، و بمشيّته كانت الإرادة وهي مسبوقة بالمشيّة ، و بإرادته كان التقدير والتقدير مسبوق بالإرادة ، وبتقديره كان القضاء والإيجاب وهو مسبوق بالتقدير ، إذ لا إيجاب إلّا للمحدّد الموقوف ، و بقضائه وإيجابه كان الإمضاء والإيجاد ؛ ولله تعالى البداء فيما علم متى شاء فإنّ الدخول في العلم أوّل مراتب السلوك إلى الوجود العينيّ ، وله البداء فيما علم متى شاء أن يبدو وفيما أراد ، وحرّك الأسباب نحو تحريكه متى شاء قبل القضاء والإيجاب فإذا وقع القضاء والإيجاب متلبّساً بالإمضاء والإيجاد فلا بداء فعلم أنّ في المعلوم العلم قبل كون المعلوم وحصوله في الأذهان والأعيان ، وفي المشاء المشيّة قبل عينه و وجوده

---

(١) في بعض النسخ هكذا : أبعلم مستند إلى الحضور العيني في وقته والشهود في وقته بموجود ؟.

العينيّ. وفي أكثر النسخ: المنشأ و لعلّ المراد به الإنشاء قبل الإظهار، كما في آخر الحديث، وفي المراد الإرادة قبل قيامه والتقدير لهذه المعلومات قبل تفصيلها وتوصيلها وحضورها العينيّ في أوقاتها، والقضاء بالإمضاء هو المبرم الّذي يلزمه وجود المقضيّ، فبالعلم علم الأشياء قبل كونها، وأصل العلم غير مرتبط بنحو من الحصول للمعلوم ولو في غيره بصورته المتحدّده، ولا يوجب نفس العلم والانكشاف بما هو علم وانكشاف للأشياء إنشاءها، وبالمشيّة ومعرفتها بصفاتها وحدودها أنشأها إنشاءاً قبل الإظهار والإدخال في الوجود العينيّ، و بالإرادة وتحريك الأسباب نحو وجودها العينيّ ميّز بعضها عن بعض بتخصيص تحريك الأسباب نحو وجود بعض دون بعض، وبالتقدير قدّرها وعيّن وحدّد أقواتها وأوقاتها و آجالها، وبالقضاء وإيجابها بموجباتها أظهر للناس أماكنها، و دلّهم عليها بدلائلها، فاهتدوا إلى العلم بوجودها حسب مايوجبه الموجب بعد العلم بالموجب، وبالإمضاء والإيجاد أوضح تفصيل عللها وأبان أمرها بأعيانها.

٢٨ ـ يد: القطّان، عن أحمد الهمدانيّ، عن عليّ بن الحسن بن فضّال، عن أبيه، عن مروان بن مسلم، عن الثماليّ، عن ابن طريف، عن الأصبغ قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: أوحى الله تعالى إلى داود: ياداود تريد وأُريد، ولايكون إلّا ما أُريد، فإن أسلمت لما أُريد أعطيتك ماتريد، وإن لم تسلم لما أُريد أتعبتك فيما تريد ثمّ لايكون إلّا ما أُريد. «ص ٣٤٩»

٢٩ ـ يد: أبي، عن سعد، عن ابن أبي الخطّاب، عن جعفر بن بشير، عن العرزميّ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كان لعليّ عليه السلام غلام اسمه قنبر، وكان يحبّ عليّاً عليه السلام حبّاً شديداً، فإذا خرج عليّ عليه السلام خرج على أثره بالسيف، فرآه ذات ليلة فقال: ياقنبر مالك؟ قال: جئت لأمشي خلفك فإنّ الناس كما تراهم يا أمير المؤمنين فخفت عليك! قال: ويحك أمن أهل السماء تحرسني أم من أهل الأرض؟ قال: لا بل من أهل الأرض، قال: إنّ أهل الأرض لايستطيعون بي شيئاً إلّا بإذن الله عزّ وجلّ من السماء، فارجع فرجع. «ص ٣٥٠»

٣٠ ـ كا: عليّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن زيد الشحّام، عن أبي عبدالله عليه السلام

قال : إنّ أمير المؤمنين عليه السلام جلس إلى حائط مائل يقضي بين الناس ، فقال بعضهم : لاتقعد تحت هذا الحائط فإنّه معور ،[1] فقال أمير المؤمنين : حرس امرء أجله ، فلمّا قام سقط الحائط . قال : وكان أمير المؤمنين عليه السلام يفعل هذا وأشباهه وهذا اليقين . « ج ٢ ص٥٨ »

٣١ ـ كا : محمّد بن يحيى ، عن أحمد بن محمّد ، عن الوشّاء ، عن عبدالله بن سنان ، عن أبي حمزة ، عن سعيد بن قيس الهمداني قال : نظرت يوماً في الحرب إلى رجل عليه ثوبان فحرّكت فرسي فإذا هو أمير المؤمنين عليه السلام فقلت : يا أمير المؤمنين في مثل هذا الموضع ؟! فقال : نعم يا سعيد بن قيس ، إنّه ليس من عبد إلّا وله من الله عزّ وجلّ حافظ و واقية معه ملكان يحفظانه من أن يسقط من رأس جبل ، أو يقع في بئر فإذا نزل القضاء خلّيا بينه و بين كلّ شيء . « ج٢ ص٥٨-٥٩ »

بيان : يمكن أن يكون هذه الأمور من خصائصهم عليهم السلام ، لعلمهم بعدم تضرّرهم بهذه الأمور و بوقت موتهم و سببه ، ولذافرّ عليه السلام من حائط كما سيأتي ولم يفرّ من حائط كما مرّ ، لعلمه بسقوط الأوّل و عدم سقوط الثاني ، ويحتمل أن يكون المقصود من تلك الأخبار عدم المبالغة في الفرار عن البلايا والمصائب ، وعدم ترك الواجبات للتوهّمات البعيده .[2]

ويؤيّده مارواه الصدوق في الخصال عن ابن المتوكّل ، عن محمّد العطّار ، عن محمّد بن أحمد بن عليّ الكوفيّ ، ومحمّد بن الحسين ، عن محمّد بن حمّاد الحارثيّ ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : خمسة لايستجاب لهم : أحدهم رجل مرّ بحائط مائل وهو يقبل إليه ولم يسرع المشي حتّى سقط عليه . الخبر .

---

(١) أى مخوف لاحافظ له .

(٢) قوله عليه السلام فى آخر الرواية الاولى : «وهذا اليقين» الظاهر فى المدح والتعظيم ينفى الاحتمال الاول إذلافضل لمن لايتقى مكروها لعلمه بعدم وجوده أو عدم تأثيره ، وكذا قوله عليه السلام : حرس امرء أجله يدفع الاحتمال الثانى إذلايعتد بالتوهمات البعيدة عند العقلاء فلاحاجة إلى دفعه بأن الاجل حارس . والذى ينبغى أن يقال : أن اليقين بأن الامر بيدالله لايدع احتمالا لتأثير مؤثر غيره حتى يتقى آثار المكاره ومع ذلك فالعادة الجارية بين العقلاء من الانسان أن يتقى مايعد عادة أثراً مكروها ولمن فاز بدرجة اليقين من أولياء الله أن يعمل على طبق يقينه ، وأن يجرى على مايجرى عليه العقلاء فكان عليه السلام يتفنن فى سيرته فتارة هكذا وتارة كذلك . ط

٣٢ ـ يد : ابن الوليد ، عن الصفّار ، عن جعفر بن محمّد بن عبدالله ، عن القدّاح ، عن جعفر بن محمّد ، عن أبيه عليهما السلام قال : قيل لعليّ عليه السلام : إنّ رجلاً يتكلّم في المشيّة فقال : ادعه لي ، فقال : فدعي له ، فقال : ياعبدالله خلقك الله لماشاء أولما شئت ؟ قال : لماشاء ، قال : فيمرضك إذاشاء أو إذاشئت ؟ قال : إذاشاء ، قال : فيشفيك إذا شاء أو إذا شئت ؟ قال : إذا شاء ، قال : فيدخلك حيث يشاء أوحيث شئت ؟ فقال : حيث يشاء ، قال : فقال عليّ عليه السلام : لوقلت غيرهذا لضربت الّذي فيه عيناك . «ص ٣٤٨»

٣٣ ـ يد : و بهذا الإسناد قال : دخل على أبي‌عبدالله عليه السلام أو أبي جعفر عليه السلام رجل من أتباع بني اُميّة فخفنا عليه ، فقلنا له : لوتواريت وقلنا ليس هو ههنا ! قال : بلى ائذنوا له[1] فإنّ رسول‌الله صلى الله عليه وآله قال : إنّ الله عزّ وجلّ عند لسان كلّ قائل ويد كلّ باسط ، فهذا القائل لايستطيع أن يقول إلّا ماشاءالله ، وهذا الباسط لايستطيع أن يبسط يده إلّا بماشاءالله فدخل عليه فسأله عن أشياء آمن بها و ذهب . « ص ٣٤٨ »

٣٤ ـ يد : أبي ، عن عليّ ، عن أبيه ، عن ابن معبد ، عن درست ، عن الفضيل قال : سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول : شاء و أراد و لم يحبّ ولم يرض ، شاء أن لايكون في ملكه[2] شيء إلّا بعلمه وأراد مثل ذلك ، ولم يحبّ أن يقال له : ثالث ثلاثة ، ولم يرض لعباده الكفر . «ص ٣٥٠»

يد : إنّ الله تبارك و تعالى قدقضى جميع أعمال العباد وقدّرها وجميع مايكون في العالم من خير وشرّ ، والقضاء قديكون بمعنى الإعلام كما قال الله عزّ وجلّ : « وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب »[3] يريد أعلمناهم ، وكما قال الله عزّ وجلّ : « وقضينا إليه ذلك الأمر أنّ دابر هؤلاء مقطوع مصبحين »[4] يريد أخبرناه وأعلمناه ، فلاينكر أن يكون الله عزّ وجلّ يقضي أعمال العباد وسائر مايكون من خير وشرّ على هذا المعنى لأنّ الله عزّ وجلّ عالم بها أجمع ، ويصحّ أن يعلمها عباده ويخبرهم عنها ، وقد يكون القدر أيضاً في معنى

---

(١) في المصدر : بل ائذنوا له . م

(٢) ليست في المصدر كلمة « في ملكه » كما في الكافي « ج ١ ص ١٥١ » .

(٣) اسرى : ٢ . (٤) الحجر : ٦٦ .

الكتاب والإخبار كما قال الله عزّ وجلّ: «إلّا امرأته قدّرناها من الغابرين»(١) يعني كتبنا وأخبرنا؛ وقال العجّاج:

و اعلم بأنّ ذا الجلال قد قدر ✿ في الصحف الاُولى الّتي كان سطر

وقدر معناه كتب؛ وقد يكون القضاء بمعنى الحكم والإلزام قال الله عزّ وجلّ: «وقضى ربّك ألّا تعبدوا إلّا إيّاه و بالوالدين إحساناً»(٢) يريد حكم بذلك وألزمه خلقه، فقد يجوز أن يقال: إنّ الله عزّ وجلّ قد قضى من أعمال العباد على هذا المعنى ما قد ألزمه عباده وحكم به عليهم و هي الفرائض دون غيرها، وقد يجوز أيضاً أن يقدّر الله عزّ وجلّ أعمال العباد بأن يبيّن مقاديرها وأحوالها من حسن وقبح وفرض و نافلة وغير ذلك، ويفعل من الأدلّة على ذلك ما يعرّف به هذه الأحوال لهذه الأفعال فيكون عزّ وجلّ مقدّراً لها في الحقيقة، وليس يقدّرها ليعرف مقدارها ولكن ليبيّن لغيره ممّن لا يعرف ذلك حال ما قدّره بتقديره إيّاه، وهذا أظهر من أن يخفى وأبين من أن يحتاج إلى الاستشهاد عليه ألا ترى أنّا قد نرجع إلى أهل المعرفة بالصناعات في تقديرها لنا فلا يمنعهم علمهم بمقاديرها من أن يقدّروها لنا ليبيّنوا لنا مقاديرها؟ و إنّما أنكرنا أن يكون الله عزّ وجلّ حكم بها على عباده ومنعهم من الانصراف عنها أو أن يكون فعلها و كوّنها فأمّا أن يكون عزّ وجلّ خلقها خلق تقدير فلا ننكره.

وسمعت بعض أهل العلم يقول: إنّ القضاء على عشرة أوجه: فأوّل وجه منها العلم، وهو قول الله عزّ وجلّ: «إلّا حاجة في نفس يعقوب قضيها»(٣) يعني علمها.

والثاني: الإعلام وهو قوله عزّ وجلّ: «وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب»(٤) وقوله: «وقضينا إليه ذلك الأمر أنّ دابر هؤلاء»(٥) أي أعلمناه.

والوجه الثالث: الحكم وهو قوله عزّ وجلّ: «ويقضي ربّك بالحقّ» يعني يحكم بالحقّ.(٦)

(١) النمل: ٥٧. (٢) اسرى: ٢٣.
(٣) يوسف: ٦٨. (٤) اسرى: ٤.
(٥) الحجر: ٦٦.
(٦) فى المصدر: وهو قوله عزوجل «والله يقضى بالحق» اى يحكم بالحق، والرابع القول وهو قوله عزوجل «و هو يقضى بالحق» اى يقول بالحق. م

والرابع : القول وهو قوله عزّوجلّ : « والله يقضي بالحقّ »[١] أي يقول الحقّ .
والخامس : الحتم وهوقوله عزّوجلّ : « فلمّا قضينا عليه الموت»[٢] يعني حتمنا فهوالقضاء الحتم .
والسادس : الأمر وهوقوله عزّوجلّ : « وقضى ربّك أن لاتعبدوا إلّا إيّاه »[٣] يعني أمر ربّك .
والسابع : الخلق وهوقوله عزّوجلّ : « فقضيهن سبع سموات في يومين»[٤] يعني خلقهنّ .
والثامن : الفعل وهو قوله عزّوجلّ : « فاقض ما أنت قاض »[٥] أي افعل ما أنت فاعل .
والتّاسع : الإتمام وهو قوله عزّوجلّ : « فلمّا قضى موسى الأجل »[٦] وقوله عزّوجلّ حكاية عن موسى : « أيّما الأجلين قضيت فلاعدوان عليّ والله على مانقول وكيل »[٧] أي أتممت .
و العاشر : الفراغ من الشيء ، وهو قوله عزّوجلّ : « قضي الأمر الّذي فيه تستفتيان »[٨] يعني فرغ لكما منه ، وقول القائل : «قدقضيت لك حاجتك» يعني فرغت لك منها فيجوز أن يقال : إنّ الأشياء كلّها بقضاء الله وقدره تبارك وتعالى بمعنى أنّ الله عزّوجلّ قدعلمها وعلم مقاديرها ، وله عزّوجلّ في جميعها حكم من خير أوشرّ ، فما كان من خير فقد قضاه بمعنى أنّه أمر به وحتمه وجعله حقّاً وعلم مبلغه و مقداره ، وما كان من شرّ فلم يأمر به ولم يرضه ، ولكنّه عزّوجلّ قدقضاه وقدّره بمعنى أنّه علمه بمقداره ومبلغه وحكم فيه بحكمه .
والفتنة على عشرة أوجه : فوجه منها الضلال .

---

(١) المؤمن : ٢٠ . (٢) سبا : ٣٤ .
(٣) اسرى : ٢٣ . (٤) حم السجدة : ١٢ .
(٥) طه : ٧٢ . (٦) القصص : ٢٨ .
(٧) القصص : ٢٨ . (٨) يوسف : ٤١ .

والثاني : الاختبار وهو قوله عزّ وجلّ : « وفتنّاك فتوناً »[١] يعني اختبرناك اختباراً ، وقوله عزّ وجلّ : « الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنّا وهم لا يفتنون »[٢] يعني لا يختبرون .

و الثالث : الحجّة وهو قوله عزّ وجلّ : « ثمّ لم تكن فتنتهم إلّا أن قالوا والله ربّنا ما كنّا مشركين ».[٣]

والرابع : الشرك وهو قوله عزّ وجلّ : « والفتنة أشدّ من القتل » .[٤]

والخامس : الكفر وهو قوله عزّ وجلّ : « ألا في الفتنة سقطوا »[٥] يعني في الكفر .

والسادس : الإحراق بالنار ، وهو قوله عزّ وجلّ : « إنّ الّذين فتنوا المؤمنين و المؤمنات »[٦] الآية يعني أحرقوا .

والسابع : العذاب وهو قوله عزّ وجلّ : « يوم هم على النار يفتنون »[٧] يعني يعذّبون ، و قوله عزّ وجلّ : « ذوقوا فتنتكم هذا الّذي كنتم به تكذّبون »[٨] يعني عذابكم ، و قوله عزّ وجلّ : « ومن يرد الله فتنته » يعني عذابه « فلن تملك له من الله شيئاً » .[٩]

والثامن القتل وهو قوله عزّ وجلّ : « إن خفتم أن يفتنكم الّذين كفروا »[١٠] يعني إن خفتم أن يقتلوكم ، وقوله عزّ وجلّ : « فما آمن لموسى إلّا ذرّيّة من قومه على خوف من فرعون وملائهم أن يفتنهم »[١١] يعني أن يقتلهم .

والتاسع : الصدّ وهو قوله تعالى : « وإن كادوا ليفتنونك عن الّذي أوحينا إليك »[١٢] يعني ليصدّونك .

والعاشر : شدّة المحنة وهو قوله عزّ وجلّ : « ربّنا لا تجعلنا فتنة للّذين كفروا »[١٣]

---

(١) طه : ٤٠ .
(٢) العنكبوت : ٢٩ - ٣٠ .
(٣) الانعام : ٢٣ .
(٤) البقرة : ١٩١ .
(٥) التوبة : ٥٠ .
(٦) المجادلة : ١٠ .
(٧) الحجر : ١٣ .
(٨) الحجر : ١٤ .
(٩) المائدة : ٤١ .
(١٠) النساء : ١٠١ .
(١١) يونس : ٨٣ .
(١٢) اسرى : ٧٣ .
(١٣) الممتحنة : ٥ .

و قوله عزّوجلّ : « ربّنا لاتجعلنا فتنة للقوم الظالمين »[1] أي محنة فيفتنّوا بذلك ، و يقولـوا في أنفسهم : لم نقتلهم إلّا و دينهم الباطل و ديننا الحقّ فيكون ذلك داعياً لهم إلى النار على ماهم عليه من الكفر والظلم . وقد زاد عليّ بن إبراهيم بن هاشم على هذه الوجوه العشرة وجهاً آخر فقال : في الوجوه من الفتنة ماهو المحبّة وهو قوله عزّوجلّ : « إنّما أموالكم وأولادكم فتنة »[2] أي محبّة ، والّذي عندي في ذلك أنّ وجوه الفتنة عشرة ، وأنّ الفتنة في هذا الموضع أيضاً المحنة بالنون لا المحبّة بالباء ، و تصديق ذلك قول النبيّ صلى الله عليه وآله : « الولد مجهلة مجنبة مبخلة » وقد أخرجت هذا الحديث مسنداً في كتاب مقتل الحسين بن عليّ عليهما السلام . « ص٣٩٢ ـ ٣٩٧ »

بيان : قوله صلى الله عليه وآله : مجهلة أي يحملون آباءهم على الجهل ، مجنبة أي يحملونهم على الجبن . مبخلة أي يحملونهم على البخل .

أقول : هذه الوجوه من القضاء والفتنة المذكورة في تفسير النعمانيّ فيما رواه عن أمير المؤمنين عليه السلام وقد أثبتناه بإسناده في كتاب القرآن .

٣٥ ـ **يد :** أبي ، عن سعد ، عن ابن عيسى ، عن محمّد البرقيّ ، عن عبدالملك بن عنترة الشيبانيّ ،[3] عن أبيه ، عن جدّه قال : جاء رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال : يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر ، فقال : بحر عميق فلا تلجه . فقال : يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر ، قال : طريق مظلم فلا تسلكه . قال : يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر ، قال : سرّ الله فلا تتكلّفه . قال : يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر ، قال : فقال أمير المؤمنين عليه السلام : أمّا إذا أبيت فإنّي سائلك : أخبرني أكانت رحمة الله للعباد قبل أعمال العباد أم كانت أعمال العباد قبل رحمة الله ؟ قال : فقال له الرجل : بل كانت رحمة الله للعباد قبل أعمال العباد ؛ فقال أمير المؤمنين

---

(١) يونس : ٨٥ . (٢) التغابن : ١٥ .

(٣) عنترة بفتح العين المهملة وسكون النون وفتح التاء والراء المهملة والهاء ، والظاهر أنه عبدالملك بن هارون بن عنترة الشيباني المترجم في ص١٦٧ من رجال النجاشي بقوله : عبدالملك بن هارون بن عنترة الشيباني كوفي ، ثقة ، عين ، روى عن أصحابنا و رووا عنه ، ولم يكن متحققا بأمرنا إهـ . و أورد ابن حجر ترجمة جده عنترة في التقريب ، قال : عنترة بن عبدالرحمن الكوفي ثقة من الثانية ، وهم من زعم أن له صحبة ، وهو جد عبدالملك بن هارون بن عنترة الكوفي . أقول : حكي عن رجال البرقي أن جد عبدالملك بن هارون بن عنترة يكون صيفي بن فسيل الذي سيره زياد بن أبيه الى معاوية مع حجر بن عدي وقتله معاوية مع حجر وأصحابه .

عليه السلام قوموا فسلّموا على أخيكم فقد أسلم ، وقد كان كافراً ، قال : وانطلق الرجل غير بعيد ثمّ انصرف إليه فقال له : يا أمير المؤمنين أبالمشيّة الاُولى نقوم ونقعد ونقبض ونبسط ؟ فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : وإنّك لبعيد في المشيّة ؟ ! أما إنّي سائلك عن ثلاث لا يجعل الله لك في شيء منها مخرجاً : أخبرني أخلق الله العباد كما شاء أو كما شاؤوا ؟ فقال : كما شاء ، قال : فخلق الله العباد لما شاء أو لما شاؤوا ؟ فقال : لما شاء ، قال : يأتونه يوم القيامة كما شاء أو كما شاؤوا ؟ قال : يأتونه كما شاء ، قال : قم فليس إليك من المشيّة شيء . «ص٣٧٤ـ٣٧٥»

بيان : لعلّ المراد المشيّة المستقلّة الّتي لا يحتاج معها إلى عون الله وتوفيقه .[1]

٣٦ - يد : أبي ، عن سعد ، عن ابن يزيد ، عن ابن أبي عمير ، عن جميل ، عن زرارة ،

---

(١) كل واحد من احاد الخلق محدود بحدود يتميز بها في وجوده كالطول والعرض واللون وسائر الاوصاف والروابط التي يرتبط بغيره بواسطتها ككون الانسان ابن فلان وأخا فلان وأبافلان وفي زمان كذا ومكان كذا وهكذا . وإذا أمعنت النظر في ذلك وجدت أن جميع أسباب وجود الشيء ذوات دخل في حدود وجوده سائر مايتعلق بوجوده وانها هي التي يتقدر بها الشيء غير أن كلا من الاسباب أيضاً يتقدر بما يتقدمه من المقدرات ، ولا محالة تنتهي إليه سبحانه فعنده تعالى حقيقة ما يتقدر به كل شيء ويتحدد به كل أمر .

والاشياء إنما ترتبط به تعالى من جهة صفاته الفعلية التي بها ينعم عليها ويقيم صلبها و يدبر أمرها كالرحمة والرزق والهداية والاحياء والحفظ والخلق و غيرها ومايقابلها فلله سبحانه من جهة صفات فعله دخل في كل شيء مخلوق وما يتعلق به من أثر وفعل اذلا معنى لاثبات صفة فيه تعالى متعلقة بالاشياء وهي لاتتعلق بها .

ولذلك فانه عليه السلام سأل الرجل عن تقدم صفة الرحمة على الاعمال ، ولا معنى لتقدمها مع عدم ارتباطها بها وتأثيرها فيها فقد نظم الله الوجود بحيث تجري فيه الرحمة والهداية والمثوبة والمغفرة وكذا ما يقابلها ولايوجب ذلك بطلان الاختيار في الافعال فان تحقق الاختيار نفسه مقدمة من مقدمات تحقق الامر المقدر إذ لولا الاختيار لم يتحقق طاعة ولامعصية فلم يتحقق ثواب ولاعقاب ولا امر ولانهي ولابعث ولاتبليغ . ومن هنا يظهر وجه تمسك الامام عليه السلام بسبق صفة الرحمة على العمل ثم بيانه عليه السلام أن لله مشية في كل شيء وأنها لاتلغو ولا تغلبه مشية العبد فالفعل لا يتخطى مشيته تعالى ولا يوجب ذلك بطلان تأثير مشية العبد فان مشية العبد إحدى مقدمات تحقق ما تعلقت به مشيته تعالى فان شاء الفعل الذي يوجد بمشية العبد فلا بد لمشية العبد من التحقق والتأثير فافهم ذلك ، وهذه الرواية الشريفة على ارتفاع مكانتها ولطف مضمونها يتضح به جميع ما ورد في الباب من مختلف الروايات ، وكذا الايات المختلفة من غير حاجة الى أخذ بعض وتأويل بعض آخر . ط

عن عبدالله بن سليمان ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : سمعته يقول : إنّ القضاء والقدر خلقان من خلق الله ، والله يزيد في الخلق مايشاء . «ص٣٧٣»

٣٧ ـ فس : النضر ، عن هشام ، وعبيد ، عن حمران ، عنه عليه السلام مثله .(١)

بيان : خلقان من خلق الله بضمّ الخاء أي صفتان من صفات الله ، أو بفتحهما ، أي هما نوعان من خلق الأشياء وتقديرها في الألواح السماويّة ، وله البداء فيها قبل الإيجاد ، فذلك قوله : يزيد في الخلق مايشاء ؛ أو المعنى أنّهما مرتبتان من مراتب خلق الأشياء فإنّها تتدرّج في الخلق إلى أن تظهر في الوجود العينيّ .

٣٨ ـ يد : ابن الوليد ، عن الصفّار ، عن ابن هاشم ، عن ابن معبد ، عن درست ، عن ابن اُذينة ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال ، قلت له : جعلت فداك ماتقول في القضاء والقدر؟ قال : أقول : إنّ الله تعالى إذا جمع العباد يوم القيامة سألهم عمّا عهد إليهم ، ولم يسألهم عمّا قضى عليهم . « ص٣٧٣ ـ ٣٧٤ »

بيان : هذا الخبر يدلّ على أنّ القضاء والقدر إنّما يكون في غير الاُمور التكليفيّة كالمصائب والأمراض وأمثالها ، فلعلّ المراد بهما القضاء والقدر الحتميّان .(٢)

٣٩ ـ يد : أبي ، عن سعد ، عن الإصبهانيّ ، عن المنقريّ ، عن سفيان بن عيينة ، عن الزهريّ قال : قال رجل لعليّ بن الحسين عليهما السلام : جعلني الله فداك ، أبقدر يصيب الناس ماأصابهم أم بعمل ؟ فقال : إنّ القدر والعمل بمنزلة الروح والجسد فالروح بغير جسد لايحسّ ، والجسد بغير روح صورة لاحراك بها ، فإذا اجتمعا قويا وصلحا ، كذلك العمل والقدر فلولم يكن القدر واقعاً على العمل لم يعرف الخالق من المخلوق وكان

---

(١) ما وجدناه في تفسير القمي . م

(٢) الرواية تدل على أن التكاليف والاحكام امور اعتبارية غير تكوينية ، ومورد القضاء والقدر بالمعنى الدائر هو التكوينيات فأعمال العباد من حيث وجودها الخارجي كسائر الموجودات متعلقات القضاء والقدر ، ومن حيث تعلق الامر و النهي و الاشتمال على الطاعة و المعصية امور اعتبارية وضعية خارجة عن دائرة القضاء والقدر إلا بالمعنى الاخر الذي بينه أمير المؤمنين عليه السلام للرجل الشامي عند منصرفه من صفين كما في الروايات ومحصله التكليف لمصالح تستدعي ذلك فالقدر في الاعمال ينشأ من المصالح التي تستدعي التكليف الكذائي والقضاء هو الحكم بالوجوب والحرمة مثلا بامر أو نهي . ط

القدر شيئاً لم يحسّ، ولو لم يكن العمل بموافقة من القدر لم يمض ولم يتمّ، ولكنّهما باجتماعهما قويا، ولله فيه العيون[1] لعباده الصالحين. ثمّ قال: ألا إنّ من أجور الناس من رأى جوره عدلاً وعدل المهتدي جوراً، ألا إنّ للعبد أربعة أعين: عينان يبصر بهما أمر آخرته، وعينان يبصر بهما أمر دنياه، فإذا أراد الله عزّ وجلّ بعبد خيراً فتح له العينين اللّتين في قلبه فأبصر بهما العيب، وإذا أراد غير ذلك ترك القلب بما فيه. ثمّ التفت إلى السائل عن القدر فقال: هذا منه هذا منه «ص ٣٧٥ - ٣٧٦»

بيان: أي فتح عيني القلب وتركهما من القدر.

٤٠ - يد: القطّان، عن ابن زكريّا، عن ابن حبيب، عن عليّ بن زياد، عن مروان بن معاوية، عن الأعمش، عن ابن حيّان التيميّ،[2] عن أبيه - وكان مع عليّ بن أبي طالب عليه السلام يوم صفّين وفيما بعد ذلك - قال بينما عليّ بن أبي طالب عليه السلام يعبّي الكتائب[3] يوم صفّين، ومعاوية مستقبله على فرس له يتأكّل تحته تأكّلاً، وعليّ عليه السلام على فرس رسول الله صلّى الله عليه وآله المرتجز، وبيده حربة رسول الله صلّى الله عليه وآله، وهو متقلّد سيفه ذا الفقار، فقال رجل من أصحابه: احترس يا أمير المؤمنين فإنّا نخشى أن يغتالك هذا الملعون! فقال عليّ عليه السلام: لئن قلت ذاك إنّه غير مأمون على دينه، وإنّه لأشقى القاسطين، وألعن الخارجين على الأئمّة المهتدين، ولكن كفى بالأجل حارساً، ليس أحد من الناس إلّا ومعه ملائكة حفظة يحفظونه من أن يتردّى في بئر[4] أو يقع عليه حائط أو يصيبه سوء، فإذا حان أجله[5] خلّوا بينه و بين ما يصيبه، فكذلك أنا إذا حان أجلي انبعث

---

(١) في المصدر: ولله فيه العون. م

(٢) لم نجد في كتب التراجم من أصحابنا ترجمته ولا ترجمة أبيه، والظاهر هو يحيى بن سعيد بن حيان، أبو حيان التيمي الكوفي، أورد ترجمته ابن حجر في ص ٥٤٩ من التقريب قال: ثقة من السادسة مات سنة خمس و أربعين. و أورد ترجمة أبيه في ص ١٨٥ قال: سعيد بن حيان التيمي الكوفي والد يحيى، وثقه العجلي، من الثالثة.

(٣) عبى تعبية الكتائب أي هيأها وجهزها. والكتائب جمع الكتيبة: القطعة من الجيش.

(٤) أي يحفظونه من أن يسقط في بئر.

(٥) أي قرب أجله.

أشقاها فخضب هذه من هذا - وأشار إلى لحيته ورأسه - عهداً معهوداً ، ووعداً غير مكذوب . والحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة . «ص٣٧٦»

٤١ - يد : الورّاق و ابن مغيرة معاً ، عن سعد ، عن النهديّ ، عن ابن علوان ، عن عمرو بن ثابت ، عن ابن طريف ، عن ابن نباتة قال : إنّ أمير المؤمنين عليه السلام عدل من عند حائط مائل إلى حائط آخر فقيل له يا أمير المؤمنين تفرّ من قضاء الله ؟ قال : أفرّ من قضاء الله إلى قدر الله عزّ وجلّ . «ص٣٧٧»

بيان : أي أنّ الفرار أيضاً من تقديره تعالى ، فلا ينافي كون الأشياء بقضاء الله الفرار من البلايا والسعي في تحصيل ما يجب السعي فيه ، فإنّ كلّ ذلك داخل في علمه وقضائه ، ولا ينافي شيء من ذلك اختيار العبد كما مرّ ، ويحتمل أن يكون المراد بقدر الله هنا حكمه وأمره أي إنّما أفرّ من القضاء بأمره تعالى .

٤٢ - يد : أبي و ابن الوليد معاً ، عن محمّد العطّار ، و أحمد بن إدريس معاً ، عن الأشعريّ ، عن ابن هاشم ، عن ابن معبد ، عن ابن اُذينة ، عن زرارة قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : كما أنّ بادىء النعم من الله عزّ وجلّ وقد نحلكموه ، كذلك الشرّ من أنفسكم وإن جرى به قدره . «ص٣٧٦-٣٧٧»

٤٣ - يد : أبي ، عن أحمد بن إدريس ، عن الأشعريّ ، عن يوسف بن الحارث ، عن محمّد بن عبدالرحمن العرزميّ ، عن أبيه رفعه إلى من قال : سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول : قدّر الله المقادير قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة . «ص٣٧٧»

٤٤ - فس : محمّد بن جعفر ، عن محمّد بن أحمد ، عن أحمد بن محمّد السيّاريّ ، عن فلان ، [1] عن أبي الحسن عليه السلام قال : إنّ الله جعل قلوب الأئمّة مورداً لإرادته فإذا شاء الله شيئاً شاؤوه ، وهو قوله : «وما تشاؤن إلّا أن يشاء الله ربّ العالمين» . «ص٧١٤»

٤٥ - فس : جعفر بن أحمد ، عن عبدالله بن موسى ، عن ابن البطائنيّ ، [2] عن أبيه ،

---

(١) لم نجد ذكره في كتب الرجال ، ويوجد في ج ٢ ص ٨٦ من فروع الكافي في باب الاسماء والكنى رواية ابن مياح عن فلان حميد ، عن أبي عبدالله عليه السلام .

(٢) هو الحسن بن علي بن أبي حمزة سالم البطائني ، هو وأبوه من الواقفة ، بل أبوه من عمدها ضعفهما أصحابنا ، ووردت روايات في ذمهما . وكان علي قائد أبي بصير يحيى بن القاسم .

عن أبي بصير ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قلت له : قوله تعالى : « وما تشاؤن إلّا أن يشاء الله ربّ العالمين » قال : لأنّ المشيّة إليه تبارك وتعالى لا إلى الناس . «ص٧١٤»

بيان : لعلّ المراد أنّ المشيّة إنّما هي ممّا خلقها الله في العبد وجعله شائياً فلايشاؤون إلّا بعد أن جعلهم الله بحيث يقدرون على المشيّة ، أو أنّ المشيّة المستقلّة الّتي لايعارضها شيء إنّما هي لله تعالى ، و أمّا مشيّة العباد فهي مشوبة بالعجز يمكن أن يصرفهم الله تعالى عنها إذاشاء ، فهم لايشاؤون إلّا بعدأن يهيّىء الله لهم أسباب الفعل ولم يصرفهم عن مشيّتهم ، فالمعنى أنّ المشيّة المستقلّة إليه تعالى ، أوأنّ أسباب المشيّة ونفوذها بقدرته تعالى.

و في الآية وجه آخر ذكر في الخبر السابق ، و حاصله أنّ الله تعالى بعد أن أكمل أولياءه وحججه عليهم السلام لايشاؤون شيئاً إلّا بعد أن يلهمهم الله تعالى ويلقي المشيّة في قلوبهم ، فهو المتصرّف في قلوبهم وأبدانهم والمسدّد لهم في جميع أحوالهم فالآية خاصّة غيرعامّة . وقال الطبرسيّ رحمه الله : فيه أقوال : أحدها أنّ معناه : وماتشاؤون الاستقامة إلّا أن يشاء الله ذلك من قبل حيث خلقكم لها و كلّفكم بها ، فمشيّته تعالى بين يدي مشيّتكم .

وثانيها : أنّه خطاب للكفّار والمراد : لاتشاؤون الإسلام إلّا أن يشاء الله أن يجبركم عليه و يلجئكم إليه ، ولكنّه لايفعل لأنّه يريد منكم أن تؤمنوا اختياراً لتستحقّوا الثواب .

وثالثها : أنّ المراد : وماتشاؤون إلّا أن يشاء الله أن يلطف لكم في الاستقامة .[1]

---

(١) قال الشيخ في التبيان : أي وليس يشاؤون شيئاً من العمل بطاعته و بما يرضاه و يوصلكم إلى ثوابه إلا و الله يشاؤه و يريده ، لانه يريد من عباده أن يطيعوه ، وليس المراد أن يشاء كل ما يشاؤه العبد من المعاصي والمباحات ، لان الحكيم لايجوز أن يريد القبائح ولا المباح ، لان ذلك صفة نقص وتعالى الله عن ذلك وقد قال الله تعالى : « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » و المعصية والكفر من اعظم العسر ، فكيف يكون الله تعالى شائياً له ؟ وهل ذلك إلا تناقض ظاهر ؟ انتهى . *

٤٦ ـ فس : قال عليّ بن إبراهيم : وأمّا الردّ على المعتزلة فإنّ الردّ من القرآن عليهم كثير ، و ذلك أنّ المعتزله قالوا : نحن نخلق أفعالنا وليس لله فيها صنع ولا مشيّة ولا إرادة ويكون ماشاء إبليس ، ولايكون ماشاءالله ، واحتجّوا أنّهم خالقون بقول الله تعالى : « تبارك الله أحسن الخالقين » فقالوا : في الخلق خالقون غير الله ، فلم يعرفوا معنى الخلق و على كم وجه هو ، فسئل الصادق عليه السلام : أفوّض الله إلى العباد أمراً ؟ فقال : الله أجلّ وأعظم من ذلك ، فقيل : فأجبرهم على ذلك ؟ فقال : الله أعدل من أن يجبرهم على فعل ثمّ يعذّبهم عليه ، فقيل له : هل بين هاتين المنزلتين منزلة ؟ قال : نعم ما بين السماء والأرض .(١)

٤٧ ـ وفي حديث آخر قال : سئل هل بين الجبر والقدر منزلة ؟ قال : نعم ، فقيل ماهو؟ فقال : سرّ من أسرار الله .

٤٨ ـ وفي حديث آخر قال : هكذا خرج إلينا .(٢)

٤٩ ـ قال : و حدّثني محمّد بن عيسى بن عبيد ، عن يونس قال : قال الرضا عليه السلام : يا يونس لاتقل بقول القدريّة فإنّ القدريّة لم يقولوا بقول أهل الجنّة ، ولا بقول أهل

---

* أقول : النظر في الاية وسابقتها وهي قوله تعالى : « إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا » ولاحقتها وهي قوله تعالى : «ان الله كان عليماً حكيماً يدخل من يشاء في رحمته والظالمين أعدلهم عذاباً أليماً » يعطي المراد ويفيد المغزى ، وهو أن الله تعالى أثبت لهم المشيئة وأثبت أن وقوع مشاهم انما يكون في صورة مشيئته ، فلو كان أراد ذلك حقيقة لم يكن لاستناد الظلم اليهم معنى ، لانهم كانوا فيما ظلموا كارهين غير مختارين ، بل كان استناد ذلك اليه تعالى أقوى و أولى ، كما أن الايات أيضاً لم تكن لهم تذكرة في مشيئتهم اتخاذ السبيل ، بل لم يكن لنسبة الحكمة الى ذاته أيضا معنى محصل ، لان فعل القبائح و الظلم و اجبار العبد عليهما و العقاب بهما مع ذلك ينافي الحكمة ، فالظاهر غير مراد ، بل المراد بيان أن لتوفيقه وتأييده أيضا دخلا في أفعالهم ، بحيث لو تركهم و أنفسهم ولم يؤيدهم ويسددهم لكانت أنفسهم تدخلونهم مداخل السوء وتخرجونهم عن الصراط السوى وطريق المعروف .

(١) تقدم مافي معناه مسنداً تحت رقم ٨٢ و ٨٣ في الباب السابق .

(٢) لعله الخبر الاتي تحت رقم ٦٦ .

النار ، ولابقول إبليس فإنّ أهل الجنّة قالوا : « الحمدلله الّذي هدينا لهذا وما كنّا لنهتدي لولا أن هدينا الله » ولم يقولوا بقول أهل النار ، فإنّ أهل النار قالوا : « ربّنا غلبت علينا شقوتنا » و قال إبليس : « ربّ بما أغويتني » فقلت يا سيّدي : والله ما أقول بقولهم ولكنّي أقول : لايكون إلّا ماشاءالله وقضى وقدّر، [1] فقال : ليس هكذا يايونس ولكن لايكون إلّا ماشاءالله و أراد وقدّر وقضى ، أتدري ما المشيّة يا يونس ؟ قلت : لا ، قال : هوالذكر الأوّل ؛ وتدري ما الإرادة ؟ قلت : لا ، قال : العزيمة على ماشاء ؛ وتدري ما التقدير ؟ قلت : لا ، قال : هو وضع الحدود من الآجال والأرزاق والبقاء و الفناء ؛ [2] وتدري ما القضاء ؟ قلت : لا ، قال : هوإقامة العين ، [3] ولايكون إلّا ماشاءالله في الذكر الأوّل . « ص ٢١-٢٢ »

بيان : الظاهر أنّ المراد بالقدريّة هنا من يقول : إنّ أفعال العباد و وجودها ليست بقدرةالله وبقدره ، بل باستقلال إرادة العبدبه و استواء نسبة الإرادتين إليه ، و صدور أحدهما عنه لابموجب غيرالإرادة ، كما ذهب إليه بعض المعتزلة . لايقول بقول أهل الجنّة من إسناد هدايتهم إليه سبحانه ، ولا بقول أهل النار من إسناد ضلالتهم إلى شقوتهم ، ولابقول إبليس من إسنادالإغواء إليه سبحانه ، والفرق بين كلامه عليه السلام و كلام يونس إنّما هوفي الترتيب ، فإنّ في كلامه عليه السلام التقدير مقدّم على القضاء كما هوالواقع ، وفي كلام يونس بالعكس ، والذكر هوالكتابة مجملاً في لوح المحو والإثبات ، أوالعلم القديم .

٥٠ - **ثو** : عليّ بن أحمد ، عن محمّد بن جعفر ، عن محمّد بن أبي القاسم ، عن إسحاق بن إبراهيم ، عن عليّ بن موسى البصريّ ، عن سليمان بن عيسى ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ،

---

(١) في الكافي عن علي بن ابراهيم « إلا ماشاء الله أرادو وقضى وقدّر » . م

(٢) في الكافي : قال هوالهندسة ووضع الحدود من البقاء والفناء .

(٣) في الكافي : قال : والقضاء هو الابرام و اقامة العين . أقول : اقامة العين أى اقامته في الاعيان والوجود الخارجي ، وهو في أفعاله بمعنى الخلق و الايجاد على وفق الحكمة ، وفي أفعالنا ترتب الثواب والعقاب عليها على وجه الجزاء . وقال المنصف : اقامة العين أى ايجاده ، وفي أفعال العباداقدار العبد وتمكينه ورفع الموانع عنه انتهى . ويأتي الحديث باسناد آخر مع تفاوت في ألفاظه تحت رقم ٦٩ .

عن الحارث ، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : إنّ أرواح القدريّة يعرضون على النار غدوّاً و عشيّاً حتّى تقوم الساعة ، فإذا قامت الساعة عذّبوا مع أهل النار بألوان العذاب ، فيقولون : ياربّنا عذّبتنا خاصّة وتعذّبنا عامّة فيردّ عليهم « ذوقوا مسّ سقر إنّا كلّ شيء خلقناه بقدر » . «ص٢٠٤»

بيان : قال الطبرسيّ رحمه الله : أي خلقنا كلّ شيء خلقناه مقدّراً بمقدار توجبه الحكمة لم نخلقه جزافاً ، فخلقنا العذاب أيضاً على قدر الاستحقاق ، وكذلك كلّ شيء خلقناه في الدنيا والآخرة خلقناه مقدّراً بمقدار معلوم . وقيل : معناه خلقنا كلّ شيء على قدر معلوم ، فخلقنا اللّسان للكلام ، واليد للبطش ، والرجل للمشي ، والعين للنظر ، و الأُذن للسماع ، والمعدة للطعام ، ولو زاد أو نقص عمّا قدّرناه لما تمّ الغرض . وقيل : معناه : جعلنا لكلّ شيء شكلاً يوافقه ويصلح له ، كالمرأة للرجل ، والأتان للحمار ، و ثياب الرجال للرجال ، وثياب النساء للنساء . و قيل : خلقنا كلّ شيء بقدر مقدّر وقضاء محتوم في اللّوح المحفوظ .

٥١ - **ثو** : عليّ بن أحمد ، عن محمّد بن جعفر ، عن محمّد بن أبي بشر ، عن محمّد بن عيسى الدامغانيّ ، عن محمّد بن خالد البرقيّ ، عن يونس ، عمّن حدّثه ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : ما أنزل الله هذه الآيات إلّا في القدريّة : « إنّ المجرمين في ضلال وسعر يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مسّ سقر إنّا كلّ شيء خلقناه بقدر » . «ص٢٠٤»

٥٢ - **ثو** : عليّ بن أحمد ، عن محمّد بن جعفر ، عن مسلمة بن عبدالملك ، عن داود ابن سليمان ، عن الرضا ، عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : صنفان من اُمّتي ليس لهما في الإسلام نصيب : المرجئة ، والقدريّة . « ص ٢٠٤ »

٥٣ - **ثو** : العطّار ، عن سعد ، عن ابن عيسى ، عن الأهوازيّ ، عن صفوان ، عن عليّ بن أبي حمزة ، عن أبيه ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : يحشر المكذّبون بقدر الله من قبورهم قد مسخوا قردة وخنازير . «ص٢٠٥»

٥٤ - **ثو** : ابن المتوكّل ، عن الحميريّ ، عن ابن أبي الخطّاب ، عن ابن محبوب ، عن هشام بن سالم ، عن زرارة و محمّد بن مسلم ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : نزلت هذه الآية

في القدريّة : « ذوقوا مسّ سقر إنّا كلّ شيء خلقناه بقدر » . « ص ٢٠٥ »

٥٥ ـ **شي** : عن زرارة وحمران و محمّد بن مسلم ، عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام في قوله : « وكلّ إنسان ألزمناه طائره في عنقه » قال : قدره الّذي قدّره عليه .

٥٦ ـ وفي رواية أبي الجارود ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : خيره وشرّه معه ، حيث كان لايستطيع فراقه حتّى يعطى كتابه يوم القيامة بماعمل .

بيان : قال الطبرسيّ رحمه الله : معناه وألزمنا كلّ إنسان عمله من خير أو شرّ في عنقه ، أي جعلناه كالطوق في عنقه لايفارقه . وقيل : طائره يمنه وشؤمه وهو مايتطيّر به . وقيل : طائره حظّه من الخير والشرّ ؛ وخصّ العنق لأنّه محلّ الطوق الّذي يزيّن المحسن ، والغلّ الّذي يشين المسيء ، وقيل : طائره كتابه . وقيل : معناه : جعلنا لكلّ إنسان دليلاً من نفسه لأنّ الطائر يستدلّ به عندهم على الاُمور الكائنة ، فيكون معناه : كلّ إنسان دليل نفسه وشاهد عليها ، إن كان محسناً فطائره ميمون ، وإن أساء فطائره مشوم .[1]

٥٧ ـ **ثو** : ابن المتوكّل ، عن محمّد بن جعفر ، عن النخعيّ ، عن النوفليّ ، عن السكونيّ ، عن الصادق ، عن آبائه ، عن أمير المؤمنين صلوات الله عليهم قال : يجاء بأصحاب البدع يوم القيامة فترى القدريّة من بينهم كالشامة البيضاء في الثور الأسود فيقول الله عزّ وجلّ : ما أردتم ؟ فيقولون : أردنا وجهك ، فيقول : قد أقلتكم عثراتكم و غفرت لكم زلّاتكم إلّا القدريّة فإنّهم دخلوا في الشرك من حيث لايعلمون . «ص٢٠٥»

(١) قال السيد الرضى فى مجازات القرآن : وهذه استعارة والمراد بالطائر ههنا ـ والله أعلم ـ مايعمله الانسان من خير وشر ، ونفع وضر ، وذلك مأخوذ من زجر الطائر على مذهب العرب ، لانهم يتبركون بالطائر المعترض من ذات اليمين ، ويتشائمون بالطائر المعترض من ذات الشمال ، ومعنى ذلك أنه سبحانه يجعل عمل الانسان من الخير والشر كالطوق فى عنقه بالزامه اياه والحكم عليه به ، وقال بعضهم : معنى ذلك انا جعلنا لكل انسان دليلا من نفسه على ما بيناه له وهديناه اليه والعرب تقيم العنق والرقبة مقام نفس الانسان وجملته ، فتقول : لى فى رقبة فلان دم ، ولى فى رقبته دين أى عنده ، وفلان قد أعتق رقبة إذا أعتق عبداً أو أمة ، ويقول الداعى فى دعائه : اللهم أعتق رقبتى من النار ، وليس يريد العتق المخصوص وانما يريد الذات والجملة ، وجعل سبحانه الطائر مكان الدليل التى يستدل به على استحقاق الثواب والعقاب على عادة العرب التى ذكرناها فى التبرك بالسانح والتشائم بالبارح .

بيان : المراد بأصحاب البدع من لم ينته به بدعته إلى الكفر فضلّوا من حيث لا يعلمون .

٥٨ ـ ثو : بهذا الإسناد عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : لكلّ اُمّة مجوس ومجوس هذه الاُمّة الّذين يقولون : لاقدر . «ص٢٠٦»

٥٩ ـ ثو : بهذا الإسناد قال : دخل مجاهد مولى عبدالله بن عبّاس على عليّ عليه السلام فقال : يا أمير المؤمنين ماتقول في كلام أهل القدر ؟ ـ ومعه جماعة من الناس ـ فقال أمير المؤمنين عليه السلام : معك أحد منهم أو في البيت أحد منهم ؟ قال : ماتصنع بهم يا أمير المؤمنين ؟ قال : أستتيبهم فإن تابوا و إلّا ضربت أعناقهم . «ص٢٠٥»

٦٠ ـ ثو : بالإسناد المتقدّم عن السكونيّ ، عن مروان بن شجاع ، عن سالم الأفطس ، عن سعيد بن جبير قال : قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه : ماغلا أحد في القدر إلّا خرج من الإيمان . [١] «ص٢٠٥»

٦١ـ ثو : ابن المتوكّل ، عن محمّد بن جعفر ، عن أحمد بن محمّد العاصميّ ، عن عليّ بن عاصم ، عن محمّد بن عبدالرحمن ، عن يحيى بن سالم ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : ماالّليل بالّليل ولا النهار بالنهار أشبه من المرجئة باليهوديّة ، ولا من القدريّة بالنصرانيّة . « ص ٢٠٥ ـ ٢٠٦ »

٦٢ ـ ير : أحمد بن محمّد ، عن بعض أصحابنا ، عن جميل ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : سألته عن القضاء والقدر ، فقال : هماخلقان من خلق الله والله يزيد في الخلق مايشاء ، و أردت أن أسأله في المشيّة فنظر إليّ فقال : ياجميل لا اُجيبك في المشيّة . [٢]

٦٣ ـ سن : أبي ، عن إسماعيل بن إبراهيم ، وابن أبي عمير ، عن ابن بكير ، عن زرارة ، عن حمران قال : سألت أباجعفر عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ : « هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً » فقال : كان شيئاً ولم يكن مذكوراً ، قلت : فقوله:

---

(١) في نسخة : الاسلام .

(٢) روى الحديث في مختصر بصائر الدرجات « ص ١٣٤ » باسناد آخر عن جميل عن زرارة عن عبدالله بن سليمان ، عن أبي عبدالله عليه السلام . م

« أولم يرالإنسان أنّا خلقناه من قبل و لم يك شيئاً » قال : لم يكن شيئاً في كتاب ولاعلم . « ج١ ص٢٤٣ »

بيان : ولاعلم أي علم أحد من المخلوقين ، والخلق في هذه الآية يحتمل التقدير والإيجاد . قوله عليه السلام : كان شيئاً أي مقدّراً ، كما روى الكليني عن مالك الجهني مكان «شيئاً» مقدّراً .[1] غيرمذكور أي عند الخلق أي غيرموجود ليذكر عند الخلق ، أو كان مقدّراً في اللّوح لكن لم يوح أمره إلى أحد من الخلق .

٦٤ ـ سن : أبي ، عن ابن أبي عمير ، عن هشام بن سالم قال : قال أبوعبدالله عليه السلام : إنّ الله إذا أراد شيئاً قدّره ، فإذا قدّره قضاه ، فإذا قضاه أمضاه . «ص٢٤٣ـ٢٤٤»

٦٥ ـ سن : أبي ، عن فضالة ، عن محمّد بن عمارة ، عن حريز بن عبدالله ، أو عبدالله بن مسكان قال : قال أبوجعفر عليه السلام لايكون شيء في الأرض ولافي السماء إلّا بهذه الخصال السبعة : بمشيّة ، وإرادة ، وقدر ، وقضاء ، وإذن ، وكتاب ، وأجل ؛ فمن زعم أنّه يقدر على نقض واحدة منهنّ فقد كفر . «ص٢٤٤»

٦٦ ـ سن : النضر ، عن هشام ، وعبيد بن زرارة ، عن حمران ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال :[2] كنت أنا والطيّار جالسين فجاء أبوبصير فأفرجنا له فجلس بيني وبين الطيّار ، فقال : في أيّ شيء أنتم ؟ فقلنا : كنّا في الإرادة والمشيّة والمحبّة ، فقال أبوبصير : قلت لأبي عبدالله عليه السلام : شاء لهم الكفر وأراده ؟ فقال : نعم ، قلت : فأحبّ ذلك و رضيه ؟ فقال : لا ، قلت : شاء وأراد مالم يحبّ ولم يرض ؟ قال : هكذا خرج إلينا .[3] «ص٢٤٥»

---

(١) أقول : أورده في كتابه الكافي في باب البداء باسناده عن أحمد بن مهران ، عن عبدالعظيم الحسني ، عن علي بن أسباط ، عن ابن مسكان ، عن مالك الجهني قال سئلت أباعبدالله عليه السلام عن قول الله تعالى : «أولم يرالانسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا» قال : فقال : لا مقدراً ولا مكونا . قال : وسئلته عن قوله : «هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً » فقال: كان مقدراً غيرمذكور .

(٢) الظاهر أن ضمير «قال» يرجع الى حمران ، وأن لفظة «عن أبي عبدالله عليه السلام» زائدة من النساخ .

(٣) في المصدر : هكذا اخرج الينا . م

٦٧ ـ سن : أبي ، عن ابن أبي‌عمير ، عن ابن أُذينة ، عن محمّد بن مسلم ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : المشيّة محدثة . ص «٢٤٥»

٦٨ ـ سن : أبي ، عن يونس ، عن أبي‌الحسن الرضا عليه السلام قال : قلت : لايكون إلّا ماشاءالله وأرادوقدّر وقضى ،[1] قلت : فمامعنى شاء ؟ قال : ابتداء الفعل ، قلت : فما معنى أراد ؟ قال : الثبوت عليه ، قلت : فما معنى قدّر ؟ قال : تقدير الشيء من طوله و عرضه ، قلت : فمامعنى قضى ؟ قال : إذا قضى أمضاه فذلك الّذي لامردّ له . ص«٢٤٤»

بيان : ابتداء الفعل أي أوّل الكتابة في اللّوح ، أوأوّل مايحصل من جانب الفاعل ويصدر عنه ممّا يؤدّي إلى وجود المعلول .

٦٩ ـ سن : أبي ، عن ابن أبي‌عمير ، عن محمّدبن إسحاق قال : قال أبوالحسن عليه السلام ليونس مولى عليّ بن يقطين : يا يونس لاتتكلّم بالقدر ، قال : إنّي لا أتكلّم بالقدر و لكن أقول : لايكون إلّا ماأراداللهُ وشاء وقضى وقدّر ، فقال : ليس هكذا أقول ، ولكن أقول : لايكون إلّا ماشاء الله وأراد و قدّر وقضى ؛ ثمّ قال : أتدري ما المشيّة ؟ فقال : لا ، فقال : همّه بالشيء ؛ أوتدري ماأراد ؟ قال : لا ، قال : إتمامه على المشيّة ، فقال : أوتدري ماقدّر ؟ قال : لا ، قال : هوالهندسة من الطول والعرض والبقاء . ثمّ قال : إنّ الله إذاشاء شيئاً أراده ، وإذا أراد قدّره ، وإذا قدّره قضاه ، وإذا قضاه أمضاه ؛ يايونس إنّ القدريّة لم‌يقولوا بقول‌الله : « وماتشاؤن إلّا أن‌يشاءالله » ولاقالوا بقول أهل‌الجنّة : « الحمد لله الّذي هدينا لهذا وماكنّا لنهتدي لولا أن هدينا الله » ولا قالوا بقول أهل النار : « ربّنا غلبت علينا شقوتنا وكنّا قوماً ضالّين» ولاقالوا بقول إبليس : «ربّ بما أغويتني » ولاقالوا بقول نوح : « ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم هوربّكم وإليه ترجعون » . ثمّ قال : قال‌الله : يابن آدم بمشيّتي كنت أنت الّذي تشاء ، و بقوّتي أدّيت إليّ فرائضي ، وبنعمتي قويت على معصيتي ، وجعلتك سميعاً بصيراً قويّاً ، فما أصابك من حسنة فمنّي ، وما أصابك من سيّئة فمن نفسك ، و ذلك إنّي لاأُسأل عمّا أفعل وهم يسألون ، ثمّ قال : قدنظمت لك كلّ شيء تريده .
« ص ٢٤٤ـ٢٤٥ »

---

(١) في المصدر : وارادوقضى ، فقال : لايكون الاماشاءالله وارادوقدر وقضى، قال : قلت اه . م

٧٠ ـ ضا : سئل أمير المؤمنين صلوات الله عليه عن القدر قال : فقيل له : أنبئنا عن القدر يا أمير المؤمنين ؛ فقال : سرّ الله فلاتفتّشوه . فقيل له الثاني : أنبئنا عن القدر يا أمير المؤمنين ، قال : بحر عميق فلاتلحقوه ،[1] فقيل له : أنبئنا عن القدر ، فقال : «ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل لها »[2] فقال : يا أمير المؤمنين إنّما سألناك عن الاستطاعة الّتي بها نقوم ونقعد ، فقال : استطاعة تملك مع الله أم دون الله ؟ قال : فسكت القوم ولم يحروا جواباً ، فقال عليه السلام : إن قلتم : إنّكم تملكونها مع الله قتلتكم ، وإن قلتم : دون الله قتلتكم ؛ فقالوا : كيف نقول يا أمير المؤمنين ؟ قال : تملكونها بالّذي يملكها دونكم[3] فإن أمدّكم بها كان ذلك من عطائه ، وإن سلبها كان ذلك من بلائه ، إنّما هو المالك لما ملّككم ، والقادر لما عليه أقدركم ، أما تسمعون ما يقول العباد ويسألونه الحول والقوّة حيث يقولون : لاحول ولاقوّة إلّا بالله ، فسئل عن تأويلها فقال : لاحول عن معصيته إلّا بعصمته ، ولا قوّة على طاعته إلّا بعونه .

٧١ ـ قال العالم كتب الحسن بن أبي الحسن البصريّ إلى الحسين بن عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليهما يسأله عن القدر ، و كتب إليه : فاتّبع ما شرحت لك في القدر ممّا اُفضي إلينا أهل البيت فإنّه من لم يؤمن بالقدر خيره وشرّه فقد كفر ، ومن حمل المعاصي على الله عزّ وجلّ فقد افترى على الله افتراءاً عظيماً ، إنّ الله تبارك وتعالى لا يطاع بإكراه ، ولايعصى بغلبة ، ولايهمل العباد في الهلكة ، لكنّه المالك لما ملّكهم ، و القادر لما عليه أقدرهم ، فإن ائتمروا بالطاعة لم يكن الله صادّاً عنها مبطئاً ، و إن ائتمروا بالمعصية

---

(١) في نسخة : فلا تلجوه . و في فقه الرضا المطبوع هنا زيادة و هي قوله : فقيل له الثالث : أنبئنا عن القدر يا أمير المؤمنين ، فقال : طريق معوج فلا تسلكوه ، ثم قيل له الرابع أنبئنا إه .

(٢) الاية تدل على سبق وجود الرحمة على إيتائها وافاضتها فان الفتح نوع كشف واظهار يحتاج الى وجود المكشوف عنه وسبقه على الكشف فتدل على تقدم الرحمة الالهية على أعمال العباد التى تفتح لهم الرحمة فيها وبها ، وحينئذ يعود مضمون الكلام الى ماتقدم فى الخبر الذى تحت رقم ٣٥ عن أمير المؤمنين عليه السلام فراجع . ط .

(٣) في المطبوع هكذا : تملكونها بالذى يملككم بملكها دونكم .

فشاء أن يمنّ عليهم فيحول بينهم وبين ما ائتمروا به فعل ، وإن لم يفعل فليس هو حملهم عليها قسراً ، ولا كلّفهم جبراً ، بل بتمكينه إيّاهم بعد إعذاره وإنذاره لهم واحتجاجه عليهم طوّقهم ومكّنهم ، وجعل لهم السبيل إلى أخذ ما إليه دعاهم ، وترك ماعنه نهاهم ، جعلهم مستطيعين لأخذ ما أمرهم به من شيء غير آخذيه ، ولترك ما نهاهم عنه من شيء غير تاركيه ، والحمدلله الّذي جعل عباده أقوياء لما أمرهم به ، ينالون بتلك القوّة و ما نهاهم عنه ، و جعل العذر لمن يجعل له السبيل ، حمداً متقبّلاً [١] فأنا على ذلك أذهب و به أقول ، والله وأنا وأصحابي أيضاً عليه ، وله الحمد .

٧٢ ـ نهج : قال عليه السلام : ـ وقد سئل عن القدر ـ طريق مظلم فلا تسلكوه ، و بحر عميق فلا تلجوه ، وسرّ الله فلا تتكلّفوه .

٧٣ ـ ضا : سئل أمير المؤمنين صلوات الله عليه عن مشيّة الله وإرادته ، فقال عليه السلام : إنّ لله مشيّتين : مشيّة حتم ، ومشيّة عزم ، وكذلك إنّ لله إرادتين : إرادة حتم ، وإرادة عزم ، إرادة حتم لا تخطىء ، و إرادة عزم تخطىء وتصيب ، وله مشيّتان : مشيّة يشاء ، ومشيّة لايشاء ؛ ينهى وهو يشاء ، ويأمر وهو لايشاء ، معناه أراد من العباد وشاء [٢] ولم يرد المعصية وشاء ، وكلّ شيء بقضائه وقدره ، والأمور تجري مابينهما ، فاذا أخطأ القضاء لم يخطىء القدر ، وإذا لم يخطّ القدر لم يخطّ القضاء ، وإنّما الخلق من القضاء إلى القدر [٣] و إذا يخطى ومن القدر إلى القضاء ؛ والقضاء على أربعة أوجه في كتاب الله جلّ وعزّ الناطق على لسان سفيره الصادق عليه السلام : منها قضاء الخلق و هو قوله تعالى : « فقضيهنّ سبع سموات في يومين » معناه خلقهنّ .

---

(١) إلى هنا أنهى الحديث في فقه الرضا المطبوع وليست فيه جملة «فأنا على ذلك» إلى قوله : «وله الحمد» بل أثبت الجمله عقيب قوله : «وعظم شانه» في الخبر الاتي تحت رقم ٧٤ .

(٢) في فقه الرضا المطبوع : أراد العبادة وشاء .

(٣) في فقه الرضا المطبوع : فاذا اضطر القضاء لم يخطىء القدر ، واذا لم يخطىء القدر لم يخطىء القضاء ، وانما الخلق من القضاء الى القدر ، فاذا أخطأ القدر لم يخطىء القضاء ، وانما الخلق من القدر الى القضاء ، وللقضاء أربعة أوجه اه .

والثاني قضاء الحكم وهو قوله : «وقضي بينهم بالحق» معناه حكم .

والثالث قضاء الأمر وهو قوله : « وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه » معناه أمر ربك .

والرابع قضاء العلم وهو قوله : « وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين » معناه علمنا من بني إسرائيل ، قد شاء الله من عباده المعصية وماأراد وشاء الطاعة وأراد منهم لأن المشية مشية الأمر و مشية العلم ، وإرادته إرادة الرضا وإرادة الأمر ، أمر بالطاعة ورضي بها ، و شاء المعصية يعني علم من عباده المعصية ولم يأمرهم بها ، فهذا من عدل الله تبارك وتعالى في عباده جل جلاله و عظم شأنه .

أقول : كانت النسخة سقيمة فأوردناه كما وجدناه .

قوله عليه السلام : إذا أخطأ القضاء يمكن أن يقرأ بغير همز : و المعنى إذا جاوز أمر من الأمور التي شرع في تهيئة أسباب وجوده القضاء ولم يصر مقضياً فلا يتجاوز عن القدر ، ولامحالة يدخل في التقدير ، وإنما يكون البداء بعد التقدير . وإذا لم يخط من المضاعف بمعنى الكتابة أي إذا لم يكتب شيء في لوح القدر لا يكتب في لوح القضاء إذ هو بعد القدر . وإنما الخلق من القضاء أي إذا لوحظت علل الخلق والإيجاد ففي الترتيب الصعودي يتجاوز من القضاء إلى القدر ، و التخطي و البداء إنما يكون بعد القدر قبل القضاء ، والأظهر أنه كان وإذا أخطأ القدر مكان « وإذالم يخط القدر» و يكون من الخطأ لامن الخط ، فالمعنى أن كل مايوجد من الأمور إما موافق للوح القضاء ، أو للوح القدر على سبيل منع الخلو ، فإذا وقع البداء في أمر ولم يقع على ما أثبت في القدر يكون موافقاً للقضاء ، ولعل ظاهر هذا الخبر تقدم القضاء على القدر ، ويحتمل أن يكون القضاء في الأولى بمعنى الأمر ، و في الثانية بمعنى الحتم فيستقيم ما في الرواية من النفي .

٧٤ ـ **شا** : روى الحسن بن أبي الحسن البصري قال : جاء رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام بعد انصرافه من حرب صفين فقال له : ياأمير المومنين خبرني عما كان بيننا و بين هؤلاء القوم من الحرب أكان بقضاء من الله و قدر ؟ فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : ما

علوتم تلعة ولاهبطتم وادياً إلّا ولله فيه قضاء وقدر . فقال الرجل : فعندالله أحتسب عنائي يا أميرالمؤمنين ، فقال له : ولمَ ؟ قال : إذا كان القضاء والقدر ساقانا إلى العمل فما الثواب لنا على الطاعة ؟ وما وجه العقاب على المعصية ؟ فقال له أميرالمؤمنين عليه السلام : أو ظننت يا رجل أنّه قضاء حتم وقدر لازم لاتظنّ ذلك فإنّ القول به مقالة عبدة الأوثان وحزب الشيطان وخصماء الرحمن وقدريّة هذه الأمّة ومجوسها ، إنّ الله جلّ جلاله أمر تخييراً ونهى تحذيراً ، وكلّف يسيراً ، ولم يطع مكرهاً ، ولم يعص مغلوباً ، ولم يخلق السماوات والأرض وما بينهما باطلاً ذلك ظنّ الّذين كفروا فويل للّذين كفروا من النار ، فقال الرجل فما القضاء و القدر الّذي ذكرته يا أمير المؤمنين ؟ قال : الأمر بالطاعة ، و النهي عن المعصية ، والتمكين من فعل الحسنة وترك السيّئة ، والمعونة على القربة إليه ، والخذلان لمن عصاه ، والوعد والوعيد والترغيب والترهيب ، كلّ ذلك قضاء الله في أفعالنا وقدره لأعمالنا ، فأمّا غير ذلك فلا تظنّه فإنّ الظنّ له محبط للأعمال . فقال الرّجل : فرّجت عنّي يا أميرالمؤمنين فرّج الله عنك ، وأنشأ يقول : أنت الإمام الّذي نرجو بطاعته إلى آخر البيتين .[1]

٧٥ ـ الدرّة الباهرة : قال الرضا عليه السلام : المشيّة الاهتمام بالشيء ، والإرادة إتمام ذلك الشيء .

٧٦ ـ **نهج** : قال عليه السلام : ـ وقد سئل عن القدر ـ طريق مظلم فلا تسلكوه ، و بحر عميق فلا تلجوه ، وسرّ الله فلا تتكلّفوه .

٧٧ ـ وقال عليه السلام : يغلب المقدار على التقدير حتّى تكون الآفة في التدبير .

بيان : المقدار : القدر .

٧٨ ـ **نهج** : من كلامه عليه السلام للشاميّ لمّا سأله : أكان مسيره إلى الشام بقضاء من الله وقدره ؟ ـ بعد كلام طويل مختاره ـ : ويحك لعلّك ظننت قضاءاً لازماً وقدراً حاتماً ، ولو كان ذلك كذلك لبطل الثواب والعقاب ، وسقط الوعد والوعيد ، إنّ الله سبحانه أمر عباده تخييراً ، ونهاهم تحذيراً ، و كلّف يسيراً ، ولم يكلّف عسيراً ، وأعطى على القليل

---

(١) تقدم الحديث باسناد متعددة تحت رقم ١٩ من الباب الاول .

كثيراً ، ولم يعص مغلوباً ، ولم يطع مكرهاً ، ولم يرسل الأنبياء لعباً ، ولم ينزل الكتب للعباد عبثاً ، ولا خلق السماوات والأرض وما بينهما باطلاً ، ذلك ظنّ الّذين كفروا فويل للّذين كفروا من النار .

٧٩ - شي : عن مسعدة بن صدقة ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : من زعم أنّ الله يأمر بالسوء والفحشاء فقد كذب على الله ، و من زعم أنّ الخير والشرّ بغير مشيّته فقد أخرج الله من سلطانه ، ومن زعم أنّ المعاصي عملت بغير قوّة الله فقد كذب على الله ومن كذب على الله أدخله الله النار .

تتميم : قال العلاّمة رحمه الله في شرحه على التجريد : يطلق القضاء على الخلق والإتمام قال الله تعالى : «فقضيهنّ سبع سموات في يومين»[1] أي خلقهنّ وأتمّهنّ . وعلى الحكم والإيجاب كقوله تعالى : «وقضى ربّك ألّا تعبدوا إلّا إيّاه »[2] أي أوجب وألزم . وعلى الإعلام والإخبار كقوله تعالى: «وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب»[3] أي أعلمناهم وأخبرناهم . ويطلق القدر على الخلق كقوله تعالى : «فقدّر فيها أقواتها» .[4] والكتابة كقول الشاعر :

واعلم بأنّ ذا الجلال قد قدر ☆ في الصحف الأولى الّتي كان سطر

والبيان كقوله تعالى : « إلّا امرأته قدّرناها من الغابرين»[5] اي بيّنّا وأخبرنا بذلك ، إذا ظهر هذا فنقول للأشعريّ : ما تعني بقولك : إنّه تعالى قضى أعمال العباد وقدّرها ؟ إن أردت به الخلق و الإيجاد فقد بيّنّا بطلانه ، و أنّ الأفعال مستندة إلينا ، وإن عني به الإلزام لم يصحّ إلّا في الواجب خاصّة ، و إن عني به أنّه تعالى بيّنها و كتبها و علم أنّهم سيفعلونها فهو صحيح ، لأنّه تعالى قد كتب ذلك أجمع في اللّوح المحفوظ وبيّنه لملائكته ، وهذا المعنى الأخير هو المتعيّن للإجماع على وجوب الرضا بقضاء الله تعالى وقدره ، ولايجوز الرضا بالكفر و غيره من القبائح ، ولا ينفعهم الاعتذار

---

(١) فصلت : ١٢ .
(٢) اسرى : ٢٣ .
(٣) اسرى : ٤ .
(٤) فصلت : ١١ .
(٥) النمل : ٥٧ .

بوجوب الرضا به من حيث إنّه فعله ، وعدم الرضا به من حيث الكسب لبطلان الكسب أوّلاً ؛ وثانياً نقول : إن كان كون الكفر كسباً بقضائه تعالى وقدره وجب الرضا به من حيث هو كسب ، وهو خلاف قولكم وإن لم يكن بقضاء وقدر بطل إسناد الكائنات بأجمعها إلى القضاء والقدر انتهى .

وقال شارح المواقف : اعلم أنّ قضاء الله عند الأشاعرة هو إرادته الأزليّة المتعلّقة بالأشياء على ما هي عليه فيما لايزال ، وقدره إيجاده إيّاها على وجه مخصوص و تقدير معيّن في ذواتها وأحوالها ، وأمّا عند الفلاسفة فالقضاء عبارة عن علمه بما ينبغي أن يكون عليه الوجود حتّى يكون على أحسن النظام و أكمل الانتظام ، و هو المسمّى عندهم بالعناية الّتي هي مبدء لفيضان الموجودات من حيث جملتها على أحسن الوجوه وأكملها والقدر عبارة عن خروجها إلى الوجود العينيّ بأسبابها على الوجه الّذي تقرّر في القضاء والمعتزلة ينكرون القضاء والقدر في الأفعال الاختياريّة الصادرة عن العباد ، و يثبتون علمه تعالى بهذه الأفعال ، ولايسندون وجودها إلى ذلك العلم ، بل إلى اختيار العباد ، وقدرتهم انتهى .

وقال السيّد المرتضى رضي الله عنه في كتاب الغرر و الدرر : إن قال قائل : ما تأويل قوله تعالى : «وما كان لنفس أن تؤمن إلّا بإذن الله ويجعل الرجس على الّذين لا يعقلون» (١) فظاهر هذا الكلام يدلّ على أنّ الإيمان إنّما كان لهم فعله بإذنه وأمره و ليس هذا مذهبكم ، فإن حمل الإذن ههنا على الارادة اقتضى أنّ من لم يقع منه الإيمان لم يرد الله تعالى منه وهذا أيضاً بخلاف قولكم ، ثمّ جعل الرجس الّذي هو العذاب على الّذين لايعقلون ، ومن كان فاقداً عقله لا يكون مكلّفاً ، فكيف يستحقّ العذاب ؟ وهذا بالضدّ من الخبر المرويّ عن النبيّ صلّى الله عليه وآله أنه قال : أكثر أهل الجنّة البله .

الجواب يقال له : في قوله : إلّا بإذن الله وجوه : منها أن يكون الإذن : الأمر ، ويكون معنى الكلام أنّ الإيمان لايقع من أحد إلّا بعد أن يأذن الله فيه و يأمر به ، ولا يكون معناه ماظنّه السائل من أنّه لايكون للفاعل فعله إلّا بإذنه ، ويجري هذا مجرى

(٦) يونس : ١٠٠ .

و يجري هذا مجرى قوله تعالى: « وما كان لنفس أن تموت إلّا بإذن الله » [1] و معلوم أنّ معنى قوله: «ليس لها» في هذه الآية هو ما ذكرناه، وإن كان الأشبه في الآية الّتي فيها ذكر الموت أن يكون المراد بالإذن العلم.

ومنها أن يكون الإذن هو التوفيق والتيسير والتسهيل، ولا شبهة في أنّ الله تعالى يوفّق لفعل الإيمان ويلطف فيه ويسهل السبيل إليه.

ومنها أن يكون الإذن: العلم، من قولهم: أنت أذنت لكذا و كذا: إذا سمعته وعلمته، وأذنت فلاناً بكذا و كذا: إذا أعلمته، فتكون فائدة الآية الإخبار عن علمه تعالى بسائر الكائنات وأنّه ممّا لاتخفى عليه الخفيّات، وقد أنكر بعض من لابصيرة له أن يكون الإذن ـ بكسر الألف و تسكين الذال ـ عبارة عن العلم، وزعم أنّ الّذي هو العلم الأذن ـ بالتحريك ـ واستشهد بقول الشاعر: إنّ همّي في سماع و أذن. وليس الأمر على ما توهّمه هذا المتوهّم لأنّ الإذن هو المصدر والأذن هو اسم الفعل ويجري مجرى الحذر في أنّه مصدر والحذر ـ بالتسكين ـ الاسم؛ على أنّه لو لم يكن مسموعاً إلّا الأذن ـ بالتحريك ـ لجاز التسكين، مثل مثل ومثَل وشبه وشبَه، ونظائر ذلك كثيرة.

ومنها أن يكون الإذن: العلم، و معناه إعلام الله المكلّفين بفضل الإيمان وما يدعو إلى فعله، فيكون معنى الآية: وما كان لنفس أن تؤمن إلّا بإعلام الله تعالى لها ما يبعثها على الإيمان و يدعوها إلى فعله، فأمّا ظنّ السائل دخول الإرادة في محتمل اللّفظ فباطلٌ، لأنّ الإذن لا يحتمل الإرادة في اللّغة، ولو احتملها أيضاً لم يجب ما توهّمه لأنّه إذا قال: إنّ الإيمان لم يقع إلّا وأنا مريد له لم ينف أن يكون مريداً لما لم يقع، و ليس في صريح الكلام ولا في دلالته شيء من ذلك. [2]

---

(١) آل عمران: ١٤٥.

(٢) قال الشيخ قدس سره فى التبيان و معنى قوله: « وما كان لنفس أن تؤمن إلا باذن الله » أنه لا يمكن لاحد أن يؤمن إلا باطلاق الله له فى الايمان وتمكينه منه ودعاؤه إليه بما خلق فيه من العقل الموجب لذلك. وقال الحسن وابوعلى الجبائى: إذنه ههنا: أمره، وحقيقة إطلاقه فى الفعل بالامر وقد يكون الاذن بالاطلاق فى الفعل برفع التبعية. وقيل: معناه: وماكان لنفس أن تؤمن إلا بعلم الله، وأصل الاذن: الاطلاق فى الفعل، فأما الاقدار على الفعل فلايسمى إذناً فيه، لان النهى ينافى الاطلاق. انتهى.

وأمّا قوله تعالى: «ويجعل الرجس على الّذين لايعقلون» فلم يعن به الناقصي العقول، وإنّما أراد تعالى الّذين لم يعقلوا ولم يعلموا ما وجب عليهم علمه من معرفة خالقهم تعالى، و الاعتراف بنبوّة رسله عليهم السلام، و الانقياد إلى طاعتهم، ووصفهم بأنّهم لايعقلون تشبيهاً، كما قال الله تعالى: «صمّ بكم عمي»[1] وكما يصف أحدنا من لم يفطن لبعض الأُمور أولم يعلم ما هومأمور بعلمه بالجنون وفقد العقل. فأمّا الحديث الّذي أورده السائل شاهداً له فقد قيل فيه: إنّه صلى الله عليه وآله لم يرد بالبله ذوي الغفلة والنقص و الجنون وإنّما أراد البله عن الشرّ و القبيح و سمّاهم بلهاً عن ذلك من حيث لا يستعملونه ولا يعتادونه، لامن حيث فقد العلم به، ووجه تشبيه مَن هذه حالُه بالأبله ظاهر.[2] ثم قال رحمه الله: إن سأل سائل عن قوله تعالى - حاكياً عن شعيب عليه السلام -: «قد افترينا على الله كذباً إن عدنا في ملّتكم بعد إذ نجّينا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها إلّا أن يشاء الله ربّنا»[3] فقال: أليس هذا تصريحاً منه بأنّ الله تعالى يجوز أن يشاء الكفر و القبيح؟ لأنّ ملّة قومه كانت كفراً وضلالاً، وقد أخبر أنّه لايعود فيها إلّا أن يشاء الله.

الجواب قيل له: في هذه الآية وجوه: أوّلها أن تكون الملّة الّتي عناها الله تعالى إنّما هي العبادات الشرعيّات الّتي كانت قوم شعيب متمسّكين بها وهي منسوخة عنهم ولم يعن بها ما يرجع إلى الاعتقادات في الله وصفاته.[4]

---

(١) البقرة: ١٨.

(٢) قال بعد ذلك: فان الابله عن الشيء هو الذى لايعرض له ولايقصد اليه فاذا كان المتنزه عن الشر معرضاً عنه هاجراً لفعله جاز أن يوصف بالبله للفائدة التى ذكرناها، و يشهد بصحة هذا التأويل قول الشاعر:

ولقد لهوت بطفلة ميالة * بلهاء تطلعني على اسرارها

أراد بالبلهاء ما ذكرناه؛ الى آخر كلامه. ومن شاء الاطلاع عليه فليراجع ج ١ ص ٣١ من أماليه.

(٣) الاعراف: ٨٩.

(٤) قال بعد ذلك: مما لايجوز أن تختلف العبادات فيه والشرعيات يجوز فيها اختلاف العبادة من حيث تبعت المصالح و الالطاف و المعلوم من أحوال المكلفين، فكانه قال: ان ملتكم لا نعود فيها مع علمنا بان الله قد نسخها وأزال حكمها الا أن يشاء الله أن يتعبدنا بمثلها فنعود اليها، وتلك

وثانيها أنّه أراد أنّ ذلك لايكون أبداً من حيث علّقه بمشيّة الله تعالى، لما كان معلوماً أنّه لايشاؤه، وكلّ أمر علّق بما لايكون فقد نفي كونه على أبعد الوجوه، و تجري الآية مجرى قوله تعالى: «ولايدخلون الجنّة حتّى يلج الجمل في سمّ الخياط»

وثالثها ماذكره قطرب من أنّ في الكلام تقديماً وتأخيراً وإنّ الاستثناء من الكفّار وقع لامن شعيب فكأنّه تعالى قال - حاكياً عن الكفّار -: لنخرجنّك ياشعيب والّذين آمنوا معك من قريتنا إلّا أن يشاء الله أن تعود في ملّتنا، ثمّ قال حاكياً عن شعيب: ومايكون لنا أن نعود فيها على كلّ حال.

ورابعها أن تعود الهاء الّتي في قوله تعالى: «فيها» إلى القرية لا إلى الملّة لأنّ ذكر القرية قد تقدّم كما تقدّم ذكر الملّة، و يكون تلخيص الكلام: إنّا سنخرج من قريتكم ولانعود فيها إلّا أن يشاء الله بما ينجّزه لنا من الوعد في الإظهار عليكم والظفر بكم فنعود إليها.

وخامسها أن يكون المعنى: إلّا أن يشاء الله أن يردّكم إلى الحقّ فنكون جميعاً على ملّة واحدة غير مختلفة، لأنّه لمّا قال تعالى حاكياً عنهم: «أو لتعودنّ في ملّتنا» كان معناه أو لتكوننّ على ملّة واحدة غير مختلفة فحسن أن يقول من بعد: إلّا أن يشاء الله أن يجمعكم معنا على ملّة واحدة. فإن قيل: الاستثناء بالمشيّة إنّما كان بعد قوله: وما يكون لنا أن نعود فيها فكأنّه قال: ليس نعود فيها إلّا أن يشاء الله فكيف يصحّ هذا الجواب؟ قلنا: هو كذلك إلّا أنّه لمّا كان معنى أن نعود فيها هو أن تصير ملّتنا واحدة غير

• الافعال التي كانوا متمسكين بهامع نسخها عنهم و نهيهم عنها وان كانت ضلالا وكفراً فقد كان يجوز فيما هو مثلها أن يكون ايماناً و هدى، بل فيها أنفسها قد كان يجوز ذلك، و ليس تجرى هذه الافعال مجرى الجهل بالله تعالى الذى لايجوز أن يكون إلاقبيحا، وقد طعن بعضهم على هذا الجواب فقال: كيف يجوز أن يتعبدهم الله تعالى بتلك الملة مع قوله: «قد افترينا على الله كذباً ان عدنا فى ملتكم بعداذ نجينا الله منها»؟ فيقال له: لم ينف عودهم اليها على كل حال، وانما نفى العود اليها مع كونها منسوخة منهياً عنها، والذى علقه بمشية الله تعالى من العود اليها هو بشرط أن يأمر بها ويتعبد بمثلها، والجواب مستقيم لاخلل فيه انتهى. يوجد ذلك فى ج ٢ ص ٦٤.

مختلفة جاز أن يوقع الاستثناء على المعنى فيقول : إلّا أن يشاءالله أن نتّفق في الملّة بأن ترجعوا أنتم إلى الحقّ .

فإن قيل : وكان الله ماشاء أن ترجع الكفّار إلى الحقّ ؟ قلنا : بلى قدشاء ذلك إلّا أنّه ماشاء على كلّ حال ، بل من وجه دون وجه ، وهو أن يؤمنوا ويصيروا إلى الحقّ مختارين ليستحقّوا الثواب الّذي أجرى بالتكليف إليه ، ولوشاءه على كلّ حال لماجاز أن لايقع منهم .(١)

وسادسها أن يكون المعنى : إلّا أن يشاء الله أن يمكّنكم من إكراهنا ويخلّي بينكم وبينه فنعود إلى إظهارها مكرهين ، ويقوّي هذا الوجه قوله تعالى : «أولو كنّا كارهين» .

وسابعها أن يكون المعنى : إلّا أن يشاءالله أن يتعبّدنا بإظهار ملّتكم مع الإكراه لأنّ إظهار كلمة الكفر قديحسن في بعض الأحوال إذا تعبّدالله تعالى بإظهاره ؛ وقوله : «أولو كنّا كارهين» يقوّي هذا الوجه أيضاً .

فإن قيل : فكيف يجوز من نبيّ من أنبياء الله تعالى أن يتعبّد بإظهار الكفر و خلاف ماجاء به من الشرع ؟ قلنا : يجوز أن يكون لم يرد بالاستثناء نفسه بل قومه فكأنّه قال : ومايكون لي ولا لأمّتي أن نعود فيها إلّا يشاءالله أن يتعبّد أمّتي بإظهار ملّتكم على سبيل الإكراه ، وهذا جائز غير ممتنع .

وقال طيّب الله رمسه : إن سأل سائل عن تأويل قوله تعالى : «فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنّما يريدالله ليعذّبهم بها في الحيوة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون»(٢) فقال : كيف يعذّبهم بالأموال و الأولاد ومعلوم أنّ لهم فيها سروراً ولذّة ؟ وماتأويل

---

(١) وفيه بعد ذلك زيادة وهي قوله : فكان شعيبا عليه السلام قال : ان ملتنا لاتكون واحدة أبداً الا أن يشاءالله أن يلجئكم الى الاجتماع معنا على ديننا وموافقتنا في ملتنا ، والفائدة في ذلك واضحة ، لانه لواطلق أنا لانتفق أبداً ولا تصير ملتنا واحدة لتوهم متوهم أن ذلك مما لايمكن على حال من الاحوال فافاد بتعليقه له بالمشية هذا الوجه ، ويجري قوله تعالى : «الا أن يشاءالله» مجرى قوله تعالى : «ولو شاء ربك لامن من في الارض كلهم جميعاً» . ج ٢ ص ٦٥ .

(٢) التوبة : ٥٥ .

قوله : «ماتوا وهم كافرون» فظاهره يقتضي أنّه أراد كفرهم من حيث أراد أن تزهق أنفسهم في حال كفرهم لأنّ القائل إذا قال : اُريد أن يلقاني فلان وهو لابس ؛ أو على صفة كذا وكذا فالظاهر أنّه أراد كونه على هذه الصفة .

قلنا : أمّا التعذيب بالأموال والأولاد ففيه وجوه :

أحدها ما روي عن ابن عبّاس وقتادة وهو أن يكون في الكلام تقديم و تأخير ، و يكون التقدير فلا تعجبك يا محمّد ؛ ولا تعجب المؤمنين معك أموال هؤلاء الكفّار و المنافقين وأولادهم في الحياة الدنيا ، إنّما يريد الله ليعذّبهم بها في الآخرة عقوبةً لهم على منعهم حقوقها ؛ و استشهد على ذلك بقوله تعالى : «اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم ثمّ تولّ عنهم فانظر ماذا يرجعون»[1] فالمعنى : فألقه إليهم فانظر ماذا يرجعون ثمّ تولّ عنهم .

وثانيها أن يكون المعنى : ما جعله للمؤمنين من قتالهم وغنيمة أموالهم وسبي أولادهم واسترقاقهم ، وفي ذلك لامحالة إيلام لهم واستخفاف بهم .[2]

وثالثها أن يكون المراد بتعذيبهم بذلك كلّ ما يدخله في الدنيا عليهم من الغموم والمصائب بأموالهم وأولادهم الّتي هي لهؤلاء الكفّار والمنافقين عقاب وجزاء ، وللمؤمنين محنة وجالبة للنفع والعوض ، ويجوز أيضاً أن يراد به ما ينذر به الكافر ـ قبل موته وعند

---

(١) النمل : ٢٨ .

(٢) قال بعد ذلك : و انما أراد الله تعالى بذلك إعلام نبيه صلى الله عليه وآله و المؤمنين أنه لم يرزق الكفار الاموال والاولاد ولم يبقها في أيديهم كرامة لهم ورضى عنهم ، بل للمصلحة الداعية إلى ذلك ، وأنهم مع هذه الحالة معذبون بهذه النعم من الوجه الذى ذكرناه ، فلايجب أن يغبطوا بها ويحسدوا عليها ، اذ كانت هذه عاجلتهم ، والعقاب الاليم آجلتهم ، وهذا جواب أبى على الجبائى وقد طعن عليه بعض من لايتأمل له فقال : كيف يصح هذا التأويل مع أنا نجد كثيرا من الكفار لاتنالهم أيدى المسلمين ، ولايقدرون على غنيمة أموالهم ، ونجد أهل الكتاب أيضاً خارجين عن هذه الجملة ، لمكان الذمة والعهد ؛ وليس هذا الاعتراض بشىء ، لانه لايمتنع أن تختص الاية بالكفار الذين لاذمة لهم ولاعهد ممن أوجب الله تعالى محاربته ، فاما الذين هم بحيث لاتنالهم الايدى ، أوهم من القوة على حد لايتم معه غنيمة أموالهم فلايقدح الاعتراض بهم فى هذا الجواب ، لانهم ممن أراد الله أن يسبى ويغنم ويجاهد ويغلب ، و ان لم يقع ذلك ، وليس فى ارتفاعه بالتعذر دلالة على أنه غير مراد . انتهى ج٢ ص ١٥٣ .

احتضاره وانقطاع التكليف عنه مع أنّه حيّ - من العذاب الدائم الّذي قد أُعدّ له ، و إعلامه أنّه صائر إليه .

ورابعها أن يكون المراد بذلك ما ألزمه هؤلاء الكفّار من الفرائض و الحقوق في أموالهم لأنّ ذلك يؤخذ منهم على كره ، وهم إذا أنفقوا فيه أنفقوا بغير نيّة ولاعزيمة فتصير نفقتهم غرامةً وعذاباً من حيث لايستحقّون عليها أجراً ، وفي هذا الوجه نظر .[1]

---

(١) قال قدس الله روحه : وهذا وجه غير صحيح ، لان الوجه في تكليف الكافر اخراج الحقوق من ماله ، كالوجه في تكليف المؤمن ذلك ، ومحال أن يكون انما كلف اخراج هذه الحقوق على سبيل العذاب والجزاء ، لان ذلك لايقتضي وجوبه عليه ، والوجه في تكليف الجميع هذه الامور هو المصلحة واللطف في التكليف ، ولا يجري ذلك مجرى ما قلناه في الجواب الذي قبل هذا من أن المصائب و الغموم تكون للمؤمنين محنة و للكافرين عقوبة ، لان تلك الامور مما يجوز أن يكون وجه حسنها للعقوبة والمحنة جميعاً ، ولايجوز في هذه الفرائض أن يكون لوجوبها على المكلف إلا وجه واحد وهو المصلحة في الدين ، فافترق الامران ، وليس لهم أن يقولوا : ليس التعذيب في إيجاب الفرائض عليهم ، وإنما هو في إخراجهم لاموالهم على سبيل التكره والاستثقال ، وذلك أنه اذا كان الامر على ما ذكروه خرج الامر من أن يكون مراداً لله تعالى ، لانه جل وعز ما أراد منهم اخراج المال على هذا الوجه بل على الوجه الذي هو طاعة و قربة ، فاذا أخرجوها متكرهين مستثقلين لم يرد ذلك ، فكيف يقول : إنما يريد الله ليعذبهم بها ؟ ويجب أن يكون مايعذبون به شيئاً يصح أن يريده الله تعالى .

أقول : أورد شيخ الطائفة في التبيان وجوهاً اخر ، أولها ما حكى عن ابن زيد أن المعنى : انما يريد الله ليعذبهم بحفظها والمصائب فيها مع حرمان المنفعة بها .

ثانيها : أن مفارقتها وتركها والخروج عنها بالموت صعب عليهم شديد ، لانهم يفارقون النعم ، لا يدرون الى ماذا يصيرون بعد الموت ، فيكون حينئذ عذاباً عليهم ، بمعنى أن مفارقتها غم وعذاب ؛ و معنى تزهق أنفسهم أي تهلك و تذهب بالموت ، يقال : زهق بضاعة فلان أي ذهبت أجمع .

وأورد وجوها اخر متقاربة مع ماذكره السيد رحمه الله و قال بعد ذلك : وليس في الاية مايدل على ان الله تعالى أراد الكفر على مايقوله المجبرة ، لان قوله : «وهم كافرون» في موضع الحال ، كقولك : اريد أن نذمه فهو كافر ، واريد أن نضربه وهو عاص ، و أنت لاتريد كفره ولاعصيانه ، بل تريد ذمه في حال كفره وعصيانه ، وتقدير الاية : انما يريد الله عذابهم و ازهاق أنفسهم ، أي اهلاكها في حال كونهم كافرين . «التبيان ج ١ ص ٨٣٧» .

ثمّ اعلم أنّ جميع الوجوه الّتي حكيناها في هذه الآية إلّا جواب التقديم والتأخير مبنيّة على أنّ الحياة الدنيا ظرف للعذاب، وما يحتاج عندنا إلى جميع ما تكلّفوه إذا لم نجعل الحياة ظرفاً للعذاب، بل جعلناها ظرفاً للفعل الواقع بالأموال والأولاد المتعلّق بهما، لأنّا قد علمنا أوّلاً أنّ قوله: ليعذّبهم بها لابدّ من الانصراف عن ظاهره لأنّ الأموال والأولاد أنفسهما لاتكون عذاباً، فالمراد على سائر وجوه التأويل الفعل المتعلّق بها و المضاف إليها، سواء كان إنفاقها، أو المصيبة بها والغمّ عليها، أو إباحة غنيمتها و إخراجها عن أيدي مالكيها؛ وكان تقدير الآية: إنّما يريد الله ليعذّبهم بكذا وكذا ممّا يتعلّق بأموالهم وأولادهم ويتّصل بها، وإذا صحّ هذا جاز أن تكون الحياة الدنيا ظرفاً لأفعالهم القبيحة في أموالهم وأولادهم الّتي تغضب الله وتسخطه كإنفاقهم الأموال في وجوه المعاصي، وحملهم الأولاد على الكفر، فتقدير الكلام: إنّما يريد الله ليعذّبهم بفعلهم في أموالهم وأولادهم الواقع ذلك في الحياة الدنيا.

و أمّا قوله تعالى: «و تزهق أنفسهم وهم كافرون» فمعناه تبطل و تخرج أي أنّهم يموتون على الكفر، ليس يجب إذا كان مريداً لأن تزهق أنفسهم وهم على هذه الحال أن يريد الحال نفسها على ماظنّوه.[1] وقد ذكر في ذلك وجه آخر وهو أن لا يكون قوله: وهم كافرون، حالاً لزهوق أنفسهم بل يكون كأنّه كلام مستأنف، و التقدير فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم، إنّما يريد الله ليعذّبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم مع ذلك كلّه كافرون صائرون إلى النار، و تكون الفائدة أنّهم مع عذاب الدنيا قد اجتمع عليهم عذاب الآخرة، ويكون معنى تزهق أنفسهم المشقّة الشديدة والكلفة الصعبة.

أقول: قد مضى بعض الأخبار في معنى القدر والقضاء في باب البداء.

---

(١) قال: لان الواحد منا قد يامر غيره ويريد منه أن يقاتل أهل البغي وهم محاربون، ولايقاتلهم وهم منهزمون، ولايكون مريدا لحرب أهل البغي للمؤمنين وان أراد قتلهم على هذه الحالة، و كذلك قد يقول لغلامه: اريد أن تواظب على المصير الي في السجن وأنا محبوس، وللطبيب: صر الي ولازمني وأنا مريض وهو لايريد المرض ولا الحبس، وان كان قد أراد ما هو متعلق بهاتين الحالتين.

﴿باب ٤﴾

☼(الاجال)☼

الايات ، آل عمران «٣» وما كان لنفس أن تموت إلّا بإذن الله كتاباً مؤجّلاً ١٤٥

«وقال تعالى» : يقولون لو كان لنا من الأمر شيءٌ ما قتلنا هيهنا قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الّذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم ١٥٤ .

الانعام «٦» هو الّذي خلقكم من طين ثمّ قضى أجلاً وأجلٌ مسمّى عنده ثمّ أنتم تمترون ٣ .

الاعراف «٧» ولكلّ اُمّة أجلٌ فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ٣٤ .

يونس «١٠» لكلّ اُمّة أجل إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعةً ولا يستقدمون ٤٩

الحجر «١٥» وما أهلكنا من قرية إلّا ولها كتابٌ معلومٌ ☼ ما تسبق من اُمّة أجلها وما يستأخرون ٤ - ٥ .

النحل «١٦» ولو يؤاخذ الله النّاس بظلمهم ما ترك عليها من دابّة ولكن يؤخّرهم إلى أجل مسمّى فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ٦١ .

مريم «١٩» فلا تعجل عليهم إنّما نعدّ لهم عدّاً ٨٤ .

طه «٢٠» ولولا كلمةٌ سبقت من ربّك لكان لزاماً وأجلٌ مسمّى ١٢٩ .

العنكبوت «٢٩» ولولا أجلٌ مسمّى لجاءهم العذاب وليأتينّهم بغتةً وهم لا يشعرون ٥٣ .

فاطر «٣٥» وما يعمّر من معمّر ولا ينقص من عمره إلّا في كتاب إنّ ذلك على الله يسير ١١ .

حمعسق «٤٢» ولولا كلمةٌ سبقت من ربّك إلى أجل مسمّى لقضي بينهم ١٤ .

المنافقين «٦٣» ولن يؤخّر الله نفساً إذا جاء أجلها ١١ .

نوح «٧١» ويؤخّركم إلى أجل مسمّى إنّ أجل الله إذا جاء لا يؤخّر لو كنتم تعلمون ٤ .

تفسير : قال الرازيّ في تفسيره : اختلفوا في تفسير الإذن :

الأوّل : أن يكون الإذن هو الأمر ، أي يأمر ملك الموت بقبض الأرواح ، فلا يموت أحد إلّا بهذا الأمر .

الثاني : أنّ المراد به الأمر التكوينيّ كقوله تعالى : «أن نقول له كن فيكون» ولا يقدر على الحياة والموت أحد إلّا الله .

الثالث : أن يكون الإذن هو التخلية والإطلاق ، وترك المنع بالقهر و الإجبار وبه فسّر قوله تعالى «وماهم بضارّين به من أحد إلّا بإذن الله» أي بتخليته ، فإنّه تعالى قادر على المنع من ذلك بالقهر .

الرابع : أن يكون الإذن بمعنى العلم ، ومعناه أنّ نفساً لاتموت إلّا في الوقت الّذي علم الله موتها فيه .

الخامس : قال ابن عبّاس : الإذن : هو قضاء الله و قدره ، فإنّه لا يحدث شيء إلّا بمشيّة الله و إرادته ، و الآية تدلّ على أنّ المقتول ميّت بأجله ، وأنّ تغيير الآجال ممتنع . انتهى .

قوله : لكان لنا من الأمر شيء أي من الظفر الّذي وعدنا النبيّ صلى الله عليه وآله ، أولو كنّا مختارين لما خرجنا باختيارنا .

قوله تعالى : «لبرز الّذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم» قال الطبرسيّ رحمه الله : فيه قولان : أحدهما أنّ معناه : لو لزمتم منازلكم أيّها المنافقون والمرتابون لخرج إلى البراز المؤمنون الّذين فرض عليهم القتال صابرين محتسبين ، فيقتلون ويقتلون ولما تخلّفوا بتخلّفكم .

والثاني : أنّ معناه : لو كنتم في منازلكم لخرج الّذين كتب عليهم القتل أي كتب آجالهم وموتهم وقتلهم في اللّوح المحفوظ في ذلك الوقت إلى مصارعهم ، و ذلك أنّ ما علم الله كونه فإنّه يكون كما علمه لامحالة ، وليس في ذلك أنّ المشركين غير قادرين على

ترك القتال من حيث علم الله ذلك منهم وكتبه لأنّه كما علم أنّهم لا يختارون ذلك علم أنّهم قادرون، ولو وجب ذلك لوجب أن لا يكون تعالى قادراً على ما علم أنّه لا يفعله، و القول بذلك كفر.

وقال رحمه الله: في قوله تعالى: «ثم قضى أجلاً» أي كتب وقدّر أجلاً «وأجل مسمّى عنده» قيل: فيه أقوال: أحدها أنّه يعني بالأجلين: أجل الحياة إلى الموت، وأجل الموت إلى البعث. وروى ابن عبّاس قال: قضى أجلاً من مولده إلى مماته، وأجل مسمّى عنده من الممات إلى البعث، لا يعلم أحد ميقاته سواه، فإذا كان الرجل صالحاً واصلاً لرحمه زاد الله له في أجل الحياة من أجل الممات إلى البعث، وإذا كان غير صالح ولا واصل نقصه الله من أجل الحياة، وزاد في أجل المبعث، قال: وذلك قوله: «وما يعمّر من معمّر ولا ينقص من عمره إلّا في كتاب».

وثانيها أنّه الأجل الّذي يحيي به أهل الدنيا إلى أن يموتوا، و أجل مسمّى عنده يعني الآخرة لأنّها أجل ممدود دائم لا آخر له.

وثالثها: أنّ أجلاً يعني به أجل من مضى من الخلق، وأجل مسمّى عنده يعني به آجال الباقين.

ورابعها: أنّ قوله: «قضى أجلاً» عنى به النوم يقبض الروح فيه ثمّ يرجع عند اليقظة، والأجل المسمّى هو أجل الموت؛ والأصل في الأجل هو الوقت فأجل الحياة هو الوقت الّذي يكون فيه الحياة، وأجل الموت أو القتل هو الوقت الّذي يحدث فيه الموت أو القتل، وما يعلم الله تعالى أنّ المكلّف يعيش إليه لو لم يقتل لا يسمّى أجلاً حقيقةً، ويجوز أن يسمّى ذلك مجازاً؛ وما جاء في الأخبار من أنّ صلة الرحم تزيد في العمر والصدقة تزيد في الأجل وأنّ الله تعالى زاد في أجل قوم يونس وما أشبه ذلك فلا مانع من ذلك. وقال في قوله تعالى: «ولكلّ أمّة أجل»: أي لكلّ جماعة و أهل عصر وقت لاستيصالهم. وقيل: المراد بالأجل أجل العمر الّذي هو مدّة الحياة.

قوله: «لا يستأخرن» أي لا يتأخّرون ساعة من ذلك الوقت ولا يتقدّمون ساعة. وقيل: معناه: لا يبطلون التأخّر عن ذلك الوقت للأياس عنه ولا يطلبون التقدّم؛ ومعنى

جاء أجلهم : قرب أجلهم ، كما يقال : جاء الصيف : إذا قارب وقته .

قوله تعالى : «ولولا كلمة سبقت من ربّك» أي في تأخير العذاب عن قومك وأنّه لايعذّبهم وأنت فيهم لقضي بينهم أي لفرغ من عذابهم و استيصالهم ، وقيل : معناه لولا حكم سبق من ربّك بتأخيرهم إلى وقت انقضاء آجالهم لقضي بينهم قبل انقضاء آجالهم .

١ ـ **فس** : أبي ، عن النضر ، عن الحلبيّ ، عن ابن مسكان ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : الأجل المقضيّ هو المحتوم الّذي قضاه الله وحتمه ، و المسمّى هو الّذي فيه البداء ، يقدّم مايشاء ، ويؤخّر مايشاء ، والمحتوم ليس فيه تقديم ولاتأخير . «ص١٨١»

فس : «إلّا ولها كتاب معلوم» أي أجل مكتوب . «ص٣٤٩»

٢ ـ **فس** : أحمد بن إدريس ، عن أحمد بن محمّد ، عن الحسين بن سعيد ، عن النضر عن يحيى الحلبيّ ، عن هارون بن خارجة ، عن أبي بصير ، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله : ولن يؤخّر الله نفساً إذا جاء أجلها قال : إنّ عندالله كتباً موقوفة يقدّم منها ما يشاء ويؤخّر فإذا كان ليلة القدر أنزل فيها كلّ شيء يكون إلى مثلها[1] فذلك قوله : « ولن يؤخّر الله نفساً إذا جاء أجلها» إذا أنزله و كتبه كتاب السماوات و هو الّذي لا يؤخّره . «ص ٦٨٢ »

٣ ـ **شي** : عن مسعدة بن صدقة ، عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله تعالى : «ثمّ قضى أجلاً وأجل مسمّى عنده » قال : الأجل الّذي غير مسمّى موقوف ، يقدّم منه ماشاء ، ويؤخّر منه ماشاء ، وأمّا الأجل المسمّى فهوالّذي ينزل ممّا يريد أن يكون من ليلة القدر إلى مثلها من قابل ، فذلك قول الله : « إذا جاء أجلهم لايستأخرون ساعة ولايستقدمون » .

٤ ـ **ما** : وعن حمران ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : المسمّى ماسمّي لملك الموت في تلك الليلة وهوالّذي قال الله : « إذا جاء أجلهم فلايستأخرون ساعة ولايستقدمون » والآخر له فيه المشيّة إن شاء قدّمه وإن شاء أخّره .

٥ ـ **ما** : الغضائريّ ، عن التلعكبريّ ، عن محمّد بن همام ، عن محمّد بن عليّ بن

(١) في المصدر : أنزل الله فيها كل شيء يكون الى ليلة مثلها . م

الحسين الهمداني، عن محمد بن خالد البرقي، عن محمد بن سنان، عن المفضل، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إن الله تعالى لم يجعل للمؤمن أجلاً في الموت، يبقيه ماأحب البقاء فإذا علم من أنه سيأتي بما فيه بوار دينه [1] قبضه إليه تعالى مكرماً.

٦ ـ قال محمد بن همام: فذكرت هذا الحديث لأحمد بن علي بن حمزة مولى الطالبيين ـ وكان راوية للحديث ـ [2] فحدثني عن الحسين بن أسد الطفاوي، [3] عن محمد بن القاسم عن فضيل بن يسار، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من يموت بالذنوب أكثر ممن يموت بالآجال، ومن يعيش بالإحسان أكثر ممن يعيش بالأعمار.

٧ ـ دعوات الراوندي: قال الصادق عليه السلام: يعيش الناس بإحسانهم أكثر مما يعيشون بأعمارهم، ويموتون بذنوبهم أكثر مما يموتون بآجالهم.

٨ ـ **النهج**: قال عليه السلام: إن مع كل إنسان ملكين يحفظانه، فإذا جاء القدر خليا بينه و بينه، وإن الأجل جنة [4] حصينة.

٩ ـ **شي**: عن حمران قال: سألت أباعبدالله عليه السلام عن قول الله: «قضى أجلاً وأجل مسمى عنده» قال هما أجلان: أجل موقوف يصنع الله مايشاء وأجل محتوم.

١٠ ـ شي: عن حصين، عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله: قضى أجلاً وأجل مسمى عنده قال: الأجل الأول هو الذي نبذه إلى الملائكة والرسل والأنبياء، والأجل المسمى عنده هو الذي ستره عن الخلائق.

بيان: ظاهر بعض الأخبار كون الأجل الأول محتوماً و الثاني موقوفاً، و بعضها بالعكس، ويمكن الجمع بأن المعنى أنه تعالى قضى أجلاً أخبر به أنبياءه وحججه عليهم السلام، وأخبر بأنه محتوم فلا يتطرق إليه التغيير، و عنده أجل مسمى أخبر بخلافه غير محتوم، فهو الذي إذا أخبر بذلك المسمى يحصل منه البداء، فلذا قال تعالى:

---

(١) أى هلاك دينه. أقول: متن الحديث لا يخلو عن غرابة.

(٢) الراوية: الذى يروى الحديث والتاء فيه للمبالغة.

(٣) قال الفيروزآبادى فى القاموس: الطفاوة بالضم: حى من قيس عيلان.

(٤) بضم الجيم: السترة، وكل ماوقى من السلاح.

« عنده » أي لم يطلع عليه أحداً بعد ، وإنّما يطلق عليه المسمّى لأنّه بعد الإخبار يكون مسمّى فما لم يسمّ فهو موقوف ، و منه يكون البداء فيما أخبر لاعلى وجه الحتم ، و يحتمل أن يكون المراد بالمسمّى ما سمّي ووصف بأنّه محتوم فالمعنى : قضى أجلاً محتوماً أي أخبر بكونه محتوماً . وأجلاً آخر وصف بكونه محتوماً عنده ولم يخبر الخلق بكونه محتوماً فيظهر منه أنّه أخبر بشيء لاعلى وجه الحتم فهو غير المسمّى لا الأجل الّذي ذكر أوّلاً ، وحاصل الوجهين مع قربهما أنّ الأجلين كليهما محتومان ، أخبر بأحدهما ولم يخبر بالآخر ، ويظهر من الآية أجل آخر غير الأجلين وهو الموقوف ، ويمكن أن يكون الأجل الأوّل عامّاً فيرتكب تكلّف في خبر ابن مسكان بأنّه قد يكون محتوماً ، وظاهر أكثر الأخبار أنّ الأوّل موقوف والمسمّى محتوم .

١١ ـ **شي** : عن حمّاد بن موسى ، عن أبي عبدالله عليه السلام إنّه سئل عن قول الله : « يمحو الله مايشاء ويثبت وعنده اُمّ الكتاب » قال : إنّ ذلك كتاب يمحو الله فيه مايشاء ويثبت ، فمن ذلك الّذي يردّ الدعاء القضاء ، وذلك الدعاء مكتوب عليه : « الّذي يردّ به القضاء » حتّى إذا صار إلى اُمّ الكتاب لم يغن الدعاء فيه شيئاً .

بيان : لعلّ المراد بكونه مكتوباً عليه أنّ هذا الحكم ثابت له حتّى يوافق ما في اللّوح من القضاء الحتميّ ، فإذا وافقه فلا ينفع الدعاء ، و يحتمل أن يكون المعنى أنّ ذلك الدعاء الّذي يردّ به القضاء من الأسباب المقدّرة أيضاً فلا ينافي الدعاء القدر و القضاء .

١٢ ـ **شي** : عن الحسين بن زيد ، عن جعفر بن محمّد ، عن أبيه عليهما السلام قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : إنّ المرء ليصل رحمه و ما بقي من عمره إلّا ثلاث سنين فيمدّها الله إلى ثلاث وثلاثين سنة ، وإنّ المرء ليقطع رحمه وقد بقي من عمره ثلاث وثلاثون سنة فيقصرها الله إلى ثلاث سنين أو أدنى . قال الحسين : و كان جعفر عليه السلام يتلو هذه الآية : « يمحو الله مايشاء ويثبت وعنده اُمّ الكتاب » .

١٣ ـ **نهج** : من كلامه عليه السلام ـ لمّا خوّف من الغيلة ـ و إنّ عليّ من الله جنّة

حصينة ، فإذا جاء يومي انفرجت عنّي و أسلمتني فحينئذ لا يطيش السهم ولا يبرأ الكلم.[(١)]

بيان : الغيله : القتل على غفلة ؛ وطاش السهم : انحرف عن الغرض .

١٤ ـ **نهج** : قال عليه السلام : كفى بالأجل حارساً .

تذنيب : أقول : الأخبار الدالّة على حقيقة الأجلين وتحقيقهما قدمرّ في باب البداء من كتاب التوحيد ، وقال المحقّق الطوسيّ رحمه الله في التجريد : أجل الحيوان الوقت الّذي علم الله بطلان حياته فيه ، والمقتول يجوز فيه الأمران لولاه ، و يجوز أن يكون الأجل لطفاً للغير لا للمكلّف .

وقال العلاّمة رحمه الله في شرحه : اختلف الناس في المقتول لو لم يقتل فقالت المجبّرة إنّه كان يموت قطعاً و هو قول أبي هذيل العلاّف ، و قال بعض البغداديّين : إنّه كان يعيش قطعاً ، و قال أكثر المحقّقين : إنّه كان يجوز أن يعيش و يجوز أن يموت ، ثمّ اختلفوا فقال قوم منهم : إن كان المعلوم منه البقاء لو لم يقتل له أجلان وقال الجبائيّان وأصحابهما وأبو الحسين البصريّ : إنّ أجله هو الوقت الّذي قتل فيه ، ليس له أجل آخر لو لم يقتل فما كان يعيش إليه ليس بأجل له الآن حقيقيّ بل تقديريّ ، واحتجّ الموجبون لموته بأنّه لولاه لزم خلاف معلوم الله تعالى وهو محال ، و احتجّ الموجبون لحياته بأنّه لو مات لكان الذابح غنم غيره محسناً ولما وجب القود لأنّه لم يفوّت حياته .

والجواب عن الأوّل ما تقدّم من أنّ العلم يؤثّر في المعلوم ، وعن الثاني بمنع الملازمة ، إذ لو ماتت الغنم استحقّ مالها عوضاً زائداً على الله تعالى فيذبحه فوته الأعواض الزائدة ، و القود من حيث مخالفة الشارع إذ قتله حرام عليه وإن علم موته ، ولهذا لو أخبر الصادق بموت زيد لم يجز لأحد قتله . ثمّ قال رحمه الله : ولا استبعاد في أن يكون أجل الإنسان لطفاً لغيره من المكلّفين ، ولا يمكن أن يكون لطفاً للمكلّف نفسه لأنّ الأجل يطلق على عمره وحياته ، ويطلق على أجل موته أمّا الأوّل فليس بلطف لأنّه

---

(١) بفتح الكاف وسكون اللام أى لا يشفى الجرح .

تمكين له من التكليف ، واللّطف زائد على التمكين ، وأمّا الثاني فهو قطع للتكليف فلايصحّ أن يكلّف بعده فيكون لطفاً له فيما يكلّفه من بعد ، واللّطف لايصحّ أن يكون لطفاً فيما مضى . انتهى .

أقول : لا يخفى ما في قوله رحمه‌الله : العلم لايؤثّر ، فإنّه غيرمرتبط بالسؤال ، بل الجواب هو أنّه يلزم خلاف العلم على هذا الفرض على أيّ حال فإنّ من علم الله أنّه سيقتل إذا مات بغير قتل كان خلاف ما علمه تعالى ، و أمّا علمه بموته على أيّ حال فليس بمسلّم ؛ و أمّا قوله : واللّطف لايصحّ أن يكون لطفاً فيما مضى فيمكن منعه بأنّه يمكن أن يكون لطفاً من حيث علم المكلّف بوقوعه فيردعه عن ارتكاب كثير من المحرّمات ، إلّا أن يقال : اللّطف هو العلم بوقوع أصل الموت فأمّا خصوص الأجل المعيّن فلعدم علمه به غالباً لا يكون لطفاً من هذه الجهة أيضاً ، و يمكن تطبيق كلام المصنّف على هذا الوجه من غير تكلّف .

﴿باب ٥﴾

﴿الارزاق والاسعار[1]﴾

الايات ، البقرة «٢» والله يرزق من يشاء بغير حساب ٢١٢ .

آل عمران «» إنّ الله يرزق من يشاء بغير حساب ٣٧ .

هود «١١» وما من دابّة في الأرض إلّا على الله رزقها ٦ .

الرعد «١٣» الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ٢٦ .

الاسرى «١٧» إنّ ربّك يبسط الرزق لمن يشاء و يقدر إنّه كان بعباده خبيراً بصيراً ٣٠ .

---

(١) الارزاق جمع الرزق ، وهو كل ماصح انتفاع الحيوان به بالتغذى أوغيره وليس لاحد منعه منه ؛ وأما إطلاق الرزق على الممنوع والمحرم فسيأتي الكلام فيه مفصلا من المصنف ؛ وأما الاسعار فهو جمع السعر بالكسر و هوالذى يقوم عليه الثمن ، وهو قد يرخص وقد يغلو ، و يأتي الكلام في أنهما مستندان إلى الله مطلقا أو في بعض الاحيان .

الحج «٢٢» ليرزقنّهم الله رزقاً حسناً وإنّ الله لهو خير الرازقين ٥٨ .

المؤمنين «٢٣» وهو خير الرازقين ٧٢ .

النور «٢٤» والله يرزق من يشاء بغير حساب . ٣٨

العنكبوت « ٢» و كأيّن من دابّة لا تحمل رزقها الله يرزقها و إيّاكم وهو السميع العليم ٦ « و قال تعالى » : الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده و يقدر له إنّ الله بكلّ شيء عليمٌ ٦٢ .

الروم «٣٠» أولم يروا أنّ الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنّ في ذلك لآيات لقوم يؤمنون ٣٧ .

سبا «٣٤» قل من يرزقكم من السموات والأرض قل الله ٣٤ «وقال تعالى» : قل إنّ ربّي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ولكنّ أكثر الناس لا يعلمون ٣٦ « وقال تعالى» : قل : إنّ ربّي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين ٣٩ .

الزمر «٣٩» أولم يعلموا أنّ الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنّ في ذلك لآيات لقوم يؤمنون ٥٢ .

حمعسق «٤٢» له مقاليد السموات والأرض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنّه بكلّ شيء عليم ١٢ «وقال تعالى» : ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ولكن ينزّل بقدر ما يشاء إنّه بعباده خبير بصير ٢٧ .

الزخرف «٤٣» أهم يقسمون رحمة ربّك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ٣٢ .

الذاريات «٥١» وفي السماء رزقكم و ما توعدون ✿ فوربّ السماء و الأرض إنّه لحقّ مثل ما أنّكم تنطقون ٢٢-٢٣ .

تفسير : قال الطبرسيّ رحمه الله في قوله تعالى : « والله يرزق من يشاء بغير حساب » قيل : فيه أقوال : أحدها أنّ معناه : يعطيهم الكثير الواسع الّذي لا يدخله الحساب من كثرته .

وثانيها : أنّه لايرزق الناس في الدنيا على مقابلة أعمالهم وإيمانهم وكفرهم ، فلا يدلّ بسط الرزق على الكفّار على منزلتهم عند الله ، و إن قلنا : إنّ المراد به في الآخرة فمعناه أنّ الله لايثيب المؤمنين في الآخرة على قدر أعمالهم الّتي سلفت منهم بل يزيدهم تفضّلاً .

وثالثها : أنّه يعطيه عطاءاً لايأخذه بذلك أحد ، ولايسأله عنه سائل ، ولا يطلب عليه جزاءاً ولامكافاةً .

ورابعها : أنّه يعطيه من العدد الشيء الّذي لايضبط بالحساب ولايأتي عليه العدد لأنّ مايقدر عليه غير متناه ولا محصور فهو يعطي الشيء لامن عدد أكثر منه فينقص منه كمن يعطي الألف من الألفين والعشرة من المائة .

وخامسها : أنّ معناه : يعطي أهل الجنّة مالا يتناهى ولايأتي عليه الحساب .

وقال البيضاويّ في قوله تعالى : «وفي السماء رزقكم» : أي أسباب رزقكم أو تقديره . وقيل : المراد بالسماء السحاب ، وبالرزق المطر لأنّه سبب الأقوات ، «وما توعدون» من الثواب لأنّ الجنّة فوق السماء السابعة ، أو لأنّ الأعمال و ثوابها مكتوبة مقدّرة في السماء ، وقيل: إنّه مستأنف خبره : «فوربّ السماء والأرض إنّه لحقّ» وعلى هذا فالضمير «لما» وعلى الأوّل يحتمل أن يكون له ولما ذكر من أمر الآيات والرزق والوعيد . «مثل ما أنّكم تنطقون» أي مثل نطقكم كما أنّه لاشكّ لكم في أنّكم تنطقون ينبغي أن لاتشكّوا في تحقّق ذلك انتهى .

وقال الوالد العلاّمة رحمه الله : يحتمل أن يكون التشبيه من حيث اتّصال النطق وفيضان المعاني من المبدء بقدر الحاجة من غير علم بموضعه ومحلّ وروده فيكون التشبيه أكمل .

١ ـ ب : ابن طريف ، عن ابن علوان ، عن جعفر ، عن أبيه قال : قال رسول الله صلّى الله عليه و آله : إنّ الرزق لينزل [1] من السماء إلى الأرض على عدد قطر المطر إلى كلّ نفس بما قدّر لها ، ولكن لله فضول فاسألوا الله من فضله . «ص٥٥»

---

(١) في المصدر : ينزل . م

٢ ـ ن : محمد بن القاسم المفسّر ، عن أحمد بن الحسن الحسينيّ ، عن الحسن بن عليّ ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن الرضا ، عن أبيه موسى بن جعفر عليهم السلام قال : سأل الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام عن بعض أهل مجلسه فقيل : عليل ، فقصده عائداً و جلس عند رأسه فوجده دنفاً ، [١] فقال له : أحسن ظنّك بالله ، قال : أمّا ظنّي بالله فحسن ، و لكن غمّي لبناتي ما أمرضني غير غمّي بهنّ ، فقال الصادق عليه السلام : الّذي ترجوه لتضعيف حسناتك و محو سيّئاتك فارجه لإصلاح حال بناتك أما علمت أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال : لمّا جاوزت سدرة المنتهى [٢] و بلغت أغصانها و قضبانها رأيت بعض ثمار قضبانها أثداء معلّقة يقطر من بعضها اللّبن ، ومن بعضها العسل ، ومن بعضها الدهن ، ويخرج عن بعضها شبه دقيق السميد ، وعن بعضها الثياب ، [٣] وعن بعضها كالنبق [٤] فيهوي ذلك كلّه نحو الأرض ، فقلت في نفسي : أين مقرّ هذه الخارجات عن هذه الأثداء ؟ وذلك أنّه لم يكن معي جبرئيل لأنّي كنت جاوزت مرتبته ، واختزل دوني ، فناداني ربّي عزّ و جلّ في سرّي : يا محمد هذه أنبتّها من هذا المكان الأرفع لأغذو منها بنات المؤمنين من اُمّتك وبنيهم فقل لآباء البنات : لاتضيقنّ صدوركم على فاقتهنّ فإنّي كما خلقتهنّ أرزقهنّ . « ص ١٧٩ ـ ١٨٠ »

بيان : السميذ بالذال المعجمة والمهملة الدقيق الأبيض ؛ والاختزال : الانفراد والاقتطاع .

٣ ـ **شي** : عن إسماعيل بن كثير رفع الحديث إلى النبيّ صلى الله عليه وآله قال : لمّا نزلت هذه الآية : « واسألوا الله من فضله » . قال : فقال أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله : ما هذا الفضل ؟ أيّكم

(١) بفتح الدال وكسر النون : من لازمه المرض .

(٢) هي في السماء السابعة ، قيل : هي شجرة في أقصى الجنة، إليها ينتهى علم الاولين والاخرين ولا يتعداها . وقيل : شجرة نبق عن يمين العرش ، وفي الحديث: سميت سدرة المنتهى لان أعمال أهل الارض تصعد بها الملائكة الحفظة إلى محل السدرة و الحفظة الكرام البررة دون السدرة يكتبون مايرفع اليهم الملائكة من أعمال العباد في الارض فينتهون بها الى محل السدرة .

(٣) في المصدر : النبات . م

(٤) النبق : حمل شجر السدر .

يسأل رسول الله صلى الله عليه وآله عن ذلك ؟ قال : فقال عليّ بن أبي طالب عليه السلام : أنا أسأله فسأله عن ذلك الفضل ماهو ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : إنّ الله خلق خلقه و قسّم لهم أرزاقهم من حلّها وعرض لهم بالحرام فمن انتهك حراماً نقص له من الحلال بقدر ما انتهك من الحرام وحوسب به .

٤ ـ نهج : قال عليه السلام : الرزق رزقان : رزق تطلبه ، ورزق يطلبك ، فإن لم تأته أتاك ، فلا تحمل همّ سنتك على همّ يومك ، كفاك كلّ يوم مافيه فإن تكن السنة من عمرك فإنّ الله تعالى جدّه سيؤتيك في كلّ غد جديد ماقسّم لك ، وإن لم تكن السنة من عمرك فما تصنع بالهمّ لما ليس لك ولن يسبقك إلى رزقك طالب ولن يغلبك عليه غالب ولن يبطىء عنك ماقد قدّر لك ؟ .

٥ ـ شي : عن ابن الهذيل ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إنّ الله قسّم الأرزاق بين عباده وأفضل فضلاً كبيراً لم يقسّمه بين أحد قال الله : «واسألوا الله من فضله » .

٦ ـ شي : عن إبراهيم بن أبي البلاد ، عن أبيه ، عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال : ليس من نفس إلّا وقد فرض الله لها رزقها حلالاً يأتيها في عافية ، و عرض لها بالحرام من وجه آخر ، فإن هي تناولت من الحرام شيئاً قاصّها به من الحلال الّذي فرض الله لها وعند الله سواهما فضل كبير .

٧ ـ شي : عن الحسين بن مسلم ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : قلت له : جعلت فداك إنّهم يقولون : إنّ النوم بعد الفجر مكروه لأنّ الأرزاق تقسّم في ذلك الوقت فقال : الأرزاق موظوفة مقسومة ، ولله فضل يقسّمه من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس ، وذلك قوله : «واسألوا الله من فضله » ثمّ قال : وذكر الله بعد طلوع الفجر أبلغ في طلب الرزق من الضرب في الأرض .

٨ ـ كا : العدّة عن سهل ، عن ابن يزيد ، عن محمّد بن أسلم ، عمّن ذكره ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إنّ الله و كل بالسعر ملكاً فلن يغلو من قلّة ، ولا يرخص من كثرة «ج ١ ف ص ٣٧٤» .[1]

(١) غلا السعر : ارتفع الثمن وزاد عما جرت به العادة . و رخص : انحط عما جرت به العادة .

٩ ـ كا : محمد بن يحيى ، عن محمد بن أحمد ، عن ابن معروف ، عن الحجال ، عن بعض أصحابه ، عن الثمالي ، عن علي بن الحسين عليهما السلام قال : إن الله عز وجل وكل ملكاً بالسعر يدبره بأمره . « ج ١ ف ص ٣٧٤ »

١٠ ـ كا : العدة ، عن سهل ، عن ابن يزيد ، عمن ذكره ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إن الله وكل ملكاً بالأسعار يدبرها . « ج١ ف ص ٣٧٤ »

١١ ـ نهج : و قدر الأرزاق فكثرها و قللها ، و قسمها على الضيق والسعة ، فعدل فيها ليبتلي من أراد بميسورها و معسورها ، وليختبر بذلك الشكر و الصبر من غنيها وفقيرها ، ثم قرن بسعتها عقابيل فاقتها ، ويفرج أفراجها غصص أتراحها ، وخلق الآجال فأطالها وقصرها ، وقدمها وأخرها ، ووصل بالموت أسبابها ، وجعله خالجاً لأشطانها ، وقاطعاً لمرائر أقرانها .

بيان : العقابيل : بقايا المرض ، واحدها عقبول ، والأتراح : الغموم ، والخلج : الجذب ، والشطن : الحبل ، والمرائر : الحبال المفتولة على أكثر من طاق ، والأقران : الحبال .

١٢ ـ عدة : روي عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله تبارك وتعالى : «ومايؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون» قال : هو قول الرجل : لولا فلان لهلكت ، ولولا فلان لما أصبت كذا وكذا ، ولولا فلان لضاع عيالي ؛ ألا ترى أنه قد جعل لله شريكاً في ملكه يرزقه و يدفع عنه ؟ قلت : فنقول : لولا أن الله من علي بفلان لهلكت ، قال : نعم لا بأس بهذا و نحوه .

١٣ ـ كا : محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، وعدة من أصحابنا ؛ عن سهل بن زياد عن ابن محبوب ، عن أبي حمزة الثمالي ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله في حجة الوداع : ألا إن الروح الأمين نفث في روعي أنه لا تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ، ولا يحملنكم استبطاء شيء من الرزق أن تطلبوه بشيء من معصية الله ، فإن الله تعالى قسم الأرزاق بين خلقه حلالاً ، ولم يقسمها حراماً فمن اتقى الله وصبر أتاه رزقه من حله ، ومن هتك حجاب ستر الله عز وجل وأخذه من

غير حلّه قصّ به من رزقه الحلال و حوسب عليه . « ج٢ ف ص ٣٥٠ »

بيان : أقول : سيأتي أكثر الآيات والأخبار المتعلّقة بهذاالباب في كتاب المكاسب و النفث : النفخ ، و الروع بالضمّ : العقل والقلب ، والإجمال في الطلب : ترك المبالغة فيه ، [1] أي اتّقوا الله في هذا الكدّ الفاحش ، أوالمعنى أنّكم إذا اتّقيتم الله لاتحتاجون إلى هذا الكدّ والتعب لقوله تعالى : «ومن يتّق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لايحتسب» [2] وهتك الستر : تمزيقه وخرقه .

ثمّ الظاهر من هذا الخبر و غيره من الأخبار أنّ الله تعالى قدّر في الصحف السماويّة لكلّ بشر رزقاً حلالاً بقدر ما يكفيه بحيث إذا لم يرتكب الحرام و طلب من الحلال سبّب له ذلك و يسّره له ، و إذا ارتكب الحرام فبقدر ذلك يمنع ممّا قدّر له . [3]

---

(١) والاعتدال وعدم الافراط فيه .

(٢) الطلاق : ٣ .

(٣) لاشك أن ما نشاهده من الموجودات أعم من الجماد والنبات والحيوان والانسان لايكفيها أصل الوجود للبقاء بل تستمد في بقائها بامور اخر خارجة من وجودها اما بضمها الى أنفسها بالاقتيات و والاغتذاء أو بوجه آخر بالايواء واللبس والتناسل ونحوها . وهذا المعنى في الانسان وسائر أقسام الحيوان أوضح ، وهو الرزق الذي عليه يتوقف بقاء أقسام الحيوان من غير فرق في ذلك بينها أصلا ، وقد قال تعالى : «وما من دابة في الارض الا على الله رزقها» الاية ، فالرزق ما لايستغني عنه موجود في بقائه ، واذ خلق الله هذه الاشياء لبقاء ما فقد خلق لها رزقاً ، فاستناد البقاء اليه تعالى يوجب استناد الرزق اليه من غير شك قال تعالى : «فورب السماء والارض انه لحق مثل ما انكم تنطقون» الاية ، و كون الرزق بهذا المعنى أمراً تكوينيا غير مربوط بعالم التكليف كالشمس في رائعة النهار فان الحدوث والبقاء ولوازم كل منهما امور تكوينيّة بلاريب .

ثم ان الانسان لما تعلق التكليف ببعض أفعاله المتعلقة بالارزاق كالاكل و الشرب و النكاح واللباس و نحوها ، والرزق مما يضطر اليه تكوينا كان لازم ذلك أن لا يتعلق الحرمة والمنع الا بما له مندوحة والا كان تكليفا بما لا يطاق قال تعالى : «وما جعل عليكم في الدين من حرج» الاية ، وقال: «ان الله لا يامر بالفحشاء» الاية ، وكان لازم ذلك أن في موارد المحرمات أرزاقاً الهية محللة هي المندوحة للعبد وهي الارزاق المنسوبة اليه تعالى بحسب النظر التشريعي دون المحرمات . فتحصل أن الرزق رزقان رزق تكويني وهو كل ما يستمد به موجود في بقائه كيف كان ، ورزق تشريعي ، وهو الحلال الذي يستمد به الانسان في الحياة دون الحرام فانه ليس برزق منه تعالى ؛ هذا هو الذي يتحصل من الكتاب والسنة بعد التدبر فيهما . ط

قال الشيخ البهائي قدّس الله روحه في شرح هذا الحديث : الرزق عند الأشاعرة كلّ ما انتفع به حيّ ، سواء كان بالتغذّي أو بغيره ، مباحاً كان أولا ، وخصّه بعضهم بما تربّى به الحيوان من الأغذية والأشربة ، وعند المعتزلة هو كلّ ماصحّ انتفاع الحيوان به بالتغذّي أو غيره ، وليس لأحد منعه منه فليس الحرام رزقاً عندهم ، وقال الأشاعرة في الردّ عليهم : لولم يكن الحرام رزقاً لم يكن المغتذي طول عمره بالحرام مرزوقاً ، وليس كذلك لقوله تعالى : « ومامن دابّة في الأرض إلّا على الله رزقها»[1] وفيه نظر فإنّ الرزق عند المعتزلة أعمّ من الغذاء وهم لم يشترطوا الانتفاع بالفعل ، فالمغتذي طول عمره بالحرام إنّما يردّ عليهم لولم ينتفع مدّة عمره بشيء انتفاعاً محلّلاً ، ولو بشرب الماء والتنفّس في الهواء ، بل ولا تمكّن من الانتفاع بذلك أصلاً ، وظاهر أنّ هذا ممّا لايوجد ، وأيضاً فلهم أن يقولوا : لومات حيوان قبل أن يتناول شيئاً محلّلاً ولا محرّماً يلزم أن يكون غيرمرزوق ، فما هوجوابكم فهوجوابنا ؛ هذا ، ولا يخفى أنّ الأحاديث المنقولة في هذا الباب متخالفة ، و المعتزلة تمسّكوا بهذا الحديث ، و هو صريح في مدّعاهم غير قابل للتأويل ، والأشاعرة تمسّكوا بما رووه عن صفوان بن اُميّة قال : كنّا عند رسول الله صلى الله عليه وآله إذ جاء عمر بن قرّة فقال : يارسول الله إنّ الله كتب عليّ الشقوة فلا أراني اُرزق إلّا من دفّي بكفّي ، فاذن في الغناء من غير فاحشة ؛ فقال صلى الله عليه وآله : لا آذن لك ولاكرامة ولا نعمة أي عدوّ الله لقد رزقك الله طيّباً فاخترت ماحرّم عليك من رزقه مكان ماأحلّ الله لك من حلاله ، أما إنّك لوقلت بعد هذه المقالة ضربتك ضرباً وجيعاً . و المعتزلة يطعنون في سند هذا الحديث تارةً و يأوّلونه على تقدير سلامته اُخرى بأنّ سياق الكلام يقتضي أن يقال : فاخترت ماحرّم الله عليك من حرامه مكان ماأحلّ الله لك من حلاله ، وإنّما قال صلى الله عليه وآله : من رزقه مكان من حرامه ، فأطلق على الحرام اسم الرزق بمشاكلة قوله : فلا أراني اُرزق ، وقوله صلى الله عليه وآله : لقد رزقك الله ، و تمسّك المعتزلة أيضاً بقوله تعالى : « وممّا رزقناهم ينفقون »[2] قال الشيخ في التبيان

---

(١) هود : ٦ .

(٢) البقرة : ٣ .

ماحاصله : أنّ هذه الآية تدلّ على أنّ الحرام ليس رزقاً لأنّه سبحانه مدحهم بالإنفاق من الرزق ، والإنفاق من الحرام لايوجب المدح ، و قد يقال : إنّ تقديم الظرف يفيد الحصر و هو يقتضي كون المال المنفق على ضربين : ما رزقه الله ، وما لم يرزقه و إنّ المدح إنّما هو على الإنفاق ممّا رزقهم وهو الحلال ، لاممّا سوّلت لهم أنفسهم من الحرام ولو كان كلّ ما ينفقونه رزقاً من الله سبحانه لم يستقم الحصر فتأمّل . انتهى كلامه رفع الله مقامه .

أقول : إن كان المراد بقولهم : رزقهم الله الحرام أنّه خلقه ومكّنهم من التصرّف فيه فلا نزاع في أنّ الله رزقهم بهذا المعنى ، و إن كان المعنى أنّه المؤثّر في أفعالهم وتصرّفاتهم في الحرام فهذا إنّما يستقيم على أصلهم الّذي ثبت بطلانه ، وإن كان الرزق بمعنى التمكين وعدم المنع من التصرّف فيه بوجه فظاهر أنّ الحرام ليس برزق بهذا المعنى على مذهب من المذاهب ، و إن كان المعنى أنّه قدّر تصرّفهم فيه بأحد المعاني الّتي مضت في القضاء والقدر ، أوخذلهم ولم يصرفهم جبراً عن ذلك فبهذا المعنى يصدق أنّه رزقهم الحرام ؛ وأمّا ظواهر الآيات و الأخبار الواردة في ذلك فلايريب عاقل في أنّها منصرفة إلى الحلال ، كما أومأنا إلى معناه سابقاً .

وأمّا الأسعار فقد ذهبت الأشاعرة إلى أنّه ليس المسعّر إلّا الله تعالى ، بناءاً على أصلهم من أن لامؤثّر في الوجود إلّا الله . وأمّا الإماميّة والمعتزله فقد ذهبوا إلى أنّ الغلاء والرخص قد يكونان بأسباب راجعة إلى الله ، وقد يكونان بأسباب ترجع إلى اختيار العباد ؛ وأمّا الأخبار الدالّة على أنّهما من الله فالمعنى أنّ أكثر أسبابهما راجعة إلى قدرة الله ، أو أنّ الله تعالى لمّا لم يصرف العباد عمّا يختارونه من ذلك مع ما يحدث في نفوسهم من كثرة رغباتهم ، أوغناهم بحسب المصالح فكأنّهما وقعا بإرادته تعالى ، كما مرّ القول فيما وقع من الآيات والأخبار الدالّة على أنّ أفعال العباد بإرادة الله تعالى ومشيّته ، وهدايته وإضلاله ، وتوفيقه وخذلانه ؛ و يمكن حمل بعض تلك الأخبار على المنع من التسعير والنهي عنه ؛ بل يلزم الوالي أن لايجبر الناس على السعر ويتركهم و اختيارهم ، فيجري السعر على مايريد الله تعالى .

قال العلاّمة رحمه الله في شرحه على التجريد : السعر هو تقدير العوض الّذي يباع به الشيء ، وليس هو الثمن ولا المثمن ، وهو ينقسم إلى رخص و غلاء ، فالرخص هو السعر المنحطّ عمّا جرت به العادة مع اتّحاد الوقت والمكان ، و الغلاء زيادة السعر عمّا جرت به العادة مع اتّحاد الوقت و المكان ، وإنّما اعتبرنا الزمان و المكان لأنّه لايقال : إنّ الثلج قد رخص سعره في الشتاء عند نزوله لأنّه ليس أوان سعره ، ويجوز أن يقال : رخص في الصيف إذا نقص سعره عمّا جرت عادته في ذلك الوقت ، ولا يقال : رخص سعره في الجبال الّتي يدوم نزوله فيها لأنّها ليست مكان بيعه ، ويجوز أن يقال : رخص سعره في البلاد الّتي اعتيد بيعه فيها ، واعلم أنّ كلّ واحد من الرخص والغلاء قد يكون من قبله تعالى بأن يقلّل جنس المتاع المعيّن ، ويكثر رغبة الناس إليه فيحصل الغلاء لمصلحة المكلّفين ، وقد يكثر جنس ذلك المتاع ويقلّل رغبة الناس إليه تفضّلاً منه و إنعاماً ، أو لمصلحة دينيّة فيحصل الرخص ، وقد يحصلان من قبلنا بأن يحمل السلطان الناس على بيع جميع تلك السلعة بسعر غال ظلماً منه ، أو لاحتكار الناس ، أو لمنع الطريق خوف الظلمة ، أو لغير ذلك من الأسباب المستند إلينا فيحصل الغلاء ، وقد يحمل السلطان الناس على بيع السلعة برخص ظلماً منه ، أو يحملهم على بيع ما في أيديهم من جنس ذلك المتاع فيحصل الرخص .

﴿باب ٦﴾

﴿السعادة والشقاوة والخير والشر وخالقهما و مقدرهما﴾

الايات ، هود « ١١ » فمنهم شقيّ وسعيد ✿ فأمّا الّذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير و شهيق ✿ « إلى قوله تعالى » : و أمّا الّذين سعدوا ففي الجنّة خالدين فيها . الآية ١٠٥ - ١٠٨ .

المؤمنين « ٢٣ » ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذّبون ✿ قالوا ربّنا غلبت علينا شقوتنا وكنّا قوماً ضالّين ١٠٥ - ١٠٦ .

الزمر « ٣٩ » وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربّكم

ويندرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقّت كلمة العذاب على الكافرين ٧١.

التغابن «٦٤» هو الّذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن ٣ .

تفسير : قال البيضاوي : «فمنهم شقيّ» وجبت له النار بمقتضى الوعيد «وسعيد» وجبت له الجنّة بموجب الوعد .

وقال الطبرسيّ رحمه الله : «غلبت علينا شقوتنا» أي شقاوتنا وهي المضرّة اللّاحقة في العاقبة ، والسعادة : المنفعة اللّاحقة في العاقبة ، والمعنى : استعلت علينا سيّئاتنا الّتي أوجبت لنا الشقاوة .

وقال الزمخشريّ : قالوا : بلى أتونا وتلوا علينا ، ولكن وجبت علينا كلمة الله بسوء أعمالنا كما قالوا : «غلبت علينا شقوتنا» فذكروا عملهم الموجب لكلمة العذاب وهو الكفر والضلال .

١ ـ لى : أبي ، عن عليّ ، عن أبيه ، عن صفوان بن يحيى ، عن الكنانيّ ، عن الصادق عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : الشقيّ من شقي في بطن اُمّه . الخبر .

٢ ـ ب : محمّد بن عيسى ، عن القدّاح ، عن جعفر بن محمّد ، عن أبيه عليهما السلام قال : خرج رسول الله صلّى الله عليه وآله قابضاً على [1] شيئين في يده ، ففتح يده اليمنى ثمّ قال : بسم الله الرحمن الرحيم ، كتاب من الرحمن الرحيم في أهل الجنّة بأعدادهم وأحسابهم وأنسابهم مجمل [2] عليهم ، لا ينقص منهم أحد ، ولا يزاد فيهم أحد . ثمّ فتح يده اليسرى فقال : بسم الله الرحمن الرحيم كتاب من الرحمن الرحيم في أهل النار بأعدادهم وأحسابهم وأنسابهم مجمل [3] عليهم إلى يوم القيامة لا ينقص منهم أحد ، ولا يزاد فيهم أحد ، وقد يسلك بالسعداء طريق الأشقياء حتّى يقال : هم منهم ، هم هم ، ما أشبههم بهم ! ثمّ يدرك أحدهم سعادته قبل موته ولو بفواق ناقة ، وقد يسلك بالأشقياء طريق أهل السعادة حتّى يقال : هم منهم ، هم هم ، ما أشبههم بهم ، ثمّ يدرك أحدهم شقاه ولو قبل موته ولو بفواق ناقة ، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله : العمل بخواتيمه ، العمل بخواتيمه ، العمل بخواتيمه. [4] «ص ١٣»

---

(١) في المصدر : قابضا شيئين بدون على .

(٢ و٣) في نسخة : يجمل .

(٤) سيأتي الحديث بألفاظ اخرى تحت رقم ١٣ و ١٥ .

بيان : قال الجزري : في حديث القدر : كتاب فيه أسماء أهل الجنّة وأهل النار اُجمل على آخرهم ، تقول : أجملت الحساب : إذا جمعت آحاده وكمّلت أفراده ، أي اُحصوا فلا يزاد فيهم ولا ينقص . وقال الفيروزآبادي : الفواق كغراب : ما بين الحلبتين من الوقت ، ويفتح ، أوما بين فتح يدك وقبضها على الضرع .

٣ ـ ب : ابن عيسى ، عن البزنطي قال : سألت الرضا عليه السلام أن يدعو الله لامرأة من أهلنا بها حمل : فقال : قال أبوجعفر عليه السلام : الدعاء مالم يمض أربعة أشهر ؛ فقلت له : إنّما لها أقلّ من هذا فدعا لها ، ثمّ قال : إنّ النطفة تكون في الرحم ثلاثين يوماً ، و تكون علقة ثلاثين يوماً ، وتكون مضغة ثلاثين يوماً ، وتكون مخلّقة وغير مخلّقة ثلاثين يوماً ، وإذا تمّت الأربعة أشهر بعث الله تبارك وتعالى إليها ملكين خلاّقين يصوّرانه ، و يكتبان رزقه وأجله شقيّاً أو سعيداً « ص ١٥٤ ـ ١٥٥ »

بيان : قال البيضاوي في قوله تعالى : « مخلّقة وغير مخلّقة » : مسوّاة لا نقص فيها ولا عيب وغير مسوّاة ؛ أو تامّة وساقطة ؛ أو مصوّرة وغير مصوّرة انتهى .

أقول : لعلّ المراد بالخبر أنّ في ثلاثين يوماً بعد المضغة إمّا أن يبتدأ في تصويره بخلق عظامه ، أو يسقط ، أو إمّا أن يسوّى بحيث لا يكون فيه عيب ، أو يجعل حيث يكون فيه عيب . ثمّ اعلم أنّ هذا الخبر يمكن أن يكون تفسيراً لقوله عليه السلام : الشقيّ من شقي في بطن اُمّه ؛ أي يكتب شقاوته ، وما يؤول إليه أمره عليه في ذلك الوقت .

٤ ـ ب : بالإسناد قال : سمعت الرضا عليه السلام يقول : جفّ القلم بحقيقة الكتاب من الله بالسعادة لمن آمن و اتّقى ، و الشقاوة من الله تبارك و تعالى لمن كذّب و عصى . « ص ١٥٦ »

٥ ـ ل : ما جيلويه ، عن عمّه ، عن البرقي ، عن أبيه ، عن وهب بن وهب ، عن جعفر ابن محمّد ، عن أبيه ، عن آبائه ، عن عليّ عليه السلام أنّه قال : حقيقة السعادة أن يختم الرجل عمله بالسعادة ، و حقيقة الشقاء أن يختم المرء عمله بالشقاء .

٦ ـ ع : المظفّر العلوي ، عن جعفر بن محمّد بن مسعود ، عن أبيه ، عن عليّ بن الحسن ، عن محمّد بن عبدالله بن زرارة ، عن عليّ بن عبدالله ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن أمير المؤمنين

صلوات الله عليه قال: تعتلج النطفتان (١) في الرحم فأيّتهما كانت أكثر جاءت تشبهها، فإن كانت نطفة المرأة أكثر جاءت تشبه أخواله، وإن كانت نطفة الرجل أكثر جاءت تشبه أعمامه. وقال: تحوّل النطفة في الرحم أربعين يوماً فمن أراد أن يدعو الله عزّ وجلّ ففي تلك الأربعين قبل أن تخلق، ثمّ يبعث الله عزّ وجلّ ملك الأرحام فيأخذها فيصعد بها إلى الله عزّ وجلّ فيقف منه ما شاء الله، (٢) فيقول: يا إلهي أذكر أم أنثى؟ فيوحي الله عزّ وجلّ (٣) من ذلك ما يشاء ويكتب الملك، ثمّ يقول: إلهي أشقيّ أم سعيد؟ فيوحي الله عزّ وجلّ من ذلك ما يشاء ويكتب الملك، فيقول: اللّهم كم رزقه وما أجله؟ ثمّ يكتبه ويكتب كلّ شيء يصيبه في الدنيا بين عينيه، ثمّ يرجع به فيردّه في الرحم؛ فذلك قول الله عزّ وجلّ: «ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلّا في كتاب من قبل أن نبرأها». «ص ٤٣»

٧ ـ ن: المفسّر بإسناده إلى أبي محمّد عليه السلام قال: قال الرضا عليه السلام: قيل لرسول الله صلى الله عليه وآله: يا رسول الله هلك فلان، يعمل من الذنوب كيت وكيت، (٤) فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: بل قد نجا ولا يختم الله تعالى عمله إلّا بالحسنى، وسيمحو الله عنه السيّئات، ويبدّلها له حسنات إنّه كان مرّة يمرّ في طريق عرض له مؤمن قد انكشف عورته وهو لا يشعر فسترها عليه ولم يخبره بها مخافة أن يخجل، ثمّ إنّ ذلك المؤمن عرفه في مهواه فقال له: أجزل الله لك الثواب، (٥) وأكرم لك المآب، (٦) ولا ناقشك الحساب (٧)

---

(١) اعتلجت الوحش: تضاربت، واعتلج القوم: اقتتلوا واصطرعوا. أقول: فيه ايعاز منه عليه السلام الى وجود الحيوانات الصغار الحية في النطفة.

(٢) في المصدر: حيث يشاء الله. م

(٣) بفتح الثاء وقد يكسر: يكنى بها عن الحديث والخبر، و تستعملان بدون الواو أيضاً ولا تستعملان الا مكررتين.

(٤) في نسخة: فيوحي الله عزوجل اليه.

(٥) أى أكثره وأوسعه.

(٦) المآب: المرجع والمنقلب.

(٧) ناقشه الحساب وفي الحساب: استقصى في حسابه.

فاستجاب الله له فيه ، فهذا العبد لا يختم له إلّا بخير بدعاء ذلك المؤمن ، فاتّصل قول رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله بهذا الرجل فتاب و أناب وأقبل إلى طاعة الله عزّ وجلّ فلم يأت عليه سبعة أيّام حتّى اُغير على سرح المدينة [1] فوجّه رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله في أثرهم [2] جماعة ذلك الرجل أحدهم فاستشهد فيهم .

٨ ـ يد : الدقّاق ، عن الكلينيّ ، عن عليّ بن محمّد ، رفعه ، عن شعيب العقرقوفيّ عن أبي بصير قال : كنت بين يدي أبي عبدالله عليه‌السلام جالساً وقد سأله سائل فقال : جعلت فداك يابن رسول الله من أين لحق الشقاء أهل المعصية حتّى حكم لهم في علمه بالعذاب على عملهم ؟ فقال أبو عبدالله عليه‌السلام : أيّها السائل علم الله عزّ وجلّ أن لا يقوم أحد من خلقه بحقّه فلمّا علم بذلك وهب لأهل محبّته [3] القوّة على معصيتهم لسبق علمه فيهم ، ولم يمنعهم إطاقة القبول منه لأنّ علمه أولى بحقيقة التصديق فوافقوا ماسبق لهم في علمه ، و إن قدروا [4] أن يأتوا خلالاً ينجيهم عن معصيته وهو معنى شاء ماشاء وهو سرّ . «ص٣٦٥ـ٣٦٦»

بيان : هذا الخبر مأخوذ من الكافي ، و فيه تغييرات عجيبة تورث سوء الظنّ بالصدوق وإنّه إنّما فعل ذلك ليوافق مذهب أهل العدل [5] ، وفي الكافي هكذا : أيّها السائل حكم الله عزّ وجلّ لايقوم أحد من خلقه بحقّه فلمّا حكم بذلك وهب لأهل محبّته القوّة على معرفته ، ووضع عنهم ثقل العمل بحقيقة ماهم أهله ، ووهب لأهل المعصية القوّة على معصيتهم لسبق علمه فيهم ، ومنعهم إطاقة القبول منه فوافقوا ماسبق لهم في علمه ، ولم يقدروا أن يأتوا حالاً تنجيهم من عذابه لأنّ علمه أولى بحقيقة التصديق وهو معنى شاء ماشاء وهو سرّه .

قوله عليه‌السلام : لايقوم أحد أي تكاليفه تعالى شاقّة لايتيسّر الإتيان بها إلّا بهدايته

---

(١) أغار عليهم : هجم وأوقع بهم . سرح المدينة : فناؤها .

(٢) بفتح الهمزة وكسرها : بعدهم .

(٣) الموجود في التوحيد المطبوع هكذا : وهب لاهل محبته القوة على معرفته ، ووضع عنهم ثقل العمل بحقيقة ماهم أهله ، ووهب لاهل المعصية القوة على معصيتهم إه . فالظاهر أنها كانت ساقطة عن نسخته قدس سره .

(٤) في نسخة كما في التوحيد المطبوع : ولم يقدروا .

(٥) هذا البيان ناش عن سقوط سطر من نسخة المؤلف ـ رحمه الله ـ والصدوق (ره) أثبت وأضبط .

تعالى ؛ أو كيفيّة حكم الله وقضائه في غاية الغموض ، لاتصل إليها عقول أكثر الخلق .

قوله عليه السلام : ومنعهم إطاقة القبول قيل : هو مصدر مضاف إلى الفاعل أي منعوا أنفسهم إطاقة القبول ، و الظاهر أنّه على صيغة الماضي أي منع الله منهم غاية الوسع و الطاقة بالألطاف والهدايات الّتي يستحقّها أهل الطاعة بنيّاتهم الحسنة لأنّه سلبهم القدرة على الفعل والله يعلم .

٩ ـ يد : ابن الوليد ، عن الصفّار ، عن ابن أبي الخطّاب ، عن ابن أسباط ، عن البطائنيّ ، عن أبي بصير ، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزّ و جلّ : «قالوا ربّنا غلبت علينا شقوتنا» قال : بأعمالهم شقوا . « ص٣٦٦ »

١٠ ـ يد : محمّد بن أحمد العلويّ ، عن ابن قتيبة ، عن الفضل ، عن ابن أبي عمير قال : سألت أبا الحسن موسى بن جعفر عليه السلام عن معنى قول رسول الله صلى الله عليه وآله : الشقيّ من شقي في بطن اُمّه و السعيد من سعد في بطن اُمّه ؛ فقال : الشقيّ من علم الله[1] وهو في بطن اُمّه أنّه سيعمل أعمال الأشقياء ، و السعيد من علم الله وهو في بطن اُمّه أنّه سيعمل أعمال السعداء . قلت له : فما معنى قوله صلى الله عليه وآله : اعملوا فكلّ ميسّر لما خلق له ؟ فقال : إنّ الله عزّ وجلّ خلق الجنّ والإنس ليعبدوه ولم يخلقهم ليعصوه ، وذلك قوله عزّ وجلّ «وما خلقت الجنّ والإنس إلّا ليعبدون» فيسّر كلّاً لما خلق له ، فالويل لمن استحبّ العمى على الهدى . «ص ٣٦٦»

١١ ـ يد : ابن الوليد ، عن الصفّار ، عن ابن يزيد ، عن صفوان ، عن ابن حازم عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إنّ الله عزّ وجلّ خلق السعادة والشقاوة قبل أن يخلق خلقه فمن علمه الله[2] سعيداً لم يبغضه أبداً . وإن عمل شرّاً أبغض عمله ولم يبغضه ، وإن علمه شقيّاً لم يحبّه أبداً ، و إن عمل صالحاً أحبّ عمله و أبغضه لما يصير إليه ، فإذا أحبّ الله شيئاً لم يبغضه أبداً ، وإذا أبغض شيئاً لم يحبّه أبداً . «٣٦٧»

سن : أبي ، عن صفوان مثله . ص «٢٧٩»

---

(١) في المصدر : من علمه الله وكذا في قوله عليه السلام : والسعيد من علم الله . م

(٢) في المحاسن فمن خلقه الله . م

بيان : خلق السعادة والشقاوة أي قدّرهما بتقدير التكاليف الموجبة لهما . قوله عليه السلام : فمن علمه الله سعيداً في الكافي : فمن خلقه الله أي قدّره بأن علمه كذلك ، وأثبت حاله في اللّوح أو خلقه حال كونه عالماً بأنّه سعيد.

١٢ ـ **يد** : ابن الوليد ، عن الصفّار و سعد معاً ، عن أيّوب بن نوح ، عن ابن أبي عمير ، عن هشام بن سالم ، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ : «واعلموا أنّ الله يحول بين المرء وقلبه» قال : يحول بينه وبين أن يعلم أنّ الباطل حقّ وقد قيل : إنّ الله تعالى يحول بين المرء وقلبه بالموت ،[1] وقال أبو عبدالله عليه السلام : إنّ الله ينقل العبد من الشقاء إلى السعادة ، ولا ينقله من السعادة إلى الشقاء . «ص ٣٦٧-٣٦٨»

١٣ ـ **ير** : إبراهيم بن هاشم ، عن الحسين بن سيف ، عن أبيه ، عن أبي القاسم ، عن محمّد بن عبدالله قال : سمعت جعفر بن محمّد يقول : خطب رسول الله صلّى الله عليه وآله الناس ثمّ رفع يده اليمنى قابضاً على كفّه فقال : أتدرون ما في كفّي؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، فقال : فيها أسماء أهل الجنّة ، وأسماء آبائهم وقبائلهم إلى يوم القيامة ؛ ثمّ رفع يده اليسرى فقال : أيّها النّاس أتدرون ما في يدي ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . فقال : أسماء أهل النار ، وأسماء آبائهم ، وقبائلهم إلى يوم القيامة ؛ ثمّ قال : حكم الله وعدل ، وحكم الله وعدل ، فريق في الجنّة وفريق في السعير .[2]

١٤ ـ **سن** : أبي ، عن النضر ، عن الحلبي ، عن ابن مسكان ، عن ابن حازم قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام : أيحبّ الله العبد ثمّ يبغضه ؟ أو يبغضه ثمّ يحبّه ؟ فقال : ما تزال تأتيني بشيء! فقلت : هذا ديني وبه اُخاصم الناس ، فإن نهيتني عنه تركته . ثمّ قلت له : هل أبغض الله محمّداً صلّى الله عليه وآله على حال من الحالات ؟ فقال : لو أبغضه على حال من الحالات لما ألطف له حتّى أخرجه من حال إلى حال فجعله نبيّاً؛ فقلت : ألم تجبني منذ سنين عن الشقاوة والسعادة أنّهما كانا قبل أن يخلق الله الخلق ؟ ! قال : بلى و أنا الساعة أقوله ؛ قلت : فأخبرني عن السعيد هل أبغضه الله على حال من الحالات ؟ فقال : لو أبغضه على حال من

---

(١) الظاهر أن جملة «وقد قيل ان الله الخ» من كلام الصدوق مدرجة بين الحديثين .

(٢) تقدم الحديث بألفاظ اخرى تحت رقم ٢ ويأتى بعد أيضا .

الحالات لما ألطف له حتّى يخرجه من حال إلى حال فيجعله سعيداً ؛ قلت : فأخبرني عن الشقيّ هل أحبّه الله على حال من الحالات ؟ فقال : لو أحبّه على حال من الحالات ماتركه شقيّاً ولاستنقذه من الشقاء إلى السعادة ؛ قلت : فهل يبغض الله العبد ثمّ يحبّه أو يحبّه ثمّ يبغضه ؟ فقال : لا . «ص٢٧٩-٢٨٠»

١٥ - سن : النضر ، عن يحيى الحلبيّ ، عن معلّى أبي عثمان ، عن عليّ بن حنظلة عن أبي عبدالله عليه السلام قال : اختصم رجلان بالمدينة : قدريّ و رجل من أهل مكّة فجعلا أباعبد الله عليه السلام بينهما فأتياه فذكرا كلامهما فقال : إن شئتما أخبرتكما بقول رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ فقالا : قد شئنا ، فقال : قام رسول الله صلى الله عليه وآله فصعد المنبر فحمدالله وأثنى عليه ثمّ قال : كتاب كتبه الله بيمينه - و كلتا يديه يمين - فيه أسماء أهل الجنّة بأسمائهم و أسماء آبائهم وعشائرهم ويجمل عليهم [1] ، لايزيد فيهم رجلاً ولاينقص منهم رجلاً [2] ، وقد يسلك بالسعيد في طريق الأشقياء حتّى يقول الناس : كان [3] منهم ، ما أشبهه بهم ! بل هومنهم ، ثمّ تداركه السعادة ؛ وقد يسلك بالشقيّ طريق السعداء حتّى يقول الناس : ما أشبهه بهم ! بل هومنهم ، ثمّ يتداركه الشقاء ، من كتبه الله سعيداً ولولم يبق من الدنيا [4] إلّا فواق ناقة ختم الله له بالسعادة . «ص٢٨٠»

يد : أبي ، عن سعد ، عن البرقيّ ، عن أبيه ، عن النضر ، عن الحلبيّ ، عن معلّى أبي عثمان ، عن ابن حنظلة ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : يسلك بالسعيد طريق الأشقياء إلى آخر الخبر . «ص ٣٦٦ - ٣٦٧»

١٦ - سن ابن فضّال ، عن مثنّى الحنّاط ، عن أبي بصير قال : سمعت أباعبدالله عليه السلام قال : إنّ الله خلق قوماً لحبّنا ، وخلق قوماً لبغضنا ، فلو أنّ الّذين خلقهم

---

(١) في المصدر: مجمل عليهم ، بدون الواو .

(٢) في المصدر: ولا ينقص منهم احداً أبداً. وكتاب كتبه الله فيه اسماء اهل النار باسمائهم واسماء آبائهم وعشائرهم مجمل عليهم لايزيد فيهم رجلا ولاينقص منهم رجلا . م

(٣) في المصدر: كانه منهم . م

(٤) في المصدر: من الدنيا شيء . م

لحبّنا خرجوا من هذا الأمر إلى غيره لأعادهم إليه و إن رغمت آنافهم ، وخلق قوماً لبغضنا فلا يحبّونا أبداً . «ص ٢٨٠» .

١٧ - سن : الوشّاء ، عن مثنّى ، عن أبي بصير قال : سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول : إنّ الله خلق خلقه ، فخلق خلقاً لحبّنا لو أنّ أحداً خرج من هذا الرأي لردّه الله إليه ، وإن رغم أنفه ، وخلق قوماً لبغضنا فلا يحبّونا أبداً .[1] «٢٨٠»

١٨ - سن : ابن محبوب ، وعليّ بن الحكم ، عن معاوية بن وهب ، قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : إنّ ممّا أوحى الله إلى موسى وأنزل في التوراة : إنّي أنا الله لا إله إلّا أنا ، خلقت الخلق و خلقت الخير و أجريته على يدي من اُحبّ ، فطوبى لمن أجريته على يديه ، وأنا الله لا إله إلّا أنا خلقت الخلق وخلقت الشرّ و أجريته على يدي من اُريد فويل لمن أجريته على يديه . « ص ٢٨٣ »

١٩ - سن : أبي ، عن ابن أبي عمير ، عن محمّد بن حكيم ، عن محمّد بن مسلم قال : سمعت أباجعفر عليه السلام يقول : إنّ في بعض ما أنزل الله في كتبه : إنّي أنا الله لا إله إلّا أنا ، خلقت الخير وخلقت الشرّ فطوبى لمن أجريت على يديه الخير ، وويل لمن أجريت على يديه الشرّ ، وويل لمن قال : كيف ذا ؟ . وكيف ذا ؟ « ص ٢٨٣ »

٢٠ - سن : محمّد بن سنان ، عن حسين بن أبي عبيد ، وعمرو الأفرق الخيّاط ،[2] و عبدالله بن مسكان كلّهم ، عن أبي عبيدة الحذّاء ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : إنّ الله يقول : أنا الله لا إله إلّا أنا ، خالق الخير و الشرّ ، و هما خلقان من خلقي ، فطوبى لمن قدّرت له الخير : و ويل لمن قدّرت له الشرّ ، و ويل لمن قال : كيف ذا ؟ . «ص ٢٨٣»

(١) اتحاده مع ماقبله ظاهر . وليس في المصدر : إليه .

(٢) أورده الشيخ في كتابه الفهرست و استظهر الميرزا كونه عمرو بن خالد الحناط الافرق المترجم في رجال النجاشي بقوله : عمرو بن خالد الحناط ، لقبه الافرق ، مولى ، ثقة ، عين ، روى عن أبي عبدالله عليه السلام ، له كتاب اه وأما الحسين بن أبي عبيد فلم نظفر بترجمته .

٢١ ـ سن : الحسن بن علي،[١] عن داود بن سليمان الجمّال[٢] قال : سمعت أباعبدالله عليه السلام وذكر عنده القدر وكلام الاستطاعة ـ فقال : هذا كلام خبيث، أنا على دين آبائي، لا أرجع عنه، القدر حلوه ومرّه من الله، والخير والشرّ كلّه من الله. « ج ١ص ٢٨٣»

٢٢ ـ سن : أبوشعيب المحامليّ،[٣] عن أبي سليمان الحمّار،[٤] عن أبي بصير قال : سألت أباعبدالله عليه السلام عن شيء من الاستطاعة فقال : يا أبا محمّد الخير والشرّ حلوه ومرّه وصغيره وكثيره من الله. «ج ١ ص٢٨٤»

بيان : المراد بخلق الخير والشرّ إمّا تقديرهما كما مرّ، أوالمراد خلق الآلات والأسباب الّتي بها يتيسّر فعل الخير وفعل الشرّ كما أنّه تعالى خلق الخمر، وخلق في الناس القدرة على شربها، أوكناية عن أنّهما إنّما يحصلان بتوفيقه وخذلانه فكأنّه خلقهما ؛ أوالمراد بالخير والشرّ النعم والبلايا ؛ أوالمراد بخلقهما خلق من يعلم أنّه يكون باختياره مختاراً للخير، ومختاراً للشرّ، والله يعلم.

٢٣ ـ سن : البزنطيّ، عن حمّاد بن عثمان، عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : من زعم أنّ الله يأمر بالفحشاء فقد كذب على الله، ومن زعم أنّ الخير والشرّ إليه فقد كذب على الله.[٥] «ج ١ ص٢٨٤»

شى : عن أبي بصير مثله.

---

(١) في المصدر : الحسين بن علي. م

(٢) في المحاسن المطبوع أيضا (الجمال) وكذا فيما يأتي بعده، والصحيح فيما (الحمار) ونقل عن خط الشهيد ضبطه بالحاء المهملة، والميم المشددة، والراء أخيرا، قال النجاشي في ١١٥ من رجاله : داود بن سليمان، أبوسليمان الحمار، كوفي ثقة، روى عن أبي عبدالله عليه السلام إه أقول : الحديث لايخلو عن شبهة الارسال، لظهور اتحاده مع الآتي بعده.

(٣) كنية صالح بن خالد المحاملي.

(٤) كنية داود بن سليمان المتقدم.

(٥) الخير موجود مخلوق من غير شك وأما الشر فليس بموجود ولا مخلوق بالاصالة وإنما يتحقق بالعرض وبمقايسة شيء إلى شيء نحوا من المقايسة، والدليل على ذلك قوله تعالى : «والله *

«باب ٧»

«الهداية والاضلال والتوفيق والخذلان»

الايات ، الفاتحة «١» إيّاك نعبد وإيّاك نستعين اهدنا الصراط المستقيم ٦.

البقرة «٢» إنّ الّذين كفروا سواءٌ عليهم ءأنذرتهم أم لم تنذرهم لايؤمنون * ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوةٌ ولهم عذاب عظيمٌ ٦-٧ «وقال تعالى» : يضلّ به كثيراً ويهدي به كثيراً وما يضلّ به إلّا الفاسقين ٢٦ «وقال تعالى» : فهدى الله الّذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحقّ بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم * أم حسبتم أن تدخلوا الجنّة ولمّا يأتكم مثل الّذين خلوا من قبلكم مسّتهم البأساءُ والضرّاءُ و زلزلوا حتّى يقول الرسول و الّذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إنّ نصر الله قريبٌ ٢١٣-٢١٤ «وقال تعالى» : الله وليُّ الّذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور ٢٥٧ «وقال» : والله لايهدي القوم الظالمين ٢٥٨ «وقال» : والله لايهدي القوم الكافرين ٢٦٤.

آل عمران «٣» قل إنّ الهدى هدى الله ٧٣ «وقال تعالى» : كيف يهدي الله قوماً كفروا بعد إيمانهم و شهدوا أنّ الرسول حقٌّ و جاءهم البيّنات والله لا يهدى القوم الظّالمين ٨٦.

النساء «٤» : ولهديناهم صراطاً مستقيماً ٦٨.

المائدة «٥» : و من يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئاً اُولئك الّذين لم يرد الله أن يطهّر قلوبهم ٤١ «وقال تعالى» : فإن تولّوا فاعلم أنّما يريد الله أن يصيبهم

---

* خالق كل شيء» الاية وقوله : «الذى أحسن كل شيء خلقه» الاية حيث عد كل شيء خلقاً لنفسه ثم عده حسنا غير سيء ، وقال تعالى : ما أصابك من سيئة فمن نفسك الاية فعد بعض الاشياء كالبلايا و الامراض سيئات و ذكرها بالمساءة ، مع أنها من حيث وجودها وخلقها حسنة فليست مساءتها إلا من جملة العرض والمقايسة .

فالاشياء أعم من الخيرات والشرور من حيث وجودها و خلقها مستندة اليه تعالى كما ذكر فى خبر المحاسن رقم ٢١ وكذلك مع المقايسة إذا كان الاستناد أعم مما بالذات وبالعرض والشرور من حيث هى شرور لاتستند إليه تعالى بالاصالة كما ذكر فى هذا الخبر . ط

ببعض ذنوبهم ٤٩ « و قال تعالى » : ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسعٌ عليمٌ ٥٤ « و قال تعالى » : إنّ الله لايهدي القوم الكافرين ٦٧ « وقال تعالى » : والله لايهدي القوم الفاسقين ١٠٨ .

الانعام «٦» ومنهم من يستمع إليك وجعلنا على قلوبهم أكنّة أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً ٢٥ « وقال تعالى » : ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلاتكوننّ من الجاهلين ٣٥ « وقال تعالى » : وكذلك جعلنا في كلّ قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها ١٢٣ « وقال تعالى » : من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم ٣٩ « و قال تعالى » : و كذلك فتنّا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا ٥٣ « و قال تعالى » : و نقلّب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أوّل مرّة ونذرهم في طغيانهم يعمهون ☆ ولو أنّنا نزّلنا إليهم الملائكة وكلّمهم الموتى وحشرنا عليهم كلّ شيء قبلاً ما كانوا ليؤمنوا إلّا أن يشاء الله ولكنّ أكثرهم يجهلون ☆ وكذلك جعلنا لكلّ نبيّ عدوّاً شياطين الإنس والجنّ يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ولو شاء ربّك مافعلوه فذرهم وما يفترون ☆ ولتصغى إليه أفئدة الّذين لايؤمنون بالآخرة وليرضوه و ليقترفوا ماهم مقترفون ١١٠-١١٣ « وقال تعالى » : فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضلّه يجعل صدره ضيّقاً حرجاً كأنّما يصّعّد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الّذين لايؤمنون ١٢٥ « وقال تعالى » : إنّ الله لايهدي القوم الظالمين ١٤٤ « وقال تعالى » : فلو شاء لهديكم أجمعين ١٤٩ .

الاعراف «٧» إنّا جعلنا الشياطين أولياء للّذين لايؤمنون ٢٧ « وقال تعالى » : من يهدي الله فهو المهتد و من يضلل فأُولئك هم الخاسرون ☆ و لقد ذرأنا لجهنّم كثيراً من الجنّ والإنس لهم قلوبٌ لايفقهون بها ولهم أعينٌ لايبصرون بها ولهم آذان لايسمعون بها أُولئك كالأنعام بل هم أضلّ أُولئك هم الغافلون ١٧٨-١٧٩ « وقال تعالى » : فريقاً هدى و فريقاً حقّ عليهم الضلالة ٣٠ « و قال تعالى » : سأصرف عن آياتي الّذين يتكبّرون في الأرض بغير الحقّ وإن يروا كلّ آية لايؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد لايتّخذوه سبيلاً و إن يروا سبيل الغيّ يتّخذوه سبيلاً ذلك بأنّهم كذّبوا بآياتنا وكانوا عنها

غافلين ١٤٦ « وقال تعالى » : من يضلل الله فلاهادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون ١٨٦.

الانفال «٧» فلم تقتلوهم ولكنّ الله قتلهم ومارميت إذرميت ولكنّ الله رمى ١٧ « وقال تعالى » : واعلموا أنّ الله يحول بين المرء وقلبه ٢٤ .[١]

التوبة «٩» والله لايهدي القوم الظالمين ١٩ « وقال تعالى » : والله لايهدي القوم الفاسقين ٢٤ «وقال تعالى» وطبع على قلوبهم فهم لايفقهون ٨٧ « وقال تعالى» : صرف الله قلوبهم بأنّهم قومٌ لا يفقهون ١٢٧ .

يونس «١٠» والله يدعوا إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ٢٥ «وقال تعالى» : كذلك حقّت كلمة ربّك على الّذين فسقوا أنّهم لايؤمنون ٣٣ «وقال تعالى» : ومنهم من يستمعون إليك أفأنت تسمع الصمّ ولو كانوا لايعقلون ☆ ومنهم من ينظر إليك أفأنت تهدي العمي ولو كانوا لايبصرون ☆ إنّ الله لايظلم الناس شيئاً ولكنّ الناس أنفسهم يظلمون ٤٢-٤٣ «وقال تعالى» : إنّ الّذين حقّت عليهم كلمة ربّك لايؤمنون ☆ ولو جاءتهم كلّ آية حتّى يروا العذاب الأليم ٩٦-٩٧ .

هود «١١» وما توفيقي إلّا بالله عليه توكّلت وإليه اُنيب ٨٨ «وقال تعالى» : ولو شاء ربّك لجعل الناس اُمّة واحدةً ولايزالون مختلفين ☆ إلّامن رحم ربّك ولذلك خلقهم وتمّت كلمة ربّك لأملأنّ جهنّم من الجنّة والناس أجمعين ١١٨-١١٩ « وقال تعالى» : ولاينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم هو ربّكم و إليه ترجعون ٣٤ .[٢]

---

(١) قال الرضي رحمه الله : هذه استعارة على بعض التأويلات المذكورة في هذه الاية ، والمعنى : أن الله أقرب إلى العبد من قلبه ، فكأنه حائل بينه وبينه من هذا الوجه ، أو يكون المعنى أنه قادر على تبديل قلب المرء من حال إلى حال ، إذكان سبحانه موصوفاً بأنه مقلب القلوب ، والمعنى أنه ينقلها من حال الامن إلى حال الخوف ، ومن حال الخوف إلى حال الامن ، ومن حال المساءة إلى حال السرور، ومن حال المحبوب إلى حال المكروه .

(٢) الاغواء : هو الدعاء إلى الغي والضلال ، و ذلك غيرجائز على الله سبحانه لقبحه ، وورود أمره بضده ، فهو من قبيل الاستعارة ، و المراد هنا تخييبه سبحانه لهم من رحمته لكفرهم به ، و ذهابهم عن أمره ، وخذلانهم عن سبيل الرشاد ، ويجوز أن يكون بمعنى الهلاك ، كمايجوز أن يكون بمعنى الحكم بالغواية عليهم .

الرعد «١٣» : قل إنّ الله يضلّ من يشاء ويهدي إليه من أناب ٢٧ «وقال تعالى»: أفلم ييأس الّذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً ٣١ «وقال تعالى» : ومن يضلل الله فماله من هاد ٣٣ .

ابراهيم «١٤» فيضلّ الله من يشاء ويهدي من يشاء ٤ « وقال تعالى» : يثبّت الله الّذين آمنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الآخرة ويضلّ الله الظالمين ويفعل الله مايشاء ٢٧ .

النحل «١٦» ولو شاء الله لجعلكم اُمّة واحدة ولكن يضلّ من يشاء و يهدي من يشاء ولتسئلنّ عمّا كنتم تعملون ٩٣ «وقال تعالى» : وأنّ الله لايهدي القوم الكافرين ☆ اُولئك الّذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم واُولئك هم الغافلون ١٠٧-١٠٨.

الاسرى «١٧» ومن يهدي الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه ٩٧ « وقال تعالى » : وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحقّ عليها القول فدمّرناها تدميراً ١٦ .

الكهف «١٨» من يهدي الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليّاً مرشداً ١٧ .

مريم «١٩» قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدّاً ٧٥ « وقال تعالى » : و يزيد الله الّذين اهتدوا هدىً ٧٦ « وقال تعالى » : ألم تر أنّا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزّهم أزّاً ٨٣ .

النور «٢٤» ولولا فضل الله عليكم ورحمته ماز كى منكم من أحد أبداً ولكنّ الله يزكّي من يشاء والله سميعٌ عليمٌ ٢١ «وقال تعالى» : ومن لم يجعل الله له نوراً فماله من نور ٤٠ « وقال تعالى» : والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ٤٦ .

الفرقان «٢٥» ولكن متّعتهم وآباءهم حتّى نسوا الذكر وكانوا قوماً بوراً ١٨.

الشعراء «٢٦» كذلك سلكناه في قلوب المجرمين ☆ لا يؤمنون به حتّى يروا العذاب الأليم ٢٠٠ - ٢٠١ .

النمل «٢٧» إنّ الّذين لايؤمنون بالآخرة زيّنّا لهم أعمالهم فهم يعمهون ٤ .

القصص «٢٨» وجعلناهم أئمّة يدعون إلى النار ٤١ «وقال تعالى» : إنّك لاتهدي

من أحببت ولكنّ الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين ٥٦ .

الروم «٣٠» فمن يهدي من أضلّ الله ومالهم من ناصرين ٢٩ «وقال سبحانه» : كذلك يطبع الله على قلوب الّذين لايعلمون ٥٩ .

التنزيل «٣٢» ولوشئنا لآتينا كلّ نفس هديها ولكن حقّ القول منّي لأملأنّ جهنّم من الجنّة والناس أجمعين ١٣ .

سبا : «٣٤» قل : إن ضللت فإنّما أضلّ على نفسي وإن اهتديت فبما يوحي إليّ ربّي إنه سميع قريب ٥٠ .

فاطر «٣٥» : أفمن زيّن له سوء عمله فرآه حسناً فإنّ الله يضلّ من يشاء و يهدي من يشاء ٨ « و قال سبحانه » إنّ الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور ٢٢ .

يس «٣٧» لقد حقّ القول على أكثرهم فهم لايؤمنون ☆ إنّا جعلنا في أعناقهم أغلالاً فهي إلى الأذقان فهم مقمحون ☆ وجعلنا من بين أيديهم سدّاً ومن خلفهم سدّاً فأغشيناهم فهم لا يبصرون ☆ وسواءٌ عليهم ءأنذرتهم أم لم تنذرهم لايؤمنون ٧ ـ ١٠ .

الزمر «٣٩» إنّ الله لايهدي من هو كاذب كفّار ٣ « وقال تعالى» : ذلك هدى الله يهدي به من يشاء و من يضلل الله فماله من هاد ٢٣ ومن يهدالله فماله من مضلّ ٣٧ « وقال تعالى» : أوتقول لو أنّ الله هداني لكنت من المتّقين ٥٧ .

المؤمن «٤٠» ومن يضلل الله فماله من هاد ٣٣ «وقال تعالى» : كذلك يضلل الله من هو مسرف مرتاب ٣٤ «وقال تعالى» : كذلك يطبع الله على كلّ قلب متكبّر جبّار ٣٥ «وقال تعالى» : كذلك يضلّ الله الكافرين ٧٤ .

السجدة «٤١» وقيّضنا لهم قرناء فزيّنوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم وحقّ عليهم القول في أمم قدخلت من قبلهم من الجنّ والإنس إنّهم كانوا خاسرين ٢٥ .

حمعسق «٤٢» الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب ١٣ «وقال تعالى»: ومن يضلل الله فماله من وليّ من بعده ٤٤ « وقال تعالى » : ومن يضلل الله فما له من سبيل ٤٦ .

الزخرف «٤٣» ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً ٣٢ «وقال تعالى» : ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين ٣٦ «وقال تعالى» : أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمي ومن كان في ضلال مبين ٤٠ .

الجاثية «٤٥» أفرأيت من اتخذ إلهه هويه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون ٢٣ .

محمد «٤٧» اُولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم ١٤ «وقال تعالى» : والذين اهتدوا زادهم هدى وآتيهم تقويهم ١٧ «وقال تعالى» : اُولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم ٢٣ .

الصف «٦١» والله لايهدي القوم الظالمين ٧ .

المنافقين «٦٣» فطبع على قلوبهم فهم لايفقهون ٣ .

الدهر «٧٦» إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً ٣ .

تفسير : قوله تعالى : «ختم الله على قلوبهم» قال البيضاوي : الختم : الكتم ، سمي به الاستيثاق من الشيء بضرب الخاتم عليه لأنه كتم له و البلوغ آخره ، نظراً إلى أنه آخر فعل يفعل في إحرازه . والغشاوة فعالة من غشاه : إذا غطاه ، بنيت لما يشتمل على الشيء كالعصابة والعمامة ، ولاختم ولا تغشية على الحقيقة ، و إنما المراد بهما أن يحدث في نفوسهم هيئة تمرنهم على استحباب الكفر والمعاصي ، واستقباح الإيمان والطاعات بسبب غيهم و انهماكهم في التقليد ، وإعراضهم عن النظر الصحيح فيجعل قلوبهم بحيث لا ينفذ فيها الحق ، وأسماعهم تعاف استماعه فتصير كأنها مستوثق منها بالختم ، وأبصارهم لا تجتلي لها الآيات المنصوبة في الآفاق والأنفس ، كما تجتليها أعين المستبصرين ، فتصير كأنها غطي عليها وحيل بينها وبين الابصار ، وسماه على الاستعارة ختماً و تغشية ؛ أو مثل قلوبهم و مشاعرهم المؤوفة بأشياء ضرب حجاب بينها وبين الاستنفاع بها ختماً وتغطية . وقد عبر عن إحداث هذه الهيئة بالطبع في قوله تعالى : «اُولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم»(١) وبالإغفال في قوله تعالى :

(١) النحل : ١٠٨

«ولا تطع من أغفلنا قلبه»[١] وبالإقساء في قوله تعالى: «وجعلنا قلوبهم قاسية»[٢] وهي من حيث إنّ الممكنات بأسرها مستندة إلى الله واقعة بقدرته استندت إليه، ومن حيث إنّها مسبّبة ممّا اقترفوه بدليل قوله: «بل طبع الله عليها بكفرهم»[٣] وقوله تعالى: «ذلك بأنّهم آمنوا ثمّ كفروا فطبع على قلوبهم»[٤] وردت الآية ناعية عليهم[٥] شناعة صفتهم و وخامة عاقبتهم، واضطرّت المعتزلة فيه فذكروا وجوهاً من التأويل:

الأوّل: أنّ القوم لمّا أعرضوا عن الحقّ و تمكّن ذلك في قلوبهم حتّى صار كالطبيعة لهم شبّه بالوصف الخلقيّ المجبول عليه.

الثاني: أنّ المراد به تمثيل حال قلوبهم بقلوب البهائم الّتي خلقها الله تعالى خالية عن الفطن أو قلوب مقدّر ختم الله عليها؛ ونظيره: سال به الوادي: إذا هلك، وطارت به العنقاء: إذا طالت غيبته.

الثالث: أنّ ذلك في الحقيقة فعل الشيطان، أو الكافر لكن لمّا كان صدوره عنه بإقداره تعالى إيّاه أسنده إليه إسناد الفعل إلى السبب.

الرابع: أنّ أعراقهم لمّا رسخت في الكفر واستحكمت بحيث لم يبق طريق إلى تحصيل إيمانهم سوى الإلجاء والقسر ثمّ لم يقسّرهم إبقاءاً على غرض التكليف عبّر عن تركه بالختم، فإنّه سدّ لإيمانهم، وفيه إشعار على ترامي أمرهم في الغيّ وتناهي انهماكهم في الضلال والبغي.

الخامس: أن يكون حكاية لما كانت الكفرة يقولون مثل: «قلوبنا في أكنّة ممّا تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب»[٦] تهكّماً واستهزاءاً بهم، كقوله تعالى: «لم يكن الّذين كفروا»[٧] الآية.

---

(١) الكهف: ٢٨ (٢) المائدة: ١٣ . (٣) النساء: ١٥٥ . (٤) المنافقون: ٣ .
(٥) نعى عليه شهواته: عابه بها. ونعى عليه ذنوبه: ظهرها وشهرها.
(٦) حم السجدة: ٥ أقول: أكنة جمع الكن، وهو وقاء كل شيء وستره، قال الشيخ الطوسي في التبيان: وانما قالوا: ذلك ليؤيسوا النبي صلى الله عليه وآله من قبولهم دينه، فهو على التمثيل فكأنهم شبهوا قلوبهم بما يكون في غطاء فلا يصل اليه شيء مما وراءه، وفيه تحذير من مثل حالهم في كل من دعى الى أمر لا يمتنع أن يكون هو الحق، فلا يجوز أن يدفعه بمثل هذا الدفع، «وفي آذاننا وقر» أي ثقل عن استماع هذا القرآن «ومن بيننا وبينك حجاب» قيل: الحجاب: الخلاف الذي يقتضي أن نكون بمعزل عنك، قال الزجاج: معناه: حاجز في النحلة والدين، أي لا نوافقك في مذهب.
(٧) البينة: ١.

السادس : أنّ ذلك في الآخرة ، وإنّما أخبر عنه بالماضي لتحقّقه وتيقّن وقوعه ويشهد له قوله تعالى : « ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياً و بكماً وصمّاً » .(١)

السابع : أنّ المراد بالختم وسم قلوبهم بسمة تعرفها الملائكة فيبغضونهم و يتنفّرون عنهم و على هذا المنهاج كلامنا و كلامهم فيما يضاف إلى الله تعالى من طبع و إضلال و نحوهما . انتهى .

أقول : بعد قيام البرهان على امتناع أن يكلّف الحكيم أحداً ثمّ يمنعه عن الإتيان بما كلّفه به ثمّ يعذّبه عليه وشهادة العقل بقبح ذلك و أنّه تعالى منزّه عنه لابدّ من الحمل على أحد الوجوه الّتي ذكرها .

وزاد الشيخ الطبرسيّ رحمه الله على ماذكر وجهين آخرين : أحدهما ماسيأتي نقلاً عن تفسير العسكريّ عليه السلام وقد مرّت الإشارة إليه أيضاً وهو أنّ المراد بالختم العلامة وإذا انتهى الكافر من كفره إلى حالة يعلم الله تعالى أنّه لا يؤمن فإنّه يعلم على قلبه علامة ؛ وقيل : هي نكتة سوداء تشاهدها الملائكة فيعلمون بها أنّه لا يؤمن بعدها فيذمّونه ويدعون عليه كما أنّه تعالى يكتب في قلب المؤمن الإيمان ويعلم عليه علامة تعلم الملائكة بها أنّه مؤمن فيمدحونه و يستغفرون له ، فقوله تعالى : « بل طبع الله عليها بكفرهم » يحتمل أمرين : أحدهما أنّه طبع الله عليها جزاءاً للكفر وعقوبة عليه ، والآخر أنّه طبع عليها بعلامة كفرهم كما يقال : طبع عليه بالطين ، وختم عليه بالشمع .

و ثانيهما أنّ المراد بالختم على القلوب أنّ الله شهد عليها و حكم بأنّها لاتقبل الحقّ كما يقال : أراك أنّك تختم على كلّ مايقوله فلان أي تشهد به و تصدّقه ، وقد ختمت عليك بأنّك لاتفلح أي شهدت ، و ذلك استعارة . قوله تعالى : « يضلّ به كثيراً » قال الطبرسيّ رحمه الله : فيه وجهان : أحدهما : حكي عن الفرّاء أنّه قال حكاية عمّن قال : « ماذا أراد الله بهذا مثلاً » أي يضلّ به قوم ويهدي به قوم ، ثمّ قال الله تعالى : « وما يضلّ به إلّا الفاسقين » فبيّن تعالى أنّه لايضلّ إلّا فاسقاً ضالّاً ، وهذا وجه حسن .

(١) اسرى : ٩٧ .

والآخر أنّه كلامه تعالى ابتداءاً وكلاهما محتمل، وإذا كان محمولاً على هذا فمعنى قوله: يضلّ به كثيراً أنّ الكفّار يكذبون به وينكرونه، ويقولون: ليس هو من عندالله فيضلّون بسببه، وإذا حصل الضلال بسببه اُضيف إليه، وقوله: «ويهدي به كثيراً» يعني الّذين آمنوا به وصدّقوه، وقالوا: هذا في موضعه، فلمّا حصلت الهداية بسببه اُضيف إليه، فمعنى الإضلال على هذا تشديد الامتحان الّذي يكون عنده الضلال فالمعنى أنّ الله يمتحن بهذه الأمثال عباده فيضلّ بها قوم كثير، ويهدي بها قوم كثير، ومثله قوله: «ربّ إنّهن أضللن كثيراً من الناس»[1] أي ضلّوا عندها، وهذا مثل قولهم: أفسدت فلانة فلاناً وأذهبت عقله، وهي ربّما لم تعرفه ولكن لمّا ذهب عقله وفسد من أجلها اُضيف الفساد إليها، وقد يكون الإضلال بمعنى التخلية على وجه العقوبة وترك المنع بالقهر ومنع الألطاف الّتي تفعل بالمؤمنين جزاءاً على إيمانهم، وهذا كما يقال لمن لا يصلح سيفه: أفسدت سيفك؛ اُريد به أنّك لم تحدث فيه الإصلاح في كلّ وقت بالصقل والإحداد. وقد يكون الإضلال بمعنى التسمية بالضلال والحكم به كما يقال: أضلّه: إذا نسبه إلى الضلال، وأكفره: إذا نسبه إلى الكفر، قال الكميت: وطائفة قد أكفروني بحبّكم. وقد يكون الإضلال بمعنى الإهلاك والعذاب والتدمير، ومنه قوله تعالى: «إنّ المجرمين في ضلال وسعر»[2] ومنه قوله تعالى: «ءإذا ضللنا في الأرض»[3] أي هلكنا، وقوله: «والّذين قتلوا في سبيل الله فلن يضلّ أعمالهم»[4] أي لم يبطل فعلى هذا يكون المعنى: أنّ الله تعالى يهلك ويعذّب بالكفر به كثيراً بأن يضلّهم عن الثواب وطريق الجنّة بسببه فيهلكوا ويهدي إلى الثواب وطريق الجنّة بالإيمان به كثيراً؛ عن أبي عليّ الجبائيّ قال: ويدلّ على ذلك قوله: «ومايضلّ به إلّا الفاسقين» لأنّه لايخلو من أن يكون أراد العقوبة على التكذيب كماقلناه، أو يكون أراد به التحيير والتشكيك، فإن أراد الحيرة فقد ذكر أنّه لايفعل إلّا بالفاسق المتحيّر الشاكّ فيجب أن لاتكون الحيرة المتقدّمة الّتي بها صاروا فسّاقاً من فعله إلّا إذا وجدت حيرة قبلها أيضاً، وهذا يوجب وجود

(١) ابراهيم: ٣٦. (٢) القمر: ٤٧.
(٣) الم السجدة: ١٠. (٤) محمد: ٤.

مالانهاية له من حيرة قبل حيرة لا إلى أوّل ، أو ثبوت إضلال لا إضلال قبله ، وإذا كان ذلك من فعله فقد أضلّ من لم يكن فاسقاً وهو خلاف قوله : « وما يضلّ به إلّا الفاسقين » و على هذا الوجه فيجوز أن يكون حكم الله عليهم بالكفر و براءته منهم و لعنته عليهم إهلاكاً لهم ، و يكون إهلاكه إضلالاً ، وكلّ ما في القرآن من الإضلال المنسوب إلى الله تعالى فهو بمعنى ما ذكرناه من الوجوه ولا يجوز أن يضاف إلى الله سبحانه الإضلال الّذي أضافه إلى الشيطان و إلى فرعون والسامريّ بقوله : «ولقد أضلّ منكم جبلاً كثيراً»[1] وقوله : « وأضلّ فرعون قومه»[2] وقوله : «وأضلّهم السامريّ»[3] وهو أن يكون بمعنى التلبيس والتغليط والتشكيك والإيقاع في الفساد والضلال و غير ذلك ممّا يؤدّي إلى التظليم و التجوير إلى ما يذهب إليه المجبّرة تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً .

و إذقد ذكرنا أقسام الإضلال فلنذكر أقسام الهداية الّتي هي ضدّه . اعلم أنّ الهداية في القرآن تقع على وجوه :

أحدها أن تكون بمعنى الدلالة والإرشاد يقال : هداه الطريق وللطريق و إلى الطريق إذا دلّه عليه ، وهذا الوجه عامّ لجميع المكلّفين ، فإنّ الله تعالى هدى كلّ مكلّف إلى الحقّ بأن دلّه عليه وأرشده إليه لأنّه كلّفه الوصول إليه فلولم يدلّه عليه لكان قد كلّفه مالايطيق ؛ و يدلّ عليه قوله تعالى : « ولقد جاءهم من ربّهم الهدى»[4] وقوله : « إنّا هديناه السبيل»[5] وقوله : « اُنزل فيه القرآن هدى»[6] وقوله : «وأمّا ثمود فهديناهم فاستحبّوا العمى على الهدى» [7] و قوله : « و إنّك لتهدي إلى صراط مستقيم»[8] وقوله : « وهديناه النجدين»[9] وما أشبه ذلك من الآيات .

وثانيها أن يكون بمعنى زيادة الألطاف الّتي بها يثبت على الهدى ؛ و منه قوله تعالى : « والّذين اهتدوا زادهم هدى» .[10]

---

(١) يس : ٦٢ .
(٢) طه : ٧٩ .
(٣) طه : ٨٥ .
(٤) النجم : ٢٣ .
(٥) الدهر : ٣ .
(٦) البقرة : ١٨٥ .
(٧) حم السجدة : ١٧ .
(٨) الشورى : ٥٢ .
(٩) البلد : ١٠ .
(١٠) محمد : ١٧ .

وثالثها أن تكون بمعنى الإثابة : ومنه قوله تعالى : «يهديهم ربّهم بإيمانهم تجري من تحتهم الأنهار في جنّات النعيم»[١] وقوله تعالى : «والّذين قتلوا في سبيل الله فلن يضلّ أعمالهم سيهديهم ويصلح بالهم»[٢] والهداية الّتي تكون بعد قتلهم هي إثابتهم لامحالة .

ورابعها : الحكم بالهداية كقوله تعالى : «ومن يهدي الله فهو المهتد»[٣] وهذه الوجوه الثلاثة خاصّة بالمؤمنين دون غيرهم لأنّه تعالى إنّما يثيب من يستحقّ الإثابة وهم المؤمنون ، ويزيدهم ألطافاً بإيمانهم وطاعتهم ، ويحكم لهم بالهداية لذلك أيضاً .

وخامسها ان تكون الهداية بمعنى جعل الإنسان مهتدياً ، بأن يخلق الهداية فيه كما يجعل الشيء متحرّكاً بخلق الحركة فيه ، والله تعالى يفعل العلوم الضروريّة في القلوب فذلك هداية منه تعالى ، وهذا الوجه أيضاً عامّ لجميع العقلاء كالوجه الأوّل ، فأمّا الهداية الّتي كلّف الله تعالى العباد فعلها كالإيمان به و بأنبيائه و غير ذلك فإنّها من فعل العباد ، ولذلك يستحقّون عليها المدح والثواب ، وإن كان الله سبحانه قد أنعم عليهم بدلالتهم على ذلك وإرشادهم إليه و دعاهم إلى فعله وتكليفهم إيّاه وأمرهم به ، فهو من هذا الوجه نعمة منه سبحانه عليهم ، ومنّة منه واصلة إليهم ، وفضل منه وإحسان لديهم ، فهو مشكور على ذلك محمود ، إذ فعله بتمكينه و ألطافه و ضروب تسهيلاته و معوناته .

وقال رحمه الله في قوله تعالى : «والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم»[٤] : إنّ المراد به البيان والدلالة ، والصراط المستقيم هو الإسلام ؛ أو المراد به : يهديهم باللّطف فيكون خاصّاً بمن علم من حاله أنّه يصلح به ؛ أو المراد به : يهديهم إلى طريق الجنّة .

وقال في قوله تعالى : «متى نصر الله»[٥] قيل : هذا استعجال للموعود كما يفعله الممتحن ، وإنّما قاله الرسول استبطاءاً للنصر على جهة التمنّي . وقيل : إنّ معناه الدعاء لله بالنصر . وقيل : إنّه ذكر كلام الرسول والمؤمنين جملةً و تفصيلاً : قال المؤمنون متى نصر الله ؟ وقال الرسول : إلا إنّ نصر الله قريب .

---

(١) يونس : ٩ .　　(٢) محمد : ٤و٥ .
(٣) أسرى : ٩٧ .　　(٤) النور : ٤٦ .
(٥) البقرة : ٢١٤ .

وقال في قوله تعالى: «يخرجهم من الظلمات إلى النور»[١]: أي من ظلمات الضلال و الكفر إلى نور الهدى و الإيمان بأن هداهم إليه و نصب الأدلّة لهم عليه و رغّبهم فيه وفعل بهم من الألطاف ما يقوّي دواعيهم إلى فعله.

وقال في قوله تعالى «والله لا يهدي القوم الظالمين»[٢] أي بالمعونة على بلوغ البغية من الفساد. وقيل: لا يهديهم الى المحاجّة كما يهدي أنبياءه. وقيل: لا يهديهم بألطافه وتأييده إذا علم أنّه لا لطف لهم. وقيل: لا يهديهم إلى الجنّة.

وقال في قوله تعالى: «كيف يهدي الله قوماً»[٣]: معناه: كيف يسلك الله بهم سبيل المهتدين بالإثابة لهم والثناء عليهم؟ أو أنّه على طريق التبعيد كما يقال: كيف يهديك إلى الطريق وقد تركته؟ أي لا طريق يهديهم به إلى الإيمان إلّا من الوجه الّذي هداهم به وقد تركوه، أو كيف يهديهم الله إلى طريق الجنّة والحال هذه؟.

أقول: الأظهر أنّ المعنى أنّهم حرموا أنفسهم بما اختاروه الألطاف الخاصّة من ربّهم تعالى.

وقال في قوله تعالى: «ومن يرد الله فتنته»[٤]: قيل: فيه أقوال: أحدها أنّ المراد بالفتنة العذاب أي من يرد الله عذابه كقوله تعالى: «على النار يفتنون»[٥] أي يعذّبون وقوله: «ذوقوا فتنتكم»[٦] أي عذابكم.

وثانيها أنّ معناه من يرد الله إهلاكه.

وثالثها أنّ المراد به من يرد الله خزيه وفضيحته بإظهار ماينطوي عليه.

---

(١) البقرة: ٢٥٧. (٢) البقرة: ٢٥٨.

(٣) آل عمران: ٨٦.

(٤) المائدة: ٤١ قال الشيخ في التبيان: ــ بعد نقل الاقوال الثلاثة الاولة ــ وأصل الفتنة: التخليص من قولهم: فتنت الذهب في النار أي خلصته من الغش، والفتنة: الاختبار، ويسمى بذلك لما فيها من تخليص الحال لمن أراد الاضلال، وإنما أراد الحكم عليه بذلك بايراد الحجج ففيه تمييز وتخليص لحالهم من حال غيرهم من المؤمنين، ومن فسره على العذاب فلانهم يحرقون كما يحرق خبث الذهب فهم خبث كلهم، ومن فسره على الفضيحة فلما فيها من الدلالة عليهم التي يتميزون بها من غيرهم.

(٥) الذاريات: ١٣. (٦) الذاريات: ١٤.

ورابعها أنّ المراد من يرد الله اختباره بما يبتليه من القيام بحدوده فيدع ذلك ويحرّفه .
والأصحّ الأوّل . «فلن تملك له من الله شيئاً » أي فلن تستطيع أن تدفع لأجله من أمر الله الّذي هو العذاب أو الفضيحة أو الهلاك شيئاً « أُولئك الّذين لم يرد الله أن يطهّر قلوبهم » معناه : أُولئك اليهود لم يرد الله أن يطهّر من عقوبات الكفر الّتي هي الختم و الطبع و الضيق قلوبهم ، كما طهّر قلوب المؤمنين منها ، بأن كتب في قلوبهم الإيمان ، وشرح صدورهم للإسلام . وقيل : معناه : لم يرد أن يطهّرها من الكفر بالحكم عليها بأنّها بريئة منه ، ممدوحة بالإيمان .

قال القاضي : وهذا لايدلّ على أنّه سبحانه لم يرد منهم الإيمان لأنّ ذلك لايعقل من تطهير القلب إلّا على جهة التوسّع ، و لأنّ قوله : « لم يرد الله أن يطهّر قلوبهم » يقتضي نفي كونه مريداً ، و ليس فيه بيان الوجه الّذي لم يرد ذلك عليه ، و المراد بذلك أنّه لم يرد تطهير قلوبهم ممّا يلحقها من الغموم بالذمّ والاستخفاف والعقاب ولذا قال عقيبه : «لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم» ولو كان أراد ماقاله المجبّرة لم يجعل ذلك ذمّاً لهم ولا عقّبه بالذمّ ، ولاجعله في حكم الجزاء على مالأجله عاقبهم وأراد ذلك فيهم .

أقول : روى النعمانيّ في تفسيره فيما رواه عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه أنّهم سألوه عن المتشابه في تفسير الفتنة فقال : منه فتنة الاختبار وهو قوله تعالى : «الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنّا وهم لايفتنون»(١) وقوله لموسى : «وفتنّاك فتوناً» .(٢)

ومنه فتنة الكفر وهو قوله تعالى : «لقد ابتغوا الفتنة من قبل و قلّبوا لك الأُمور حتّى جاء الحقّ وظهر أمر الله»(٣) وقوله سبحانه في الّذين استأذنوا رسول الله ﷺ في غزوة تبوك أن يتخلّفوا عنه من المنافقين فقال الله تعالى فيهم : «ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتنّي ألا في الفتنة سقطوا»(٤) يعني ائذن لي ولاتكفرني ، فقال عزّ وجلّ : «ألا في الفتنة سقطوا وإنّ جهنّم لمحيطة بالكافرين» .(٥)

---

(١) العنكبوت : ١ و ٢ .
(٢) طه : ٤٠ .
(٣) التوبة : ٤٨ .
(٤و٥) التوبة : ٤٩ .

ومنه فتنة العذاب وهو قوله تعالى : «يوم هم على النار يفتنون »[١] أي يعذّبون «ذوقوا فتنتكم هذا الّذي كنتم به تستعجلون»[٢] أي ذوقوا عذابكم .

ومنه قوله تعالى : « إنّ الّذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثمّ لم يتوبوا »[٣] أي عذّبوا المؤمنين .

ومنه فتنة المحبّة للمال والولد كقوله تعالى: « إنّما أموالكم وأولادكم فتنة» .[٤]

ومنه فتنة المرض وهو قوله سبحانه : « أولا يرون أنّهم يفتنون في كلّ عام مرّة أو مرّتين ثمّ لا يتوبون ولا هم يذكّرون »[٥] أي يمرضون ويقتلون . انتهى .

وقال الطبرسيّ رحمه الله في قوله تعالى : «فاعلم أنّما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم» قيل : في معناه أقوال : أحدها معناه : فاعلم يا محمّد أنّما يريد الله أن يعاقبهم ببعض أجرامهم ، وذكر البعض والمراد به الكلّ ، كما يذكر العموم ويراد به الخصوص .

والثاني أنّه ذكر البعض تغليظاً للعقاب ، والمراد أنّه يكفي أن يؤخذوا ببعض ذنوبهم في إهلاكهم والتدمير عليهم .

و الثالث أنّه أراد تعجيل بعض العقاب ممّا كان من التمرّد في الأجرام لأنّ عذاب الدنيا مختصّ ببعض الذنوب دون بعض ، وعذاب الآخرة يعمّ .

قوله تعالى : « وجعلنا على قلوبهم أكنّة » قال الزمخشري : الأكنّة على القلوب والوقر في الآذان مثل في نبوّ قلوبهم ومسامعهم عن قبوله و اعتقاد صحّته ، و وجه إسناد الفعل إلى ذاته وهو قوله : « وجعلنا » للدلالة على أنّه أمر ثابت فيهم لا يزول عنهم كأنّهم مجبولون عليه ، أو هي حكاية لما كانوا ينطقون به من قولهم : و في آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب وقال الطبرسيّ رحمه الله : قال القاضي أبو عاصم العامريّ: أصحّ الأقوال فيه ما روي أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان يصلّي باللّيل و يقرأ القرآن في الصلاة جهراً رجاء أن يستمع إلى قراءته إنسان فيتدبّر معانيه و يؤمن به فكان المشركون إذا سمعوه آذوه ومنعوه عن الجهر بالقراءة ، وكان الله تعالى يلقي عليهم النوم ، أو يجعل

(١) الذاريات : ١٣ .
(٢) الذاريات : ١٤ .
(٣) البروج : ١٠ .
(٤) التغابن : ١٥ .
(٥) التوبة : ١٢٦ .

في قلوبهم أكنّة ليقطعهم عن مرادهم ، وذلك بعد ما بلغهم ما تقوم به الحجّة وتنقطع به المعذرة ، وبعدما علم الله تعالى أنّهم لاينتفعون بسماعه ولايؤمنون به ، فشبّه إلقاء النوم عليهم بجعل الغطاء على قلوبهم ، وبوقر آذانهم لأنّ ذلك كان يمنعهم من التدبّر كالوقر والغطاء ، وهذا معنى قوله تعالى : «وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الّذين لايؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً» ويحتمل ذلك وجهاً آخر وهو أنّه تعالى يعاقب هؤلاء الكفّار الّذين علم أنّهم لا يؤمنون بعقوبات يجعلها في قلوبهم تكون موانع من أن يفقهوا ما يستمعونه ؛ ويحتمل أيضاً أن يكون سمّى الكفر الّذي في قلوبهم كنّاً تشبيهاً و مجازاً وإعراضهم عن القرآن وقراً توسّعاً لأنّ مع الكفر والإعراض لايحصل الإيمان والفهم ، كما لايحصلان مع الكنّ و الوقر ، فنسب ذلك إلى نفسه لأنّه الّذي شبّه أحدهما بالآخر كما يقول أحدنا لغيره إذا أثنى على إنسان وذكر مناقبه : جعلته فاضلاً ، وبالضدّ إذا ذكر مقابحه وفسقه يقول : جعلته فاسقاً ، [1] وقال الزمخشريّ في قوله تعالى : ولو شاء الله لجمعهم على الهدى » أي بأن يأتيهم بآية ملجئة ، و لكنّه لا يفعل لخروجه عن الحكمة .

وقوله تعالى : «ليمكروا فيها » قال الطبرسيّ رحمه : اللاّم : لام العاقبة ، و قال الزمخشريّ : معناه خلّيناهم ليمكروا وما كففناهم عن المكر ؛ وكذا قال : اللاّم لام العاقبة في قوله تعالى : «ليقولوا» أي عاملناهم معاملة المختبر ليشكروا أو يصبروا فآل أمرهم إلى هذه العاقبة .

وقال الطبرسيّ رحمه الله في قوله تعالى : « و نقلّب افئدتهم و أبصارهم » وجهين :

---

(١) أوردنا قبلا معنى الاية عن التبيان . ولنذكر هنا ما عن الرضى رحمه الله في كتابه مجازات القرآن قال : وهذه استعارة و ليس هناك على الحقيقة شيء مما أشاروا إليه ، و إنما أخرجوا هذا الكلام مخرج الدلالة على استثقالهم مايسمعونه من قوارع القرآن و بواقع البيان فكأنهم من قوة الزهادة فيه وشدة الكراهية له قد وقرت أسماعهم عن فهمه ، و أكنت قلوبهم دون علمه ، و ذلك معروف في عادة الناس أن يقول القائل منهم لمن يشنأ كلامه ويستثقل خطابه : ما أسمع قولك ولا أعي لفظك وإن كان صحيح حاسة السمع ، الا أنه حمل الكلام على الاستثقال والمقت ، وعلى هذا قول الشاعر:
وكلام سيىء قد وقرت * اذني عنه ومابي من صمم .

أحدهما أنّه يقلّبهما في جهنّم على لهب النار وحرّ الجمر كما لم يؤمنوا به أوّل مرّة في الدنيا ؛ والآخر أنّ المعنى : يقلّب أفئدتهم وأبصارهم بالحيرة الّتي تغمّ وتزعج النفس .
و قال الزمخشريّ : « ونقلّب أفئدتهم ونذرهم » عطف على لا يؤمنون داخل في حكم وما يشعركم أنّهم لا يؤمنون ، وما يشعركم أنّا نقلّب أفئدتهم وأبصارهم ، أي نطبع على قلوبهم وأبصارهم فلا يفقهون ولا يبصرون الحقّ ، كما كانوا عند نزول آياتنا أوّلاً ، لا يؤمنون بها لكونهم مطبوعاً على قلوبهم وما يشعركم أنّا نذرهم في طغيانهم أي نخلّيهم وشأنهم لا نكفّهم عن الطغيان حتّى يعمهوا فيه .[1]

وقال في قوله تعالى : «إلّا أن يشاء الله» أي مشيّة إكراه و اضطرار .

وقال الطبرسيّ رحمه الله في قوله :«كذلك جعلنا»وجوه : أحدها أنّ المراد كما أمرناك بعداوة قومك من المشركين فقد أمرنا من قبلك بمعاداة أعدائهم من الجنّ و الإنس ، ومتى أمر الله رسوله بمعاداة قوم من المشركين فقد جعلهم أعداءاً له .

وثانيها : أنّ معناه حكمنا بأنّهم أعداء وأخبرنا بذلك ليعاملوهم معاملة الأعداء في الاحتراز عنهم والاستعداد لدفع شرّهم ، و هذا كما يقال : جعل القاضي فلاناً عدلاً وفلاناً فاسقاً إذا حكم بعدالة هذا وفسق ذاك .

وثالثها : أنّ المراد خلّينا بينهم وبين اختيارهم العداوة ، لم نمنعهم على ذلك كرهاً ولاجبراً ، لأنّ ذلك يزيل التكليف .

ورابعها : أنّه سبحانه إنّما أضاف ذلك إلى نفسه ، لأنّه سبحانه لمّا أرسل إليهم الرسل ، وأمرهم إلى دعائهم إلى الإسلام والإيمان وخلع ما كانوا يعبدونه من الأصنام والأوثان نصبوا عند ذلك العداوة لأنبيائه ، ومثله قول نوح عليه السلام : «فلم يزدهم دعائي إلّا فراراً» وقال : والعامل في قوله : «ولتصغى» قوله : «يوحى» ولا يجوز أن يكون العامل

---

(١) وهذه استعارة ، لان تقليب القلوب والابصار على الحقيقة بازالتها عن مواضعها وإقلاقها عن مناصبها لايصح ، والبنية صحيحة والجملة حية متصرفة ، وإنما المراد - والله أعلم - أنا نرميها بالحيرة والمخافة جزاءاً على الكفر والضلالة فتكون الافئدة مسترجعة لتعاظم أسباب المخاوف وتكون الابصار منزعجة لتوقع طلوع المكاره . وقد قيل : إن المراد بذلك تقليبهما على مرامض الجمر فى نارجهنم وذلك يخرج الكلام عن حيز الاستعارة إلى حيز الحقيقة ؛ قاله الرضى رضى الله عنه .

فيه «جعلنا» لأنّ الله سبحانه لايجوز أن يريد إصغاء القلوب إلى الكفر ووحي الشياطين، إلّا أن نجعلها لام العاقبة. وقال البلخيّ: اللّام في «ولتصغى» لام العاقبة، ومابعده لام الأمر الّذي يراد به التهديد.

وقال رحمه الله في قوله تعالى: «فمن يرد الله أن يهديه» فيه وجوه:

أحدها: أنّ معناه من يرد الله أن يهديه إلى الثواب وطريق الجنّة يشرح صدره في الدنيا للإسلام بأن يثبت عزمه عليه ويقوّي دواعيه على التمسّك به، وإنّما يفعل ذلك لطفاً له ومنّاً عليه، و ثواباً على اهتدائه بهدى الله و قبوله إيّاه؛ و من يرد أن يضلّه عن ثوابه و كرامته يجعل صدره في كفره ضيّقاً حرجاً عقوبةً له على تركه الإيمان من غير أن يكون سبحانه مانعاً له عن الإيمان، بل ربّما يكون ذلك داعياً إليه، فإنّ من ضاق صدره بالشيء كان ذلك داعياً إلى تركه.

وثانيها: أنّ معناه فمن يرد الله أن يثبته على الهدى يشرح صدره من الوجه الّذي ذكرناه، جزاءاً له على إيمانه واهتدائه، وقد يطلق الهدى ويراد به الاستدامة؛ ومن يرد أن يضلّه أي يخذله و يخلّي بينه وبين مايريده، لاختياره الكفر وتركه الإيمان يجعل صدره ضيّقاً حرجاً بأن يمنعه الألطاف الّتي هو ينشرح لها صدره، لخروجه من قبولها بإقامته على كفره.

وثالثها: أنّ معناه من يرد الله أن يهديه زيادة الهدى الّتي وعدها المؤمن يشرح صدره لتلك الزيادة لأنّ من حقّها أن يزيد المؤمن بصيرة، ومن يرد أن يضلّه عن تلك الزيادة بمعنى يذهبه عنها من حيث أخرج هو نفسه من أن تصحّ عليه يجعل صدره ضيّقاً حرجاً لمكان فقد تلك الزيادة، لأنّها إذا اقتضت في المؤمن ماقلناه أوجب في الكافر مايضادّه. والرجس: العذاب.

وقال في قوله تعالى: «إنّا جعلنا الشياطين» أي حكمنا بذلك لأنّهم يتناصرون على الباطل كماقال: «وجعلوا الملائكة الّذين هم عباد الرحمن إناثاً».

وقال في قوله: «ولقد ذرأنا لجهنّم» يعني خلقناهم على أنّ عاقبتهم المصير إلى

جهنّم بكفرهم وإنكارهم وسوء اختيارهم ، و يدلّ عليه قوله سبحانه : «وما خلقت الجنّ والإنس إلّا ليعبدون» .

وقال الزمخشريّ : جعلهم في أنّهم لايلقون أذهانهم إلى معرفة الحقّ ولاينظرون بعيونهم إلى ماخلق الله نظر اعتبار ، ولا يسمعون مايتلى عليهم من آيات الله سماع تدبّر كأنّهم عدموا فهم القلوب وإبصار العيون واستماع الآذان وجعلهم لإغراقهم في الكفر وشدّة شكائمهم فيه و أنّهم لايتأتّى منهم إلّا أفعال أهل النار مخلوقين للنار ، دلالة على توغّلهم في الموجبات ، وتمكّنهم فيما يؤهّلهم لدخول النار .

وقال الطبرسيّ رحمه الله في قوله تعالى : « فريقاً هدى» أي جماعة حكم لهم بالاهتداء بقبولهم للهدى ، أو لطف لهم بما اهتدوا عنده ، أوهداهم إلى طريق الثواب « و فريقاً حقّ » أي وجب عليهم الضلالة ، إذلم يقبلوا الهدى ، أو حقّ عليهم الخذلان لأنّه لم يكن لهم لطف تنشرح لهم صدورهم ، أوحقّ عليهم العذاب أو الهلاك بكفرهم .

وقال الزمخشريّ في قوله تعالى : «ولكنّ الله قتلهم» : أي إن افتخرتم بقتلهم فأنتم لم تقتلوهم ولكنّ الله قتلهم لأنّه هو الّذي أنزل الملائكة و ألقى الرعب في قلوبهم ، وشاء النصر والظفر ، وقوّى قلوبكم ، و أذهب عنها الفزع والجزع ، وما رميت أنت يا محمّد إذ رميت ولكنّ الله رمى ، يعني أنّ الرمية الّتي رميتها لم ترمها أنت على الحقيقة لأنّك لو رميتها لما بلغ أثرها إلّا مايبلغ أثر رمي البشر ، ولكنّها كانت رمية الله حيث أثّرت ذلك الأثر العظيم فأثبت الرمية لرسول الله صلّى الله عليه وآله ، لأنّ صورتها وجدت منه ، و نفاها عنه لأنّ أثرها الّذي لاتطيقه البشر فعل الله فكأنّ الله هوفاعل الرمية على الحقيقة ، و كأنّها لم توجد من الرسول أصلاً .

وقال الطبرسيّ رحمه الله في قوله تعالى : «ثمّ انصرفوا» أي انصرفوا عن المجلس ، وقيل انصرفوا عن الإيمان به «صرف الله قلوبهم» عن الفوائد الّتي يستفيدها المؤمنون والسرور بها ، وحرموا الاستبشار بتلك الحال . وقيل : معناه صرف الله قلوبهم عن رحمته وثوابه عقوبةً لهم على انصراهم عن الإيمان بالقرآن ، وعن مجلس رسول الله صلّى الله عليه وآله . و قيل : إنّه على وجه الدعاء عليهم أي خذلهم الله باستحقاقهم ذلك ، ودعاء الله على عباده وعيد لهم وإخبار بلحاق العذاب بهم .

قوله تعالى : «كذلك حقّت كلمة ربّك» قال الزمخشريّ : «إنّهم لايؤمنون» بدل من الكلمة أي حقّ عليهم انتفاء الإيمان وعلم الله منهم ذلك ، أوحقّ عليهم كلمة الله أنّهم من أهل الخذلان وأنّ إيمانهم غير كائن ، أو أراد بالكلمة العدة بالعذاب .» و أنّهم لا يؤمنون» تعليل بمعنى لأنّهم لايؤمنون .

وقال في قوله تعالى : إنّ الّذين حقّت عليهم كلمة ربّك أي ثبت عليهم قول الله الّذي كتبه في اللّوح وأخبر به الملائكة أنّهم يموتون كفّاراً فلايكون غيره فتلك كتابة معلوم لاكتابة مقدّر ومراد ؛ تعالى الله عن ذلك .

وقال السيّد المرتضى رضي الله عنه : إن سأل سائل فقال : ما عندكم في تأويل قوله تعالى : «ولوشاء ربّك لجعل الناس اُمّة واحدة ولا يزالون مختلفين إلّا من رحم ربّك ولذلك خلقهم» يقال له : أمّا قوله تعالى : «ولوشاء ربّك» فانّما عنى به المشيّة الّتي نيضمّ إليها الإلجاء ، ولم يعن المشيّة على سبيل الاختيار ، و إنّما أراد تعالى أن يخبرنا عن قدرته وأنّه ممّن لايغالب ولايعصى مقهوراً ، من حيث كان قادراً على الإلجاء والإكراه على ما أراده من العباد ، فأمّا لفظة ذلك في الآية فحملها على الرحمة أولى من حملها على الاختلاف لدليل العقل وشهادة اللّفظ ، فأمّا دليل العقل فمن حيث علمنا أنّه تعالى كره الاختلاف والذهاب عن الدين ونهى عنه وتوعّد عليه ، فكيف يجوز أن يكون شائياً له و مجرياً بخلق العباد إليه ؟ و أمّا شهادة اللّفظ فلأنّ الرحمة أقرب إلى هذه الكناية من الاختلاف ، وحمل اللّفظ على أقرب المذكورين أولى في لسان العرب ، فأمّا ماطعن به السائل من تذكير الكناية فباطل لأنّ تأنيث الرحمة غير حقيقيّ ، وإذا كنّي عنها بلفظ التذكير كانت الكناية على المعنى لأنّ معناها هو الفضل والإنعام كماقالوا : سرّني كلمتك ، يريدون سرّني كلامك . وقال الله تعالى : «هذا رحمة من ربّي» ولم يقل : «هذه» وإنّما أراد هذا فضل من ربّي ، وفي موضع آخر «إنّ رحمة الله قريب من المحسنين» ولم يقل : قريبة .

أقول : ثمّ استشهد رحمه الله لذلك بكثير من الأشعار تركناها حذراً من الإطناب ثمّ قال : وقال زياد الأعجم :

إنّ الشجاعة و المرّوة ضمّنا ✿ قبراً بمرو على الطّريق الواضح

ويروى : أنّ السماحة والشجاعة ؛ فقال : «ضمّنا» ولم يقل : «ضمّنتا» قال الفرّاء لأنّه ذهب إلى أنّ السماحة والشجاعة مصدران ، والعرب تقول : قصارة الثوب يعجبني لأنّ تأنيث المصادر يرجع إلى الفعل وهو مذكّر ، على أنّ قوله تعالى : «إلّا من رحم ربّك» كما يدلّ على الرحمة يدلّ أيضاً على أن يرحم فإذا جعلنا الكناية بلفظة ذلك عن أن يرحم كان التذكير في موضعه لأنّ الفعل مذكّر ، ويجوز أيضاً أن يكون قوله تعالى : «ولذلك خلقهم» كناية عن اجتماعهم على الإيمان وكونهم فيه اُمّة واحدة لا محالة أنّه لهذا خلقهم ويطابق هذه الآية قوله تعالى : «وما خلقت الجنّ والإنس إلّا ليعبدون» وقد قال قوم في قوله تعالى : «ولو شاء ربّك لجعل الناس اُمّة واحدة» معناه أنّه لو شاء أن يدخلهم أجمعين الجنّة فيكونوا في وصول جميعهم إلى النعيم اُمّة واحدة ، وأجرى هذه الآية مجرى قوله تعالى : «ولو شئنا لآتينا كلّ نفس هديها » في أنّه أراد هداها إلى طريق الجنّة ، فعلى هذا التأويل يمكن أن ترجع لفظة ذلك إلى إدخالهم أجمعين إلى الجنّة لأنّه تعالى إنّما خلقهم للمصير إليها والوصول إلى نعيمها . فأمّا قوله : «ولا يزالون مختلفين» فمعناه الاختلاف في الدين والذهاب عن الحقّ فيه بالهوى والشبهات . وذكر أبومسلم محمّد بن بحر في قوله تعالى : « ولا يزالون مختلفين» وجهاً غريباً وهو أن يكون معناه أنّ خلف هؤلاء الكافرين يخلف سلفهم في الكفر لأنّه سواء قولك : خلف بعضهم بعضاً وقولك : اختلفوا ، كما سواء قولك : قتل بعضهم بعضاً ، واقتتلوا . ومنه قولهم : لاأفعل كذا ما اختلف العصران والجديدان أي جاء كلّ واحد منهما بعد الآخر ؛ فأمّا الرحمة فليست رقّة القلب ، لكنّها فعل النعم والإحسان ؛ يدلّ على ذلك أنّ من أحسن إلى غيره وأنعم عليه يوصف بأنّه رحيم وإن لم تعلم منه رقّة قلبه عليه .

فإن قيل : إذا كانت الرحمة هي النعمة وعندكم أنّ نعم الله تعالى شاملة للخلق أجمعين فأيّ معنى للاستثناء « من رحم » من جملة «المختلفين» إن كانت الرحمة هي النعمة ؟ وكيف يصحّ اختصاصها بقوم دون قوم وهي عندكم شاملة عامّة ؟.

قلنا : لاشبهة في أنّ نعم الله سبحانه شاملة للخلق أجمعين غير أنّ في نعمه أيضاً ما

يختصّ بها بعض العباد ، إمّا لاستحقاق أو لسبب يقتضي الاختصاص ، فإذا حملنا قوله : إلّا من رحم ربّك على النعمة بالثواب فالاختصاص ظاهر لأنّ النعمة به لاتكون إلّا مستحقّة فمن استحقّ الثواب بأعماله وصل إلى هذه النعمة ، ومن لم يستحقّه لم يصل إليها ، و إن حملنا الرحمة في الآية على النعمة بالتوفيق للإيمان و اللّطف الّذي وقع بعده فعل الإيمان كانت هذه النعمة أيضاً مختصّة لأنّه تعالى إنّما لم ينعم على سائر المكلّفين بها من حيث لم يكن في معلومه أنّ لهم توفيقاً ، وأنّ في الأفعال ما يختارون عنده الإيمان فاختصاص هذه النعمة ببعض العباد لايمنع من شمول نعم آخر لهم كما أنّ شمول تلك النعم لايمنع من اختصاص هذه . انتهى كلامه رفع الله مقامه .

وقال الزمخشريّ : ذلك إشارة إلى مادلّ عليه الكلام الأوّل و تضمّنه ، يعني و لذلك التمكين و الاختيار الّذي كان عنه الاختلاف خلقهم ليثيب مختار الحقّ بحسن اختياره ، ويعاقب مختار الباطل بسوء اختياره ، وتمّت كلمة ربّك وهي قوله للملائكة : «لأملأنّ جهنّم من الجنّة والنّاس أجمعين» لعلمه بكثرة من يختار الباطل .(١)

وقال في قوله تعالى : أفلم ييئس الّذين آمنوا أن لو يشاء الله يعني مشيّة الإلجاء والقسر لهدى الناس جميعاً ومعنى «أفلم ييئس» : أفلم يعلم ؛ قيل : هي لغة قوم من النخع ، و قيل : إنّما استعمل اليأس بمعنى العلم لتضمّنه معناه لأنّ اليائس عن الشيء عالم بأنّه لايكون كما استعمل الرجاء في معنى الخوف ، والنسيان في معنى التّرك لتضمّن ذلك ، و يدلّ عليه أنّ عليّاً وابن عبّاس وجماعة من الصحابة والتابعين قرؤوا أفلم يتبيّن وهو تفسير أفلم ييأس ويجوز أن يتعلّق أن لو يشاء بآمنوا أي أولم يقنط عن إيمان هؤلاء الكفرة الّذين آمنوا بأن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً ولهداهم .

وقال السيّد المرتضى رضي الله عنه في كتاب الغرر والدرر : قال الله جلّ من قائل : «وإذا أردنا أن نهلك قرية» الآية ، في هذه الآية وجوه من التأويل كلّ منها يبطل الشبهة

(١) قال السيد الرضي في تلخيص البيان في قوله تعالى: « وتمت كلمة ربك » : هذه استعارة والمراد ههنا بتمام كلمة الله سبحانه صدق وعيده الذي تقدم الخبر به و تمامه وقوع مخبره مطابقاً لخبره .

الداخلة على بعض المبطلين فيها حتّى عدلوا بتأويلها عن وجهه و صرفوه عن بابه :
أولها أنّ الإهلاك قد يكون حسناً وقد يكون قبيحاً فإذا كان مستحقّاً أو على سبيل الامتحان كان حسناً، وإنّما يكون قبيحاً إذا كان ظلماً فتعلّق الإرادة لا يقتضي تعلّقها به على الوجه القبيح، ولا ظاهر الآية يقتضي ذلك، و إذا علمنا بالأدلّة العقليّة تنزّه القديم تعالى عن القبائح علمنا أنّ الإرادة لم يتعلّق إلّا بالإهلاك الحسن. وقوله تعالى: «أمرنا مترفيها» المأمور به محذوف، وليس يجب أن يكون المأمور به هو الفسق، و إن وقع بعده الفسق، ويجري هذا مجرى قول القائل: أمرته فعصى ودعوته فأبى؛ والمراد إنّني أمرته بالطاعة و دعوته إلى الإجابة والقبول. و يمكن أن يقال على هذا الوجه: ليس موضع الشبهة ما تكلّمتم عليه، وإنّما موضعها أن يقال: أيّ معنى لتقدّم الإرادة فإن كانت متعلّقة بإهلاك مستحقّ بغير الفسق المذكور في الآية فلا معنى لقوله تعالى: «إذا أردنا أمرنا» لأنّ أمره بما يأمر به لا يحسن إرادته للعقاب المستحقّ بما تقدّم من الأفعال، وإن كانت الإرادة متعلّقة بالإهلاك المستحقّ بمخالفة الأمر المذكور في الآية فهذا هو الّذي تأبونه، لأنّه يقتضي أنّه تعالى مريد لإهلاك من لم يستحقّ العقاب.

والجواب عن ذلك أنّه تعالى لم يعلّق الإرادة إلّا بالإهلاك المستحقّ بما تقدّم من الذنوب، والّذي حسّن قوله تعالى: «وإذا أردنا أمرنا» هو أنّ في تكرّر الأمر بالطاعة والإيمان إعذاراً إلى العصاة وإنذاراً لهم، وإيجاباً وإثباتاً للحجّة عليهم حتّى يكونوا متى خالفوا وأقاموا على العصيان والطغيان بعد تكرّر الوعيد والوعظ والإنذار ممّن يحقّ عليه القول وتجب عليه الحجّة، ويشهد بصحّة هذا التأويل قوله تعالى قبل هذه الآية: «وما كنّا معذّبين حتّى نبعث رسولاً».

والثاني أن يكون قوله تعالى: «أمرنا مترفيها» من صفة القرية وصلتها، ولا يكون جواباً لقوله: «وإذا أردنا» ويكون تقدير الكلام: وإذا أردنا أن نهلك قرية من صفتها أنّا أمرنا مترفيها ففسقوا فيها، ويكون إذا على هذا الجواب لم يأت له جواب ظاهر في الآية للاستغناء عنه بما في الكلام من الدلالة عليه، ونظير هذا قوله تعالى في صفة الجنّة:

«حتّى إذا جاؤها وفتحت أبوابها» إلى قوله : «فنعم أجر العاملين» ولم يأت لا ذا جواب في طول الكلام للاستغناء عنه .

والثالث أن يكون ذكر الإرادة في الآية مجازاً واتساعاً و تنبيهاً على المعلوم من حال القوم وعاقبة أمرهم وأنّهم متى اُمروا فسقوا و خالفوا ، و يجري ذكر الإرادة ههنا مجرى قولهم : إذا أراد التاجر أن يفتقر أتته النوائب من كلّ جهة وجاءه الخسران من كلّ طريق ، و قولهم : إذا أراد العليل أن يموت خلط في مأكله و تسرّع إلى كلّ ما تتوق إليه نفسه ، و معلوم أنّ التاجر لم يرد في الحقيقة شيئاً ، ولا العليل أيضاً لكن لمّا كان المعلوم من حال هذا الخسران ومن حال ذاك الهلاك حسن هذا الكلام ، واستعمل ذكر الإرادة لهذا الوجه مجازاً ، وكلام العرب وحيٌ و إشارات و استعارة و مجازات ، ولهذه الحال كان كلامهم في المرتبة العليا من الفصاحة ، فإنّ الكلام متى خلا من الاستعارة وجرى كلّه على الحقيقة كان بعيداً من الفصاحة بريئاً من البلاغة ، وكلام الله تعالى أفصح الكلام .

الرابع أن تحمل الآية على التقديم والتأخير فيكون تلخيصها : وإذا أمرنا مترفي قرية بالطاعة فعصوا واستحقّوا العقاب أردنا إهلاكهم ، و التقديم والتأخير في الشعر وكلام العرب كثير ؛ وممّا يمكن أن يكون شاهداً بصحّة هذا التأويل من القرآن قوله تعالى : «ياأيّها الّذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلوة فاغسلوا وجوهكم»[(١)] والطهارة إنّما تجب قبل القيام إلى الصلاة ، وقوله تعالى : «و إذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك»[(٢)] وقيام الطائفة معه يجب أن يكون قبل إقامة الصلاة ، لأنّ إقامتها هو الإتيان بجميعها على الكمال ، فأمّا قراءة من قرأ بالتشديد فقال : أمّرنا و قراءة من قرأ بالمدّ والتخفيف فقال : آمرنا فلن يخرج معنى قراءتهما عن الوجوه الّتي ذكرناها إلّا الوجه الأوّل ، فإنّ معناه لا يليق إلّا بأن يكون ما تضمّنته الآية هو الأمر الّذي يستدعي به الفعل انتهى .

وقال الطبرسيّ رحمه الله : وقرأ يعقوب : آمرنا بالمدّ و هو قراءة عليّ بن أبي طالب

(١) المائدة : ٧ . (٢) النساء : ١٠٢ .

والحسين عليهما السلام وجماعة ، وقرأ أمّرنا بالتشديد ابن عبّاس والنهديّ و أبوجعفر محمّد بن عليّ عليه السلام بخلاف ، وقرأ أمرنا بكسر الميم بوزن عمرنا الحسن ويحيى بن يعمر وأُرجع الجميع الى معنى كثرنا كقوله صلى الله عليه وآله : خير المال سكّة مأبورة ومهرة مأمورة ، أي كثيرة النتاج .

وقال الزمخشريّ : وإذا أردنا أي و إذا دنى وقت إهلاك قوم ولم يبق من زمان إهلاكهم إلّا قليلاً أمرناهم ففسقوا أي أمرناهم بالفسق ففعلوا والأمر مجاز لأنّ حقيقة أمرهم بالفسق أن يقول لهم : افسقوا ، و هذا لايكون فبقي أن يكون مجازاً ، ووجه المجاز أنّه صبّ عليهم النعمة صبّاً فجعلوها ذريعة إلى المعاصي واتّباع الشهوات فكأنّهم مأمورون بذلك ، لتسبّب إبلاء النعمة فيه ، وإنّما خوّلهم إيّاها ليشكروا و يعملوا فيها بالخير ويتمكّنوا من الإحسان والبرّ كما خلقهم أصحّاء أقوياء وأقدرهم على الخير و الشرّ و طلب منهم إيثار الطاعة على المعصية فآثروا الفسوق ، فلمّا فسقوا حقّ عليهم القول وهو كلمة العذاب فدمّرهم . وقد فسّر بعضهم أمرنا بكثرنا ؛ وجعل أمرته فأمر من باب فعلته ففعل كثبّرته فثبر .

و قال : في قوله تعالى : «فليمدد له الرحمن مدّاً» يعني أمهله و أملى له في العمر ، فأخرج على لفظ الأمر إيذاناً بوجوب ذلك و أنّه مفعول لا محالة كالمأمور به الممتثل ، لتقطّع معاذير الضالّ ، ويقال له يوم القيامة : «أولم نعمّركم مايتذكّر فيه من تذكّر»[١] أو كقوله : «إنّما نملي لهم ليزدادوا إثماً»[٢] أو «من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدّاً» في معنى الدعاء بأن يمهله الله وينفّس في مدّة حياته .

وقال الطبرسيّ رحمه الله في قوله تعالى : «ألم تر أنّا أرسلنا الشياطين على الكافرين» أي خلّينا بينهم وبين الشياطين إذا وسوسوا إليهم ودعوهم إلى الضلال حتّى أغووهم ولم يخلّ بينهم بالإلجاء ولا بالمنع ، وعبّر عن ذلك بالإرسال على سبيل المجاز والتوسّع ،

---

(١) فاطر : ٣٧ . (٢) آل عمران : ١٧٨ .

(٣) قال الشيخ في التبيان : أي يمدهم ويحلم عنهم فلايعاجلهم بالعقوبة كما قال : « ويمدهم في طغيانهم يعمهون » ويجوز أن يكون أراد فليمدد له الرحمن مداً في عذابهم في النار ، كما قال : « ونمد له من العذاب مداً » .

كما يقال لمن خلّى بين الكلب وغيره : أرسل كلبه عليه «تؤزّهم أزّاً» أي تزعجهم إزعاجاً من الطاعة إلى المعصية ، وقيل : تغريهم إغراءاً بالشيء .

وفي قوله تعالى : «ولولا فضل الله عليكم ورحمته» بأن لطف لكم وأمركم بما تصيرون به أزكياء ما صار منكم أحد زكيّاً ، أو ما طهر أحد من وسوسة الشيطان وما صلح ، ولكنّ الله يزكّي أي يطهّر بلطفه من يشاء ، وهو من له لطيف ، يفعله سبحانه به ليزكو عنده .

وفي قوله تعالى : «ومن لم يجعل الله له نوراً أي» نجاةً وفرجاً ، أو نوراً في القيامة .

وفي قوله سبحانه : «ولكن متّعتهم وآباءهم» أي طوّلت أعمارهم و أعمار آبائهم ، وأمددتهم بالأموال و الأولاد بعد موت الرسل حتّى نسوا الذكر المنزل على الانبياء و تركوه وكانوا قوماً هلكى فاسدين وفي قوله : كذلك سلكناه أي القرآن . وفي قوله تعالى : زيّنّا لهم أعمالهم أي أعمالهم الّتي أمرناهم بها ، وقيل : بأن خلقنا فيهم شهوة القبيح ليجتنبوا المشتهى .

قوله تعالى : «وجعلناهم أئمّة يدعون إلى النار» قال البيضاويّ : قيل : بالتسمية كقوله : «وجعلوا الملائكة الّذين هم عباد الرحمن إناثاً» أو بمنع الألطاف الصارفة عنه.(١)

وقال الطبرسيّ رحمه الله في قوله تعالى : «إنّك لا تهدي من أحببت» أي هدايته ، أو من أحببته لقرابته ، والمراد بالهداية هنا اللّطف الّذي يختار عنده الإيمان ، فإنّه لا يقدر عليه إلّا الله تعالى . لأنّه إمّا أن يكون من فعله خاصّة أو بإعلامه ، ولا يعلم ما يصلح المرء في دينه إلّا الله تعالى ، فإنّ الهداية الّتي هي الدعوة والبيان قد أضافه سبحانه إليه في قوله : « وإنّك لتهدي إلى صراط مستقيم »(٢) وقيل : إنّ المراد بالهداية في الآية الإجبار على الاهتداء أي أنت لا تقدر على ذلك . وقيل : معناه ليس عليك اهتداؤهم وقبولهم الحقّ .

---

(١) قال الشيخ : قيل : في معناه قولان : أحدهما إنا عرفنا الناس أنهم كانوا كذلك كما يقال جعله رجل شرٍّ بتعريفنا حاله ، والثاني إنا حكمنا عليهم بذلك ، كما قال : «ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة » والجعل على أربعة أقسام : أحدها بمعنى الاحداث ، كقوله : «وجعلنا الليل والنهار آيتين» الثاني بمعنى قلبه من حال إلى حال ، كجعل النطفة علقة . الثالث بمعنى الحكم أنه على صفة . الرابع بمعنى اعتقد أنه على حال ، كقولهم : جعل فلان فلانا راكبا اذا اعتقد فيه ذلك اه .

(٢) الشورى : ٥٢ .

وقال في قوله تعالى : «ولو شئنا لآتينا كلّ نفس هديها» أي بأن نفعل أمراً من الأمور يلجئهم إلى الإقرار بالتوحيد ، ولكن ذلك يبطل الغرض بالتكليف . قال الجبائيّ ويجوز أن يكون المراد به ولو شئنا لأجبناهم إلى ما سألوا من الردّ إلى دار التكليف ليعملوا بالطاعات ، ولكن حقّ القول منّي أن اُجازيهم بالعقاب ولا أردّهم . وقيل : معناه : ولو شئنا لهديناهم إلى الجنّة ولكن حقّ القول منّي أي الخبر والوعيد لأملأنّ جهنّم من الجنّة والنّاس أجمعين أي من كلا الصنفين بكفرهم .

وقال في قوله تعالى : «إنّ الله يسمع من يشاء» أي ينفع بالإسماع من يشاء أي يلطف له ويوفّقه «وما أنت بمسمع من في القبور» أي أنّك لاتقدر على أن تنفع الكفّار بإسماعك إيّاهم ، إذ لم يقبلوا كما لايسمع من في القبور من الأموات .

وقال في قوله تعالى : «لقد حقّ القول على أكثرهم» أي وجب الوعيد واستحقاق العقاب عليهم فهم لايؤمنون ويموتون على كفرهم وقد سبق ذلك في علم الله . و قيل : تقديره : لقد سبق القول على أكثرهم أنّهم لايؤمنون ، وذلك أنّه سبحانه أخبر ملائكته أنّهم لايؤمنون ، فحقّ قوله عليهم : «إنّا جعلنا في أعناقهم أغلالاً فهي إلى الأذقان» يعني أيديهم كنّى عنها وإن لم يذكرها لأنّ الأعناق والأغلال يدلّان عليهما ، واختلف في معنى الآية على وجوه : أحدها أنّه سبحانه إنّما ذكره ضرباً للمثل ، وتقديره : مثل هؤلاء المشركين في إعراضهم عمّا تدعوهم إليه كمثل رجل غلّت يداه إلى عنقه لايمكنه أن يبسطهما إلى خير ، ورجل طامح برأسه لايبصر موطئ قدميه .

وثانيها : أنّ المعنى كان هذا القرآن أغلالاً في أعناقهم يمنعهم عن الخضوع لاستماعه وتدبّره لثقله عليهم ، وذلك أنّهم لمّا استكبروا عنه وأنفوا من اتّباعه وكان المستكبر رافعاً رأسه ، لاوياً عنقه ، شامخاً بأنفه ، لاينظر إلى الأرض صاروا كأنّما غلّت أيديهم إلى أعناقهم ؛ وإنّما أضاف ذلك إلى نفسه لأنّ عند تلاوة القرآن عليهم ودعوته إيّاهم صاروا بهذه الصفة .

وثالثها : أنّ المعنيّ بذلك اُناس من قريش همّوا بقتل النبيّ صلى الله عليه وآله فغلّت أيديهم إلى أعناقهم فلم يستطيعوا أن يبسطوا إليه أبداً .

ورابعها : أنّ المراد به وصف حالهم يوم القيامة فهو مثل قوله : « إذ الأغلال في أعناقهم فهم مقمحون» أراد أنّ أيديهم لمّا غلّت إلى أعناقهم و رفعت الأغلال أذقانهم و رؤوسهم صعدا فهم مرفوع الرأس برفع الأغلال إيّاها ، والمقمح : الغاضّ بصره بعد رفع رأسه . «وجعلنا من بين أيديهم سدًّا ومن خلفهم سدًّا فأغشيناهم فهم لايبصرون »[1] هذا على أحد الوجهين تشبيه لهم بمن هذه صفته في إعراضهم عن الإيمان وقبول الحقّ ، وذلك عبارة عن خذلان الله إيّاهم لمّا كفروا ، فكأنّه قال : و تركناهم مخذولين فصار ذلك

---

(١) قال الرضي رحمه الله : وهاتان استعارتان ، ومن أوضح الادلة على ذلك أن الكلام كله في أوصاف القوم المذمومين ، وهم في أحوال الدنيا دون الاخرة ، ألاترى قوله تعالى بعد ذلك : « سواء عليهم ءأنذرتهم أم لم تنذرهم فهم لايؤمنون » واذا كان الكلام محمولا على أحوال الدنيا دون الاخرة وقد علمنا أن هؤلاء القوم الذين ذهب الكلام اليهم كان الناس يشاهدونهم غير مقمحين بالاغلال ولامضروبا عليهم بالاسداد علمنا أن الكلام خرج مخرج قوله سبحانه : « ختم الله على قلوبهم » الخ فكان ذلك وصف لما كان عليه الكفار عند سماع القرآن من تنكيس الادقان وليّ الاعناق ذهابا عن الرشد ، واستكبارا عن الانقياد للحق ، وضيق صدورهم بمايرد عليهم من صوادع البيان وقوارع القرآن ؛ وقد اختلف في معنى الاقماح فقال قوم : هو غض الابصار واستشهدوا بقول بشر بن أبي حازم في ذكر السقيفة : ونحن على جوانبها قعود * نغض الطرف كالابل القماح . وقال قوم : المقمح الرافع رأسه صعدا فكان هؤلاء المذمومين شبهوا على المبالغة في وصف تكارههم للايمان ، وتضايق صدورهم لسماع القرآن بقوم عوقبوا فجذبت أعناقهم بالاغلال إلى صدورهم مضمومة إليها أيمانهم ثم رفعت ليكون ذلك أشد لإيلامهم وأبلغ في عذابهم . وقيل : إن المقمح : الغاض بصره بعد رفع رأسه ، فكانه جامع بين الصفتين جميعا . وقيل : إن قوله تعالى : « فهي إلى الاذقان » يعني به أيمانهم المجموعة بالاغلال الى أعناقهم ، فاكتفى بذكر الاعناق من الايمان ، لان الاغلال تجمع بين الايمان والاعناق ، وكذلك معنى السد المجعول بين أيديهم ومن خلفهم انما هو تشبيه بمن قصر خطوه ، واخذت عليه طرقه ، ولماكان مايصيبهم من هذه المشاق المذكورة والاحوال المذمومة انما هو عقيب تلاوة القرآن عليهم ، ونفث قوارعه في أسماعهم حسن أن يضيف سبحانه الى نفسه فيقول : انا جعلناهم على تلك الصفات . وقد قرىء سدا بالفتح وسدا بالضم ، وقيل : إن السد بالفتح مايصنعه الناس ، وبالضم : مايصنعه الله تعالى . وقال بعضهم : المراد بذكر السد ههنا الاخبار عن خذلان الله اياهم وتركه نصرهم ومعونتهم ، كما تقول العرب في صفة الضال المتحير : فلان لاينفذ في طريق يسلكه ، ولا يعلم أمامه أم وراءه خير له . وأما قوله سبحانه : «فأغشيناهم فهم لايبصرون» فهو أيضا في معنى الختم والطبع ، وواقع على الوجه الذي يقمان عليه ، وقد تقدم ايماؤنا اليه .

من بين أيديهم سدّاً ومن خلفهم سدّاً ، وإذا قلنا : إنّه وصف حالهم في الآخرة فالكلام على حقيقته ، ويكون عبارة عن ضيق المكان في النار بحيث لا يجدون متقدّماً ولا متأخّراً إذ سدّ عليهم جوانبهم ، وإذا حملناه على صفة القوم الّذين همّوا بقتل النبيّ صلى الله عليه وآله فالمراد جعلنا بين أيدي اُولئك الكفّار منعاً ومن خلفهم منعاً حتّى لم يبصروا النبيّ صلى الله عليه وآله ، وقوله : « فأغشيناهم فهم لا يبصرون » أي أغشيناهم أبصارهم فهم لا يبصرون النبيّ صلى الله عليه وآله . وقيل : أي فأعميناهم فهم لا يبصرون الهدى . و قيل : فأغشيناهم بالعذاب فهم لا يبصرون في النار ، وقيل : معناه أنّهم لمّا انصرفوا عن الإيمان والقرآن لزمهم ذلك حتّى لا يكادوا يتخلّصون منه بوجه كالمغلول والمسدود عليه طرقه .

وقال في قوله تعالى : «ومن يضلل الله » أي عن طريق الجنّة «فماله من هاد» أي لا يقدر على هدايته أحد ، وقيل من ضلّ عن الله ورحمته فلا هادي له ، يقال : أضللت بعيري إذا ضلّ . وقيل : معناه : من يضلله عن زيادة الهدى والألطاف لأنّ الكافر لا لطف له .

وقال في قوله تعالى: « أو تقول لو أنّ الله هداني لكنت من المتّقين » أي كراهة أن تقول : لو أراد الله هدايتي لكنت ممّن يتّقي معاصيه . وقيل : إنّهم لمّا لم ينظروا في الأدلّة واشتغلوا بالدنيا توهّموا أنّ الله لم يهدهم فردّ الله عليهم بقوله : «بلى قد جاءتك آياتي» الآية .

وقال الزمخشريّ : «وقيّضنا لهم» : وقدّرنا لهم ، يعني لمشركي مكّة «قرناء» أخداناً[1] من الشياطين من جمع قرين كقوله : «ومن يعش عن ذكر الرّحمن نقيّض له شيطاناً فهو له قرين ».[2]

فإن قلت : كيف جاز أن يقيّض لهم القرناء من الشياطين وهو ينهاهم عن اتّباع خطواتهم ؟ قلت : معناه أنّه خذلهم ومنعهم التوفيق لتصميمهم على الكفر ، فلم يبق لهم قرناء سوى الشياطين ، والدليل عليه ومن يعش نقيّض .

«ما بين أيديهم وما خلفهم» ما تقدّم من أعمالهم وما هم عازمون عليها ، أو ما بين أيديهم

---

(١) جمع الخدن بكسر الخاء وسكون الدال : الحبيب والصاحب .

(٢) الزخرف : ٣٦ .

من أمر الدنيا واتّباع الشهوات ، وما خلفهم من أمر العاقبة وأن لا بعث ولا حساب ، « وحقّ عليهم القول» يعني كلمة العذاب «في اُمم» في جملة اُمم «إنّهم كانوا خاسرين» تعليل لاستحقاقهم العذاب .

وقال الطبرسيّ رحمه الله في قوله : «ليتّخذ بعضهم بعضاً سخريّاً » : معناه أنّ الوجه في اختلاف الرزق بين العباد في الضيق والسعة زيادة على ما فيه من المصلحة أنّ في ذلك تسخيراً من بعض العباد لبعض بأحواجهم إليه يستخدم بعضهم بعضاً فينتفع أحدهم بعمل الآخر له فينتظم بذلك قوام أمر العالم . وقيل : معناه ليملك بعضهم بعضاً بما لهم فيتّخذونهم عبيداً ومماليك .

وقال في قوله تعالى : «ومن يعش عن ذكر الرحمن» أي يعرض عنه «نقيّض له شيطاناً» أي نخلّي بينه وبين الشيطان الّذي يغويه فيصير قرينه عوضاً عن ذكر الله . وقيل : معناه نقرن به شيطاناً في الآخرة يلزمه فيذهب به إلى النار ، كما أنّ المؤمن يقرن به ملك فلا يفارقه حتّى يصير به إلى الجنّة .

وقال السيّد المرتضى رضي الله عنه فيما مرّ في سورة الأعراف من قوله تعالى: «سأصرف عن آياتي» الآية : فيه وجوه : أوّلها أن يكون تعالى عنى بذلك صرفهم عن ثواب الله النظر في الآيات ، وعن العزّ والكرامة اللّذين يستحقّهما من أدّى الواجب عليه في آيات الله تعالى وأدلّته وتمسّك بها ، والآيات على هذا التأويل يحتمل أن تكون سائر الأدلّة ويحتمل أن تكون معجزات الأنبياء عليهم السلام خاصّة ، وهذا التأويل يطابقه الظاهر لأنّه تعالى قال : «ذلك بأنّهم كذّبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين» فبيّن أنّ صرفهم من الآيات يستحقّ بتكذيبهم ولا يليق ذلك إلّا بما ذكرناه .

وثانيها أن يصرفهم عن زيادة المعجزات الّتي يظهرها على الأنبياء بعد قيام الحجّة بما تقدّم من آياتهم ومعجزاتهم ، لأنّه تعالى إنّما يظهر هذا الضرب من المعجزات إذا علم أنّه يؤمن عنده من لم يؤمن بما تقدّم من الآيات فإذا علم خلاف ذلك لم يظهرها وصرف الّذين علم من حالهم أنّهم لا يؤمنون بها عنها ؛ ويكون الصرف على أحد وجهين : إمّا بأن لا يظهرها جملة ، أو بأن يصرفهم عن مشاهدتها ويظهرها بحيث ينتفع بها غيرهم .

و ثالثها : أن يكون معنى سأصرف عن آياتي أي لا اُوتيها من هذه صفته ، و إذا صرفهم عنها فقد صرفها عنهم ، وكلا اللّفظين يفيد معنى واحداً .

ورابعها : أن يكون المراد بالآيات العلامات الّتي يجعلها الله في قلوب المؤمنين ، ليدلّ بها الملائكة على الفرق بين المؤمن والكافر فيفعلوا بكلّ واحد منها ما يستحقّه من التعظيم أو الاستخفاف كما تأوّل أهل الحقّ الطبع والختم اللّذين ورد بهما القرآن على أنّ المراد بهما العلامة المميّزة بين الكافر والمؤمن ، و يكون معنى سأصرفهم عنها أي أعدل بهم عنها وأخصّ بها المؤمنين المصدّقين بآياتي وأنبيائي .

وخامسها : أن يريد تعالى : أنّي أصرف من رام المنع من أداء آياتي وتبليغها ، لأنّ من الواجب على الله أن يحول بين من رام ذلك و بينه ولا يمكن منه لأنّه ينقض الغرض في البعثة .

وسادسها : أن يكون الصرف هنا الحكم والتسمية والشهادة ، و معلوم أنّ من شهد على غيره بالانصراف عن شيء جاز أن يقال له : صرفه عنه ، كما يقال : أكفره و وكذّبه وفسّقه .

وسابعها : أنّه تعالى لمّا علم أنّ الّذين يتكبّرون في الأرض بغير الحقّ سينصرفون عن النظر في آياته و الإيمان بها إذا أظهرها على أيدي رسله جاز أن يقول : سأصرف عن آياتي فيريد سأُظهر ما ينصرفون بسوء اختيارهم عنه ، ويجري ذلك مجرى قولهم : سأبخل فلاناً أي أسأله ما يبخل ببذله ، والآيات إمّا المعجزات أو جميع الأدلّة .

وثامنها : أن يكون الصرف ههنا المنع من إبطال الآيات والحجج والقدح فيها بما يخرجها عن أن تكون أدلّة وحججاً ، فيكون تقدير الكلام : إنّي بما اُؤيّده من حججي و اُحكمه من آياتي و بيّناتي سأصرف المبطلين و المكذّبين عن القدح في الآيات والدلالات .

وتاسعها : أنّ الله عزّ وجلّ لمّا وعد موسى عليه السلام واُمّته لهلاك عدوّهم قال : سأصرف عن آياتي الّذين يتكبّرون في الأرض بغير الحقّ فأراد عزّ وجلّ أنّه يهلكهم ويصطلمهم ويحتاجهم على طريق العقوبة لهم ، بما قد كان منهم من التكذيب بآيات الله

تعالى والردّ لحججه، و هو تعالى إذا أهلك هؤلاء الجبّارين فقد صرفهم عن آياته من حيث اقتطعهم عن مشاهدتها والنظر فيها .

وفي قوله تعالى : «يتكبّرون في الأرض بغير الحقّ» وجهان : أحدهما أن يكون ذلك على سبيل التأكيد والتغليظ والبيان عن أنّ التكبّر لا يكون إلّا بغير الحقّ .

والثاني أنّ في التكبّر مايكون ممدوحاً لأنّ من تكبّر وتنزّه عن الفواحش و تباعد عن فعلها وتجنّب أهلها يكون مستحقّاً للمدح ، وإنّما التكبّر المذموم هو الواقع على وجه النخوة والبغي والاستطالة على ذوي الضعف ، والفخر عليهم والمباهات لهم .

ثمّ المراد بالغفلة في الآية التشبيه لا الحقيقة ، ووجه التشبيه أنّهم لمّا أعرضوا عن تأمّل آيات الله تعالى والانتفاع بها اشتبهت حالهم حال من كان ساهياً ، غافلاً عنها كما قال تعالى : «صمّ بكم عمي» على هذا المعنى . انتهى ملخّص كلامه رحمه الله و قد بسط الكلام فيها بما لامزيد عليه .

وقال رضي الله عنه في قوله تعالى : «يخرجهم من الظلمات إلى النور» : أمّا النور و الظلمة المذكوران في الآية فجائز أن يكون المراد بهما الإيمان والكفر ، وجائز أيضاً أن يراد بهما الجنّة والنار ، والثواب والعقاب ، وقد تصحّ الكناية عن الثواب و النعيم في الجنّة بأنّه نور ، وعن العقاب في النار بأنّه ظلمة ، وإذا كان المراد بهما الجنّة و النار ساغ إضافة إخراجهم من الظلمات إلى النور إليه تعالى لأنّه لا شبهة في أنّه جلّ وعزّ هو المدخل للمؤمن الجنّة ، والعادل به عن طريق النار ، والظاهر بما ذكرناه أشبه لأنّه يقتضي أنّ المؤمن الّذي ثبت كونه مؤمناً يخرج من الظلمة إلى النور ، فلو حمل على الإيمان والكفر لتناقض المعنى ، ولصار تقدير الكلام : أنّه يخرج المؤمن الّذي تقدّم كونه مؤمناً من الكفر إلى الإيمان ، وذلك لا يصحّ؛ على أنّا لو حملنا الكلام على الإيمان و الكفر لصحّ ولم يكن مقتضياً لما توهّموه ، ويكون وجه إضافة الإخراج إليه ـ وإن لم يكن الإيمان من فعله ـ من حيث دلّ وبيّن وأرشد ولطف وسهّل ، وقد علمنا أنّه لولا هذه الاُمور لم يخرج المكلّف من الكفر إلى الإيمان ، فتصحّ إضافة الإخراج إليه لكون ما عددناه من جهته ، وعلى هذا يصحّ من أحدنا إذا أشار على غيره

بدخول بلد من البلدان ورغّبه في ذلك وعرّفه ما فيه من الصلاح ، أو بمجانبة فعل من الأفعال أن يقول : أنا أدخلت فلاناً البلد الفلاني ، وأنا أخرجته من كذا وكذا ، ألا ترى أنّه تعالى قد أضاف إخراجهم من النور إلى الظلمات إلى الطواغيت ، وإن لم يدلّ ذلك على أنّ الطاغوت هو الفاعل للكفر للكفّار ، بل وجه الإضافة ما تقدّم لأنّ الشياطين يغوون ويدعون إلى الكفر ، ويزيّنون فعله ، فكيف اقتضت الإضافة الأُولى أنّ الإيمان من فعل الله في المؤمن ، ولم تقتض الإضافة الثانية أنّ الكفر من فعل الشياطين في الكفّار لولا بله المخالفين و غفلتهم ؟ وبعد فلو كان الأمر على ما ظنّوه لما صار الله وليّاً للمؤمنين وناصراً لهم على ما اقتضته الآية والإيمان من فعله لا من فعلهم ، ولما كان خاذلاً للكفّار ومضيفاً لولايتهم إلى الطاغوت والكفر من فعله بهم ؛ ولم فصّل بين الكافر والمؤمن في باب الولاية وهو المتولّي لفعل الأمرين فيهما ؟ ومثل هذا لا يذهب على أحد ولا يعرض عنه إلّا معاند مغالط لنفسه .

وقال رضي الله عنه في قوله تعالى : « ربّنا لا تزغ قلوبنا » فيه وجوه : أوّلها أن يكون المراد بالآية : ربّنا لا تشدد علينا المحنة في التكليف ولا تشقّ علينا فيه ، فيفضي بنا إلى ضيق قلوبنا بعد الهداية ، وليس يمتنع أن يضيفوا ما يقع من زيغ قلوبهم عند تشديده تعالى المحنة عليهم إليه ، كما قال تعالى في السورة : « إنّها زادتهم رجساً إلى رجسهم » .(١)

فإن قيل كيف يشدّد المحنة عليهم ؟ قلنا : بأن يقوى شهواتهم لما في عقولهم(٢) ونفورهم عن الواجب عليهم فيكون التكليف عليهم بذلك شاقّاً ، و الثواب المستحقّ عليهم عظيماً متضاعفاً ، وإنّما يحسن أن يجعله شاقّاً تعريضاً لهذه المنزلة .

وثانيها أن يكون ذلك دعاءاً بالتثبيت على الهداية ، وإمدادهم بالألطاف الّتي معها يستمرّون على الإيمان .

فإن قيل : وكيف يكون مزيغاً لقلوبهم بأن لا يفعل اللّطف ؟ قلنا : من حيث كان المعلوم أنّه متى قطع إمدادهم بألطافه وتوفيقاته زاغوا وانصرفوا عن الإيمان ، ويجري

---

(١) التوبة : ١٢٥ .

(٢) في الامالي المطبوع هكذا : بأن يقوى شهواتهم لما قبحه في عقولهم .

هذا مجرى قولهم : اللّهم لا تسلّط علينا من لايرحمنا معناه لاتخلّ بيننا وبين من لايرحمنا فيتسلّط علينا ، فكأنّهم قالوا : لاتخلّ بيننا وبين نفوسنا وتمنعنا ألطافك فنزيغ ونضلّ .

وثالثها ما ذكره الجبائيّ وهو أنّ المعنى لا تزغ قلوبنا عن ثوابك و رحمتك ، و معنى هذا السؤال أنّهم سألوا الله أن يلطف لهم في فعل الإيمان حتّى يقيموا عليه ولا يتركوه في مستقبل عمرهم فيستحقّوا بترك الإيمان أن تزيغ قلوبهم عن الثواب و أن يفعل بهم بدلاً منه العقاب .

ورابعها أن تكون الآية محمولة على الدعاء بأن لايزيغ القلوب عن اليقين والإيمان ولايقتضي ذلك أنّه تعالى سئل ما كان لايحبّ أن يفعله ، وما لولا المسألة لجاز فعله لأنّه غير ممتنع أن ندعوه على سبيل الانقطاع إليه و الافتقار إلى ما عنده ، بأن يفعل ما نعلم أنّه لابدّ من أن يفعله ، وبأن لايفعل ما نعلم أنّه واجب أن لا يفعله إذا تعلّق بذلك ضرب من المصلحة كما قال تعالى حاكياً عن إبراهيم : «ولا تخزني يوم يبعثون»(١) وكما قال تعالى في تعليمنا ما ندعو به : « قل ربّ احكم بالحقّ و ربّنا الرحمن » (٢) وكقوله تعالى : « ربّنا ولاتحمّلنا مالاطاقة لنابه » (٣).

وقال رضي الله عنه في قول نوح عليه السلام : « لاينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم » : ليس في هذه الآية مايقتضي خلاف مذهبنا لأنّه تعالى لم يقل : إنّه فعل الغواية أو أرادها ، وإنّما أخبر أنّ نصح النبيّ عليه السلام لاينفع إن كان الله يريد غوايتهم ، ووقوع الإرادة لذلك ، أوجواز وقوعها لادلالة عليهم في الظاهر ، على أنّ الغواية ههنا الخيبة و حرمان الثواب ، ويشهد بصحّة ما ذكرناه في هذه اللّفظة قول الشاعر :

فمن يلق خيراً يحمد الناس أمره ☆ و من يغو لايعدم على الغيّ لائماً

فكأنّه قال : إن كان الله يريد أن يخيّبكم و يعاقبكم بسوء عملكم و كفركم و يحرّمكم ثوابه فليس ينفعكم نصحي مادمتم مقيمين على ما أنتم عليه ، إلّا أن تقلعوا وتتوبوا

---

(١) الشعراء : ٨٧ . (٢) الانبياء : ١١٢ . (٣) البقرة : ٢٨٦ .

وقد سمّى الله تعالى العقاب غيّاً فقال : «فسوف يلقون غيّاً»[١] وما قبل هذه الآية يشهد لما ذكرناه ، و أنّ القوم استعجلوا عقاب الله تعالى فقالوا : « يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين قال إنّما يأتيكم به الله إن شاء وما أنتم بمعجزين ولا ينفعكم نصحي» الآية ، فأخبر أنّ نصحه لا ينفع من يريد الله أن ينزل به العذاب ، ولا يغني عنه شيئاً .

وقال جعفر بن حرب : إنّ الآية تتعلّق بأنّه كان في قوم نوح طائفة تقول بالجبر فنبّههم الله تعالى بهذا القول على فساد مذاهبهم ، وقال لهم على طريق الإنكار عليهم و التعجّب من قولهم : إن كان القول كما تقولون من أنّ الله يفعل فيكم الكفر و الفساد فما ينفعكم نصحي فلا تطلبوا منّي نصحاً فأنتم على قولكم لا تنتفعون به و هذا جيّد .

وروي عن الحسن في هذه الآية وجه صالح وهو أنّه قال : المعنى فيها : إن كان الله يريد أن يعذّبكم فليس ينفعكم نصحي عند نزول العذاب بكم و إن قبلتموه و آمنتم به ، لأنّ من حكم الله تعالى أن لا يقبل الإيمان عند نزول العذاب ، و كلّ هذا واضح في زوال الشبهة في الآية .

أقول : إنّما بسطنا الكلام فيما نقلناه عن الأفاضل الأعلام في تفسير تلك الآيات من كلام الملك العلّام لتحيط خبراً بما ذكره أهل العدل فيها لدفع شبه المخالفين ، و سنتلو عليك ماورد في تأويلها نقلاً عن أئمّة الدين صلوات الله و سلامه عليهم أجمعين ما تتخلّص به من شبه المبطلين .

١ ـ **كا** : عدّة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمّد ، عن ابن أبي نصر ، عن حمّاد بن عثمان عن أبي عبيدة الحذّاء قال : سألت أبا جعفر عليه السلام عن الاستطاعة وقول الناس ، فقال : ـ وتلا هذه الآية ولا يزالون مختلفين إلّا من رحم ربّك و لذلك خلقهم ـ يا أبا عبيدة الناس مختلفون في إصابة القول و كلّهم هالك ، قال : قلت : قوله : «إلّا من رحم ربّك» قال : هم شيعتنا ولرحمة خلقهم[٢] وهو قوله : «ولذلك خلقهم» يقول : لطاعة الإمام . «ج١ص٤٢٩»

---

(١) مريم : ٥٩ .

(٢) في المصدر : ولرحمته .م

عد : اعتقادنا في الفطرة والهداية أنّ الله عزّ وجلّ فطر جميع الخلق على التوحيد وذلك قوله عزّ وجلّ : فطرة الله الّتي فطر الناس عليها .

٢ ـ وقال : الصادق عليه السلام في قول الله عزّ و جلّ : « وما كان الله ليضلّ قوماً بعد إذ هديهم حتّى يبيّن لهم ما يتّقون » قال : حتّى يعرّفهم مايرضيه وما يسخطه .

٣ ـ وقال في قوله عزّ وجلّ : « فألهمها فجورها وتقويها » قال : بيّن لها ماتأتي وما تترك .[١]

٤ ـ وقال [٢] في قوله عزّ وجلّ : «إنّا هديناه السبيل إمّا شاكراً وإمّا كفوراً» قال : عرّفناه إمّا آخذاً وإمّا تاركاً .

٥ ـ وفي قوله عزّ وجلّ : « وأمّا ثمود فهديناهم فاستحبّوا العمى على الهدى» قال : وهم يعرفون .

٦ ـ وسئل [٣] عن قول الله عزّ و جلّ : « و هديناه النجدين » قال : نجد الخير ونجد الشرّ .

٧ ـ وقال عليه السلام : ما حجب الله علمه عن العباد فهو موضوع عنهم .

٨ ـ وقال عليه السلام : إنّ الله احتجّ على الناس بما آتاهم وعرّفهم . «ص٧٢»

٩ ـ ما : الحسين بن إبراهيم القزويني ، عن محمّد بن وهبان ،[٤] عن أحمد بن إبراهيم عن الحسن بن عليّ الزعفراني ، عن البرقيّ ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن هشام بن سالم ، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ : «و هديناه النجدين » قال : نجد الخير والشرّ .[٥] «ص٥٩»

---

(١) في المصدر : وماتترك من المعاصي . م

(٢) في المصدر : وقال تعالى : «إنا هديناه » الاية . م

(٣) في المصدر : وسئل عن الصادق عليه السلام . م

(٤) بفتح الواو وسكون الهاء ، ترجمه النجاشي في ص ٢٨٢ من رجاله وقال : إنه ثقة من أصحابنا ، واضح الرواية ، قليل التخليط ، له كتب إه .

(٥) النجد : المكان الغليظ الرفيع ، وقوله : «هديناه النجدين» مثل لطريقي الحق والباطل في الاعتقاد ، و الصدق و الكذب في المقال ، و الجميل و القبيح في الفعال ، قاله الراغب في المفردات .

١٠ - نهج : قال أمير المؤمنين عليه السلام : عرفت الله سبحانه بفسخ العزائم و حلّ العقود . (١)

١١ - فس : في رواية أبي الجارود ، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى : « قل أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم » يقول : أخذ الله منكم الهدى من إله غير الله يأتيكم به . « ص ١٨٨-١٨٩ »

١٢ - فس : في روايـة أبي الجـارود ، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله : « و نقلّب أفئدتهم و أبصارهم » يقول : و ننكس قلوبهم فيكون أسفل قلوبهم أعلاها و نعمي (٢) أبصارهم فلايبصرون الهدى . « ص ٢٠١ »

١٣ - فس : في رواية أبي الجارود ، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله : « لهم قلوب لا يفقهون بها » يقول (٣) : طبع الله عليها فلا تعقل « ولهم أعين » عليها غطاء عن الهدى « لايبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها » جعل في آذانهم وقراً فلم يسمعوا الهدى . « ص ٢٣١ » .

١٤ - فس : أحمد بن محمّد ، عن جعفر بن عبدالله ، عن كثير بن عيّاش ، عن أبي الجارود ، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله : « والّذين كذّبوا بآياتنا صمٌّ و بكم » يقول : صمٌّ عن الهدى ، وبكم لايتكلّمون بخير ، « في الظلمات » يعني ظلمات الكفر « من يشأ الله يضلله و من يشأ يجعله على صراط مستقيم » وهو ردٌّ على قدريّة هذه الاُمّة ، يحشرهم الله يوم القيامة مع الصابئين والنصارى والمجوس فيقولون : « والله ربّنا ما كنّا مشركين » يقول الله : « انظر كيف كذبوا على أنفسهم و ضلّ عنهم ما كانوا يفترون » قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : ألا إنّ لكلّ اُمّة مجوساً ، و مجوس هذه الاُمّة الّذين يقولون : لا قدر ، ويزعمون أنّ المشيّة والقدرة إليهم ولهم . « ص ١٨٦ »

---

(١) العزائم جمع العزيمة : الارادة المؤكدة . وفسخها نقضها . والعقود جمع العقد بمعنى النية تنعقد على فعل أمر ، وبهذا النقض والحل يعرف أن هناك قدرة سامية قاهرة فوق إرادة البشر ومشيئته تحول بين الانسان وإرادته ، وهي قدرة الله تعالى ، ولولاها لكان الانسان أمضى ما عزم ، وفعل ما عقد .

(٢) في المصدر : ويعمى ابصارهم . م

(٣) في المصدر : اى طبع الله . م

١٥- فس : محمد بن عبدالله ، عن موسى بن عمران ، عن النوفلي ، عن السكوني قال ، جاء رجل إلى أبي عبدالله جعفر بن محمد صلوات الله عليه و أنا عنده ، فقال : يا بن رسول الله «إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء و المنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون» وقوله : «أمر ربي أن لاتعبدوا إلا إياه» فقال : نعم ليس لله في عباده أمر إلا العدل والاحسان ، فالدعاء من الله عام ، والهدى خاص ، مثل قوله : «يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم» ولم يقل : ويهدي جميع من دعاه[1] إلى صراط مستقيم . «ص٣٦٤»

١٦ - لى : أبي ، عن علي بن محمد بن قتيبة ، عن حمدان بن سليمان ، عن نوح بن شعيب ، عن ابن بزيع ، عن صالح بن عقبة ، عن علقمة بن محمد الحضرمي ، عن الصادق جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : قال الله جل جلاله : عبادي كلكم ضال إلا من هديته ، وكلكم فقير إلا من أغنيته ، و كلكم مذنب إلا من عصمته . «ص ٦١»

١٧ - ب : ابن سعد ،[2] عن الأزدي ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إن الله تبارك و تعالى إذا أراد بعبد خيراً أخذ بعنقه فأدخله في هذا الأمر إدخالاً . «ص١٧»

١٨ - ب : اليقطيني ، عن نباتة بن محمد ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : سمعته يقول : إن الله تبارك وتعالى إذا أراد بعبد خيراً وكل به ملكاً فأخذ بعضده فأدخله [3] في هذا الأمر . ص٢١-٢٢

١٩ - ب : هارون ، عن ابن صدقة ، عن أبي عبدالله عليه السلام أنه قال : كونوا دعاة الناس بأعمالكم ، ولا تكونوا دعاة بألسنتكم ؛ فإن الأمر ليس حيث يذهب إليه الناس إنه من اخذ ميثاقه أنه منا فليس بخارج منا ولو ضربنا خيشومه بالسيف ، ومن لم يكن منا ثم حبونا[4] له الدنيا لم يحبنا . «ص٣٧-٣٨»

(١) في المصدر : جميع من دعا . م

(٢) لم نجد الحديث في المصدر بهذا السند ، وفيه : عنه ، عن بكر بن محمد ، عن أبي عبدالله عليه السلام . م

(٣) في نسخة من المصدر : فيدخله . م

(٤) الحبوة : العطية .

بيان: قوله عليه السلام: ليس حيث يذهب إليه الناس أي أنّهم يقدرون على هداية الناس بالاحتجاج عليهم، ولعلّ المقصود في تلك الأخبار زجر الشيعة عن المعارضات والمجادلات مع المخالفين بحيث يتضرّرون بها فإنّهم كانوا يبالغون في ذلك ظنّاً منهم أنّهم يقدرون بذلك على هداية الخلق، وليس الغرض منع الناس عن هداية الخلق في مقام يظنّون النفع ولم يكن مظنّة ضرر فإنّ ذلك من أعظم الواجبات.

٢٠ ـ ب: أحمد، عن البزنطيّ قال: قلت له: قول الله تبارك و تعالى «إنّ علينا للهدى» قال: الله[1] يهدي من يشاء، ويضلّ من يشاء؛ فقلت له: أصلحك الله إنّ قوماً من أصحابنا يزعمون أنّ المعرفة مكتسبة، و أنّهم إذا نظروا منه[2] وجه النظر أدركوا، فأنكر عليه السلام ذلك و قال: فما لهؤلاء القوم لا يكتسبون الخير لأنفسهم؛ ليس أحد من الناس إلّا وهو يحبّ أن يكون خيراً ممّن هو خير منه، هؤلاء بني هاشم موضعهم موضعهم، وقرابتهم قرابتهم، وهم أحقّ بهذا الأمر منكم، أفترون[3] أنّهم لا ينظرون لأنفسهم وقد عرفتم ولم يعرفوا؟! قال أبو جعفر عليه السلام: لو استطاع الناس لأحبّونا. «ص١٥٦ـ١٥٧»

٢١ ـ يد، مع: الورّاق والسناني،[4] عن ابن زكريّا القطّان، عن ابن حبيب عن ابن بهلول، عن أبيه، عن جعفر بن سليمان البصريّ، عن الهاشميّ قال: سألت أباعبدالله جعفر بن محمّد عليهما السلام عن قول الله عزّ وجلّ: «من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليّاً مرشداً» فقال: إنّ الله تبارك وتعالى يضلّ الظالمين يوم القيامة عن دار كرامته ويهدي أهل الإيمان والعمل الصالح إلى جنّته كما قال عزّ وجلّ: «ويضلّ الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء» وقال الله عزّ وجلّ: «إنّ الّذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربّهم بإيمانهم تجري من تحتهم الأنهار في جنّات النعيم» قال: فقلت: فقوله: «وما توفيقي إلّا بالله» وقوله عزّ وجلّ: «إن ينصركم الله فلا غالب لكم و إن يخذلكم فمن ذا الّذي

(١) في المصدر: فقلت له قول الله تبارك وتعالى: «ان علينا للهدى» قال: ان الله. م

(٢) في المصدر: إذا نظروا من وجه النظر. م

(٣) في المصدر: افترى. م

(٤) في التوحيد والمعاني: الوراق والسناني والدقاق قالوا: حدثنا القطان. م

ينصركم من بعده » ؟ فقال : إذا فعل العبد ما أمره الله عزّ وجلّ به من الطاعة كان فعله وفقاً لأمر الله عزّ وجلّ وسمّي العبد به موفّقاً ، وإذا أراد العبد أن يدخل في شيء من معاصي الله فحال الله تبارك وتعالى بينه وبين تلك المعصية فتركها كان تركه لها بتوفيق الله تعالى ، ومتى خلّي بينه وبين المعصية فلم يحل بينه وبينها حتّى يرتكبها فقد خذله ولم ينصره ولم يوفّقه . «ص٢٤٥ ـ ٢٤٦ ص ١١»

٢٢ ـ يد ، مع ، ن : ابن عبدوس ، عن ابن قتيبة ، عن حمدان بن سليمان قال : سألت أبا الحسن عليّ بن موسى الرضا عليه السلام [1] عن قول الله عزّ وجلّ : «فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام » قال : من يرد الله أن يهديه بإيمانه في الدنيا إلى جنّته و دار كرامته في الآخرة يشرح صدره للتسليم لله والثقة به والسكون إلى ماوعده من ثوابه حتّى يطمئنّ إليه ، ومن يرد أن يضلّه عن جنّته و دار كرامته في الآخرة لكفره به و عصيانه له في الدنيا يجعل صدره ضيّقاً حرجاً حتّى يشكّ في كفره و يضطرب من اعتقاده قلبه حتّى يصير كأنّما يصّعّد في السماء ، كذلك يجعل الله الرجس على الّذين لايؤمنون . « ص٢٢٤ ص ٤٧ ـ ٤٨ ص٥٧»

ج : مرسلاً عنه عليه السلام مثله . «ص٢٢٤»

٢٣ ـ مع : أبي ، عن سعد ، عن ابن عيسى ، عن الحسن بن فضّال ، عن ثعلبة ، عن زرارة ، عن عبدالخالق بن عبد ربّه ، عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله عزّ و جلّ : «ومن يرد أن يضلّه يجعل صدره ضيّقاً حرجاً» فقال : قد يكون ضيّقاً وله منفذ يسمع منه ويبصر ، والحرج هو الملتأم الّذي لا منفذ له يسمع به ولايبصر منه . «ص٤٧»

٢٤ ـ م ، ج : بالإسناد إلى أبي محمّد عليه السلام قال في قوله تعالى : «ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم» : أي وسمها بسمة [2] يعرفها من يشاء من ملائكته إذا نظروا إليها بأنّهم الّذين لايؤمنون ، وعلى سمعهم كذلك بسمات و على أبصارهم غشاوة ، و ذلك أنّهم لمّا أعرضوا عن النظر فيما كلّفوه و قصّروا فيما

---

(١) في التوحيد والمعاني : سألت اباالحسن على بن موسى الرضا عليه السلام بنيسابور . م

(٢) السمة كعدة : العلامة وأثر الكى ، والجمع سمات ، اى جعل له علامة يعرف بها من يشاء .

اُريد منهم وجهلوا مالزمهم الإيمان به فصاروا كمن على عينيه غطاء لا يبصر ما أمامه فإنّ الله عزّ وجلّ يتعالى عن العبث والفساد، وعن مطالبة العباد بما منعهم بالقهر منه، فلا يأمرهم بمغالبته ولا بالمصير إلى ماقد صدّهم عنه بالقسر عنه، [1] ثمّ قال: «ولهم عذاب عظيم» يعني في الآخرة العذاب المعدّ للكافرين، و في الدنيا أيضاً لمن يريد أن يستصلحه بماينزل به من عذاب الاستصلاح لينبّهه لطاعته، ومن عذاب الاصطلام [2] ليصيره إلى عدله وحكمته.

قال الطبرسيّ رحمه الله: وروى أبومحمّد العسكريّ عليه السلام مثل ما قال هو في تأويل هذه الآية من المراد بالختم على قلوب الكفّار عن الصادق عليه السلام بزيادة شرح لم نذكره مخافة التطويل لهذا الكتاب. «ص٢٥٣»

٢٥ ـ ن: تميم القرشيّ، عن أبيه، عن الأنصاريّ، عن الهرويّ قال: قال الرضا عليه السلام في قوله عزّ وجلّ: «وما كان لنفس أن تؤمن إلّا بإذن الله»: ليس ذلك على سبيل تحريم الإيمان عليها، ولكن على معنى أنّها ما كانت لتؤمن إلّا بإذن الله وإذنه أمره لها بالإيمان ما كانت مكلّفة متعبّدة، وإلجاؤه إيّاها إلى الإيمان عند زوال التكليف والتعبّد عنها.

٢٦ ـ ن: السنانيّ، عن محمّد الأسديّ، عن سهل، عن عبدالعظيم الحسنيّ، عن إبراهيم بن أبي محمود قال: سألت الرضا عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ «ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم» قال: الختم هو الطبع على قلوب الكفّار عقوبة على كفرهم كما قال تعالى: «بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلّا قليلاً». «ص٧٠»

٢٧ ـ فس: قوله: «وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيّئة يقولوا هذه من عندك قل كلّ من عند الله» يعني الحسنات والسيّئات، ثمّ قال في آخر الآية: «ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيّئة فمن نفسك» وقد اشتبه هذا على عدّة من العلماء فقالوا: يقول الله: وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله، و إن

(١) في المصدر: إلى ما قد صدهم بالقسر عنه. م

(٢) في المصدر: أو من عذاب الاصطلاح. م

تصبهم سيّئة يقولوا هذه من عندك ، قل كلّ من عندالله الحسنة والسيّئة . ثمّ قال في آخر الآية : «ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيّئة فمن نفسك » فكيف هذا وما معنى القولين ؟ .

فالجواب في ذلك من معنى القولين جميعاً عن الصادقين عليهم السلام أنّهم قالوا : الحسنات في كتاب الله على وجهين ، والسيّئات على وجهين ، فمن الحسنات الّتي ذكرها الله الصحّة والسلامة والأمن والسعة في الرزق وقد سمّاها الله حسنات «وإن تصبهم سيّئة » يعني بالسيّئة ههنا المرض والخوف والجوع والشدّة «يطّيّروا بموسى ومن معه » أي يتشاءموا به ، والوجه الثاني من الحسنات يعني به أفعال العباد وهو قوله : «من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها » ومثله كثير . وكذا السيّئات على وجهين فمن السيّئات الخوف والجوع والشدّة وهو ما ذكرناه في قوله : « وإن تصبهم سيّئة يطّيّروا بموسى ومن معه » وعقوبات الذنوب قد سمّاها الله السيّئات كقوله تعالى : «جزاء سيّئة سيّئة مثلها » .

والوجه الثاني من السيّئات يعني بها أفعال العباد الّذين يعاقبون عليها وهو قوله : «ومن جاء بالسيّئة فكبّت وجوههم في النار » وقوله : « ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيّئة فمن نفسك » يعني ما عملت من ذنوب فعوقبت عليها في الدنيا و الآخرة فمن نفسك بأعمالك لأنّ السّارق يقطع ، والزاني يجلد ويرجم ، والقاتل يقتل فقد سمّى الله العلل والخوف والشدّة وعقوبات الذنوب كلّها سيّئات ، فقال : « ما أصابك من سيّئة فمن نفسك » بأعمالك ، قوله : «قل كلٌّ من عند الله» يعني الصحّة والعافية والسعة والسيّئات الّتي هي عقوبات الذنوب من عند الله . «ص١٣٢ - ١٣٣»

بيان : لايخفى أنّ الظّاهر في الآية الاُولى من الحسنة النعمة كالخصب والظفر والأمن والفرح ، ومن السيّئة القحط والهزيمة والجوع والخوف ، ويحتمل بعيداً ماذكره عليّ بن إبراهيم من عقوبات الذنوب ؛ وفي الآية الثانية يحتمل أن يكون المراد بالحسنة الطاعة فإنّها بتوفيقه تعالى والنعمة فإنّها بأنواعها من فضله تعالى ، وبالسيّئة الذنوب فإنّها باختيارنا ؛ أو عقوباتها فإنّها بسبب أفعالنا ، ولاينافي ذلك كونها من الله ، إذ تقديرها وإلزامها وإيجابها من الله وفعل مايوجبها منّا ، ولعلّ كلام عليّ بن إبراهيم ناظر

إلى هذا ، أوالبلايا والمصائب فإنّها بسبب ذنوبنا الّتي نستحقّها بها ، ولا ينافي أيضاً كونهامن عندالله إذ أعمالنا أسباب لانزال الله تعالى إيّاها ، فالفاعل هوالله ونحن الأسباب ، ومنّا البواعث ، ويمكن حمل الآية أيضاً على الطاعات والمعاصي إذ المعاصي صادرة منّا بسلب توفيقه تعالى عنّا ، فيجوز نسبتها إليه تعالى أيضاً مجازاً و إن كنّا نحن بقبائح أعمالنا باعثين لسلب التوفيق أيضاً ، ولعلّه إنّما خصّ بعض الصور بالذكر لظهور البواقي .

٢٨ ـ يد : ابن الوليد ، عن ابن أبان ، عن الحسين بن سعيد ، عن ابن أبي عمير ، عن عبدالله الفرّاء ، عن محمّد بن مسلم ، ومحمّد بن مروان ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : ماعلم رسول الله صلى الله عليه وآله أنّ جبرئيل عليه السلام من قبل الله عزّ وجلّ إلّا بالتوفيق . «ص ٢٤٦ـ٢٤٧»

٢٩ ـ يد ، القطّان ، عن السكّريّ ، عن الجوهريّ ، عن ابن عمارة ، عن أبيه ، عن جابر الجعفيّ ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : سألته عن معنى لاحول ولا قوّة إلّا بالله فقال : معناه لاحول لنا عن معصية الله إلّا بعون الله ، ولا قوّة لنا على طاعة الله إلّا بتوفيق الله عزّ وجلّ . «ص ٢٤٧»

٣٠ ـ سن : محمّد بن إسماعيل ، عن أبي إسماعيل السرّاج ، عن ابن مسكان ، عن ثابت أبي سعيد قال : قال أبوعبدالله عليه السلام : ياثابت مالكم وللنّاس ؟ كفّوا عن الناس ولا تدعوا أحداً إلى أمركم ، فوالله لو أنّ أهل السماوات و أهل الأرضين اجتمعوا على أن يهدوا عبداً يريد الله ضلالته ما استطاعوا أن يهدوه ،[1] ولو أنّ أهل السماوات وأهل الأرضين اجتمعوا على أن يضلّوا عبداً يريدالله هداه ما استطاعوا أن يضلّوه ، كفّوا عن الناس ولايقل أحدكم : أخي وابن عمّي وجاري ، فإنّ الله إذا أراد بعبد خيراً طيّب روحه فلا يسمع معروفاً إلّا عرفه ، ولا منكراً إلّا أنكره ، ثمّ يقذف الله في قلبه كلمة يجمع بها أمره . «ص ٢٠٠»

سن : أبي ، عن عبدالله بن يحيى ، عن عبدالله بن مسكان ، عن ثابت مثله . «٢٠٠»

٣١ ـ سن : عبدالله بن يحيى ، عن هشام بن سالم ، عن سليمان بن خالد قال : قال لي أبوعبدالله عليه السلام يا سليمان إنّ لك قلباً ومسامع ، وإنّ الله إذا أراد أن يهدي عبداً

(١) في نسخة : على أن يهدوه .

فتح مسامع قلبه ، وإذا أراد به غير ذلك ختم مسامع قلبه فلا يصلح أبداً ؛ وهو قول الله عزّ وجلّ : « أم على قلوب أقفالها » . « ص٢٠٠ »

٣٢ ـ سن : القاسم بن محمّد وفضالة ، عن كليب بن معاوية الأسديّ قال : قال أبوعبدالله عليه السلام ما أنتم والناس ؟ إنّ الله إذا أراد بعبد خيراً نكت في قلبه نكتةً بيضاء فإذا هو يجول لذلك ويطلبه . «٢٠٠»

٣٣ ـ سن : فضالة ، عن القاسم بن يزيد [1] عن سليمان بن خالد قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : إذا أراد الله بعبد خيراً نكت في قلبه نكتةً بيضاء فجال القلب يطلب الحقّ ، ثمّ هو إلى أمركم أسرع من الطير إلى وكره [2] «ص٢٠١» .

٣٤ ـ سن : أبي ، عن فضالة ، عن أبي بصير ، عن خيثمة بن عبدالرحمن الجعفيّ قال : سمعت أباجعفر عليه السلام يقول : إنّ القلب ينقلب من لدن موضعه إلى حنجرته مالم يصب الحقّ ، فإذا أصاب الحقّ قرّ . ثمّ ضمّ أصابعه وقرأ هذه الآية :«فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضلّه يجعل صدره ضيّقاً حرجاً» . «ص ٢٠٢»

شي : عن خيثمة مثله . [3]

٣٥ ـ سن : حمّاد بن عيسى ، عن ربعيّ ، عن الفضيل ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : لاتدعوا إلى هذا الأمر فإنّ الله إذا أراد بعبد خيراً أخذ بعنقه فأدخله في هذا الأمر . « ص ٢٠٢» .

سن : يحيى بن إبراهيم بن أبي البلاد ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن أبي جعفر عليه السلام مثله . «ص ٢٠٢» .

٣٦ ـ سن : النضر ، عن يحيى الحلبيّ ، عن عمران قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : إنّ الله إذا أراد بعبد خيراً أخذ بعنقه فأدخله في هذا الأمر . « ص٢٠٢ »

---

(١) الموجود في نسخ الكتاب والمحاسن المطبوع : القاسم بن يزيد : والظاهر أنه مصحف القاسم بن بريد .

(٢) الوكر : عش الطائر وموضعه .

(٣) بضم الخاء المعجمة وسكون الياء المثناة وفتح الثاء المثلثة ، والميم والهاء .

سن : عليّ بن إسماعيل الميثميّ ، عن ربعيّ ، عن حذيفة بن منصور عن أبي عبدالله عليه السلام مثله «ص٢٠٢».

سن : صفوان ، عن العلاء ، عن محمّد ، عن أبي عبدالله عليه السلام مثله . «ص٢٠٢»

٣٧ ـ سن : صفوان ، عن محمّد بن مروان ، عن فضيل قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام ندعو الناس إلى هذا الأمر؟ فقال : لا يا فضيل ؛ إنّ الله إذا أراد بعبد خيراً وكل ملكاً[1] فأخذ بعنقه فأدخله في هذا الأمر طائعاً أو كارهاً . «ص٢٠٢»

٣٨ ـ سن : ابن أبي عمير ، عن أبي أيّوب ، عن معاذ بن كثير قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام : إنّي لا أسئلك إلّا عمّا يعنيني ،[2] إنّ لي أولاداً قد أدركوا فأدعوهم إلى شيء من هذا الأمر ؟ فقال : لا ، إنّ الإنسان إذا خلق علويّاً أو جعفريّاً يأخذ الله بناصيته حتّى يدخله في هذا الأمر . «ص٢٠٢»

٣٩ ـ سن : صفوان ، عن حذيفة بن منصور ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : كان أبي عليه السلام يقول : إذا أراد الله بعبد خيراً أخذ بعنقه فأدخله في هذا الأمر ، قال : و أومأ بيده إلى رأسه . «ص٢٠٣»

٤٠ ـ سن : حمّاد بن عيسى ، عن نباتة بن محمّد البصريّ قال : أدخلني ميسّر بن عبدالعزيز على أبي عبدالله عليه السلام وفي البيت نحو من أربعين رجلاً فجعل ميسّر يقول : جعلت فداك هذا فلان بن فلان من أهل بيت كذا وكذا حتّى انتهى إليّ فقال : إنّ هذا ليس في أهل بيته أحد يعرف هذا الأمر غيره ؛ فقال أبو عبدالله عليه السلام : إنّ الله إذا أراد بعبد خيراً وكّل به ملكاً فأخذ بعضده فأدخله في هذا الأمر . «ص٢٠٣»

٤١ ـ سن : عليّ بن الحكم ، عن هشام بن سالم ، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله تبارك و تعالى : «واعلموا أنّ الله يحول بين المرء وقلبه» فقال : يحول بينه وبين أن يعلم أنّ الباطل حقّ . «ص٢٣٧»

بيان : أي يهديه إلى الحقّ .

---

(١) في المصدر : امر ملكا . م

(٢) أى إلا عما يهمني .

وقال السيّد المرتضى رضي الله عنه في الغرر والدرر : فيه وجوه .

أوّلها أن يريد بذلك أنّه تعالى يحول بين المرء و بين الانتفاع بقلبه بالموت وهذا حثّ منه عزّ وجلّ على الطاعات و المبادرة لها قبل الفوت .

وثانيها أنّه يحول بين المرء وقلبه بإزالة عقله وإبطال تميزه وإن كان حيّاً ، وقد يقال لمن فقد عقله وسلب تمييزه : إنّه بغير قلب ، قال تعالى : «إنّ في ذلك لذكرى لمن كان له قلب».[1]

وثالثها أن يكون المعنى المبالغة في الإخبار عن قربه من عباده وعلمه بمايبطنون ويخفون وأنّ الضمائر المكنونة له ظاهرة ، والخفايا المستورة لعلمه بادية ، و يجري ذلك مجرى قوله تعالى : «ونحن أقرب إليه من حبل الوريد»[2] ونحن نعلم أنّه تعالى لم يرد قرب المسافة بل المعنى الّذي ذكرناه ، وإذا كان جلّ وعزّ هو أعلم بما في قلوبنا منّا وكان ما نعلمه أيضاً يجوز أن ننساه ونسهو عنه و نضلّ عن علمه ، وكلّ ذلك لا يجوز عليه جاز أن يقول أنّه يحول بيننا و بين قلوبنا لأنّه معلوم في الشاهد أن كلّ شيء يحول بين شيئين فهو أقرب إليهما ،[3] والعرب تضع كثيراً لفظة القرب على غير معنى المسافة ، فيقول : فلان أقرب إلى قلبي من فلان .

ورابعها ما أجاب به بعضهم من أنّ المؤمنين كانوا يفكّرون في كثرة عدوّهم وقلّة عددهم فيدخل قلوبهم الخوف فأعلمهم تعالى أنّه يحول بين المرء وقلبه بأن يبدّله بالخوف الأمن ، و يبدّل عدوّهم بظنّهم أنّهم قادرون عليهم الجبن والخور .[4]

ويمكن في الآية وجه خامس وهو أن يكون المراد أنّه تعالى يحول بين المرء و بين مايدعوه إليه قلبه من القبائح بالأمر والنهي والوعد و الوعيد انتهى .

أقول : يمكن أن تكون الحيلولة بالهدايات و الألطاف الخاصّة زائداً على

---

(١) ق : ٣٧ . (٢) ق : ١٦

(٣) في المصدر بعد ذلك : ولما أراد الله تعالى المبالغة في وصف القرب خاطبنا بما نعرف و نألف ؛ وإن كان القرب الذي عناه جلت عظمته لم يرد به المسافة اه .

(٤) الخور بالخاء والواو المفتوحتين : الضعف .

الأمر والنهي ، ويحتمل أن يكون مخصوصاً بالمقرّبين الّذين يملك الله قلوبهم ويستولي عليها بلطفه و يتصرّف فيها بأمره فلا يشاؤون شيئاً إلّا أن يشاءالله ، ولا يريدون إلّا ما أراداللّه ، فهو تعالى في كلّ آن يفيض على أرواحهم ، ويتصرّف في أبدانهم ، فهم ينظرون بنورالله ، و يبطشون بقوّة الله ، كما قال تعالى فيهم : فبي يسمع وبي يبصر ، وبي ينطق ، وبي يمشي ، وبي يبطش . وقال جلّ وعزّ : كنت سمعه و بصره ويده و رجله و لسانه . وسيأتي مزيد تحقيق لذلك في كتاب المكارم ، وقدمرّ الكلام في الآية في باب العلم .(١)

٤٢ - شي : عن ابن أبي يعفور قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : لبسوا عليهم لبس الله عليهم فإنّ الله يقول : «وللبسنا عليهم ما يلبسون ».

٤٣ - شي : عن عليّ بن عقبة ، عن أبيه قال : سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول : اجعلوا أمركم هذا لله ولا تجعلوا للناس ، فإنّه ما كان لله فهو لله ، وما كان للناس فلا يصعد إلى الله ولا تخاصموا الناس بدينكم فإنّ الخصومة ممرضة للقلب ، إنّ الله قال لنبيّه : يا محمّد إنّك لاتهدي من أحببت ولكنّ الله يهدي من يشاء ، و قال : أفأنت تكره الناس حتّى يكونوا مؤمنين . ذروا الناس فإنّ الناس أخذوا من الناس وإنّكم أخذتم من رسول الله و عليّ ولاسواء ، إنّي سمعت أبي عليه السلام وهو يقول : إنّ الله إذا كتب إلى عبد أن يدخل في هذا الأمر كان أسرع إليه من الطير إلى وكره .

٤٤ - شي : البزنطيّ ، عن الرضا عليه السلام قال : قال الله في قوم نوح : «ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم» قال : الأمر إلى الله يهدي ويضلّ .

٤٥ - شي : عن إسحاق بن عمّار قال : سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول : إنّ رسول

---

(١) لايخفى أن جميع ماذكر من هذه الوجوه إنما هوللفرار من نسبة فعل القبيح إليه تعالى فان الحيلولة والمكر والامر بالمعصية وبالجملة كل ماهو إضلال بوجه قبيح من الحكيم فلا ينسب إليه تعالى ؛ إلا أن ظاهر الكتاب أن جميع ذلك منه تعالى فيما نسب إليه من قبيل المجازاة على المعاصي قال تعالى : «وما يضل به إلا الفاسقين» وقال : «فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم» ولا يقبح الاضلال و كلّ ما يرجع إليه إذا كان بعنوان المجازاة كما لا يخفى . ط

الله صلى الله عليه وآله كان يدعو أصحابه فمن أراد الله به خيراً سمع وعرف مايدعوه إليه ، ومن أراد به شرّاً طبع على قلبه فلايسمع ولايعقل وهوقوله : «اُولئك الّذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم واُولئك هم الغافلون».

٤٦ ـ شي : عن حمران ، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله : «إذا أردنا أن نهلك قرية أمّرنا مترفيها» ـ مشدّدة منصوبة ـ تفسيرها : كثّرنا ؛ وقال : لاقرأتها مخفّفة .

بيان : قال الفيروزآباديّ : أمِر كفرح أمَراً وأمَرَةً ، كثر وتمّ فهو آمِر ، والأمر اشتدّ ، والرجل كثرت ماشيته ، وأمّره الله وأمره كنصره لغيّة كثّر ماشيته ونسله .

٤٧ ـ شي : عن حمران ، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله : «إذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها» قال : تفسيرها : أمرنا أكابرها .

٤٨ ـ تفسير النعمانيّ : بالإسناد الآتي في كتاب القرآن عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : الضّلاله على وجوه : فمنه محمود ، ومنه مذموم ، ومنه ماليس بمحمود ولامذموم ومنه ضلال النسيان ، فأمّا الضلال المحمود وهو المنسوب إلى الله تعالى كقوله : «يضلّ الله من يشاء» هوضلالهم عن طريق الجنّة بفعلهم ، والمذموم هوقوله تعالى : «وأضلّهم السامريّ» «وأضلّ فرعون قومه وماهدى» ومثل ذلك كثير ؛ وأمّا الضلال المنسوب إلى الأصنام فقوله في قصّة إبراهيم «و اجنبني وبنيّ أن نعبد الأصنام ربّ إنّهن أضللن كثيراً من النّاس» الآية ، والأصنام لايضللن أحداً على الحقيقة ، إنّما ضلّ الناس بها وكفروا حين عبدوها من دون الله عزّ وجلّ ، و أمّا الضلال الّذي هو النسيان فهو قوله تعالى : «أن تضلّ إحديهما فتذكّر إحديهما الاُخرى» وقد ذكر الله تعالى الضلال في مواضع من كتابه ، فمنهم ما نسبه إلى نبيّه على ظاهر اللّفظ كقوله سبحانه : «ووجدك ضالّاً فهدى» معناه وجدناك في قوم لايعرفون نبوّتك فهديناهم بك ؛ وأمّا الضلال المنسوب إلى الله تعالى الّذي هوضدّ الهدى والهدى هو البيان ، وهو معنى قوله سبحانه : «أولم يهد لهم» معناه : أولم اُبيّن لهم ، مثل قوله سبحانه : «فهديناهم فاستحبّوا العمى على الهدى» أي بيّنّا لهم ، وهو قوله تعالى : وما كان الله ليضلّ قوماً بعد إذ هديهم حتّى يبيّن لهم ما يتّقون .

وأمّا معنى الهدى فقوله عزّ وجلّ : «إنّما أنت منذر ولكلّ قوم هاد» ومعنى

الهادي المبيّن لما جاء به المنذر من عند الله ، وقد احتجّ قوم من المنافقين على الله تعالى «إنّ الله لا يستحيي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها » و ذلك أنّ الله تعالى لمّا أنزل على نبيّه «ولكلّ قوم هاد» قال طائفة من المنافقين «ماذا أراد الله بهذا مثلاً يضلّ به كثيراً» فأجابهم الله تعالى بقوله : «إنّ الله لا يستحيي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها » إلى قوله : «يضلّ به كثيراً ويهدي به كثيراً وما يضلّ به إلّا الفاسقين» فهذا معنى الضلال المنسوب إليه تعالى لأنّه أقام لهم الإمام الهادي لما جاء به المنذر فخالفوه و صرفوا عنه ، بعد أن أقرّوا بفرض طاعته ، ولمّا بيّن لهم ما يأخذون وما يذرون فخالفوه ضلّوا . هذا مع علمهم بما قاله النبيّ صلى الله عليه وآله ، وهو قوله : لا تصلّوا عليّ صلاةً مبتورةً[1] إذا صلّيتم عليّ بل صلّوا على أهل بيتي ولا تقطعوهم منّي فإنّ كلّ سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلّا سببي ونسبي . ولمّا خالفوا الله تعالى ضلّوا فأضلّوا فحذّر الله تعالى الاُمّة من اتّباعهم فقال سبحانه : «ولا تتّبعوا أهواء قوم قد ضلّوا من قبل وأضلّوا كثيراً وضلّوا عن سواء السبيل» والسبيل ههنا الوصيّ ، و قال سبحانه : « ولا تتّبعوا السُّبل فتفرّق بكم عن سبيله ذلكم وصيّكم به» الآية فخالفوا ما وصّيهم الله تعالى به واتّبعوا أهواءهم فحرّفوا دين الله جلّت عظمته وشرائعه ، وبدّلوا فرائضه وأحكامه وجميع ما اُمروا به ، كما عدلوا عمّن اُمروا بطاعته ، واُخذ عليهم العهد بموالاته ، واضطرّهم ذلك إلى استعمال الرأي والقياس فزادهم ذلك حيرةً والتباساً . ومنه قوله سبحانه : « و ليقول الّذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلاً كذلك يضلّ الله من يشاء» فكان تركهم اتّباع الدليل الّذي أقام لهم ضلالةً لهم فصار ذلك كأنّه منسوب إليه تعالى لمّا خالفوا أمره في اتّباع الإمام ، ثمّ افترقوا واختلفوا ولعن بعضهم بعضاً و استحلّ بعضهم دماء بعض ، فما ذا بعد الحقّ إلّا الضلال فأنّى تؤفكون . «ص١٧ـ٢٠»

٤٩ ـ **نهج** : قال عليه السلام ـ وقد سئل عن معنى قولهم : لا حول ولا قوّة إلّا بالله ـ :

---

(١) أي ناقصة .

إنّا لانملك مع الله شيئاً ولانملك إلّا ما ملّكنا ، فمتى ملّكنا ماهو أملك به منّا كلّفنا ، ومتى أخذه منّا وضع تكليفه عنّا.(١)

٥٠ - **كنز الكراجكي** : قال : قال الصادق عليه السلام : ما كلّ من نوى شيئاً قدر عليه ولا كلّ من قدر على شيء وفّق له ، ولا كلّ من وفّق لشيء أصاب له ، فإذا اجتمعت النيّة والقدرة والتوفيق والإصابة فهنالك تمّت السعادة .

﴿باب ٨﴾

﴿التمحيص والاستدراج والابتلاء و الاختبار﴾

الآيات ، آل عمران «٣» ولايحسبنّ الّذين كفروا أنّما نملي لهم خيرٌ لأنفسهم إنّما نملي لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذابٌ مهينٌ * ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتّى يميز الخبيث من الطيّب ١٧٨- ١٧٩ «و قال تعالى» : وليعلم الله الّذين آمنوا ويتّخذ منكم شهداء والله لايحبّ الظّالمين * وليمحّص الله الّذين آمنوا ويمحق الكافرين * أم حسبتم أن تدخلوا الجنّة ولمّا يعلم الله الّذين جاهدوا منكم ويعلم الصّابرين ١٣٨-١٤٢ «وقال تعالى» : وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحّص ما في قلوبكم ١٥٤ «وقال تعالى» : لتبلونّ في أموالكم وأنفسكم ١٨٦ .

المائدة «٥» وحسبوا أن لاتكون فتنةٌ ٧١ .

الأنعام «٦» و هو الّذي جعلكم خلائف الأرض و رفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتيكم ١٦٥ .

---

(١) حاصله أن اختيارنا وقوة تعاطينا الافعال و الامور إنما هومنه سبحانه ، وليس لنا في حد ذاتنا وهويّاتنا أمر واختيار دونه ، فنحن المالكون لها بالعرض وهوالمالك بالذات والحقيقة ، فبما أعطانا من القوة على الافعال والاعمال - وهي منه واختيارها بيده وقبضته عليها أشد من قبضتنا عليها - كلفنا وأوجب علينا أشياء ، وحرم اموراً ، ومتى أخذ هذه القوة والمقدرة عنا وضع تكليفه أيضاً عنا ، فالمغزى أنّ لافعالنا إسناداً إليه تعالى بما أقدرنا عليها وأمكنه روعنا عنها وأخذ القوة منا ، كما أن لها أيضا إسناداً إلينا ، بما أوجدناها و اخترنا فعلها على تركها ، فليس أجبرنا على أعمالنا بحيث لم تصح إسنادها إلينا ، ولا فوض أمرها إلينا بحيث لم تكن له مشيئة و أمر فيها .

الاعراف «٧» والّذين كذّبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لايعلمون ☆ واُملي لهم إنّ كيدي متين ١٨٢-١٨٣ .

الانفال «٨» واتّقوا فتنة لاتصيبنّ الّذين ظلموا منكم خاصّة ٢٥ «وقال تعالى» : واعلموا أنّما أموالكم وأولادكم فتنةٌ ٢٨ .

التوبة «٩» أم حسبتم أن تتركوا ولمّا يعلم الله الّذين جاهدوا منكم ولم يتّخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجةً والله خبيرٌ بما تعملون ١٦ «وقال الله تعالى» : أولا يرون أنّهم يفتنون في كلّ عام مرّة أو مرّتين ثمّ لا يتوبون ولاهم يذّكّرون ١٢٦ .

هود «١١» ليبلوكم أيّكم أحسن عملاً ٧ .

الكهف «١٨» إنّا جعلنا ماعلى الأرض زينةً لها لنبلوهم أيّهم أحسن عملاً ٧ .

طه «٢٠» وفتنّاك فتوناً ٤٠ «وقال تعالى» : قال فإنّا قدفتنّا قومك من بعدك وأضلّهم السامريّ ٨٥ «إلى قوله» : ياقوم إنّما فتنتم به ٩٠ «وقال تعالى» : لنفتنهم فيه ١٣١ .

الانبياء «٢١» ونبلوكم بالشرّ والخير فتنةً وإلينا ترجعون ٣٥ «وقال» : وإن أدري لعلّه فتنةٌ لكم ومتاعٌ إلى حين ١١١ .

الحج «٢٢» ليجعل مايلقي الشيطان فتنةً للّذين في قلوبهم مرضٌ ٥٣ .

الفرقان «٢٥» وجعلنا بعضكم لبعض فتنةً أتصبرون وكان ربّك بصيراً ٢٠ .

النمل «٢٧» بل أنتم قوم تفتنون ٤٧ .

العنكبوت «٢٩» الم أحسب النّاس أن يتركوا أن يقولوا آمنّا وهم لا يفتنون ☆ ولقد فتنّا الّذين من قبلهم فليعلمنّ الله الّذين صدقوا وليعلمنّ الكاذبين ٢-٣ .

الاحزاب «٣٣» هنالك ابتلي المؤمنون و زلزلوا زلزالاً شديداً ١١ .

الصافات «٣٧» إنّ هذا لهو البلاء المبين ١٠٦ .

ص «٣٨» ولقد فتنّا سليمن وألقينا على كرسيّه جسداً ثمّ أناب ٣٤ .

الزمر «٣٩» فإذا مسّ الإنسان ضرٌّ دعانا ثمّ إذا خوّلناه نعمةً منّا قال إنّما اُوتيته على علم بل هي فتنةٌ ولكنّ أكثرهم لايعلمون ٤٩ .

المؤمن «٤٠» فلايغررك تقلّبهم في البلاد ٤ .

الدخان «٤٤» ولقد فتنّا قبلهم قوم فرعون ١٧ «وقال تعالى» : و آتيناهم من الآيات مافيه بلاءٌ مبينٌ ٣٣ .

محمد «٤٧» ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض ٤ «وقال تعالى» : ولنبلونّكم حتّى نعلم المجاهدين منكم والصّابرين ونبلو أخباركم ٣١ .

القمر «٥٤» إنّا مرسلوا النّاقة فتنةً لهم ٢٧ .

الممتحنة «٦٠» ربّنا لاتجعلنا فتنةً للّذين كفروا ٥ .

الملك «٦٧» الّذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيّكم أحسن عملاً ٣ .

القلم «٦٨» إنّا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنّة إذ أقسموا ليصر منّها مصبحين ١٧ «وقال تعالى» : فذرني ومن يكذّب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لايعلمون ✿ وأُملي لهم إنّ كيدي متينٌ ٤٤ ـ ٤٥ .

الجن «٧٢» لنفتنهم فيه ١٧ .

المدثر «٧٤» وما جعلنا عدّتهم إلّا فتنةً للّذين كفروا ٣١ .

الطارق «٦٨» إنّهم يكيدون كيداً ✿ وأكيد كيداً ١٥ـ ١٦ .

تفسير : قال الطبرسيّ رحمه الله في قوله تعالى : «وليعلم الله الّذين آمنوا» أي يعلمهم متميّزين بالإيمان ، وإذا كان الله تعالى يعلمهم قبل إظهارهم الإيمان كما يعلمهم بعده فإنّما يعلم قبل الإظهار أنّهم سيتميّزون فإذا أظهروه علمهم متميّزين ، ويكون التغيّر حاصلاً في المعلوم لا في العالم ، كما أنّ أحدنا يعلم الغد قبل مجيئه على معنى أنّه سيجيء ، فإذا جاء علمه جائياً وعلمه يوماً لاغداً وإذا انقضى فإنّما يعلمه أمس لايوماً ولاغداً ، ويكون التغيير واقعاً في المعلوم لا في العالم . وقيل : معناه : وليعلم أولياء الله ، وإنّما أضاف إلى نفسه تفخيماً . وقيل : معناه : وليظهر المعلوم من صبر من يصبر ، وجزع من يجزع ، وإيمان من يؤمن . وقيل : ليظهر المعلوم من النفاق والإخلاص ، ومعناه : ليعلم الله المؤمن من المنافق فاستغنى بذكر أحدهما عن الآخر . «ويتّخذ منكم شهداء» أي ليكرم بالشهادة من قتل يوم أُحد ، أو يتّخذ منكم شهوداً على النّاس بما يكون منهم من العصيان ؛ وأصل التمحيص التخليص ، والمحق : إفناء الشيء حالاً بعد حال أي ليبتلي الله الّذين آمنوا وليخلّصهم

من الذنوب أو ينحّيهم من الذنوب بالابتلاء ، ويهلك الكافرين بالذنوب عند الابتلاء . وقال : «وليبتلي الله ما في صدوركم » أي ليختبر ما فيها بأعمالكم لأنّه قد علمه غيباً فيعلمه شهادة لأنّ المجازات إنّما تقع على ما يعلمه مشاهدة . وقيل : معناه ليعاملكم معاملة المختبرين « وليمحّص ما في قلوبكم » أي ليكشفه و يميّزه ، أو يخلّصه من الوساوس ، وقال : «لتبلونّ» أي لتوقع عليكم المحن وتلحقكم الشدائد في أموالكم بذهابها و نقصانها ، وفي أنفسكم أيّها المؤمنون بالقتل و المصائب .

وقال البيضاويّ «أم حسبتم » خطاب للمؤمنين حين كره بعضهم القتال ؛ أو المنافقين «أن تتركوا » ولم يتبيّن الخلّص منكم وهم الّذين جاهدوا من غيرهم ، نفي العلم و إرادة نفي المعلوم للمبالغة فإنّه كالبرهان عليه من حيث إنّ تعلّق العلم به مستلزم لوقوعه « وليجة» : بطانة يوالونهم ويفشون إليهم أسرارهم .

وقال : في قوله تعالى : « يفتنون» أي يبتلون بأصناف البليّات ، أو بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وآله فيعاينون مايظهر عليه من الآيات .

وقال الطبرسيّ رحمه الله في قوله تعالى «وفتنّاك فتوناً» أي اختبرناك اختباراً ؛ و في قوله تعالى : «فإنّا قد فتنّا قومك» أي امتحنّاهم وشدّدنا عليهم التكليف بما حدث فيهم من أمر العجل ، فألزمناهم عند ذلك النظر ليعلموا أنّه ليس بإله ، فأضاف الضلال إلى السامريّ والفتنة إلى نفسه .

وفي قوله تعالى : «ونبلوكم بالشرّ والخير» أي نعاملكم معاملة المختبر بالفقر و الغنى ، وبالضرّاء والسرّاء ، وبالشدّة والرخاء .

وروي عن أبي عبدالله عليه السلام أنّ أمير المؤمنين عليه السلام مرض فعاده إخوانه فقال كيف نجدك يا أمير المؤمنين ؟ قال : بشرّ ، قالوا : ماهذا كلام مثلك ! فقال : إنّ الله يقول «ونبلوكم بالشرّ والخير فتنة» فالخير : الصحّة والغنى ، والشرّ : المرض والفقر « فتنة » أي ابتلاءً واختباراً وشدّة تعبّد .

وقال : في قوله تعالى : «إن أدري لعلّه» أي ما اذنتكم به اختبار لكم و شدّة تكليف ليظهر صنيعكم : وقيل : هذه الدنيا فتنة لكم ؛ و قيل : تأخير العذاب محنة و

اختبارلكم لترجعوا عمّا أنتم عليه « ومتاع إلىحين » أي تتمتّعون به إلى وقت انقضاء آجالكم .

وقال : في قوله تعالى : «وجعلنا بعضكم لبعضفتنة » أي امتحاناً و ابتلاءاً ، وهو افتنان الفقير بالغنيّ ، يقول : لوشاءالله لجعلني مثله غنيّاً ، و الأعمى با لبصير ،والسقيم بالصحيح .

وقال : في قولهتعالى: « وهملايفتنون » أي أظنّ الناسأن يقنع منهم بأنيقولوا : إنّا مؤمنون فقط ، ويقتصرمنهمعلىهذا القدر ، ولايمتحون بما يتبيّن بهحقيقةإيمانهم ؟ هذا لايكون .

وقيل : معنىيفتنون يبتلون في أنفسهم وأموالهم وهوالمرويّعن أبيعبدالله عليه السلام ويكون المعنى : ولايشدّد عليهم التكليف والتعبّد ولا يؤمرون ولاينهون .

وقيل : معناه ولايصابون بشدائدالدنياومصائبها أي أنّها لاتندفعبقولهم : آمنّا. وقالالحسن : معناه أحسبوا أن يتركوا أن يقولوا : لاإله إلّاالله و لايختبروا أصدقوا أم كذبوا ؟ يعني أنّمجرّد الإقرار لايكفي . والأولىحمله علىالجميع ، إذلاتنافيفإنّ المؤمن يكلّف بعدالإيمان بالشرايع ، ويمتحن في النفس والمال ، و يمنى بالشدائد و الهموم و المكاره ، فينبغي ان يوطّن نفسه على هذه الفتنة ليكون الأمر أيسر عليه إذا نزل به .

وقال في قوله تعالى : «على علم» أي إنّما اُوتيته بعلمي وجلدي وحيلتي . أوعلى خير علمهالله عندي ، أو على علم يرضاه عنّي ، فلذلك آتاني ما آتاني من النعم ؛ ثمّ قال : ليس الأمرعلى ما يقولون ، بل هي فتنة أي بليّة و اختبار يبتليه الله بها ، فيظهر كيف شكره أوصبره فيمقابلتهافيجازيه بحسبها .

وقيل : معناه : هذه النعمة فتنةٌ ، أي عذابٌ لهم إذا أضافوها إلىأنفسهم ، وقيل : معناه : هذه المقالة الّتي قالوها فتنة لهم لأنّهم يعاقبون عليها . وقال : فيقوله تعالى : «سنستدرجهم من حيث لا يعلمون» أي إلى الهلكة حتّى يقعوا فيه بغتةً.

و قيل : يجوزأن يريدعذابالآخرة أي نقرّبهم إليهدرجةدرجة حتّى يقعوافيه .

وقيل : هو من المدرجة وهي الطريق ، و درج : إذا مشى سريعاً ، أي سنأخذهم من حيث لايعلمون أيّ طريق سلكوا ؟ فإنّ الطّريق كلّها إليّ ومرجع الجميع إليّ ، ولا يغلبني غالب ولا يسبقني سابق ولايفوتني هارب .

وقيل : إنّه من الدرج ، أي سنطويهم في الهلاك و نرفعهم عن وجه الأرض ، يقال طويت فلاناً وطويت أمر فلان : إذا تركته وهجرته . وقيل : معناه : كلّما جدّدوا خطيئة جدّدنا لهم نعمة .

وروي عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال : إذا أحدث العبد ذنباً جدّد له نعمة فيدع الاستغفار فهو الاستدراج . ولا يصحّ قول من قال : إنّ معناه يستدرجهم إلى الكفر و الضلال ، لأنّ الآية وردت في الكفّار و تضمّنت أنّه يستدرجهم في المستقبل ، فإنّ السين يختصّ المستقبل ، ولأنّه جعل الاستدراج جزاءاً على كفرهم وعقوبةً فلا بدّ أن يريد معنىً آخر غير الكفر .(١)

وقوله : «وأُملي لهم» معناه وأُمهلهم ولا أُعاجلهم بالعقوبة ، فإنّهم لايفوتوني ولا يفوتني عذابهم «إنّ كيدي متين» أي عذابي قويّ منيع لايدفعه دافع ، و سمّاه كيداً لنزوله بهم من حيث لا يشعرون . و قيل : أراد أنّ جزاء كيدهم متين ، و قال : «إنّهم يكيدون كيداً» أي يحتالون في الإيقاع بك وبمن معك ، ويريدون إطفاء نورك «وأكيد كيداً» أي أُريد أمراً آخر على ضدّ مايريدون ، وأُدبّر ماينقض تدابيرهم ، فسمّاه كيداً من حيث يخفى عليهم .(٢)

---

(١) فيه ان الكفر كالايمان ذو مراتب قال تعالى : «ثم كفروا ثم ازدادوا كفراً» الاية فالمعنى : ان الله يخرجهم من كفر إلى كفر هو أشد منه ، وماذكره في الرواية لاينافيه . ط

(٢) النهج : قال عليه السلام : لايقولن أحدكم : اللهم أعوذ بك من الفتنة ، لانه ليس أحد إلا وهو مشتمل على فتنة ، ولكن من استعاذ فليستعذ من مضلات الفتن ، فان الله سبحانه يقول : «واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة» ومعنى ذلك أنه يختبرهم بالاموال والاولاد ليتبين الساخط لرزقه ، والراضي بقسمه ، وإن كان سبحانه أعلم بهم من أنفسهم ، ولكن لتظهر الافعال التي بها يستحق الثواب والعقاب ، لان بعضهم يحب الذكور ويكره الاناث ، وبعضهم يحب تثمير المال ويكره انثلام الحال . قال الرضي : وهذا من غريب ما سمع منه في التفسير .

١ - شي : عن الوشّاء بإسناده يرسله إلى أبي عبدالله عليه السلام قال : والله لتمحّصن و الله لتميّزنّ ، و الله لتغربلنّ حتّى لايبقى منكم إلّا الأندر ؛ قلت : وما الأندر قال : البيدر ، وهو أن يدخل الرجل قبّة [1] الطعام يطين عليه ثم يخرجه ، وقد تأكّل بعضه فلا يزال ينقّيه ، ثمّ يكنّ عليه يخرجه حتّى يفعل ذلك ثلاث مرّات حتّى يبقى ما لايضرّه شيء .

بيان : قال الفيروزآباديّ : الأندر : البيدر ، أو كدس القمح .

٢ - شي : عن زرارة ، وحمران ، ومحمّد بن مسلم ، عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام عن قوله : «ربّنا لاتجعلنا فتنة للقوم الظالمين» قال : لاتسلّطهم علينا فتفتنهم بنا .

٣ - كش : خلف بن حمّاد ، عن سهل بن زياد ، عن عليّ بن أسباط ، عن الحسين ابن الحسن قال : قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام : إنّي تركت ابن قياما [2] من أعدى خلق الله لك ؛ قال : ذلك شرّ له ؛ قلت : ما أعجب ما أسمع منك جعلت فداك ! قال : أعجب من ذلك إبليس ، كان في جوار الله عزّ وجلّ في القرب منه فأمره فأبى وتعزّز وكان من الكافرين ، فأملى الله له ، والله ما عذّب الله بشيء أشدّ من الإملاء ، والله ياحسين ماعذّبهم الله بشيء أشدّ من الإملاء . [3]

٤ - يد : أبي ، عن أحمد بن إدريس ، عن الأشعري ، عن محمّد بن السنديّ ، عن عليّ ابن الحكم ، عن هشام بن سالم ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : ما من قبض ولا بسط إلّا ولله فيه المنّ أو الابتلاء . [4] «ص ٣٦٤ - ٣٦٥»

٥ - يد : أبي ، عن عليّ بن إبراهيم ، عن اليقطينيّ ، عن يونس ، عن الطيّار ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : مامن قبض ولا بسط إلّا ولله فيه مشيّة و قضاء و ابتلاء . «ص ٣٦٥»

سن : أبي عن يونس مثله . «ص ٢٧٩»

---

(١) في نسخة : بيته .

(٢) هو الحسين بن قياما الواقفي ، كان يجحد أبا الحسن الرضا عليه السلام .

(٣) الاملاء : الامهال وعدم التعجيل في العقوبة .

(٤) في نسخة : والابتلاء .

بيان : لعلّ القبض والبسط في الأرزاق بالتوسيع والتقتير ، وفي النفوس بالسرور والحزن ، وفي الأبدان بالصحّة والألم ، وفي الأعمال بتوفيق الإقبال إليه وعدمه ، وفي الأخلاق بالتحلية وعدمها ، وفي الدعاء بالإجابة له وعدمها ، وفي الأحكام بالرخصة في بعضها والنهي عن بعضها .

٦ - يد : أبي ، عن سعد ، عن البرقيّ ، عن أبيه ، عن فضالة ، عن الطيّار ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال له : ليس شيء فيه قبض أو بسط ممّا أمر الله به أو نهى عنه إلّا وفيه من الله ابتلاء وقضاء . «ص٣٦٥»

٧ - سن : ابن فضّال ، عن عبد الأعلى بن أعين ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : ليس للعبد قبض ولا بسط ممّا أمر الله به أو نهى الله عنه إلّا ومن الله فيه ابتلاء . «ص ٢٧٩»

٨ - سن : محمّد بن سنان ، عن ابن مسكان ، وإسحاق بن عمّار معاً ، عن عبيدالله بن الوليد الوصّافيّ ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : إنّ فيما ناجى الله به موسى عليه السلام أن قال : ياربّ هذا السامريّ صنع العجل الخوار من صنعه ! فأوحى الله تبارك وتعالى إليه : أنّ تلك فتنتي فلا تفصحنّ عنها . «ص٢٨٤»

بيان : أي لا تظهرنّها لأحد فإنّ عقولهم قاصرة عن فهمها .

٩ - كا : عدّة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمّد ، عن عليّ بن الحكم ، عن عبدالله بن جندب ،[1] عن سفيان بن السمط قال : قال أبوعبدالله عليه السلام : إنّ الله إذا أراد بعبد خيراً فأذنب ذنباً أتبعه بنقمة ويذكره الاستغفار ، وإذا أراد بعبد شرّاً فأذنب ذنباً أتبعه بنعمة لينسيه الاستغفار ويتمادى بها ، وهو قول الله عزّ وجلّ : «سنستدرجهم من حيث لا يعلمون» بالنعم عند المعاصي . «ج ٢ ص ٤٥٢»

١٠ - كا : عدّة من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ، وعليّ بن إبراهيم ، عن أبيه

(١) بضم الجيم وسكون النون و فتح الدال بعدها باء موحدة ، هو عبدالله بن جندب البجلي الكوفي ، عربي ثقة ، كان وكيلا لابي إبراهيم و أبي الحسن الرضا عليهما السلام ، و كان عابداً ، رفيع المنزلة لديهما ؛ وقال فيه أبوالحسن الرضا عليه السلام : إن عبدالله بن جندب لمن المخبتين .

جميعاً عن ابن محبوب ، عن ابن رئاب ، عن بعض أصحابه قال : سئل أبو عبدالله عليه السلام عن الاستدراج ، قال : هو العبد يذنب الذنب فيملي له ويجدّد له عنده النعم فيلهيه عن الاستغفار من الذنوب فهو مستدرج من حيث لا يعلم . «ج٢ص٤٥٢»

١١ ـ كا : محمّد بن يحيى ، عن أحمد بن محمّد ، عن محمّد بن سنان ، عن عمّار بن مروان عن سماعة قال : سألت أباعبدالله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ : « سنستدرجهم من حيث لا يعلمون » قال : هو العبد يذنب الذنب فيجدّد له النعمة معه تلهيه تلك النعمة عن الاستغفار من ذلك الذنب . « ج ٢ ص ٤٥٢»

١٢ ـ كا : عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن محبوب ، عن يعقوب السرّاج ، وعليّ بن رئاب ، عن أبي عبدالله عليه السلام إنّ أمير المؤمنين صلوات الله عليه لمّا بويع بعد مقتل عثمان صعد المنبر وخطب بخطبة ذكرها يقول فيها : ألا إنّ بليّتكم قد عادت كهيئتها يوم بعث الله نبيّه صلّى الله عليه وآله ، والّذي بعثه بالحقّ لتبلبلنّ بلبلة ، و لتغربلنّ غربلة حتّى يعود أسفلكم أعلاكم ، وأعلاكم أسفلكم ، وليسبقنّ سبّاقون كانوا قصّروا ، وليقصرنّ سبّاقون كانوا سبقوا ، والله ماكتمت وسمة ، ولا كذبت كذبة ، ولقد نبّئت بهذا المقام وهذا اليوم . « ج ١ ص٣٦٩ »

بيان : لتبلبلنّ أي لتخلطنّ من تبلبلت الألسن أي اختلطت ، او من البلابل و هي الهموم والأحزان ووسوسة الصدر . ولتغربلنّ يجوز أن يكون من الغربال الّذي يغربل به الدقيق ، و يجوز أن يكون من غربلت اللّحم أي قطعته فعلى الأوّل يحتمل معنيين : أحدهما الاختلاط كما أنّ في غربلة الدقيق يختلط بعضه ببعض ؛ و الثاني أن يريد بذلك أن يستخلص الصالح منكم من الفاسد و يتميّز ، كما يمتاز الدقيق عند الغربلة من النخالة .

قوله عليه السلام : حتّى يعود أسفلكم أعلاكم أي يصير عزيزكم ذليلاً وذليلكم عزيزاً أو صالحكم فاجراً وفاجركم صالحاً ، ومؤمنكم كافراً و كافركم مؤمناً . وفي النهج : لتساطنّ سوط القدر حتّى يعود . وهو أظهر ، يقال : ساط القدر : إذا قلب مافيها من طعام بالمسوط وأداره ؛ والمسوط : خشبة يحرّك بها مافيها ليخلط .

قوله عليه السلام: وليسبقنّ سبّاقون يعني عليه السلام به قوماً قصّروا في أوّل الأمر في نصرته ثمّ نصروه في ذلك الوقت، و بالفقرة الثانية قوماً سعوا إلى بيعته و بادروا إلى نصرته في أوّل الأمر ثمّ خذلوه ونكثوا بيعته كطلحة والزبير.

قوله عليه السلام: ماكتمت وسمة، و في بعض النسخ بالشين المعجمة وهو الأظهر، قال الجزريّ: في حديث عليّ: والله ماكتمت وشمة، أي كلمة وفي بعض النسخ بالسين المهملة فهو بمعنى العلامة أي ماسترت علامة تدلّ على سبيل الحقّ ولكن عميتم عنها، ولا يخفى لطف انضمام الكتم بالوسمة، إذ الكتم بالتحريك نبت يخلط بالوسمة يختضب به.

١٣ ـ كا: محمّد بن يحيى، و الحسن بن محمّد، عن جعفر بن محمّد، عن القاسم بن إسماعيل الأنباريّ، عن الحسين بن عليّ،[1] عن أبي المغرا،[2] عن ابن أبي يعفور قال: سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول: ويل لطغاة العرب من أمر قد اقترب! قلت: جعلت فداك كم مع القائم من العرب؟ قال: نفر يسير! قلت: والله إنّ من يصف هذا الأمر منهم لكثير قال لابدّ للناس من أن يمحّصوا ويميّزوا ويغربلوا ويستخرج في الغربال خلق كثير. «ج١ ص ٣٦٩ ـ ٣٧٠»

١٤ ـ كا: عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد، عن معمّر بن خلّاد قال: سمعت أباالحسن عليه السلام يقول: «الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنّا وهم لا يفتنون» ثمّ قال لي: ما الفتنة؟ قلت: جعلت فداك الّذي عندنا الفتنة في الدين، فقال: يفتنون كما يفتن الذهب، ثمّ قال: يخلّصون كما يخلّص الذهب. «ج ١ص ٣٧٠»

١٥ ـ كا: محمّد بن الحسن وعليّ بن محمّد، عن سهل بن زياد، عن محمّد بن سنان، عن محمّد بن منصور الصيقل، عن أبيه قال: كنت أنا والحارث بن المغيرة وجماعة من أصحابنا جلوساً وأبو عبدالله عليه السلام يسمع كلامنا فقال لنا في أيّ شيء أنتم؟! هيهات! هيهات! لا والله

---

(١) في نسخة: الحسن بن علي.

(٢) بكسر الميم، وسكون الغين، وفتح الزاي بعدها الالف، وهو المحكي عن إيضاح الاشتباه، وممدوداً كما عن الداماد، أو بضم الميم و سكون الغين المعجمة، وفتح الراء المهملة والمد كما عن الخليل وعن الوحيد في تعليقاته.

لايكون ما تمدّون إليه أعينكم حتّى تغربلوا ! لاوالله لايكون ما تمدّون إليه أعينكم حتّى تمحّصوا ! لا والله لايكون ماتمدّون إليه أعينكم حتّى تميّزوا ! لاوالله لايكون ما تمدّون إليه أعينكم إلّا بعد أياس ! لاوالله ما يكون ما تمدّون إليه أعينكم حتّى يشقى من يشقى ويسعد من يسعد . » ج ١ ص ٣٧٠ـ٣٧١ »

١٦ ـ **نهج** : أيّها الناس إنّ الله تعالى قد أعاذكم من أن يجور عليكم ولم يعذكم من أن يبتليكم ، وقد قال جلّ من قائل : «إنّ في ذلك لآيات وإن كنّا لمبتلين » .

١٧ ـ **نهج** : قال عليه السلام : كم من مستدرج بالإحسان إليه ، و مغرور بالستر عليه ، ومفتون بحسن القول فيه ، وما ابتلى الله سبحانه أحداً بمثل الإملاء .

١٨ ـ وقال عليه السلام : أيّها الناس ليركم الله من النعمة وجلين ، كما يراكم من النقمة فرقين ، إنّه من وسّع عليه في ذات يده فلم ير ذلك استدراجاً فقد آمن مخوفاً ، و من ضيّق عليه في ذات يده فلم ير ذلك اختياراً فقد ضيّع مأمولاً .

أقول : سيأتي الآيات و الأخبار في الإملاء و الإمهال والاستدراج في كتاب الإيمان والكفر .

﴿باب ٩﴾

﴿ ان المعرفة منه تعالى ﴾

الايات ، لقمان «٣١» ولئن سئلتهم من خلق السموات والأرض ليقولنّ الله قل الحمدلله بل أكثرهم لا يعلمون ٢٥ .

الزخرف «٤٣» ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولنّ خلقهنّ العزيز العليم ٩ .

الحجرات «٤٩» يمنّون عليك أن أسلموا قل لا تمنّوا عليّ إسلامكم بل الله يمنّ عليكم أن هديكم للإيمان إن كنتم صادقين ١٧ .

الليل «٩٢» إنّ علينا للهدى ١٢ .

تفسير : قوله تعالى : «ليقولنّ الله» إمّا لكونهم مجبولين مفطورين على الإذعان بذلك إذا رجعوا إلى أنفسهم ولم يتّبعوا أسلافهم ، أوالخطاب مع كفّار قريش فإنّهم كانوا معترفين بأنّ الخالق هوالله ، و ليس له شريك في الخلق لكنّهم كانوا يجعلون الأصنام شريكاً له في العبادة .

قوله تعالى : « أن هديكم للإيمان » أي أراكم السبيل إليه بإرسال الرسل و وإنزال الكتب ، أو وفّقكم لقبول ما أتت به الرسل والإذعان بها ، أو ألهمكم المعرفة كماهو ظاهر الأخبار .

١ ـ ب : معاوية بن حكيم ، عن البزنطيّ قال : قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام للناس في المعرفة صنع ؟ قال : لا ، قلت : لهم عليها ثواب ؟ قال : يتطوّل عليهم بالثواب كما يتطوّل عليهم بالمعرفة . «ص١٥١»

ضا : عن العالم عليه السلام مثله .

٢ ـ ل : أبي ، عن أحمد بن إدريس ، عن محمّد بن أحمد ، عن موسى بن جعفر البغداديّ عن أبي عبدالله الاصبهانيّ عن درست ، عمّن ذكره ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : ستّة أشياء ليس للعباد فيها صنع : المعرفة ، والجهل ، والرضا ، والغضب ، والنوم ، واليقظة . « ج ١ ص١٥٧ »

سن : أبي رفعه إلى أبي عبدالله عليه السلام مثله . « ص١٠ »

٣ ـ ير : ابن الوليد ، عن الصفّار ، عن ابن معروف ، عن ابن أبي نجران ، عن حمّاد بن عثمان ، عن عبدالرحيم القصير قال : كتبت على يدي عبدالملك بن أعين فسألته عن المعرفة والجحود أهما مخلوقتان ؟ فكتب عليه السلام : سألت عن المعرفة ماهي فاعلم رحمك الله أنّ المعرفة من صنع الله عزّوجلّ في القلب مخلوقة ، والجحود صنع الله في القلب مخلوق وليس للعباد فيهما من صنع و لهم فيهما الاختيار من الاكتساب ، فبشهوتهم الإيمان اختاروا المعرفة فكانوا بذلك مؤمنين عارفين ، وبشهوتهم الكفر اختاروا الجحود فكانوا بذلك كافرين جاحدين ضلّالاً وذلك بتوفيق الله لهم ، وخذلان من خذله الله ، فبالاختيار والاكتساب عاقبهم الله وأثابهم . الخبر . «ص٢٢٧ - ٢٢٨»

٤ ـ سن : أبي ، عن النضر ، عن الحلبيّ ، عن أبي المغرا ، عن أبي بصير ،[1] عن أبي جعفر عليه السلام قال :[2] قال : إنّي لأعلم أنّ هذا الحبّ الّذي تحبّونا ليس بشيء صنعتموه ولكنّ الله صنعه . «ص١٤٩»

٥ ـ سن : ابن فضّال ، عن عليّ بن عقبة ، وفضل الأسديّ ، عن عبدالأعلى مولى آل سام ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : لم يكلّف الله العباد المعرفة ولم يجعل لهم إليها سبيلاً . «ص١٩٨»

٦ ـ سن : الوشّاء ، عن أبان الأحمر ، عن عثمان ، عن الفضل أبي العبّاس بقباق قال : سألت أباعبدالله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ : «وكتب في قلوبهم الإيمان» هل لهم في ذلك صنع ؟ قال : لا . «ص١٩٩»

٧ـ سن : الوشّاء ، عن أبان الأحمر ، عن الحسن بن زياد قال : سألت أباعبدالله عليه السلام عن الإيمان هل للعباد فيه صنع ؟ قال : لا ولاكرامة ، بل هو من الله وفضله . «ص١٩٩»

٨ ـ سن : محمّد بن خالد ، عن النضر ، عن يحيى الحلبيّ ، عن أيّوب بن الحرّ ، عن الحسن بن زياد قال : سألت أباعبدالله عليه السلام عن قول الله : «حبّب إليكم الإيمان وزيّنه في قلوبكم » هل للعباد بما حبّب صنع ؟ قال : لاولاكرامة . «ص١٩٩»

٩ ـ سن : أبي خداش المهديّ ،[3] عن الهيثم بن حفص ، عن زرارة ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : ليس على الناس أن يعلموا حتّى يكون الله هو المعلّم لهم ، فإذا أعلمهم[4] فعليهم أن يعلموا . «ص٢٠٠»

١٠ ـ سن : عدّة عن عبّاس بن عامر ، عن مثنّى الحنّاط ، عن أبي بصير قال :

(١) ليس في المصدر «عن ابى بصير» بل روى الحديث ابو المغرا عن ابى جعفر عليه السلام بلا واسطة م

(٢) فى المصدر عن ابي جعفر عليه السلام قال : انى لاعلم . م

(٣) يحتمل قويا كون لفظة المهدى مصحف (المهرى) و مهرة محلة بالبصرة ، و أبوخداش كنية لعبدالله بن خداش المهرى البصرى ، الذى ضعفه النجاشى و قال : فى مذهبه ارتفاع . وحكى الكشى عن الطيالسى توثيقه .

(٤) فى المصدر : فاذا علمهم . م

سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول : إنّ الله خلق خلقه فخلق قوماً لحبّنا لوأنّ أحدهم خرج من هذا الرأي لردّه الله إليه و إن رغم أنفه ، وخلق خلقاً [1] لبغضنا لا يحبّوننا أبداً .
« ص ٢٠٠ »

١١ ـ ما : الحسين بن إبراهيم القزوينيّ ، عن محمّد بن وهبان ، عن أحمد بن إبراهيم عن الحسن بن عليّ الزعفرانيّ ، عن البرقيّ ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن زرارة ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : قلت له : فطرة الله الّتي فطر الناس عليها قال : التوحيد . «ص٥٩»

١٢ ـ سن : أبي ، عن صفوان قال : قلت لعبد صالح [2] : هل في الناس استطاعة يتعاطون بها المعرفة ؟ قال : لا إنّما هو تطوّل من الله . قلت : أفلهم على المعرفة ثواب إذا كان [3] ليس فيهم ما يتعاطونه بمنزلة الركوع والسجود الّذي اُمروا به ففعلوه ؟ قال لا إنّما هو تطوّل من الله عليهم وتطوّل بالثواب . « ص ٢٨١ »

١٣ ـ سن : أبي ، عن فضالة ، عن جميل بن درّاج ، عن زرارة ، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله : «وإذ أخذ ربّك من بني آدم من ظهورهم ذرّيّتهم وأشهدهم على أنفسهم» قال : كان ذلك معاينة الله [4] فأنساهم المعاينة وأثبت الإقرار في صدورهم ، ولولا ذلك ما عرف أحد خالقه ولا رازقه ، وهو قول الله : «ولئن سئلتهم من خلقهم ليقولنّ الله» .
« ص ٢٨١ »

بيان : المعاينة مجاز عن المواجهة بالخطاب أي خلق الكلام قبالة وجههم فنسوا تلك الحالة ، وثبتت المعرفة في قلوبهم . [5] ثمّ اعلم أنّ أخبار هذا الباب و كثيراً

(١) : في المصدر : قوماً . م

(٢) الظاهر : « للعبد الصالح » وهو كناية عن موسى بن جعفر عليه السلام . م

(٣) في المصدر : كانوا . م

(٤) في المصدر : معاينة لله . م

(٥) قد تقدم في أخبار الرؤية وجوامع التوحيد من كتاب التوحيد ما يظهر به معنى هذه المعاينة وهو العلم اليقيني بالله سبحانه من غير وساطة تفكر عقلي وتصور خيالي أو وهمي أو اتصال حسي ومن غير لزوم تجسيم أو تحديد فارجع وتأمل . ولا يخلو موجود ذو شعور بل موجود مخلوق عن هذا العلم فلاحجاب بينه وبين خلقه كما في الروايات . ط

من أخبار الأبواب السابقة تدلّ على أنّ معرفة الله تعالى بل معرفة الرسول والأئمّة صلوات الله عليهم وسائر العقائد الدينيّة موهبيّة وليست بكسبيّة، ويمكن حملها على كمال معرفته؛ أو المراد أنّه تعالى احتجّ عليهم بما أعطاهم من العقول ولا يقدر أحد من الخلق حتّى الرسل على هداية أحد و تعريفه؛ أو المراد أنّ المفيض للمعارف هو الربّ تعالى، و إنّما اُمر العباد بالسعي في أن يستعدّوا لذلك بالفكر و النظر كما يشير إليه خبر عبدالرحيم؛ أو يقال: هي مختصّة بمعرفة غير ما يتوقّف عليه العلم بصدق الرسل فإنّ ماسوى ذلك إنّما نعرفه بما عرّفنا الله على لسان أنبيائه وحججه صلوات الله عليهم؛ أو يقال: المراد بها معرفة الأحكام الفرعيّة لعدم استقلال العقل فيها؛ أو المعنى أنّها إنّما تحصل بتوفيقه تعالى للاكتساب، هذا ما يمكن أن يقال في تأويلها مع بعد أكثرها.[1] والظاهر منها أنّ العباد إنّما يكلّفون بالانقياد للحقّ وترك الاستكبار عن قبوله، فأمّا المعارف فإنّها بأسرها ممّا يلقيه الله تعالى في قلوب عباده بعد اختيارهم للحقّ، ثمّ يكمل ذلك يوماً فيوماً بقدر أعمالهم و طاعاتهم حتّى يوصلهم إلى درجة اليقين، وحسبك في ذلك ماوصل إليك من سيرة النبيّين وأئمّة الدين في تكميل اُممهم وأصحابهم، فإنّهم لم يحيلوهم على الاكتساب و النظر وتتبّع كتب الفلاسفة والاقتباس من علوم الزنادقة، بل إنّما دعوهم أوّلاً إلى الإذعان بالتوحيد و سائر العقائد، ثمّ دعوهم إلى تكميل النفس بالطاعات والرياضات حتّى فازوا بأعلى درجات السعادات.

---

(١) لايخفى أن الارادة التى هى مناط الاختيار لاتتعلق بشىء الاعن تصور وتصديق سابق اجمالا أو تفصيلا فمن المحال أن يتعلق الارادة باصل المعرفة والعلم فيكون اختياريا من صنع العبد كافعال الجوارح وهذا هو الذى تذكره الروايات. واما تفاصيل العلم والمعرفة فهى كسبية اختيارية بالواسطة بمعنى أن الفكر فى المقدمات يجعل الانسان مستعدا لافاضة النتيجة منه تعالى، والعلم مع ذلك ليس فعلا من افعال الانسان، ولتفصيل الكلام محل آخر يرجع إليه. ط

﴿باب ١٠﴾

☼(الطينة والميثاق)☼

الايات ، الاعراف « ٧ » وإذ أخذ ربّك من بني آدم من ظهورهم ذرّيّتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربّكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيمة إنّا كنّا عن هذا غافلين ☼ أو تقولوا إنّما أشرك آباؤنا من قبل وكنّا ذرّيّةً من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون ١٧٢-١٧٣.

الاحزاب «٣٣» وإذ أخذنا من النبيّين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً ☼ ليسئل الصّادقين عن صدقهم وأعدّ للكافرين عذاباً أليماً ٧ـ ٨ .

١ ـ **سن** : أبي ، عن صالح بن سهل قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام : جعلت فداك من أيّ شيء خلق الله طينة المؤمن ؟ قال من طينة الأنبياء فلن ينجس أبداً . «ص١٣٣»

٢ ـ **سن** : بهذا الإسناد قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام : المؤمنون من طينة الأنبياء ؟ قال : نعم . « ص١٣٣»

٣ ـ **ما** : المفيد ، عن ابن قولويه ، عن أبيه ، عن سعد ، عن ابن عيسى ، عن محمّد بن خالد ، عن فضالة ،[١] عن أبي بصير ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : إنّا وشيعتنا خلقنا من طينة من علّيّين[٢] وخلق عدوّنا من طينة خبال من حمأ مسنون . «ص٩٢»

بيان : قال الجزريّ : فيه : من شرب الخمر سقاه الله من طينة الخبال يوم القيامة جاء تفسيره في الحديث أنّ الخبال : عصارة أهل النّار ، والخبال في الأصل : الفساد . وقال الفيروزآباديّ : الخبال كسحاب : النقصان ، والهلاك ، والعناء ، والكلّ ، والعيال والسم القاتل ، وصديد أهل النار . وقال : الحمأ محرّكة : الطين الأسود المنتن . وقال : المسنون : المنتن .

(١) في المصدر : عن فضالة عن علي بن ابي طالب ؛ وعن أبي بصير عن ابي جعفر عليهما السلام .

(٢) اسم لاعلى الجنان . وقيل : بل ذلك في الحقيقة اسم لسكانها .

٤ ـ ما : شيخ الطائفة ، عن أبي منصور السكّري : عن جدّه علي بن عمر ، عن إسحاق بن مروان القطّان ، عن أبيه ، عن عبيد بن مهران العطّار ، عن يحيى بن عبدالله ابن الحسن ، عن أبيه ، وعن جعفر بن محمّد عليهما السلام : عن أبيهما ، عن جدّهما قالا : قال : رسول الله صلى الله عليه وآله : إنّ في الفردوس لعيناً أحلى من الشهد ، وألين من الزبد ، وأبرد من الثلج وأطيب من المسك ، فيها طينة خلقنا الله عزّ وجلّ منها وخلق منها شيعتنا ، فمن لم يكن من تلك الطينة فليس منّا ولا من شيعتنا ، وهي الميثاق الّذي أخذ الله عزّ وجلّ عليه ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام . قال عبيد : فذكرت لمحمّد بن علي بن الحسين بن علي عليهم السلام هذا الحديث فقال : صدقك يحيى بن عبدالله ؛ هكذا أخبرني أبي ، عن جدّي ، عن النبيّ صلى الله عليه وآله .[1] « ص١٩٤ »

٥ ـ ع : ابن الوليد ، عن الصفّار ، عن ابن عيسى ؛ و حدّثنا أبي ، عن سعد ، عن ابن عيسى ، عن ابن محبوب ، عن هشام بن سالم ، عن حبيب السجستانيّ قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : إنّ الله عزّ وجلّ لمّا أخرج ذرّيّة آدم عليه السلام من ظهره ليأخذ عليهم الميثاق له بالربوبيّة وبالنبوّة[2] لكلّ نبيّ كان أوّل من أخذ عليهم الميثاق بالنبوّة نبوّة محمّد بن عبد الله صلى الله عليه وآله ، ثمّ قال الله جلّ جلاله لآدم عليه السلام : انظر ماذا ترى ؟ قال : فنظر آدم إلى ذرّيّته وهم ذرّ قد ملؤوا السماء فقال آدم : يا ربّ ما أكثر ذرّيّتي ! و لأمر ما خلقتهم ؟[3] فما تريد منهم بأخذك الميثاق عليهم ؟ فقال الله جلّ و عزّ : ليعبدونني ولا يشركون بي شيئاً ، و يؤمنون برسلي و يتّبعونهم ، قال آدم عليه السلام : فمالي[4] أرى بعض الذرّ أعظم من بعض ، و بعضهم له نور قليل ، وبعضهم ليس له نور ؟ قال الله عزّ وجلّ : كذلك خلقتهم لأبلوهم في كلّ حالاتهم ؛ قال آدم عليه السلام : يا ربّ فتأذن لي في الكلام فأتكلّم ؟ قال الله جلّ جلاله : تكلّم فإنّ روحك من روحي وطبيعتك من خلاف كينونتي . قال آدم : يا ربّ لو كنت خلقتهم

---

(١) يأتي الحديث عن أمالي الشيخ بسند آخر تحت رقم ٢٨ وفي ذيله تفسير للخبر .

(٢) في نسخة : وبالنبوية .

(٣) وفي نسخة : ولاى أمر خلقتهم .

(٤) في المصدر : قال آدم عليه السلام يا رب فمالي . م

على مثال واحد ، وقدر واحد ، وطبيعة واحدة ، وجبلّة واحدة ، وألوان واحدة ، وأعمار واحدة ، وأرزاق سواء لم يبغ بعضهم على بعض ، ولم يكن بينهم تحاسد ولا تباغض ولا اختلاف في شيء من الأشياء ، فقال الله جلّ جلاله : يا آدم بروحي نطقت ، و بضعف طبعك تكلّفت مالا علم لك به وأنا الله الخلّاق (١) العليم ، بعلمي خالفت بين خلقهم ، وبمشيّتي أُمضي فيهم أمري . وإلى تدبيري وتقديري هم صائرون ، لاتبديل لخلقي وإنّما خلقت الجنّ والإنس ليعبدوني ، وخلقت الجنّة لمن عبدني وأطاعني منهم واتّبع رسلي ولاأُبالي ، وخلقت النار لمن كفربي وعصاني ولم يتّبع رسلي ولاأُبالي ، وخلقتك وخلقت ذرّيّتك من غير فاقة بي إليك وإليهم ، وإنّما خلقتك وخلقتهم لأبلوك وأبلوهم أيّكم أحسن عملاً في دار الدنيا في حياتكم وقبل مماتكم ، وكذلك خلقت الدنيا والآخرة والحياة والموت و الطاعة والمعصية و الجنّة والنار ، وكذلك أردت في تقديري وتدبيري وبعلمي النافذ فيهم خالفت بين صورهم و أجسامهم ، (٢) وألوانهم وأعمارهم وأرزاقهم وطاعتهم ومعصيتهم ؛ فجعلت منهم السعيد و الشقيّ ، والبصير والأعمى ، والقصير والطويل ، والجميل والذميم ، والعالم والجاهل ، والغنيّ و الفقير ، والمطيع والعاصي ، والصحيح والسقيم ، ومن به الزمانة و من لاعاهة به ؛ (٣) فينظر الصحيح إلى الّذي به العاهة فيحمدني على عافيته ، و ينظر الّذي به العاهة إلى الصحيح فيدعوني ويسألني أن أُعافيه ويصبر على بلائه (٤) فاُثيبه جزيل عطائي ، وينظر الغنيّ إلى الفقير فيحمدني ويشكرني ، وينظر الفقير إلى الغنيّ فيدعوني ويسألني ، وينظر المؤمن إلى الكافر فيحمدني على ماهديته ، فلذلك خلقتهم لأبلوهم في السرّاء والضرّاء وفيما عافيتهم وفيما ابتليتهم وفيما أعطيتهم وفيما أمنعهم (٥) و أنا الله الملك القادر ، ولي أن أُمضي جميع ماقدّرت على مادبّرت ، ولي أن أُغيّر عن ذلك ماشئت إلى ما شئت فاُقدّم من

---

(١) في نسخة : الخالق . (٢) في نسخه : وأجسادهم

(٣) الزمانة : عدم بعض الاعضاء ؛ تعطيل القوى . العاهة : الافة .

(٤) في المصدر : على بلائي فاثيبه على جزيل عطائي . م

(٥) وفي نسخة : وفيما اعافيهم ، وفيما ابتليهم ، وفيما اعطيهم ، وفيما منعتهم .

ذلك ما أخّرت وأؤخّر من ذلك ما قدّمت ، وأنا الله الفعّال لما اُريد ، لا اُسأل عمّا أفعل ، وأنا أسأل خلقي عمّا هم فاعلون . «ص١٥»

ختص : هشام بن سالم مثله .

بيان : قوله تعالى : من روحي أي من الروح الّذي اصطفيته وانتجبته ، أي من عالم المجرّدات أو من عالم القدس ، و طبيعتك من عالم الخلق والجسمانيّات ، أو ممّا هو معدن الشهوات والجهالات فبطبيعتك و بشريّتك سألت ما سألت . والذميم : المذموم ، وفي بعض النسخ بالدال المهملة ، يقال : رجل دميم أي قصير قبيح .

٦ ـ **ع** : أبي رحمه الله ، عن سعد بن عبدالله ، عن محمّد بن أحمد السيّاري ، عن محمّد بن عبدالله بن مهران الكوفيّ ، عن حنّان بن سدير ، عن أبيه ، عن أبي إسحاق اللّيثيّ قال : قلت لأبي جعفر محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام : يا ابن رسول الله أخبرني عن المؤمن المستبصر إذا بلغ في المعرفة وكمل هل يزني ؟ قال : اللّهمّ لا ، قلت : فيلوط ؟ قال : اللّهمّ لا ، قلت : فيسرق ؟ قال : لا ، قلت : فيشرب الخمر ؟ قال : لا ؛ قلت : فيأتي بكبيرة من هذه الكبائر أو فاحشة من هذه الفواحش ؟ قال : لا ؛ قلت : فيذنب ذنباً ؟ قال : نعم وهو مؤمن مذنب مسلم ؛ قلت : ما معنى مسلم ؟ قال : المسلم بالذنب لا يلزمه ولا يصير عليه ،[1] قال فقلت : سبحان الله ما أعجب هذا ! لا يزني ولا يلوط ولا يسرق ولا يشرب الخمر ولا يأتي كبيرة[2] من الكبائر ولا فاحشة ؟ ! فقال : لا عجب من أمر الله ، إنّ الله عزّ وجلّ يفعل ما يشاء ولا يسأل عمّا يفعل وهم يسألون ؛ فممّ عجبت يا إبراهيم ؟ سل ولا تستنكف ولا تستحسر[3] فإنّ هذا العلم لا يتعلّمه مستكبر ولا مستحسر ؛ قلت : يا ابن رسول الله إنّي أجد من شيعتكم من يشرب ، ويقطع الطريق ، ويحيف السبيل ، ويزني ويلوط ، ويأكل الرّبا ، ويرتكب الفواحش ، ويتهاون بالصلاة والصيام والزّكاة ، ويقطع الرحم . ويأتي الكبائر ، فكيف هذا ؟ ولمَ ذاك ؟ فقال : يا إبراهيم هل يختلج[4] في صدرك شيء غير هذا ؟ قلت : نعم يا ابن رسول الله

(١) وفى نسخة : ولا يصرّ عليه .

(٢) فى المصدر : بكبيرة . م

(٣) استحسر : تعب وأعيا . وفى نسخة : ولا تستح . وكذا فيما بعده

(٤) اختلج الشيء فى صدره : شغله وتجاذبه .

اُخرى أعظم من ذلك ؛ فقال : وماهو يا أبا إسحاق قال : فقلت : يابن رسول الله وأجد من أعدائكم ومناصبيكم من يكثر من الصلاة ومن الصيام ، و يخرج الزكاة ، و يتابع بين الحجّ والعمرة ، ويحضّ على الجهاد ، ويأثر على البرّ وعلى صلة الأرحام ، ويقضي حقوق إخوانه ، ويواسيهم من ماله ،[1] ويتجنّب شرب الخمر والزنا واللّواط وسائر الفواحش ، فممّ ذاك ؛ ولم ذاك ؟ فسّره لي يابن رسول الله و برهنه و بيّنه فقد والله كثر فكري وأسهر ليلي وضاق ذرعي !

قال : فتبسّم صلوات الله عليه ثمّ قال : يا إبراهيم خذ إليك بياناً شافياً فيما سألت ، وعلماً مكنوناً من خزائن علم الله وسرّه ، أخبرني يا إبراهيم كيف تجد اعتقادهما ؟ قلت : يابن رسول الله أجد محبّيكم وشيعتكم على ماهم فيه ممّا وصفته من أفعالهم لو اُعطي أحدهم ممّا[2] بين المشرق والمغرب ذهباً وفضّة أن يزول عن ولايتكم ومحبّتكم إلى موالات غيركم وإلى محبّتهم مازال ، ولو ضربت خياشيمه[3] بالسيوف فيكم ، ولو قتل فيكم ما ارتدع[4] ولارجع عن محبّتكم و ولايتكم ؛ وأرى الناصب على ما هو عليه ممّا وصفته من أفعالهم لو اُعطي أحدهم ما بين المشرق والمغرب ذهباً وفضّة أن يزول عن محبّة الطواغيت وموالاتهم إلى موالاتكم مافعل ولازال ولو ضربت خياشيمه بالسيوف فيهم ، ولو قتل فيهم ما ارتدع ولارجع ، وإذا سمع أحدهم منقبة لكم وفضلاً اشمأزّ من ذلك[5] وتغيّر لونه ، و رُئي كراهية ذلك في وجهه ، بغضاً لكم ومحبّة لهم .

قال : فتبسّم الباقر عليه السلام ثمّ قال : يا إبراهيم ههنا[6] هلكت العاملة الناصبة ، تصلى ناراً حامية ، تسقى من عين آنية ،[7] ومن أجل ذلك قال عزّ وجلّ : « وقدمنا إلى

---

(١) أي يعاونهم من ماله .

(٢) في نسخة : ما .

(٣) جمع الخيشوم : أقصى الانف .

(٤) في نسخة : ما ابتدع .

(٥) أي انقبض و نفر كراهة منه .

(٦) في المصدر : من ههنا . م

(٧) أي بلغ إناه في شدة الحر .

ماعملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً »[1] ويحك يا إبراهيم أتدري ما السبب و القصّة في ذلك ؟ وما الّذي قد خفي على الناس منه ؟ قلت : يابن رسول الله فبيّنه لي واشرحه وبرهنه .

قال : يا إبراهيم إنّ الله تبارك وتعالى لم يزل عالماً قديماً خلق الأشياء لا من شيء ومن زعم أنّ الله عزّ وجلّ خلق الأشياء من شيء فقد كفر لأنّه لو كان ذلك الشيء الّذي خلق منه الأشياء قديماً معه في أزليّته وهويّته كان ذلك أزليّاً ؛ بل خلق الله عزّ وجلّ الأشياء كلّها لا من شيء ، فكان ممّا خلق الله عزّ وجلّ أرضاً طيّبة ، ثمّ فجّر منها ماءاً عذباً زلالاً ، فعرض عليها ولايتنا أهل البيت فقبلتها ، فأجرى ذلك الماء عليها سبعة أيّام حتّى طبّقها وعمّها ، ثمّ نضب ذلك الماء عنها ،[2] وأخذ من صفوة ذلك الطين طيناً فجعله طين الأئمّة عليهم السلام ، ثمّ أخذ ثفل ذلك الطين فخلق منه شيعتنا ، ولو ترك طينتكم يا إبراهيم على حاله كما ترك طينتنا لكنتم ونحن شيئاً واحداً .

قلت : يابن رسول الله فما فعل بطينتنا ؟ قال : اُخبرك يا إبراهيم خلق الله عزّ وجلّ بعد ذلك أرضاً سبخة[3] خبيثة منتنة ، ثمّ فجّر منها ماءاً اُجاجاً ، آسناً ، مالحاً ، فعرض عليها ولايتنا أهل البيت ولم تقبلها فأجرى ذلك الماء عليها سبعة أيّام حتّى طبّقها وعمّها ، ثمّ نضب ذلك الماء عنها ، ثمّ أخذ من ذلك الطين فخلق منه الطغاة وأئمّتهم ، ثمّ مزجه بثفل طينتكم ، ولو ترك طينتهم على حاله ولم يمزج بطينتكم لم يشهدوا الشهادتين ولا صلّوا ولا صاموا ولا زكّوا ولا حجّوا ولا أدّوا أمانة ولا أشبهوكم في الصور ، وليس شيء أكبر على المؤمن من أن يرى صورة عدوّه مثل صورته .

قلت : يابن رسول الله فما صنع بالطينتين ؟ قال : مزج بينهما بالماء الأوّل والماء الثاني ، ثمّ عركها عرك الأديم ، ثمّ أخذ من ذلك قبضةً فقال : هذه إلى الجنّة ولا اُبالي وأخذ قبضةً اُخرى وقال : هذه إلى النار ولا اُبالي ؛ ثمّ خلط بينهما فوقع من سنخ المؤمن

---

(١) الهباء : دقاق التراب وما نبت في الهواء ، فلا يبدو إلا في أثناء ضوء الشمس في الكوة .
(٢) أي نزح ماؤه و نشف .
(٣) أي أرضا ذات نزّ وملح .

وطينته على سنخ الكافر وطينته ، ووقع من سنخ الكافر وطينته على سنخ المؤمن وطينته ، فما رأيته من شيعتنا من زناً ، أو لواط ، أو ترك صلاة ، أو صيام ، أو حجّ ، او جهاد ، أو خيانة ، أو كبيرة من هذه الكبائر فهو من طينة الناصب وعنصره الّذي قد مزج فيه لأنّ من سنخ الناصب وعنصره وطينته اكتساب المآثم والفواحش والكبائر ؛ وما رأيت من الناصب ومواظبته على الصلاة والصيام والزكاة والحجّ والجهاد وأبواب البرّ فهو من طينة المؤمن وسنخه الّذي قد مزج فيه لأنّ من سنخ المؤمن وعنصره وطينته اكتساب الحسنات واستعمال الخير واجتناب المآثم ، فإذا عرضت هذه الأعمال كلّها على الله عزّ وجلّ قال : أنا عدل لا أجور ، ومنصف لا أظلم ، وحكم لا أحيف ولا أميل ولا أشطط ،(١) ألحقوا الأعمال السيّئة الّتي اجترحها المؤمن بسنخ الناصب وطينته ، وألحقوا الأعمال الحسنة الّتي اكتسبها الناصب بسنخ المؤمن وطينته ردّوها كلّها إلى أصلها ، فإنّي أنا الله لا إله إلّا أنا ، عالم السرّ وأخفى وأنا المطّلع على قلوب عبادي ، لا أحيف ولا أظلم ولا ألزم أحداً إلّا ما عرفته منه قبل أن أخلقه .

ثمّ قال الباقر عليه السلام : يا إبراهيم اقرأ هذه الآية ، قلت : يابن رسول الله أيّة آية ؟ قال : قوله تعالى : « قال معاذ الله أن نأخذ إلّا من وجدنا متاعنا عنده إنّا إذاً لظالمون » هو في الظاهر ما تفهمونه ، وهو والله في الباطن هذا بعينه ، يا إبراهيم إنّ للقرآن ظاهراً وباطناً ، ومحكماً ومتشابهاً ، وناسخاً ومنسوخاً .

ثمّ قال : أخبرني يا إبراهيم عن الشمس إذا طلعت وبدا شعاعها في البلدان ، أهو بائن من القرص ؟ قلت : في حال طلوعه بائن ؛ قال : أليس إذا غابت الشمس اتّصل ذلك الشعاع بالقرص حتّى يعود إليه ؟ قلت : نعم ، قال : كذلك يعود كلّ شيء إلى سنخه و جوهره وأصله ، فإذا كان يوم القيامة نزع الله عزّ وجلّ سنخ الناصب وطينته مع أثقاله وأوزاره من المؤمن فيلحقها كلّها بالناصب ، وينزع سنخ المؤمن و طينته مع حسناته و أبواب برّه واجتهاده من الناصب فيلحقها كلّها بالمؤمن . أفترى ههنا(٢) ظلماً وعدواناً ؟ قلت : لا يابن رسول الله ؛ قال : هذا والله القضاء الفاصل والحكم القاطع والعدل البيّن ،

---

(١) الحيف : الجور والظلم . ومال الحاكم في حكمه : جار وظلم . و شطط الرجل : أفرط وتباعد عن الحق .

(٢) في المصدر : افترى هذا . م

لايسأل عمّا يفعل وهم يسألون ، هذا ـ يا إبراهيم ـ الحقّ من ربّك فلاتكن من الممترين هذا من حكم الملكوت .[١]

قلت : يابن رسول الله وماحكم الملكوت ؟ قال : حكم الله و حكم أنبيائه ، و قصّة الخضر وموسى عليهما السلام حين استصحبه فقال : « إنّك لن تستطيع معي صبراً و كيف تصبر على مالم تحط به خبراً » .

افهم يا إبراهيم واعقل ، أنكر موسى على الخضر واستفظع أفعاله[٢] حتّى قال له الخضر ياموسى مافعلته عن أمري ، إنّما فعلته عن أمر الله عزّ وجلّ ، من هذا ـ ويحك يا إبراهم ـ قرآن يتلى ، وأخبار تؤثر عن الله عزّ و جلّ ، من ردّ منها حرفاً فقد كفر و أشرك وردّ على الله عزّ وجلّ .

قال اللّيثيّ : فكأنّي لم أعقل الآيات ـ وأنا أقرؤها أربعين سنة ـ إلّا ذلك اليوم ، فقلت : يابن رسول الله ما أعجب هذا ! تؤخذ حسنات أعدائكم فتردّ على شيعتكم ، وتؤخذ سيّئات محبّيكم فتردّ على مبغضيكم ؟ قال : إي والله الّذي لا إله إلّا هو ، فالق الحبّة ، وبارىء النسمة ، وفاطر الأرض والسماء ، ماأخبرتك إلّا بالحقّ : وما أتيتك إلّا بالصدق ، وماظلمهم الله وماالله بظلّام للعبيد ، وإنّ ما أخبرتك لموجود في القرآن كلّه .

قلت : هذا بعينه يوجد في القرآن ؟ قال : نعم يوجد في أكثر من ثلاثين موضعاً في القرآن ، أتحبّ أن أقرأ ذلك عليك ؟ قلت : بلى يابن رسول الله ؛ فقال : قال الله عزّ وجلّ : « وقال الّذين كفروا للّذين آمنوا اتّبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم وماهم بحاملين من خطاياهم من شيء إنّهم لكاذبون وليحملنّ أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم » الآية .

أزيدك يا إبراهيم ؟ قلت : بلى يابن رسول الله قال : « ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيمة ومن أوزار الّذين يضلّونهم بغير علم ألاساء مايزرون » أتحبّ أن أزيدك ؟ قلت : بلى يابن رسول الله ، قال : « فاُولئك يبدّل الله سيّئاتهم حسنات وكان الله غفوراً

(١) الملكوت : الملك العظيم . العز و السلطان . و الملكوت السماوى هو محل القديسين فى السماء .

(٢) استفظع الامر أى وجده فظيعاً ، و الامر الفظيع : الذى اشتدت شناعته و جاوز المقدار فى ذلك .

رحيماً» يبدّل الله سيّئات شيعتنا حسنات، ويبدّل الله حسنات أعدائنا سيّئات؛ وجلال الله ووجه الله إنّ هذا لمن عدله و إنصافه لاراد لقضائه، ولامعقّب لحكمه و هو السميع العليم.

ألم أبيّن لك أمر المزاج والطينتين من القرآن؟ قلت: بلى يابن رسول الله؛ قال: اقرأ يا إبراهيم: «الّذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلّا اللّمم[1] إنّ ربّك واسع المغفرة هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض» يعني من الأرض الطيّبة و الأرض المنتنة «فلاتزكّوا أنفسكم هو أعلم بمن اتّقى» يقول: لايفتخر أحدكم بكثرة صلاته وصيامه وزكاته ونسكه لأنّ الله عزّوجلّ أعلم بمن اتّقى منكم، فإنّ ذلك من قبل اللّمم و هو المزاج.[2]

أزيدك ياإبراهيم؟ قلت: بلى يابن رسول الله؛ قال: «كما بدأكم تعودون فريقاً هدى وفريقاً حقّ عليهم الضلالة إنّهم اتّخذوا الشياطين أولياء من دون الله» يعني أئمّة الجور دون أئمّة الحقّ «ويحسبون أنّهم مهتدون» خذها إليك يا أبا إسحاق، فوالله إنّه لمن غرر أحاديثنا وباطن سرائرنا ومكنون خزائننا وانصرف ولاتطلع على سرّنا أحداً إلّا مؤمناً مستبصراً فإنّك إن أذعت سرّنا بليت في نفسك و مالك وأهلك و ولدك.[3]

«ص٢٠١-٢٠٣»

بيان: قال الفيروزآباديّ: أثر على الأمر كفرح: عزم؛ وله: تفرّق. و قال: الآسن من الماء: الآجن وقال: عركه: دلكه وحكّه.

ولعلّ المراد بالأديم هنا الطعام المأدوم «ثمّ» في قوله: «ثمّ أخذ» للترتيب الذكريّ ولتفصيل ما أجمل سابقاً.

(١) اللمم: مقاربة الذنب من غير أن يقع فيه، من قولك: ألممت بكذا: أى نزلت به وقاربته من غير مواقعة، ويعبر به عن الصغيرة. ويأتى أيضاً بمعنى جنون خفيف، أو طرف من الجنون يلم بالانسان.

(٢) أى الافتخار بكثرة الصلاة وغيرها من العبادات من قبل اللمم وهو المزاج، و الظاهر أنه عليه السلام أراد باللمم المعنى الثانى الذى ذكرناه؛ أوماقاربه مما يكون لازماً للطبع ومسنداً إلى المزاج.

(٣) وختم بهذا الحديث الشريف كتاب علل الشرايع. م

ثمّ أعلم أنّ هذا الخبر وأمثاله ممّا يصعب على القلوب فهمه وعلى العقول إدراكه ويمكن أن يكون كناية عمّا علم الله تعالى وقدّره من اختلاط المؤمن والكافر في الدنيا واستيلاء أئمّة الجور وأتباعهم على أئمّة الحقّ وأتباعهم ، وعلم أنّ المؤمنين إنّما يرتكبون الآثام لاستيلاء أهل الباطل عليهم ، وعدم تولّي أئمّة الحقّ بسياستهم فيعذرهم بذلك ويعفو عنهم ، ويعذّب أئمّة الجور وأتباعهم بتسبّبهم لجرائم من خالطهم مع ما يستحقّون من جرائم أنفسهم ، والله يعلم وحججه صلوات الله عليهم .(1)

٧ ـ فس : عليّ بن الحسين ، عن البرقيّ ، عن محمّد بن عليّ ، عن عليّ بن أسباط ، عن عليّ بن معمّر ، عن أبيه قال : سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ « هذا نذير من النذر الاُولى » قال : إنّ الله تبارك وتعالى لمّا ذرأ الخلق في الذرّ الأوّل فأقامهم صفوفاً قدّامه بعث الله محمّداً صلى الله عليه وآله فآمن به قوم ، وأنكره قوم ،(2) فقال الله : « هذا نذير من النذر الاُولى » يعني به محمّداً صلى الله عليه وآله حيث دعاهم إلى الله عزّ وجلّ في الذرّ الأوّل . « ص٦٥٦ »

٨ ـ فس : عليّ بن الحسين ، عن البرقيّ ، عن ابن محبوب ، عن الحسين بن نعيم الصحّاف قال : سألت الصادق عليه السلام عن قوله : « فمنكم كافر ومنكم مؤمن » فقال : عرّف الله عزّ وجلّ إيمانهم بولايتنا ، وكفرهم بتركها يوم أخذ عليهم الميثاق وهم ذرّ في صلب آدم عليه السلام . « ص٦٨٢ »

ير : أحمد بن محمّد ، عن ابن محبوب مثله .(3) « ص٢٢ »

٩ ـ فس : أحمد بن إدريس ، عن أحمد بن محمّد ، عن الحسين بن سعيد ، عن النضر بن سويد ، عن القاسم بن سليمان ، عن جابر قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول في هذه الآية : « وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماءً غدقاً » يعني من جرى فيه شيء من شرك الشيطان على الطريقة يعني على الولاية في الأصل عند الأظلّة حين أخذ الله ميثاق بني آدم (4) « أسقيناهم

(١) استيفاء البحث عن مسألة نقل الاعمال الذى يدل عليه الرواية وما يناظره من النقل والتعويض تعرضنا له فى الجزء الثانى من تفسير الميزان وسنستوفى تمام البحث فى تفسير سورة الانفال ان شاء الله تعالى . ط

(٢) فى المصدر : قوم آخر .

(٣) فيه بادنى تغيير : فمنكم مؤمن ومنكم كافر فقال عرف الله والله ايمانهم بولايتنا وكفرهم بها يوم اخذ الله عليهم الميثاق فى صلب آدم وهم ذرّ . هذه تمام الحديث فى المصدر . م

(٤) فى المصدر : ذرية آدم . م

ماءً غدقاً » يعني لكنّا وضعنا أظلّتهم في الماء الفرات العذب . « ص٧٠٠-٧٠١ »

بيان : قوله عليه السلام : يعني من جرى أي لمّا كانت لفظة « لو » دالّة على عدم تحقّق الاستقامة فالمراد بهم من جرى فيهم شرك الشيطان من المنكرين للولاية ، وحاصل الخبر أنّ المراد بالآية أنّهم لو كانوا أقرّوا في عالم الظلال و الأرواح بالولاية لجعلنا أرواحهم في أجساد مخلوقة من الماء العذب . فمنشأ اختلاف الطينة هو التكليف الأوّل في عالم الأرواح عند الميثاق .

١٠ - **فس** : أبي ، عن محمّد ، عن محمّد بن إسماعيل ، عن أبي حمزة ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : إنّ الله خلقنا من أعلا علّيّين ، وخلق قلوب شيعتنا ممّا خلقنا منه وخلق أبدانهم من دون ذلك ، فقلوبهم تهوي إلينا وأنّها خلقت ممّا خلقنا منه ؛ ثمّ تلا قوله : « كلاّ إنّ كتاب الأبرار لفي علّيّين وما أدريك ما علّيّون كتاب مرقوم يشهده المقرّبون » . « ص٧١٧ »

١١ - **ع** : ابن المتوكّل ، عن السعدآبادي ، عن البرقيّ ، عن أبيه ، عن أبي نهشل عن محمّد بن إسماعيل ، عن أبيه ، عن أبي حمزة قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : إنّ الله عزّ وجلّ خلقنا . الخبر « ص٥٠ »

سن : أبي ، عن أبي نهشل ، عن محمّد بن إسماعيل ، عن أبي حمزة مثله . « ص١٣٢ »

بيان : قد اختلف في تفسير علّيّين فقيل : هي مراتب عالية محفوفة بالجلالة . وقيل : السماء السابعة . وقيل : سدرة المنتهى . وقيل : الجنّة . وقيل : لوح من زبرجد أخضر ، معلّق تحت العرش ، أعمالهم مكتوبة فيه . وقال الفرّاء : أي في ارتفاع بعد ارتفاع لا غاية له . والمراد أنّ كتابة أعمالهم أو ما يكتب من أعمالهم في علّيّين أي في دفتر[(١)] أعمالهم أو المراد أنّ دفتر أعمالهم في تلك الأمكنة الشريفة ، و على الأخير فيه حذف مضاف أي وما أدريك ما كتاب علّيّين ؛ والظاهر أنّ مفاد الخبر أنّ دفتر أعمالهم موضوع في مكان أُخذت منه طينتهم ، ويحتمل أن يكون المراد بالكتاب الروح لأنّه محلّ العلوم ترتسم فيها .

(١) : مجموع الصحف المضمومة ، والكلمة من الدخيل .

١٢ - فس : أبي ، عن النضر بن سويد ، عن يحيى الحلبيّ ، عن ابن سنان قال : قال أبوعبدالله عليه السلام : أوّل من سبق من الرسل إلى بلى رسول‌الله صلى الله عليه وآله ، و ذلك أنّه كان أقرب الخلق إلى الله تبارك وتعالى ، وكان بالمكان الّذي قال له جبرئيل : - لمّا أسري به إلى السماء - تقدّم يا محمّد فقد وطأت موطئاًلم تطأه ملك مقرّب ولانبيّ مرسل .[1] ولولا أنّ روحه ونفسه كانت من ذلك المكان لما قدرأن يبلغه ، فكان من الله عزّ وجلّ كما قال الله : «قاب قوسين أوأدنى» أي بل أدنى [2] فلمّا خرج الأمرمن الله وقع إلى أوليائه عليهم السلام فقال الصادق عليه السلام : كان الميثاق مأخوذاً عليهم لله بالربوبيّة ، ولرسوله بالنبوّة ، و لأمير المؤمنين والأئمّة بالإمامة ، فقال : ألست بربّكم ، و محمّد نبيّكم ، وعليّ إمامكم ، والأئمّة الهادون أئمّتكم ؟ فقالوا : بلى ، فقال‌الله : « شهدنا أن تقولوا يوم‌القيمة» أي‌لئلّا تقولوا يوم‌القيامة «إنّا كنّا عن‌هذا غافلين» فأوّل‌ما أخذالله عزّوجلّ الميثاق على‌الأنبياء بالربوبيّة ،[3] وهوقوله : « وإذأخذنا من‌النبيّين ميثاقهم » فذكر جملة‌الأنبياء ، ثمّ أبرز أفضلهم بالأسامي فقال : «ومنك» يا محمّد ، فقدّم رسول‌الله صلى الله عليه وآله لأنّه أفضلهم ، «ومن نوح و إبراهيم و موسى و عيسى بن مريم » فهؤلاء الخمسة أفضل الأنبياء ، ورسول‌الله صلى الله عليه وآله أفضلهم ، ثمّ أخذ بعدذلك ميثاق رسول الله على الأنبياء له بالإيمان به ، وعلى‌أن‌ينصروا أميرالمؤمنين ، فقال : «وإذ أخذالله ميثاق‌النبيّين‌لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثمّ جائكم رسول‌مصدّق لما معكم » يعني رسول‌الله صلى الله عليه وآله « لتؤمننّ به ولتنصرنّه» يعني أميرالمؤمنين صلوات‌الله عليه تخبروا اُممكم بخبره وخبر وليّه من الأئمّة . «ص٢٢٩-٢٣٠»

١٣ - فس : أبي ، عن‌ابن أبي‌عمير ، عن‌عبدالله بن مسكان ، عن أبي‌عبدالله عليه السلام

---

(١) في‌المصدر : لم‌يطأه احد قبلك ملك ولا نبي‌مرسل . م

(٢) أراد عليه السلام في هذا التفسير القرب المعنوى لاالمكاني ، وفسرت الاية بأن الدنو و التدلي كان بينه صلى الله عليه وآله وسلم و بين جبرئيل عليه السلام وسياق الايات قبلها و بعدها يؤيّده .

(٣) في المصدر : له بالربوبية . م

وعن أبي بصير ، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله : «لتؤمننّ به ولتنصرنّه» قال : ما بعث الله نبيّاً عن آدم[1] فهلمّ جرّاً إلّا ويرجع إلى الدنيا فيقاتل وينصر رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين ، ثمّ أخذ أيضاً ميثاق الأنبياء على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : قل يا محمّد «آمنّا بالله وما اُنزل علينا وما اُنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما اُوتي موسى وعيسى وما اُوتي النبيّون من ربّهم لانفرّق بين أحد منهم ونحن له مسلمون» . «ص٢٣٠»

١٤ ـ **فس** : أبي ، عن ابن أبي عمير ، عن ابن مسكان ،[2] عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله : «وإذ أخذ ربّك من بني آدم من ظهورهم ذرّيّتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربّكم قالوا بلى شهدنا» قلت : معاينة كان هذا ؟ قال : نعم ، فثبتت المعرفة و نسوا الموقف وسيذكرونه ، ولولا ذلك لم يدر أحد من خالقه ورازقه ، فمنهم من أقرّ بلسانه في الذرّ ولم يؤمن بقلبه ، فقال الله : «فما كانوا ليؤمنوا بما كذّبوا به من قبل» . «ص٢٣٠»

١٥ ـ **أقول** : روى الشيخ أحمد بن فهد في المهذّب وغيره بإسنادهم عن المعلّى بن خنيس ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال لي : يا معلّى يوم النيروز هو اليوم الّذي أخذ الله ميثاق العباد أن يعبدوه ، ولا يشركوا به شيئاً ، وأن يدينوا برسله وحججه وأوليائه عليهم السلام . الخبر .

١٦ ـ **فس** : أبي ، عن ابن محبوب ، عن عمرو بن أبي المقدام ، عن ثابت الحدّاد[3] عن جابر الجعفيّ ، عن أبي جعفر ، عن آبائه ، عن أمير المؤمنين عليهم السلام في خبر طويل : قال الله تبارك وتعالى للملائكة : «إنّي خالق بشراً من صلصال من حمأ مسنون فإذا سوّيته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين» قال : وكان ذلك من الله تقدمة في آدم قبل أن يخلقه و احتجاجاً منه عليهم ، قال : فاغترف ربّنا تبارك و تعالى غرفة بيمينه من الماء العذب

---

(١) في المصدر : من لدن آدم . م

(٢) قد حكينا سابقاً عن الكشي أن عبدالله بن مسكان لم يروعن أبي عبدالله عليه السلام إلا حديث (من أدرك المشعر فقد أدرك الحج) ففي سائر رواياته عنه عليه السلام ظن إرسال .

(٣) هو ثابت بن هرمز ، أبو المقدام العجلي ، والد عمرو بن أبي المقدام ، عده الكشي في التبرية . ولم يثبت توثيقه ولا توثيق ابنه .

الفرات ـ وكلتا يديه يمين ـ فصلصلها في كفّه فجمدت فقال لها : منك أخلق النبيّين و المرسلين ، وعبادي الصالحين ، والأئمّة المهتدين ، والدعاة إلى الجنّة وأتباعهم إلى يوم الدين ولا اُ بالي ، ولا اُسأل عمّا أفعل وهم يسألون . ثمّ اغترف غرفة اُخرى من الماء المالح الاُجاج فصلصلها في كفّه فجمدت ثمّ قال لها : منك أخلق الجبّارين ، والفراعنة ، والعتاة ، وإخوان الشياطين ، والدعاة إلى النار إلى يوم القيامة وأشياعهم ولا اُ بالي ، ولا اُسأل عمّا أفعل وهم يسألون . قال : وشرط في ذلك البداء فيهم ، ولم يشترط في أصحاب اليمين البداء ، ثمّ خلط المائين جميعاً في كفّه فصلصلهما ثمّ كفأهما قدّام عرشه وهما سلالة من طين . الخبر «ص٣٣ـ ٣٤»

شي : عن جابر ، عن أبي جعفر عليه السلام مثله .

ع : ابن الوليد ، عن الصفّار ، عن ابن عيسى ، عن ابن محبوب ، عن عمرو بن أبي المقدام ، عن جابر مثله . «ص٤٦»

بيان : قال الجزريّ : فيه : كلتا يديه يمين أي يديه تبارك وتعالى بصفة الكمال لانقص في واحدة منهما ، لأنّ الشمال ينقص عن اليمين ، وإطلاق هذه الأسماء إنّما هو على سبيل المجاز والاستعارة ، والله منزّه من التشبيه والتجسيم انتهى .

أقول : لمّا كانت اليد كناية عن القدرة فيحتمل أن يكون المراد باليمين القدرة على الرحمة والنعمة والفضل ، وبالشمال القدرة على العذاب والقهر والابتلاء ، فالمعنى : أنّ عذابه وقهره وإمراضه وإماتته وسائر المصائب والعقوبات لطف ورحمة لاشتمالها على الحكم الخفيّة والمصالح العامّة ، وبه يمكن أن يفسّر ما ورد في الدعاء : والخير في يديك . والصلصال : الطين الحرّ خلط بالرمل ، فصار يتصلصل إذا جفّ . وسلالة الشيء : ما انسلّ منه واستخرج بجذب ونزع .

١٧ ـ **ع** : أبي ، عن سعد ، عن ابن عيسى ، عن الحسن بن فضّال ، عن بعض أصحابنا عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إنّ الله عزّ وجلّ خلق ماءاً عذباً فخلق منه أهل طاعته ، وجعل ماءاً مرّاً فخلق منه أهل معصيته ، ثمّ أمرهما فاختلطا ، فلولا ذلك ما ولد المؤمن إلّا مؤمناً ، ولا الكافر إلّا كافراً . «ص٣٩»

١٨ - ع : ابن الوليد ، عن الصفّار ، عن الحسن بن فضّال ، عن ابن أبي الخطّاب ، عن حمّاد بن عيسى ، عن ربعي بن[1] عبدالله بن الجارود ، عمّن ذكره ، عن عليّ بن الحسين صلوات الله عليه قال : إنّ الله عزّ وجلّ خلق النبيّين من طينة علّيّين قلوبهم وأبدانهم ، وخلق قلوب المؤمنين من تلك الطينة ، وخلق أبدانهم من دون ذلك ، وخلق الكافرين من طينة سجّيل قلوبهم وأبدانهم ، فخلط بين الطينتين فمن هذا يلد المؤمن الكافر ويلد الكافر المؤمن ، ومن ههنا يصيب المؤمن السيّئة ، ويصيب الكافر الحسنة ، فقلوب المؤمنين تحنّ إلى ما خلقوا منه[2] وقلوب الكافرين تحنّ إلى ما خلقوا منه . «ص٣٩»

١٩ - ع : أحمد بن هارون ، عن محمّد الحميريّ ، عن أبيه ، عن ابن يزيد ، عن حمّاد بن عيسى ، عن أبي نعيم الهذليّ ، عن رجل ، عن عليّ بن الحسين عليهما السلام مثله . وفيه : وخلق أبدان المؤمنين وخلق الكفّار . وسجّين مكان سجّيل .[3] «ص٥٠»

ير : ابن معروف ، عن حمّاد ، عن ربعي ، عنه عليه السلام مثله .

سن : أبي ، عن حمّاد إلى قوله : وخلق أبدانهم من دون ذلك . «ص١٣٢-١٣٣»

بيان : سجّين : موضع فيه كتاب الفجّار ودواوينهم ، قال أبوعبيد : هو فعيّل من السجن كالفسّيق من الفسق ، وقيل : هو الأرض السابعة أو أسفل منها ، أوجبّ في جهنّم . والسجّيل كسكّيت : حجارة من مدر ، معرّب (سنك كل) و السجّين أظهر .

٢٠ - ع : ماجيلويه ، عن محمّد العطّار ، عن ابن أبان ، عن ابن اُورمة ، عن عمرو بن عثمان ، عن العبقريّ ، عن عمر بن ثابت ، عن أبيه ، عن حبّة العرنيّ ، عن عليّ عليه السلام قال : إنّ الله عزّ وجلّ خلق آدم عليه السلام من أديم الأرض ، فمنه السباخ[4] و منه الملح ومنه الطيّب ؛ فكذلك في ذرّيّة الصالح والطالح . «ص٣٩»

---

(١) بكسر الراء وسكون الباء ، وكسر العين ، ثم الياء . عنونه النجاشي في رجاله «ص١٢٠» فقال : ربعي ابن عبدالله بن الجارود بن أبي سبرة الهذلي أبو نعيم بصري ثقة ، روى عن أبي عبدالله و أبي الحسن عليهما السلام ، وصحب الفضيل بن يسار ، وأكثر الاخذ عنه ، وكان خصيصا به ، له كتاب رواه عدة من أصحابنا إه .

(٢) أى تشتاق إلى ما خلقوا منه .

(٣) في العلل المطبوع : سجين في كلا الروايتين . م

(٤) السباخ من الارض : مالم يحرث ولم يعمر .

٢١ ـ ع : ابن المتوكّل ، عن محمّد العطّار ، عن ابن أبان ، عن ابن اُورمة ، عن محمّد بن سنان ، عن معاوية بن شريح ، عن أبي‌عبدالله عليه السلام قال : إنّ الله عزّ وجلّ أجرى ماءاً فقال له : كن عذباً أخلق منك جنّتي وأهل طاعتي ، وإنّ الله عزّ وجلّ أجرى ماءاً فقال له : كن بحراً مالحاً أخلق منك ناري وأهل معصيتي ، ثمّ خلطهما جميعاً فمن ثمّ يخرج المؤمن من الكافر ويخرج الكافر من المؤمن ، ولو لم يخلطهما لم يخرج من هذا إلّا مثله ، ولا من هذا إلّا مثله . «ص٣٩»

٢٢ ـ ع : أبي ، عن سعد ، عن ابن عيسى ، عن الحسن بن فضّال ، عن عبدالله بن سنان ، عن أبي‌عبدالله عليه السلام ـ في حديث طويل ـ يقول في آخره : مهما رأيت من نزق أصحابك وخرقهم فهو ممّا أصابهم من لطخ أصحاب الشمال ، [1] ومارأيت من حسن شيم [2] من خالفهم ووقارهم فهو من لطخ أصحاب اليمين . «ص٣٩»

٢٣ ـ ع : ابن الوليد ، عن الصفّار ، عن ابن أبي الخطّاب : عن محمّد بن سنان ، عن أبي‌عبدالله عليه السلام قال : سألته عن أوّل ماخلق الله عزّ وجلّ ، قال : إنّ أوّل ما خلق الله عزّ وجلّ ما خلق منه كلّ شيء ، قلت : جعلت فداك وما هو ؟ قال : الماء ، قال : إنّ الله تبارك و تعالى خلق الماء بحرين : أحدهما عذب ، و الآخر ملح [3] فلمّا خلقهما نظر إلى العذب فقال : يا بحر فقال : لبّيك وسعديك ، قال : فيك بركتي ورحمتي ، ومنك أخلق أهل طاعتي وجنّتي . ثمّ نظر إلى الآخر فقال : يا بحر فلم يجب فأعاد عليه ثلاث مرّات يا بحر فلم يجب ! فقال : عليك لعنتي ، ومنك أخلق أهل معصيتي ومن أسكنته ناري ، ثمّ أمرهما أن يمتزجا فامتزجا ، قال : فمن ثمّ يخرج المؤمن من الكافر ، و الكافر من المؤمن . «ص٣٩»

٢٤ ـ ع : ابن الوليد ، عن الصفّار ، عن ابن عيسى ، عن البزنطيّ ، عن أبان بن عثمان ، وأبي الربيع يرفعانه قال : إنّ الله عزّ وجلّ خلق ماءاً فجعله عذباً فجعل منه أهل

---

(١) النزق : الخفة في كل أمر ؛ العجلة في جهل وحمق . الخرق : ضعف الرأي ؛ سوء التصرف ؛ الجهل والحمق ؛ ضد الرفق . اللطخ : كل شيء لوث بغير لونه .

(٢) جمع للشيمة : الخلق و الطبيعة .

(١) في نسخة : و الاخر مالح .

طاعته ، وخلق ماءاً مرّاً فجعل منه أهل معصيته ، ثمّ أمرهما فاختلطا ولولا ذلك ماولد المؤمن إلّا مؤمناً ، ولا الكافر إلّا كافراً . «ص٣٩»

٢٥ ـ ع : أبي ، عن سعد ، عن ابن أبي الخطّاب ، عن جعفر بن بشير ، عن ابن أبي العلاء ، عن حبيب قال : حدّثني الثقة عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إنّ الله تبارك وتعالى أخذ ميثاق العباد وهم أظلّة قبل الميلاد ، فما تعارف من الأرواح ائتلف ، وماتناكر منها اختلف . «ص٣٩»

٢٦ ـ ع : بهذا الإسناد عن حبيب ، عمّن رواه ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : ما تقول في الأرواح إنّها جنود مجنّدة ، فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف ؟ قال : فقلت : إنّا نقول ذلك ، قال : فإنّه كذلك ، إنّ الله عزّ وجلّ أخذ من العباد ميثاقهم وهم أظلّة قبل الميلاد ، وهو قوله عزّ وجلّ : « وإذ أخذ ربّك من بني آدم من ظهورهم ذرّيّتهم وأشهدهم على أنفسهم » إلى آخر الآية ، قال : فمن أقرّ له يومئذ جاءت اُلفته ههنا ومن أنكره يومئذ جاء خلافه ههنا . «ص٣٩»

بيان : جاءت اُلفته أي اُلفته مع أئمّته ومعرفته لهم ، أو اُلفة المؤمنين بعضهم ببعض من جهة اتّفاقهم في المذهب ؛ و يحتمل أن يكون التعارف معرفة الشيعة لأئمّتهم ، و الائتلاف اُلفة المؤمنين بعضهم ببعض لموافقتهم في المذهب .

٢٧ ـ ع : أبي ، عن سعد ، عن يعقوب بن يزيد ، عن ابن أبي عمير ، عن ابن اُذينة عن أبي عبدالله عليه السلام قال : كنّا عنده فذكرنا رجلاً من أصحابنا فقلنا : فيه حدّة ، [1] فقال : من علامة المؤمن أن تكون فيه حدّة ، قال : فقلنا له : إنّ عامّة أصحابنا فيهم حدّة ؛ فقال : إنّ الله تبارك وتعالى في وقت ماذرأهم أمر أصحاب اليمين ـ وأنتم هم ـ أن يدخلوا النار فدخلوها فأصابهم وهج [2] فالحدّة من ذلك الوهج ، و أمر أصحاب الشمال ـ وهم مخالفوهم ـ أن يدخلوا النار فلم يفعلوا فمن ثمّ لهم سمت ولهم وقار . «ص٤٠»

٢٨ ـ ما : الغضائريّ ، عن عليّ بن محمّد العلويّ ، عن عبدالله بن محمّد ، عن الحسين ،

---

(١) الحدة من الانسان : بأسه ومايعتريه من الغضب .

(٢) الوهج : اتقاد النار .

عن أبي عبدالله بن أسباط ، عن أحمد بن محمد بن زياد العطّار ، عن محمد بن مروان الغزال ، عن عبيد بن يحيى ، عن يحيى بن عبدالله بن الحسن ، عن جده الحسن بن علي عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إنّ في الفردوس لعيناً أحلى من الشهد ، و ألين من الزبد ، وأبرد من الثلج ، وأطيب من المسك ، فيها طينة خلقنا الله عزّ و جلّ منها ، وخلق شيعتنا منها ، فمن لم يكن من تلك الطينة فليس منّا ولا من شيعتنا ، وهي الميثاق الّذي أخذ الله عزّ وجلّ على ولاية أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام . قال عبيد : فذكرت لمحمّد ابن الحسين [1] هذا الحديث فقال : صدقك يحيى بن عبدالله ، هكذا أخبرني أبي ، عن جدّي ، عن أبيه ، عن النبيّ صلى الله عليه وآله . قال عبيد : قلت : أشتهي أن تفسّره لنا إن كان عندك تفسير قال : نعم أخبرني أبي ، عن جدّي ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال : إنّ لله ملكاً رأسه تحت العرش ، وقدماه في تخوم الأرض السابعة السفلى ، بين عينيه راحة أحدكم ، فإذا أراد الله عزّ وجلّ أن يخلق خلقاً على ولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام أمر ذلك الملك فأخذ من تلك الطينة فرمى بها في النطفة حتّى تصير إلى الرحم منها يخلق وهي الميثاق . «ص٥٧»

٢٩ ـ ع : أبي ، عن محمد العطّار ، عن جعفر بن محمد بن مالك ، قال : حدّثنا أحمد ابن مدين من ولد مالك بن الحارث الأشتر ، عن محمد بن عمّار ، عن أبيه ، عن أبي بصير قال : دخلت على أبي عبدالله ومعي رجل من أصحابنا فقلت له : جعلت فداك يا ابن رسول الله إنّي لأغتمّ وأحزن من غير أن أعرف لذلك سبباً ؟ فقال أبوعبدالله عليه السلام : إنّ ذلك الحزن و الفرح يصل إليكم منّا إذا دخل علينا حزن أو سرور كان ذلك داخلاً عليكم ، لأنّا و إيّاكم من نور الله عزّ وجلّ ، فجعلنا وطينتنا و طينتكم واحدة ، ولو تركت طينتكم كما اُخذت لكنّا وأنتم سواء ، ولكن مزجت طينتكم بطينة أعدائكم ، فلولا ذلك ما أذنبتم ذنباً أبداً ، قال : قلت : جعلت فداك فتعود طينتنا و نورنا كما بدا ؟ فقال إي والله يا عبدالله أخبرني عن هذا الشعاع الزاجر من القرص إذا طلع ، أهو متّصل به أو بائن

(١) تقدم الحديث عن الامالي بسند آخر تحت رقم ٤ وفيه : فذكرت ذلك لمحمد بن علي بن الحسين بن علي عليهم السلام : وهو الصحيح .

منه ؟ فقلت له : جعلت فداك بل هو بائن منه ، فقال : أفليس إذا غابت الشمس وسقط القرص عاد إليه فاتّصل به كما بدا منه ؟ فقلت له : نعم ، فقال : كذلك والله شيعتنا من نورالله خلقوا وإليه يعودون ، والله إنّكم لملحقون بنا يوم القيامة ، وإنّا لنشفع فنشفّع[1] ووالله إنّكم لتشفعون فتشفّعون ، وما من رجل منكم إلّا وسترفع له نار عن شماله ، وجنّة عن يمينه ، فيدخل أحبّاءه الجنّة ، وأعداءه النار . «ص٤٢»

٣٠ - ع : الدقّاق ، عن محمّد الأسديّ ، عن محمّد بن إسماعيل رفعه إلى محمّد بن سنان ، عن زيد الشحّام ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إنّ الله تبارك وتعالى خلقنا من نور مبتدع من نور رسخ ذلك النور في طينة من أعلا علّيّين ، وخلق قلوب شيعتنا ممّا خلق منه أبداننا ، وخلق أبدانهم من طينة دون ذلك ، فقلوبهم تهوي إلينا ، لأنّها خلقت ممّا خلقنا منه ، ثمّ قرأ : «كلّا إنّ كتاب الأبرار لفي علّيّين وما أدريك ما علّيّون كتاب مرقوم يشهده المقرّبون» وإنّ الله تبارك وتعالى خلق قلوب أعدائنا من طينة من سجّين ، وخلق أبدانهم من طينة من دون ذلك وخلق قلوب شيعتهم ممّا خلق منه أبدانهم فقلوبهم تهوي إليهم ، ثمّ قرأ : «إنّ كتاب الفجّار لفي سجّين وما أدريك ما سجّين كتاب مرقوم ويل يومئذ للمكذّبين» . «ص٥٠»

٣١ - ع : أبي ، عن سعد ، عن ابن عيسى ، عن أبي يحيى الواسطيّ رفعه قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : إنّ الله عزّ وجلّ خلقنا من علّيّين ، وخلق أرواحنا من فوق ذلك ، وخلق أرواح شيعتنا من علّيّين ، و خلق أجسادهم من دون ذلك ، فمن أجل ذلك كان القرابة بيننا وبينهم ، ومن ثمّ تحنّ قلوبهم إلينا . «ص٥٠»

٣٢ - ع : أبي ، عن سعد ، عن محمّد بن عيسى ، عن الحسن بن فضّال ، عن ابن بكير عن زرارة قال : سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ : «وإذ أخذ ربّك من بني آدم من ظهورهم ذرّيّتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربّكم قالوا بلى» قال : ثبتت المعرفة ونسوا الوقت[2] وسيذكرونه يوماً ، ولولا ذلك لم يدر أحد من خالقه ولا من رازقه . «ص ٥٠»

شي : عن زرارة مثله .

---

(١) نشفع على صيغة المجهول من باب التفعيل ، أى يقبل شفاعتنا .

(٢) فى نسخة : الموقف .

٣٣ ـ ع : ابن المتوكّل ، عن الحميريّ ، عن أحمد بن محمّد ، عن ابن محبوب ، عن عبدالرحمن بن كثير ، عن داود الرقّيّ ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : لمّا أراد الله عزّ و جلّ أن يخلق الخلق خلقهم و نشرهم بين يديه ، ثمّ قال لهم : من ربّكم ؟ فأوّل من نطق رسول الله صلّى الله عليه وآله و أمير المؤمنين و الأئمّة صلوات الله عليهم أجمعين فقالوا : أنت ربّنا ، فحمّلهم العلم والدين ، ثمّ قال للملائكة : هؤلاء حملة ديني وعلمي و اُمنائي في خلقي ، وهم المسؤلون . ثمّ قال لبني آدم : أقرّوا لله بالربوبيّة ، ولهؤلاء النفر بالطاعة والولاية فقالوا : نعم ربّنا أقررنا ، فقال الله جلّ جلاله للملائكة : اشهدوا ، فقالت الملائكة : شهدنا على أن لايقولوا غداً إنّا كنّا عن هذا غافلين ، أويقولوا إنّما أشرك آباؤنا من قبل وكنّا ذرّيّة من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون ؛ ياداود الأنبياء[1] مؤكّدة عليهم في الميثاق . « ص ٥٠ ـ ٥١ »

بيان : قوله عليه السلام : هم المسؤولون أي يجب على الناس أن يسألوهم عن اُمور دينهم أوفيه حذف وإيصال ، أي يسأل الناس يوم القيامة عن حبّهم وولايتهم .

٣٤ ـ ع : أبي ، عن سعد ، عن أحمد بن محمّد ، عن ابن بزيع ، عن صالح بن عقبة ،[2] عن عبدالله بن محمّد الجعفيّ وعقبة جميعاً عن أبي جعفر عليه السلام قال : إنّ الله عزّ وجلّ خلق الخلق فخلق من أحبّ ممّا أحبّ ، وكان ما أحبّ أن خلقه من طينة الجنّة ، و خلق من أبغض ممّا أبغض وكان ما أبغض أن خلقه من طينة النار ، ثمّ بعثهم في الظلال ؛ فقلت : وأيّ شيء الظلال ؟ فقال : ألم تر إلى ظلّك في الشمس شيء وليس بشيء ؟ ثمّ بعث منهم النبيّين فدعوهم إلى الإقرار بالله ، وهو قوله عزّ وجلّ : « ولئن سألتهم من خلقهم ليقولنّ الله » ثمّ دعوهم إلى الإقرار بالنبيّين فأنكر بعض وأقرّ بعض ، ثمّ دعوهم إلى ولايتنا فأقرّ بها والله من أحبّ ، وأنكرها من أبغض ، وهو قوله عزّ وجلّ : « ماكانوا ليؤمنوا بما كذّبوا به من قبل » ثمّ قال أبو جعفر عليه السلام كان التكذيب ثمّ . « ص ٥١ »

---

(١) في نسخة : ولايتنا .

(٢) ضبطه الطريحي في الضوابط بضم العين ، وسكون القاف ، وفتح الباء ، واحتمل المامقاني كونه بالفتحات الثلاث .

ير : محمد بن الحسين عن محمد بن إسماعيل ، عن صالح بن عقبة ، عن عبدالله بن محمد الجعفي عن أبي جعفر ؛ وعن عقبة عن أبي جعفر عليه السلام مثله . «ص٢٢»

شي : عن عبدالله الجعفي مثله .

توضيح : قوله عليه السلام : في الظلال أي عالم الأرواح بناءاً على أنّها أجسام لطيفة ، ويحتمل أن يكون التشبيه للتجرّد أيضاً تقريباً إلى الأفهام ، أو عالم المثال على القول به قبل الانتقال إلى الأبدان .

قوله عليه السلام : وهو قوله أي هذه المعرفة الفطريّة إنّما حصل من أخذ تلك الميثاق .

٣٥ ـ ع : ابن الوليد ، عن الصفّار ، عن اليقطيني ، عن زياد القندي ، عن عبدالله ابن سنان قال : بينا نحن في الطواف إذ مرّ رجل من آل عمر فأخذ[1] بيده رجل فاستلم الحجر فانتهره وأغلظ له ، وقال له : بطل حجّك إنّ الّذي تستلمه حجر لا يضرّ ولا ينفع فقلت لأبي عبدالله عليه السلام : جعلت فداك أما سمعت قول العمري لهذا الّذي استلم الحجر فأصابه ما أصابه ؟ فقال : وما الّذي قال ؟ قلت له : قال : يا عبدالله بطل حجّك إنّما هو حجر لا يضرّ ولا ينفع ! فقال أبو عبدالله عليه السلام : كذب ، ثمّ كذب ثمّ كذب إنّ للحجر لساناً ذلقاً يوم القيامة ، يشهد لمن وافاه بالموافاة ، ثمّ قال : إنّ الله تبارك وتعالى لمّا خلق السماوات والأرض خلق بحرين : بحراً عذباً ، وبحراً اُجاجاً ، فخلق تربة آدم من البحر العذب ، وشنّ[2] عليها من البحر الاُجاج ، ثمّ جبل آدم فعرك عرك الأديم فتركه ماشاء الله فلمّا أراد أن ينفخ فيه الروح أقامه شبحاً فقبض قبضة من كتفه الأيمن فخرجوا كالذرّ فقال : هؤلاء إلى الجنّة ؛ وقبض قبضة من كتفه الأيسر وقال : هؤلاء إلى النّار ؛ فأنطق الله عزّ وجلّ أصحاب اليمين وأصحاب اليسار ، فقال أهل اليسار : يا ربّ لما خلقت[3] لنا النار ولم تبيّن لنا ولم تبعث إلينا رسولاً ؟ فقال الله عزّ وجلّ لهم : ذلك لعلمي بما أنتم صائرون إليه ، وإنّي سأبتليكم ، فأمر الله عزّ وجلّ النار فاُسعرت ، ثمّ قال لهم : تقحّموا

---

(١) في نسخة : واخذ .

(٢) في المصدر : سنّ . م

(٣) في المصدر : لم خلقت . م

جميعاً في النار فإنّي أجعلها عليكم برداً وسلاماً ، فقالوا : يارب إنّما سألناك لأيّ شيء جعلتها لنا هرباً منها ، ولو أمرت أصحاب اليمين ما دخلوا ؛ فأمر الله عزّ و جلّ النار فاُسعرت ثمّ قال لأصحاب اليمين : تقحّموا جميعاً في النار ، فتقحّموا جميعاً فكانت عليهم برداً و سلاماً فقال لهم : [1] ألست بربّكم ؟ قال أصحاب اليمين : بلى طوعاً ، و قال أصحاب الشمال : بلى كرهاً ؛ فأخذ منهم جميعاً ميثاقهم ، و أشهدهم على أنفسهم ؛ قال : وكان الحجر في الجنّة فأخرجه الله عزّ وجلّ فالتقم الميثاق من الخلق كلّهم ، فذلك قوله عزّ وجلّ : « وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً وإليه ترجعون » فلمّا أسكن الله عزّ وجلّ آدم الجنّة وعصى أهبط الله عزّ وجلّ الحجر و جعله في ركن بيته وأهبط آدم عليه السلام على الصفا فمكث ماشاءالله ، ثمّ رآه في البيت فعرفه و عرف ميثاقه و ذكره فجاء إليه مسرعاً فأكبّ عليه وبكى عليه أربعين صباحاً تائباً من خطيئته ، ونادماً على نقضه ميثاقه ؛ قال : فمن أجل ذلك اُمرتم أن تقولوا إذا استلمتم الحجر : أمانتي أدّيتها وميثاقي تعاهدته لتشهد لي بالموافاة يوم القيامة . «ص١٤٧»

٣٦ ـ ع : ابن المتوكّل ، عن السعدآبادي ، عن البرقي ، عن أبيه ، عن عبدالله ابن محمّد الهمداني ، عن إسحاق القمي قال : دخلت على أبي جعفر الباقر عليه السلام فقلت له : جعلت فداك أخبرني عن المؤمن يزني ؟ قال : لا ، قلت : فيلوط ؟ قال : لا ، قلت : فيشرب المسكر ؟ قال : لا ، قلت : فيذنب ؟ قال : نعم ؛ قلت : جعلت فداك لايزني ولا يلوط ولا يرتكب السيّئات ، فأيّ شيء ذنبه ؟

فقال : يا إسحاق قال الله تبارك و تعالى : « الّذين يجتنبون كبائر الإثم و الفواحش إلّا اللّمم » وقد يلمّ المؤمن بالشيء الّذي ليس فيه مراد قلت : جعلت فداك أخبرني عن الناصب لكم يظهر بشيء أبداً ؟ قال : لا .

قلت : جعلت فداك فقد أرى المؤمن الموحّد الّذي يقول بقولي و يدين الله بولايتكم وليس بيني و بينه خلاف يشرب المسكر ، ويزني ، ويلوط ، وآتيه في حاجة واحدة فاُصيبه معبس الوجه ، كامح اللّون ، ثقيلاً في حاجتي ، بطيئاً فيها ؛ وقد أرى

---

(١) في المصدر : فقال لهم جميعا . م

الناصب المخالف لما أنا عليه ويعرفني بذلك فآتيه في حاجة فاُصيبه طلق الوجه ، حسن البشر ، متسرّعاً في حاجتي ، فرحاً بها ، يحبّ قضاءها ،[1] كثير الصلاة ، كثير الصوم ، كثير الصدقة ، يؤدّي الزكاة ، ويستودع فيؤدّي الأمانة !.

قال : يا إسحاق ليس تدرون من أين اُوتيتم ؟ قلت : لا والله ، جعلت فداك إلّا أن تخبرني ، فقال : يا إسحاق إنّ الله عزّ وجلّ لمّا كان متفرّداً بالوحدانيّة ابتدأ الأشياء لا من شيء ، فأجرى الماء العذب على أرض طيّبة طاهرة سبعة أيّام مع لياليها ، ثمّ نضب الماء عنها فقبض قبضة من صفاوة ذلك الطين ، وهي طينتنا أهل البيت ، ثمّ قبض قبضة من أسفل ذلك الطينة ، وهي طينة شيعتنا ، ثمّ اصطفانا لنفسه ، فلو أنّ طينة شيعتنا تركت كما تركت طينتنا لما زنى أحد منهم ، ولا سرق ، ولا لاط ، ولا شرب المسكر ، ولا اكتسب شيئاً ممّا ذكرت ، ولكنّ الله عزّ وجلّ أجرى الماء المالح على أرض ملعونة سبعة أيّام و لياليها ، ثم نضب الماء عنها ؛ ثمّ قبض قبضة ، و هي طينة ملعونة من حمأ مسنون ،[2] وهي طينة خبال ،[3] وهي طينة أعدائنا ، فلو أنّ الله عزّ وجلّ ترك طينتهم كما أخذها لم تروهم في خلق الآدميّين ، ولم يقرّوا بالشهادتين ، ولم يصوموا ، ولم يصلّوا ، ولم يزكّوا ، ولم يحجّوا البيت ، ولم تروا أحداً منهم بحسن خلق ، ولكنّ الله تبارك و تعالى جمع الطينتين طينتكم و طينتهم فخلطهما و عركهما عرك الأديم ، ومزجهما بالمائين فما رأيت من أخيك من شرّ لفظ أو زناً ، أو شيء ممّا ذكرت من شرب مسكر أو غيره ، فليس من جوهريّته ولا من إيمانه ، إنّما هو بمسحة الناصب اجترح هذه السيّئات الّتي ذكرت ؛ وما رأيت من الناصب من حسن وجه وحسن خلق ، أو صوم ، أو صلاة أو حجّ بيت ، أو صدقة ، أو معروف فليس من جوهريّته ، إنّما تلك الأفاعيل من مسحة الإيمان اكتسبها وهو اكتساب مسحة الإيمان .

قلت : جعلت فداك فإذا كان يوم القيامة فمه ؟[4] قال لي : يا إسحاق أيجمع الله الخير

---

(١) كذا في نسخة المصنف لكن الظاهر كما في بعض النسخ : فرحا بما يحب قضاءها .

(٢) الحمأ : الطين الاسود المتغير . والمسنون : المنتن . وقيل : المصور . والمصبوب المفرغ كأنه افرغ حتى صار صورة .

(٣) : الخبال الفساد ، النقصان .

(٤) في نسخة : فسمه .

والشرّ في موضع واحد ؟ إذا كان يوم القيامة نزع الله عزّ وجلّ مسحة الإيمان منهم فردّها إلى شيعتنا ، ونزع مسحة الناصب بجميع ما اكتسبوا من السيّئات فردّها على أعدائنا ، وعاد كلّ شيء إلى عنصره الأوّل الّذي منه ابتدأ ؛ أما رأيت الشمس إذا هي بدت ألا ترى لها شعاعاً زاجراً متّصلاً بها أو بائناً منها ؟ قلت : جعلت فداك الشمس إذا هي غربت بدا إليها الشعاع كما بدا منها ، ولو كان بائناً منها لما بدا إليها .

قال : نعم يا إسحاق كلّ شيء يعود إلى جوهره الّذي منه بدا ، قلت : جعلت فداك تؤخذ حسناتهم فتردّ إلينا ؟ وتؤخذ سيّئاتنا فتردّ إليهم ؟ قال : إي والله الّذي لا إله إلّا هو ؛ قلت : جعلت فداك أجدها في كتاب الله عزّ وجلّ ؟ قال : نعم يا إسحاق ؛ قلت : في أيّ مكان ؟ قال لي : يا إسحاق أما تتلو هذه الآية ؟ « اُولئك الّذين يبدّل الله سيّئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً » فلم يبدّل الله سيّئاتهم حسنات إلّا لكم والله يبدّل لكم . « ص١٦٧ »

ايضاح : قال الجزريّ : في حديث الإفك : وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله أي قاربت . وقيل : اللّمم مقاربة المعصية من غير إيقاع فعل . وقيل : هو من اللّمم : صغار الذنوب . قوله : يظهر بشيء على البناء للمفعول من أظهره بمعنى أعانه ، أي هل يعان بشيء من الخير؟ ولعلّه كان (يظفر) أو (يطهر) بالطاء المهملة . قوله عليه السلام : أتيتم ، أي هلكتم ، وفي بعض النسخ « اُوتيتم » أي أتاكم الذنب . قوله عليه السلام : شعاعاً زاجراً أي شديداً يزجر البصر عن النظر . قوله : بدا إليها لعلّه ضمّن معنى الانتهاء .

٣٧ـ ير : عمران بن موسى ، عن موسى بن جعفر ، عن عليّ بن سعيد ، عن إبراهيم بن إسحاق ، عن الحسين بن زيد ، [1] عن جعفر بن محمّد ، عن جدّه عليه السلام قال : قال عليّ بن الحسين عليه السلام : إنّ الله بعث جبرئيل إلى الجنّة فأتاه بطينة من طينها ،

(١) هو الحسين بن زيد بن علي بن الحسين عليه السلام ، الملقب بذى الدمعة ، الذى تبناه ورباه أبوعبدالله عليه السلام ، وزوجه بنت الارقط . وفى البصائر المطبوع « على بن معبد » بدل « على بن سعيد » ويؤيد ذلك ماحكى عن جامع الرواة أن الصواب موسى بن جعفر ، عن على بن معبد ؛ دون على بن سعيد .

وبعث ملك الموت إلى الأرض فجاءه بطينة من طينها ؛ فجمع الطينتين ثمّ قسّمها نصفين ، فجعلنا من خير القسمين ، وجعل شيعتنا من طينتنا ، فما كان من شيعتنا ممّا يرغب بهم عنه[1] من الأعمال القبيحة فذاك ممّا خالطهم من الطينة الخبيثة ومصيرها إلى الجنّة ، وماكان في عدوّنا من برّ وصلاة وصوم ومن الأعمال الحسنة فذاك لما خالطهم من طينتنا الطيّبة ومصيرهم إلى النار . « ص ٥ »

٣٨- ير : عبدالله بن محمّد ، عن إبراهيم بن محمّد ، عن مسعود بن يوسف بن كليب ، عن الحسن بن حمّاد ، عن فضيل بن الزبير ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : يا فضيل أما علمت أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال : إنّا أهل بيت خلقنا من علّيّين ، وخلق قلوبنا من الّذي خلقنا منه ، وخلق شيعتنا من أسفل من ذلك ، وخلق قلوب شيعتنا منه ؛ و إنّ عدوّنا خلقوا من سجّين ، وخلق قلوبهم من الّذي خلقوا منه ، و خلق شيعتهم من أسفل من ذلك ، و خلق قلوب شيعتهم من الّذي خلقوا منه ،[2] فهل يستطيع أحد من أهل علّيّين أن يكون من أهل سجّين ؟ وهل يستطيع أهل سجّين أن يكونوا من أهل علّيّين ؟! . « ص ٥ »

٣٩ - ير : عنه ، عن محمّد بن الحسين ، عن الحسن بن محبوب ، عن سيف بن عميرة ، عن أبي بكر الحضرميّ ، عن عليّ بن الحسين عليهما السلام أنّه قال : أخذ الله[3] ميثاق شيعتنا معنا على ولايتنا لا يزيدون ولا ينقصون : إنّ الله خلقنا من طينة علّيّين و خلق شيعتنا من طينة أسفل من ذلك وخلق عدوّنا من طينة سجّين ، وخلق أولياءهم من طينة أسفل من ذلك . «ص٥»

٤٠ - ير : أحمد بن محمّد ، عمّن رواه ، عن أحمد بن عمرو الجبليّ ، عن إبراهيم بن عمران ، عن محمّد بن سوقة ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إنّ الله خلقنا من طينة علّيّين ، وخلق قلوبنا من طينة فوق علّيّين ، وخلق شيعتنا من طينة أسفل من ذلك ، وخلق قلوبهم من طينة علّيّين ، فصارت قلوبهم تحنّ إلينا لأنّها منّا ، وخلق عدوّنا من طينة سجّين ، وخلق قلوبهم من طينة أسفل من سجّين ، وإنّ الله رادّ كلّ طينة إلى معدنها فرادّهم إلى علّيّين ، ورادّهم إلى سجّين .

(١) مما يرغب به عنهم (ظ) .

(٢) في المصدر : مما خلقوا منه م (٣) في المصدر : قد أخذ الله م

٤١ ـ ير : أحمد بن محمّد ، عن الحسن بن موسى ، عن عليّ بن حسّان ، عن عبد الرّحمن بن كثير ، عن أبي‌عبدالله عليه‌السلام في قول الله : « وإذأخذ ربّك من بني آدم من ظهورهم ذرّيّتهم » إلى آخر الآية ، قال : أخرج الله من ظهر آدم ذرّيّته إلى يوم القيامة فخرجوا كالذرّ [(١)] فعرّفهم نفسه ،و لولا ذلك لن يعرف [(٢)] أحد ربّه ، ثمّ قال : «ألست بربّكم » قالوا بلى ، وإنّ هذامحمّد رسولي ، [(٣)] وعليّ أمير المؤمنين خليفتي وأميني . « ص٢٠ »

٤٢ ـ ير : بعض أصحابنا ، عن محمّد بن الحسين ، عن عليّ بن أسباط ، عن عليّ بن معمّر ، عن أبيه قال : سألت أباعبدالله عليه‌السلام عن قول‌الله تبارك وتعالى : «هذا نذير من النذر الاُولى » قال : يعني به محمّداً صلى‌الله‌عليه‌وآله حيث دعاهم إلى الإقرار بالله في الذرّ الأوّل . « ص٢٣ »

٤٣ ـ سن : ابن محبوب ، [(٤)] عن ابن رئاب ، عن بكير قال :كان أبوجعفر عليه‌السلام يقول : إنّ الله تبارك وتعالى أخذ ميثاق شيعتنا بالولاية لنا وهم ذرّ يوم أخذ الميثاق على الذرّ بالإقرار له بالربوبيّة ، ولمحمّد بالنبوّة ، وعرض على محمّد صلى‌الله‌عليه‌وآله اُمّته في الظلّ [(٥)] وهم أظلّة ، وخلقهم من الطينة الّتي خلق منها آدم وخلق أرواح شيعتناقبل أبدانهم بألفي عام ، وعرضهم عليه ، وعرّفهم رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وآله وعليّ بن أبي‌طالب عليه‌السلام ونحن نعرفهم في لحن القول . « ص ٢٤ »

و رواه عثمان‌بن‌عيسى ، عن أبي‌الجرّاح ، عن‌أبي‌الحسن عليه‌السلام وزادفيه : وكلّ قلب يحنّ إلى بدنه .

شي : عن بكير مثله .

٤٤ ـ سن : أبي ، عن القاسم بن‌محمّد ، عن‌البطائنيّ ، عن أبي‌بصير ، عن أبي‌جعفر

---

(١) في المصدر : فخرجوا الى يوم‌القيمة كالذر . م

(٢) في المصدر : لم يعرف . م

(٣) في المصدر : وان هذا محمد رسول الله صلى‌الله عليه وآله وعلى أمير المؤمنين (ع) . م

(٤) في المصدر : احمد بن محمد ومحمد بن الحسين جميعاً عن ابن محبوب . م

(٥) في المصدر : في الطين . م

عليه السلام قال: لا تخاصموا الناس فإنّ الناس لواستطاعوا أن يحبّونا لأحبّونا ، إنّ الله أخذميثاق النفس[1] فلايزيد فيهم أحد أبداً ، ولاينقص منهم أحداً بداً . «ص١٣٦»

٤٥ ـ سن : محمّد بن عليّ ، عن إسماعيل بن يسار ، عن عثمان بن يوسف ، عن عبدالله بن كيسان قال ، قلت لأبي عبدالله عليه السلام : جعلت فداك أنا مولاك عبدالله بن كيسان فقال : أمّا النسب فأعرفه ، وأمّا أنت فلست أعرفك ؛ قال : قلت : ولدت بالجبل ،[2] و نشأت بأرض فارس و أنا اُخالط الناس في التجارات و غير ذلك ، فأرى الرجل حسن السمت ، وحسن الخلق والأمانة ، ثمّ اُفتّشه فاُفتّشه عن عداوتكم : واُخالط الرجل وأرى فيه سوء الخلق ، و قلّة أمانة و زعارة ثمّ اُفتّشه فاُفتّشه عن ولايتكم ، فكيف يكون ذلك ؟ فقال :[3] أما علمت يابن كيسان أنّ الله تبارك و تعالى أخذ طينة من الجنّة ، وطينة من النار فخلطهما جميعاً ، ثمّ نزع هذه من هذه فما رأيت من اُولئك من الأمانة وحسن السمت وحسن الخلق فممّا مسّتهم من طينة الجنّة وهم يعودون إلى ما خلقوا منه ، وما رأيت من هؤلاء من قلّة الأمانة و سوء الخلق و الزعارة فممّا مسّتهم من طينة النار ، وهم يعودون إلى ما خلقوا منه . «ص١٣٦ ـ ١٣٧»

بيان : قوله عليه السلام : فلست أعرفك أي بالتشيّع ، والزعارة بالتشديد وقد يخفّف شراسة الخلق .

٤٦ ـ سن : أبي ، عن عبدالله بن القاسم ، عمّن حدّثه قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام : أرى الرجل من أصحابنا ممّن يقول بقولنا خبيث اللّسان ، خبيث الخلطة ، قليل الوفاء بالميعاد ، فيغمّني غمّاً شديداً ؛ وأرى الرجل من المخالفين علينا حسن السمت ، حسن الهدي ،[4] و فيّاً بالميعاد ، فأغتمّ غمّاً ؛[5] فقال : أو تدري لمَ ذاك ؟ قلت : لا ، قال :

---

(١) هكذا فى نسخ من البحار ، وفى المحاسن المطبوع (الناس) وفى هامش نسخة المصنف : (الشيعة ظ) بخطه الشريف قدس سره .

(٢) يطلق بلاد الجبل على مدن بين آذربيجان وعراق العرب ، وخوزستان وفارس ، وبلاد الديلم .

(٣) فى المصدر : فقال لى . م

(٤) الهدى : الطريقة ؛ السيرة .

(٥) فى المصدر : فاغتم لذلك غما شديدا . م

إنّ الله خلق الطينتين فعركهما - وقال بيده هكذا راحتيه جميعاً واحدة على الأُخرى . ثمّ فلقهما فقال : هذه إلى الجنّة ، وهذه إلى النار ولا اُبالي ، فالّذي رأيت من خبث اللّسان والبذاء و سوء الخلطة و قلّة الوفاء بالميعاد من الرجل الّذي هو من أصحابكم ، يقول بقولكم فبما التطخ بهذه من الطينة الخبيثة وهو عائد إلى طينته ؛ والّذي رأيت من حسن الهدي وحسن السمت وحسن الخلطة والوفاء بالميعاد من الرجال من المخالفين فبما التطخ به من الطينة . فقلت : [1] فرّجت عنّي فرّج الله عنك . « ص١٣٧ - ١٣٨ »

٤٧ - سن : يحيى بن إبراهيم بن أبي البلاد ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن رجل من أصحابه يقال له : عمران أنّه خرج في عمرة زمن الحجّاج فقلت له : هل لقيت أبا جعفر عليه السلام قال : نعم ، قلت : فما قال لك ؟ قال : قال لي : يا عمران ما خبر الناس ؟ فقلت : تركت الحجّاج يشتم أباك على المنبر - أعني عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه - فقال : أعداء الله يبدهون سبّنا ؛ أما إنّهم لو استطاعوا أن يكونوا من شيعتنا لكانوا ، ولكنّهم لا يستطيعون ؛ إنّ الله أخذ ميثاقنا وميثاق شيعتنا ونحن وهم أظلّة ، فلو جهد الناس أن يزيدوا فيه [2] رجلاً أو ينقصوا منه [3] رجلاً ما قدروا على ذلك . «ص١٣٥-١٣٦»

بيان : يبدهون بالباء أي يأتون به بديهة و فجأة بلا رويّة ، وفي بعض النسخ بالنون ، يقال : ندهت الإبل أي سقتها مجتمعة ، و الندهة بالضمّ و الفتح : الكثرة من المال .

٤٨ - سن : عليّ بن الحكم ، عن أبان ، عن زرارة ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : لو علم الناس كيف كان ابتداء الخلق لما اختلف إثنان . فقال : إنّ الله تبارك و تعالى قبل أن يخلق الخلق قال : كن ماءاً عذباً أخلق منك جنّتي وأهل طاعتي . وقال : كن ماءاً ملحاً اُجاجاً أخلق منك ناري وأهل معصيتي ، ثمّ أمرهما فامتزجا ، فمن ذلك صار يلد المؤمن كافراً والكافر مؤمناً ، ثمّ أخذ طين آدم من أديم الأرض فعركه عركاً شديداً فإذا

(١) في المصدر : من الطينة الطيبة فقلت جعلت فداك . م

(٢) في المصدر : فيهم . م (٣) في المصدر : منهم . م

هم في الذرّ يدبّون ، فقال لأصحاب اليمين : إلى الجنّة بسلام ، وقال لأصحاب النار : إلى النار ولا اُبالي ، ثمّ أمر ناراً فاُسعرت فقال لأصحاب الشمال : ادخلوها ، فهابوها وقال لأصحاب اليمين : ادخلوها ، فدخلوها : فقال كوني برداً وسلاماً فكانت برداً وسلاماً ؛ فقال أصحاب الشمال : يارب أقلنا ،[1] فقال : قد أقلتكم فادخلوها ، فذهبوا فهابوها ، فثمّ ثبتت الطاعة و المعصية ، فلا يستطيع هؤلاء أن يكونوا من هؤلاء ولا هؤلاء أن يكونوا من هؤلاء . « ص ٢٨٢»

بيان : قوله عليه السلام : لما اختلف اثنان أي في مسألة القضاء والقدر ، أولما تنازع اثنان في أمر الدين .

٤٩ ـ سن : عبد الله بن محمّد النهيكي ، عن حسّان ، عن أبيه ، عن أبي إسحاق السبيعي ، عن أبي جعفر و أبي عبدالله عليهما السلام قالا : كان في بدء خلق الله أن خلق أرضاً وطينة وفجّر منها ماءها ، وأجرى ذلك الماء على الأرض سبعة أيّام ولياليها ، ثمّ نضب الماء عنها ، ثمّ أخذ من صفوة تلك الطينة وهي طينة الأئمّة ، ثمّ أخذ قبضة اُخرى من أسفل تلك الطينة وهي طينة ذرّيّة الأئمّة وشيعتهم ، فلو تركت طينتكم كما ترك طينتنا لكنتم أنتم ونحن شيئاً واحداً ، قلت : فما صنع بطينتنا ؟ قال : إنّ الله عزّ وجلّ خلق أرضاً سبخة ، ثم أجرى عليها ماءاً اُجاجاً ، أجراها سبعة أيّام ولياليها ، ثمّ نضب عنها الماء ، ثمّ أخذ من صفوة تلك الطينة وهي طينة أئمّة الكفر فلو تركت طينة عدوّنا كما أخذها لم يشهدوا الشهادتين : أن لا إله إلّا الله ، وأنّ محمّداً رسول الله ، و لم يكونوا يحجّون البيت ، ولا يعتمرون ، ولا يؤتون الزكاة ، ولا يصدّقون ، ولا يعملون شيئاً من أعمال البرّ . ثمّ قال : أخذ الله طينة شيعتنا وطينة عدوّنا فخلطهما وعركهما عرك الأديم ، ثمّ مزجهما بالماء ، ثمّ جذب هذه من هذه ، وقال : هذه في الجنّة ولا اُبالي ، وهذه في النار ولا اُبالي ، فما رأيت في المؤمن من زعارة وسوء الخلق و اكتساب سيّئات فمن تلك

---

(١) اى اصفح عنا .

السبخة [١] الّتي مازجته من الناصب، وما رأيت من حسن خلق الناصب وطلاقة وجهه وحسن بشره وصومه وصلاته فمن تلك السبخة الّتي أصابته من المؤمن. «ص٢٨٢ـ٢٨٣»

٥٠ ـ **نهج**: من كلام له روى اليمامي، عن أحمد بن قتيبة، عن عبدالله بن يزيد، عن مالك بن دحية قال: كنّا عند أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وقد ذكر عنده اختلاف الناس: إنّما فرّق بينهم مبادي طينتهم، وذلك أنّهم كانوا فلقة من سبخ أرض وعذبها، وحزن [٢] تربة وسهلها، فهم على حسب قرب أرضهم يتقاربون، وعلى قدر اختلافها يتفاوتون، فتامّ الرواء ناقص العقل، ومادّ القامة [٣] قصير الهمّة، وزاكي العمل قبيح المنظر، وقريب القعر بعيد السبر، ومعروف الضريبة منكر الجليبة، وتائه القلب متفرّق اللّبّ، وطليق اللّسان حديد الجنان.

بيان: قوله عليه السلام: إنّما فرّق بينهم قال ابن ميثم: أي تقاربهم في الصور والأخلاق تابع لتقارب طينهم وتقارب مباديه وهي السهل والحزن، والسبخ والعذب؛ وتفاوتهم فيها لتفاوت طينهم ومباديه المذكورة. وقال أهل التأويل: الإضافة بمعنى اللام أي المبادي لطينهم، كناية عن الأجزاء العنصريّة الّتي هي مبادي المركّبات ذوات الأمزجة، والسبخ كناية عن الحارّ اليابس، والعذب عن الحارّ الرطب، والسهل عن البارد الرطب والحزن عن البارد اليابس. والفلقة: القطعة والشقّ من الشيء، والرواء: المنظر الحسن، وقريب القعر أي قصير. بعيد السبر أي داهية يبعد اختبار باطنه يقال: سبرت الرجل أسبره أي اختبرت باطنه وغوره. والضريبة: الخلق والطبيعة. والجليبة: ما يجلبه الإنسان ويتكلّفه أي خلقه حسن يتكلّف فعل القبيح، وحمله ابن ميثم على العكس، وقال: متفرّق اللّبّ أي يتبع كلّ ناعق. ثمّ قال: الخمسة الأول ظاهرهم مخالف لباطنهم، والأخيرتان ليستا على تلك الوتيرة، ذكرتا لتتميم الأقسام.

٥١ ـ **شي**: عن زرارة قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: أرأيت حين أخذ الله الميثاق

---

(١) سبخ الارض: مالحها.

(٢) الحزن بفتح الحاء: الخشن ضد السهل.

(٣) ماد القامة: طويلها.

على الذرّ في صلب آدم فعرضهم على نفسه كانت معاينة منهم له ؟[1] قال : نعم يا زرارة وهم ذرّ بين يديه ،[2] وأخذ عليهم بذلك الميثاق بالربوبيّة له ، ولمحمّد صلى الله عليه وآله بالنبوّة ثمّ كفّل لهم بالأرزاق ، وأنساهم رؤيته ، وأثبت في قلوبهم معرفته ، فلا بدّ من أن يخرج الله إلى الدنيا كلّ من أخذ عليه الميثاق ، فمن جحد ما أُخذ عليه الميثاق لمحمّد صلى الله عليه وآله لم ينفعه إقراره لربّه بالميثاق ، ومن لم يجحد ميثاق محمّد نفعه الميثاق لربّه .

٥٢ ـ شي : عن عمّار بن أبي الأحوص ، عن أبي عبدالله عليه السلام : إنّ الله تبارك و تعالى خلق في مبتدأ الخلق بحرين : أحدهما عذب فرات ، والآخر ملح أُجاج ، ثمّ خلق تربة آدم من البحر العذب الفرات ثمّ أجراه على البحر الأُجاج فجعله حمأً مسنوناً وهو خلق آدم ، ثمّ قبض قبضة من كتف آدم الأيمن فذرأها في صلب آدم ، فقال : هؤلاء في الجنّة ولا اُبالي ، ثمّ قبض قبضة من كتف آدم الأيسر فذرأها في صلب آدم ، فقال : هؤلاء في النار ولا اُبالي ولا اُسأل عما أفعل ، ولي في هؤلاء البداء بعد :[3] و في هؤلاء و هؤلاء سيبتلون ؛ قال أبوعبدالله عليه السلام : فاحتجّ يومئذ أصحاب الشمال وهم ذرّ على خالقهم فقالوا : يا ربّنا بمَ أوجبت لنا النار ـ وأنت الحكم العدل ـ من قبل أن تحتجّ علينا ، وتبلونا بالرسل ، وتعلم طاعتنا لك ومعصيتنا ؟ فقال الله تبارك و تعالى : فأنا اُخبركم بالحجّة عليكم الآن في الطاعة والمعصية ، والإعذار بعد الإخبار . قال أبوعبدالله عليه السلام : فأوحى الله إلى مالك خازن النار : أن مر النار تشهق ، ثمّ تخرج عنقاً منها[4] فخرجت لهم ، ثمّ قال الله لهم : ادخلوها طائعين ، فقالوا : لا ندخلها طائعين ! ثمّ قال : ادخلوها طائعين ، أو لاُعذّبنّكم بها كارهين ، قالوا : إنّا هربنا إليك منها ، وحاججناك فيها حيث أوجبتها علينا ، وصيّرتنا من أصحاب الشمال ، فكيف ندخلها

---

(١) أراد من المعاينة الشهود اليقيني و الحضور العلمي ، لا المشاهدة والرؤية بالعين الجسماني لظهور انتفاء شرائط الرؤية من وجود الباصرة لهم هناك ، والجسمية له تعالى .

(٢) أى متفرق بين يديه أى فى الارض ، والذر أيضاً بمعنى النسل .

(٣) وفى نسخة : ولى فى هؤلاء البلاء بعد .

(٤) أى قطعة وجماعة منها .

طائعين ؟ ولكن ابدأ أصحاب اليمين في دخولها ، كي تكون قد عدلت فينا و فيهم ؛ قال أبوعبدالله عليه السلام : فأمر أصحاب اليمين وهم ذرٌّ بين يديه فقال : ادخلوا هذه النار طائعين قال : فطفقوا يتبادرون في دخولها فولجوا فيها جميعاً فصيّرها الله عليهم برداً وسلاماً ، ثمَّ أخرجهم منها . ثمّ إنّ الله تبارك وتعالى نادى في أصحاب اليمين و أصحاب الشمال : ألست بربّكم ؟ فقال أصحاب اليمين : بلى يا ربّنا نحن بريّتك وخلقك مقرّين طائعين ، وقال أصحاب الشمال : بلى يا ربّنا نحن بريّتك وخلقك كارهين ؛ وذلك قول الله : « وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً و كرهاً وإليه ترجعون» قال : توحيدهم لله .

٥٣ - شي : عن عثمان بن عيسى ، عن بعض أصحابه ، عنه قال : إنّ الله قال للماء : كن عذباً فراتاً أخلق منك جنّتي وأهل طاعتي ؛ وقال للماء : كن ملحاً اُجاجاً أخلق منك ناري وأهل معصيتي ، فأجرى الماءين على الطين ، ثمّ قبض قبضةً بهذه - وهي يمين - فخلقهم خلقاً كالذرّ ، ثمّ أشهدهم على أنفسهم : ألست بربّكم وعليكم طاعتي ؟ قالوا : بلى ، فقال للنّار : كوني ناراً ، فإذا نار تأجّج ، وقال لهم قعوا فيها ، فمنهم من أسرع ، ومنهم من أبطأ في السعي ، ومنهم من لم يرم مجلسه ، فلمّا وجدوا حرّها رجعوا فلم يدخلها منهم أحد ، ثمّ قبض قبضةً بهذه فخلقهم خلقاً مثل الذّر ، مثل اُولئك ، ثمّ أشهدهم على أنفسهم مثل ما أشهد الآخرين ، ثمّ قال لهم : قعوا في هذه النار ، فمنهم من أبطأ ، ومنهم من أسرع ، ومنهم من مرّ بطرف العين ، فوقعوا فيها كلّهم ، فقال : أخرجوا منها سالمين ، فخرجوا لم يصبهم شيء ؛ وقال الآخرون : يا ربّنا أقلنا نفعل كما فعلوا ، قال : قد أقلتكم ، فمنهم من أسرع في السعي ، ومنهم من أبطأ ، ومنهم من لم يرم مجلسه ، مثل ماصنعوا في المرّة الاُولى ؛ فذلك قوله : ولوردّوا لعادوا لما نهوا عنه وإنّهم لكاذبون .

بيان : يقال : رام يريم : إذا برح وزال من مكانه ، وأكثر مايستعمل في النّفي .

٥٤ - شي : خالد ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : ولوردّوا لعادوا لما نهوا عنه ، إنّهم ملعونون في الأصل .

٥٥ - شي : عن زرارة وحمران ومحمّد بن مسلم ، عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام

عن قول الله : « ونقلّب أفئدتهم وأبصارهم» إلى آخر الآية : أمّا قوله : «كما لم يؤمنوا به أوّل مرّة » فإنّه حين أخذ عليهم الميثاق .

٥٦ ـ شي : عن رفاعة قال : سألت أباعبدالله عليه السلام عن قول الله : « وإذ أخذ ربّك من بني آدم من ظهورهم ذرّيّتهم» قال : نعم أخذ الله الحجّة على جميع خلقه يوم الميثاق هكذا ـ وقبض يده ـ .

٥٧ ـ شي : عن أبي بصير قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام : كيف أجابوا وهم ذرّ؟ قال : جعل فيهم ما إذا سألهم أجابوه ـ يعني في الميثاق ـ .

بيان : أي تعلّقت الأرواح بتلك الذرّ وجعل فيهم العقل وآلة السمع وآلة النطق حتّى فهموا الخطاب وأجابوا وهم ذرّ.(١)

٥٨ ـ شي : عن زرارة قال : سألت أباعبدالله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ : « وإذ أخذ ربّك من بني آدم من ظهورهم » إلى « قالوا بلى » قال : كان محمّد عليه وآله السلام أوّل من قال : بلى ؛ قلت : كانت رؤية معاينة ؟ قال : ثبتت المعرفة في قلوبهم وأنسوا ذلك الميثاق وسيذكرونه بعد ، ولولا ذلك لم يدر أحد من خالقه ولا من يرزقه .

٥٩ ـ شي : عن زرارة أنّ رجلاً سأل أباعبدالله عليه السلام عن قول الله : «وإذ أخذ ربّك من بني آدم من ظهورهم ذرّيّتهم» فقال ـ وأبوه يسمع ـ : حدّثني أبي أنّ الله تعالى قبض قبضة من تراب التربة الّتي خلق منها آدم ، فصبّ عليها الماء العذب الفرات ، فتركها أربعين صباحاً ، ثمّ صبّ عليها الماء المالح الأجاج فتركها أربعين صباحاً ، فلمّا اختمرت الطينة أخذها تبارك وتعالى فعركها عركاً شديداً ، ثمّ هكذا ـ حكى(٢) بسط كفّيه ـ فخرجوا كالذرّ من يمينه وشماله فأمرهم جميعاً أن يقعوا في النار ، فدخل أصحاب اليمين فصارت عليهم برداً وسلاماً ، وأبى أصحاب الشمال أن يدخلوها .

---

(١) ظاهر الرواية لسان الحال ، أو أنهم كانوا على خلقة لو نزلوا منزل الدنيا ظهر ذلك منهم في صورة السؤال و الجواب ، و أما ماذكره رحمه الله فبعيد عن سياق الخبر ولوصح لكان هو الخلق الدنيوى بعينه . ط

(٢) حكى العقدة : شدّها .

بيان : قوله عليه السلام : من يمينه و شماله أي من يمين الملك المأمور بهذا الأمر و شماله ، أومن يمين العرش وشماله ، أواستعار اليمين للجهة الّتي فيها اليمن و البركة وكذا الشمال بعكس ذلك .

٦٠ ـ شي : عن أبي بصير ، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله « ألست بربّكم قالوا بلى» : قلت : قالوا بألسنتهم ؟ قال : نعم وقالوا بقلوبهم ؛ فقلت : وأيّ شيء كانوا يومئذ ؟ قال : صنع منهم ما اكتفى به .

٦١ ـ شي : عن زرارة قال : سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله :«و إذ أخذ ربّك من بني آدم» إلى «أنفسهم» قال : أخرج الله من ظهر آدم ذرّيّته إلى يوم القيامة ، فخرجوا كالذرّ ، فعرّفهم نفسه ، و أراهم نفسه ، و لولا ذلك ماعرف أحد ربّه ، و ذلك قوله : «ولئن سألتهم من خلق السموات و الأرض ليقولنّ الله » .

٦٢ ـ شي : عن الأصبغ بن نباتة ، عن عليّ عليه السلام قال : أتاه ابن الكوّاء[1] فقال : يا أمير المؤمنين أخبرني عن الله تباك و تعالى هل كلّم أحداً من ولد آدم قبل موسى؟ فقال عليّ : قد كلّم الله جميع خلقه برّهم وفاجرهم وردّوا عليه الجواب . فثقل ذلك على ابن الكوّاء ولم يعرفه ، فقال له : كيف كان ذلك يا أمير المؤمنين ؟ فقال له : أو ما تقرأ كتاب الله إذ يقول لنبيّه : « و إذ أخذ ربّك من بني آدم من ظهورهم ذرّيّتهم و أشهدهم على أنفسهم ألست بربّكم قالوا بلى » ؟ فقد أسمعكم كلامه ، و ردّوا عليه الجواب كما تسمع في قول الله ـ يا ابن الكوّاء ـ «قالوا بلى » فقال لهم : إنّي أنا الله لا إله إلّا أنا ، و أنا الرحمن ، فأقرّوا له بالطاعة و الربوبيّة ، و ميّز الرسل والأنبياء و الأوصياء ، وأمر الخلق بطاعتهم ، فأقرّوا بذلك في الميثاق ، فقالت الملائكة عند إقرارهم بذلك : شهدنا عليكم يا بني آدم أن تقولوا يوم القيامة إنّا كنّا عن هذا غافلين .

٦٣ ـ قال أبو بصير : قلت لأبي عبدالله عليه السلام أخبرني عن الذرّ وحيث أشهدهم على أنفسهم ألست بربّكم ؟ قالوا : بلى ، وأسرّ بعضهم خلاف ما أظهر ، قلت : كيف علموا

(١) كشداد ، هو عبدالله بن عمرو اليشكري ، خارجي ملعون .

القول حيث قيل لهم : ألست بربكم ؟ قال : إنّ الله جعل فيهم ماإذا سألهم أجابوه .

٦٤ - شي : عن زرارة و حمران ، عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام قالا : إنّ الله خلق الخلق وهي أظلّة ، فأرسل رسوله محمّداً صلى الله عليه وآله فمنهم من آمن به ومنهم من كذّبه ، ثمّ بعثه في الخلق الآخر فآمن به من كان آمن به في الأظلّة وجحده من جحد به يومئذ ، فقال : ما كانوا ليؤمنوا بما كذّبوا به من قبل .

٦٥ - شي : عن أبي بصير ، عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله : «ثمّ بعثنا من بعده رسلاً إلى قومهم» إلى « بما كذّبوا به من قبل» قال : بعث الله الرسل إلى الخلق وهم في أصلاب الرجال ، و أرحام النساء ، فمن صدّق حينئذ صدّق بعد ذلك ، و من كذّب حينئذ كذّب بعد ذلك .

٦٦ - شي : عن أبي حمزة الثماليّ ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : إنّ الله تبارك وتعالى هبط إلى الأرض في ظلل من الملائكة على آدم وهو بواد يقال له : الروحاء وهو واد بين الطائف ومكّة ، قال : فمسح على ظهر آدم ثمّ صرخ بذرّيّته وهم ذرّ ، قال : فخرجوا كما يخرج النحل من كورها ، فاجتمعوا على شفير الوادي[1] فقال الله لآدم : انظر ما ذا ترى فقال آدم : أرى ذرّاً كثيراً على شفير الوادي ، فقال الله : يا آدم هؤلاء ذرّيّتك ، أخرجتهم من ظهرك لآخذ عليهم الميثاق لي بالربوبيّة ، ولمحمّد بالنبوّة ، كما آخذه عليهم في السماء ؛ قال آدم : يارب وكيف وسعتهم ظهري ؟ قال الله : يا آدم بلطف صنيعي و نافذ قدرتي ؛ قال آدم : يارب فما تريد منهم في الميثاق ؟ قال الله : أن لا يشركوا بي شيئاً ، قال آدم : فمن أطاعك منهم يا رب فما جزاؤه ؟ قال : اُسكنه جنّتي ؛ قال آدم : فمن عصاك فما جزاؤه ؟ قال : اُسكنه ناري ، قال آدم : يارب لقد عدلت فيهم ، وليعصينّك أكثرهم إن لم تعصمهم .

بيان : هبط إلى الأرض أي هبط ونزل أمره ووحيه مع طوائف كثيرة من الملائكة شبّههم بالظلل في وفورهم و كثرتهم وتراكمهم ، والظلل جمع الظلّة و هي ما أظلّك من

---

(١) الشفير : ناحية كل شيء ، ومن الوادى : ناحية من أعلاه .

سحاب ونحوه ، وهذا مثل قوله تعالى : «هل ينظرون إلّا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة»[1] والمسح : كناية عن شمول اللّطف والرحمة .

٦٧ ـ كشف : من كتاب دلائل الحميريّ ، عن أبي هاشم الجعفريّ قال : كنت عند أبي محمّد عليه السلام فسأله محمّد بن صالح الأرمنيّ عن قول الله : « وإذ أخذ ربّك من بني آدم من ظهورهم ذرّيّتهم و أشهدهم على أنفسهم ألست بربّكم قالوا بلى شهدنا » قال أبو محمّد عليه السلام ثبتت المعرفة ونسوا ذلك الموقف وسيذكرونه ، ولولا ذلك لم يدر أحدٌ من خالقه ولا من رازقه ؛ قال أبو هاشم : فجعلت أتعجّب في نفسي من عظيم ما أعطى الله وليّه وجزيل ما حمّله ، فأقبل أبو محمّد عليّ فقال : الأمر أعجب ممّا عجبت منه يا أباهاشم و أعظم ! ماظنّك بقوم من عرفهم عرف الله ، ومن أنكرهم أنكر الله ؟ فلا مؤمن إلّا وهو بهم مصدّق وبمعرفتهم موقن . « ص ٣٠٦ »

بيان اعلم انّ أخبار هذا الباب من متشابهات الأخبار ، و معضلات الآثار ، و لأصحابنا رضي الله عنهم فيها مسالك .

منها ماذهب إليه الأخباريّون ، و هو أنّا نؤمن بها مجملاً ، و نعترف بالجهل عن حقيقة معناها ، وعن أنّها من أيّ جهة صدرت ، ونردّ علمه إلى الأئمّة عليهم السلام .

ومنها أنّها محمولة على التقيّة لموافقتها الروايات العامّة ولماذهبت إليه الأشاعرة وهم جلّهم ، ولمخالفتها ظاهراً لما مرّ من أخبار الاختيار والاستطاعة .

ومنها أنّها كناية عن علمه تعالى بماهم إليه صائرون ، فإنّه تعالى لمّا خلقهم مع علمه بأحوالهم فكأنّه خلقهم من طينات مختلفة ،

ومنها أنّها كناية عن اختلاف استعداداتهم و قابليّاتهم ، وهذا أمر بيّن لايمكن إنكاره ، فإنّه لا شبهة في أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله وأباجهل ليسا في درجة واحدة من الاستعداد والقابليّة ، وهذا لا يستلزم سقوط التكليف ، فإنّ الله تعالى كلّف النبيّ صلّى الله عليه وآله حسب ما أعطاه من الاستعداد لتحصيل الكمالات ، وكلّف أباجهل حسب ما أعطاه من ذلك ولم يكلّفه ماليس في وسعه ، ولم يجبره على شيء من الشرّ والفساد .

---

(١) البقرة : ٢١٠ .

ومنها أنّه لمّا كلّف الله تعالى الأرواح أوّلاً في الذرّ و أخذ ميثاقهم فاختاروا الخير و الشرّ باختيارهم في ذلك الوقت ، و تفرّع اختلاف الطينة على ما اختاروه باختيارهم كما دلّ عليه بعض الأخبار السابقة فلا فساد في ذلك .

ولا يخفى مافيه وفي كثير من الوجوه السابقة ، وترك الخوض في أمثال تلك المسائل الغامضة الّتي تعجز عقولنا عن الإحاطة بكنهها أولى ، لاسيّما في تلك المسألة الّتي نهى أئمّتنا عن الخوض فيها ، ولنذكر بعض ما ذكره في ذلك علماؤنا رضوان الله عليهم ومخالفوهم .

فمنها ماذكره الشيخ المفيد قدّس الله روحه في جواب المسائل السرويّة حيث سئل : ما قوله - أدام الله تأييده - في معنى الأخبار المرويّة عن الأئمّة الهادية عليهم السلام في الأشباح و خلق الله تعالى الأرواح قبل خلق آدم عليه السلام بألفي عام ، وإخراج الذرّيّة من صلبه على صور الذرّ ، ومعنى قول رسول الله صلى الله عليه وآله : الأرواح جنود مجنّدة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف ؟ .

الجواب : - وبالله التوفيق - أنّ الأخبار بذكر الأشباح تختلف ألفاظها ، وتتباين معانيها ، و قد بنت الغلاة عليها أباطيل كثيرة ، و صنّفوا فيها كتباً لغوا فيها ، و هزؤوا فيما أثبتوه منه في معانيها ، وأضافوا ماحوته الكتب إلى جماعة من شيوخ أهل الحقّ و تخرّصوا الباطل بإضافتها إليهم ، من جملتها كتاب سمّوه كتاب (الأشباح و الأظلّة) نسبوه في تأليفه إلى محمّد بن سنان ، ولسنا نعلم صحّة ما ذكروه في هذا الباب عنه وإن كان صحيحاً فإنّ ابن سنان قدطعن عليه وهو متّهم بالغلوّ ، فإن صدقوا في إضافة هذا الكتاب إليه فهو ضلال لضالّ عن الحقّ ، وإن كذبوا فقد تحمّلوا أوزار ذلك ، والصحيح من حديث الأشباح الرواية الّتي جاءت عن الثقاة بأنّ آدم عليه السلام رأى على العرش أشباحاً يلمع نورها ، فسأل الله تعالى عنها ، فأوحى إليه أنّها أشباح رسول الله صلّى الله عليه و آله ، وأمير المؤمنين ، والحسن ، و الحسين ، و فاطمة صلوات الله عليهم ؛ وأعلمه أنّه لولا الأشباح الّتي رآها ماخلقه ولا خلق سماءاً ولا أرضاً . والوجه فيما

أظهره الله تعالى من الأشباح والصور لآدم أن دلّه على تعظيمهم وتبجيلهم، [١] وجعل ذلك إجلالاً لهم، ومقدّمة لما يفترضه من طاعتهم، ودليلاً على أنّ مصالح الدين والدنيا لاتتمّ إلّا بهم ولم يكونوا في تلك الحال صوراً مجيبة، ولا أرواحاً ناطقة لكنّها كانت على مثل صورهم في البشريّة، يدلّ على ما يكونوا عليه في المستقبل في الهيئة، والنور الّذي جعله عليهم يدلّ على نور الدين بهم وضياء الحقّ بحججهم؛ وقد روي أنّ أسماءهم كانت مكتوبة إذذاك على العرش، وأنّ آدم عليه السلام لمّا تاب إلى الله عزّ وجلّ و ناجاه بقبول توبته سأله بحقّهم عليه ومحلّهم عنده فأجابه، وهذا غير منكر في العقول، ولا مضادّ للشرع المنقول، وقد رواه الصالحون الثقاة المأمونون، و سلّم لروايته طائفة الحقّ، ولاطريق إلى إنكاره، والله وليّ التوفيق.

فصل: و مثل ما بشّر الله به آدم عليه السلام من تأهيله نبيّه صلى الله عليه وآله لمّا أهّله له، و تأهيل أمير المؤمنين والحسن والحسين عليهم السلام لمّا أهّلهم له، وفرض عليه تعظيمهم وإجلالهم كما بشّر به في الكتب الأولى من بعثته لنبيّنا صلى الله عليه وآله فقال في محكم كتابه: «النبيّ الأمّيّ الّذي يجدونه مكتوباً عندهم في التورية والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحلّ لهم الطيّبات ويحرّم عليهم الخبائث و يضع عنهم إصرهم و الأغلال الّتي كانت عليهم فالّذين آمنوا به وعزّروه ونصروه واتّبعوا النور الّذي اُنزل معه اُولئك هم المفلحون» [٢] وقوله تعالى - مخبراً عن المسيح عليه السلام: «ومبشّراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد» [٣] و قوله سبحانه: «و إذ أخذ الله ميثاق النبيّين لمّا آتيتكم من كتاب وحكمة ثمّ جاءكم رسول مصدّق لما معكم لتؤمننّ به ولتنصرنّه» [٤] يعني رسول الله صلى الله عليه وآله، فحصلت البشائر به من الأنبياء واُممهم قبل إخراجه إلى العالم بالوجود، وإنّما أراد جلّ اسمه بذلك إجلاله وإعظامه، وأن يأخذ العهد له على الأنبياء والاُمم كلّها، فلذلك أظهر لآدم عليه السلام صورة شخصه، و أشخاص أهل بيته عليهم السلام، و أثبت أسماءهم له ليخبره بعاقبتهم، و بيّن له عن محلّهم عنده و منزلتهم لديه، ولم يكونوا

---

(١) بجله: عظمه وكرمه.   (٢) الاعراف: ١٥٧.
(٣) الصف: ٦.   (٤) آل عمران: ٨١.

في تلك الحال أحياءاً ناطقين ، ولا ارواحاً مكلّفين ، وإنّما كانت أشباحهم دالّة عليهم حسب ماذكرناه .

فصل : وقد بشّر الله عزّ وجلّ بالنبيّ والأئمّة عليهم السلام في الكتب الأولى ، فقال في بعض كتبه الّتي أنزلها على أنبيائه عليهم السلام ، و أهل الكتب يقرؤونه ، واليهود يعرفونه : إنّه ناجى إبراهيم الخليل عليه السلام في مناجاته : إنّي قدعظّمتك و باركت عليك و على إسماعيل ، و جعلت منه اثنيعشر عظيماً ، وكبّرتهم جدّاً جدّاً ، و جعلت منهم شعباً عظيماً لأمّة عظيمة ؛ وأشباه ذلك كثير في كتب الله تعالى الأولى .

فصل : فأمّا الحديث في إخراج الذرّيّة من صلب آدم عليه السلام على صورة الذرّ فقد جاء الحديث بذلك على اختلاف ألفاظه و معانيه ؛ و الصحيح أنّه أخرج الذرّيّة من ظهره كالذرّ فملأ بهم الاُفق ، وجعل على بعضهم نوراً لايشوبه ظلمة ، وعلى بعضهم ظلمةً لايشوبها نور ، وعلى بعضهم نوراً وظلمة ؛ فلمّا رآهم آدم عليه السلام عجب من كثرتهم و ما عليهم من النور والظلمة ، فقال : يارب ماهؤلاء ؟ قال الله عزّ وجلّ له : هؤلاء ذرّيّتك - يريد تعريفه كثرتهم ، وامتلاء الآفاق بهم ، وأنّ نسله يكون في الكثرة كالذرّ الّذي رآه ليعرّفه قدرته ، ويبشّره بإفضال نسله وكثرتهم - فقال عليه السلام : يا ربّ مالي أرى على بعضهم نوراً لاظلمة فيه ؟ وعلى بعضهم ظلمة لايشوبها نور ؟ وعلى بعضهم ظلمة و نوراً ؟ فقال تبارك و تعالى : أمّا الّذين عليهم النور منهم بلاظلمة فهم أصفيائي من ولدك الّذي يطيعوني ولايعصوني في شيء من أمري فاُولئك سكّان الجنّة ، وأمّا الّذين عليهم ظلمة ولايشوبها نور فهم الكفّار من ولدك الّذين يعصوني ولا يطيعوني ، فأمّا الّذين عليهم نور و ظلمة فاُولئك الّذين يطيعوني من ولدك و يعصوني فيخلطون أعمالهم السيّئة بأعمال حسنة ، فهؤلاء أمرهم إليّ ، إن شئت عذّبتهم فبعدلي وإن شئت عفوت عنهم فبفضلي . فأنبأه الله تعالى بمايكون من ولده ، و شبّههم بالذرّ الّذي أخرجهم من ظهره ، و جعله علامةً على كثرة ولده . و يحتمل أن يكون ما أخرجه من ظهره وجعل أجسام ذرّيّته دون أرواحهم ، وإنّما فعل الله تعالى ذلك ليدلّ آدم عليه السلام على العاقبة منه ، ويظهر له من قدرته وسلطانه وعجائب صنعته ، و أعلمه

بالكائن قبل كونه ، و ليزداد آدم عليه السلام يقيناً بربه ، و يدعوه ذلك إلى التوفّر على طاعته ، والتمسّك بأوامره ، و الاجتناب لزواجره . فأمّا الأخبار الّتي جاءت بأنّ ذرّيّة آدم عليه السلام استنطقوا في الذرّ فنطقوا فأخذ عليهم العهد فاقرّوا فهي من أخبار التناسخيّة ، وقد خلطوا فيها ومزجوا الحقّ بالباطل ، والمعتمد من إخراج الذرّيّة ما ذكرناه دون ما عداه ممّا استمرّ القول به على الأدلّة العقليّة و الحجج السمعيّة ، وإنّما هو تخليط لايثبت به أثر على ماوصفناه .

فصل : فإن تعلّق متعلّق بقوله تبارك اسمه : « وإذ أخذ ربّك من بني آدم من ظهورهم ذرّيّتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربّكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيمة انّا كنّا عن هذا غافلين »[1] فظنّ بظاهر هذا القول تحقّق ما رواه أهل التناسخ والحشويّة والعامّة في إنطاق الذرّيّة وخطابهم و أنّهم كانوا أحياءاً ناطقين . فالجواب عنه أنّ لهذه الآية من المجاز في اللّغة كنظائرها ممّا هو مجاز واستعارة والمعنى فيها أنّ الله تبارك وتعالى أخذ من كلّ مكلّف يخرج من ظهر آدم و ظهور ذرّيّته العهد عليه بربوبيّته ، من حيث أكمل عقله ، ودلّه بآثار الصنعة على حدثه ، وأنّ له محدثاً أحدثه لايشبهه يستحقّ العبادة منه بنعمه عليه ، فذلك هو أخذ العهد منهم ، و آثار الصنعة فيهم ، و الإشهاد لهم على أنفسهم بأنّ الله تعالى ربّهم . و قوله تعالى : « قالوا بلى » يريد به أنّهم لم يمتنعوا من لزوم آثار الصنعة فيهم ، ودلائل حدثهم اللّازمة لهم ، وحجّة العقل عليهم في إثبات صانعهم ، فكأنّه سبحانه لمّا ألزمهم الحجّة بعقولهم على حدثهم ووجود محدثهم قال لهم : «ألست بربّكم» ؟ فلمّا لم يقدروا على الامتناع من لزوم دلائل الحدث لهم كانوا كقائلين : « بلى شهدنا » وقوله تعالى : « أن يقولوا يوم القيمة إنّا كنّا عن هذا غافلين أو يقولوا إنّما أشرك آباؤنا من قبل وكنّا ذرّيّة من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون » ألا ترى أنّه احتجّ عليهم بما لا يقدرون يوم القيامة أن يتأوّلوا في إنكاره ولايستطيعون ، وقد قال سبحانه : « والشمس و القمر و النجوم و الجبال و الشجر و الدوابّ و كثير من الناس و كثير حقّ عليه

---

(١) الاعراف : ١٧٢ .

العذاب»[١] ولم يرد أنّ المذكور يسجد كسجود البشر في الصلاة، وإنّما أراد به غير ممتنع من فعل الله فهو كالمطيع لله وهو معبّر عنه بالساجد، قال الشاعر:

بجمع تظلّ البلق في حجراته ✩ ترى الأكم فيها سجّداً للحوافر[٢]

يريد أنّ الحوافر تذلّ الأكم بوطيها عليها

وقوله تعالى: «ثمّ استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين»[٣] وهو سبحانه لم يخاطب السماء بكلام؛ ولا السماء قالت قولاً مسموعاً، وإنّما أراد أنّه عمد إلى السماء فخلقها ولم يتعذّر عليه صنعتها، فكأنّه لمّا خلقها قال لها وللأرض: ائتيا طوعاً أو كرهاً، فلمّا تعلّقت بقدرته كانتا كالقائل: أتينا طائعين وكمثل قوله تعالى: «يوم نقول لجهنّم هل امتلأت و تقول هل من مزيد»[٤] و الله تعالى يجلّ عن خطاب النار وهي ممّا لا يعقل ولا يتكلّم، وإنّما الخبر عن سعتها و أنّها لاتضيق بمن يحلّها من المعاقبين، وذلك كلّه على مذهب أهل اللّغة و عادتهم في المجاز، ألا ترى إلى قول الشاعر:

وقالت له العينان سمعاً وطاعةً ✩ وأسبلتا[٥] كالدرّ مالم يثقّب

و العينان لم تقولا قولاً مسموعاً، و لكنّه أراد منهما البكاء، فكانت كما أراد من غير تعذّر عليه. ومثله قول عنترة:

فازورّ من وقع القنا بلبانه ✩ وشكى إليّ بعبرة و تحمحم[٦]

---

(١) الحج: ١٨.

(٢) الاكم جمع الاكمة: التل. والحوافر جمع الحافر، والحافر للدابة بمنزلة القدم للانسان.

(٣) حم السجدة: ١١.

(٤) ق: ٣٠.

(٥) أسبلت العين الدمع: أرسلت.

(٦) الازورار عن الشيء العدول عنه، والقنا جمع قناة وهي الرمح، ووقعها وقوعها والضرب بها، واللبان بالفتح ماجرى عليه اللبن. منه قدس سره.

والفرس لايشتكي قولاً، لكنّه ظهر منه علامة الخوف و الجزع، فسمّى ذلك قولاً. ومنه قول الآخر:

وشكى إليّ جملي طول السُرى.[1]

والجمل لايتكلّم، لكنّه لمّا ظهر منه النصب والوصب لطول السرى عبّر عن هذه العلامة بالشكوى الّتي تكون كالنطق و الكلام، ومنه قولهم أيضاً:

امتلأ الحوض وقال قطني[2] ✿ حسبك منّي قد ملأت بطني.

والحوض لم يقل قطني، لكنّه لمّا امتلأ بالماء عبّر عنه بأنّه قال: حسبي. ولذلك أمثال كثيرة في منثور كلام العرب ومنظومه، وهو من الشواهد على ماذكرناه في تأويل الآية و الله تعالى نسأل التوفيق.

فصل: فأمّا الخبر بأنّ الله تعالى خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام فهو من أخبار الآحاد، وقد روته العامّة كما روته الخاصّة، وليس هو مع ذلك ممّا يقطع على الله بصحّته، وإنّما نقله رواته لحسن الظنّ به، وإن ثبت القول فالمعنى فيه أنّ الله تعالى قدّر الأرواح في علمه قبل اختراع الأجساد، واخترع الأجساد واخترع لها الأرواح فالخلق للأرواح قبل الأجساد خلق تقدير في العلم كما قدّمناه، وليس بخلق لذواتها كما وصفناه، و الخلق لها بالإحداث و الاختراع بعد خلق الأشسام، و الصور الّتي تدبّرها الأرواح، ولولا أنّ ذلك كذلك لكانت الأرواح تقوم بأنفسها، ولا تحتاج إلى آلات يعتملها، ولكنّا نعرف ماسلف لنا من الأحوال قبل خلق الأجساد، كما نعلم أحوالنا بعد خلق الأجساد، وهذا محال لاخفاء بفساده.

وأمّا الحديث بأنّ الأرواح جنود مجنّدة فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف، فالمعنى فيه أنّ الأرواح الّتي هي الجواهر البسائط تتناصر بالجنس و تتخاذل بالعوارض، فما تعارف منها باتّفاق الرأي و الهوى ائتلف، وما تناكر منها

---

(١) بضم السين: سير الليل.

(٢) أى حسبى.

بمباينة في الرأي والهوى اختلف ، وهذا موجود حسّاً ومشاهد ، وليس المراد بذلك أنّ ما تعارف منها في الذرّ ائتلف - كما يذهب إليه الحشويّة - كما بيّنّاه من أنّه لا علم للإنسان بحال كان عليها قبل ظهوره في هذا العالم ، ولو ذكر بكلّ شيء ماذكر ذلك ، فوضح بما ذكرناه أنّ المراد بالخبر ما شرحناه ، والله الموفّق للصواب انتهى .

أقول : طرح ظواهر الآيات و الأخبار المستفيضة بأمثال تلك الدلائل الضعيفة والوجوه السخيفة جرأة على الله وعلى أئمّة الدين ، ولو تأمّلت فيما يدعوهم إلى ذلك من دلائلهم وما يرد عليها من الاعتراضات الواردة لعرفت أنّ بأمثالها لايمكن الاجتراء على طرح خبر واحد ، فكيف يمكن طرح تلك الأخبار الكثيرة الموافقة لظاهر الآية الكريمة بها وبأمثالها ، وسيأتي الأخبار الدالّة على تقدّم خلق الأرواح على الأجساد في كتاب السماء والعالم ، وسنتكلّم عليها .

ومنها ماذكره السيّد المرتضى رضي الله عنه في قوله تعالى : « وإذ أخذ ربّك » الآية حيث قال : وقد ظنّ بعض من لا بصيرة له ولا فطنة عنده أنّ تأويل هذه الآية : أنّ الله سبحانه استخرج من ظهر آدم عليه السلام جميع ذرّيّته - وهم في خلق الذرّ - فقرّرهم بمعرفته ، و أشهدهم على أنفسهم ، وهذا التأويل مع أنّ العقل يبطله ويحيله ممّا يشهد ظاهر القرآن بخلافه لأنّ الله تعالى قال : « وإذ أخذ ربّك من بني آدم » ولم يقل : « من آدم » وقال : من « ظهورهم » ولم يقل : « من ظهوره » وقال : « ذرّيّتهم » ولم يقل : « ذرّيّته » ثمّ أخبر تعالى بأنّه فعل ذلك لئلّا يقولوا يوم القيامة أنّهم كانوا عن هذا غافلين ، أو يعتذروا بشرك آبائهم وأنّهم نشؤوا على دينهم وسنّتهم ، وهذا يقتضي أنّ الآية لم تتناول ولد آدم عليه السلام لصلبه ، وأنّها إنّما تناولت من كان له آباء مشركون و هذا يدلّ على اختصاصها ببعض ذرّيّة بني آدم ، فهذه شهادة الظاهر ببطلان تأويلهم ؛ فأمّا شهادة العقول فمن حيث لاتخلو هذه الذرّيّة الّتي استخرجت من ظهر آدم عليه السلام و خوطبت و قرّرت من أن تكون كاملة العقول ، مستوفية بشروط التكليف ، أولا تكون كذلك ، فإن كانت بالصفة الأولى وجب أن يذكر هؤلاء بعد خلقهم و إنشائهم وإكمال عقولهم ما كانوا عليه في تلك الحال وماقرّروا به و استشهدوا عليه ، لأنّ العاقل

لاينسى ماجرى هذا المجرى وإن بعد العهد و طال الزمان ، ولهذا لايجوز أن يتصرّف أحدنا في بلد من البلدان وهو عاقل كامل فينسى مع بعد العهد جميع تصرّفه المتقدّم و سائر أحواله . وليس أيضاً لتخلّل الموت بين الحالين تأثير لأنّه لوكان تخلّل الموت يزيل الذكر لكان تخلّل النوم والسكر والجنون والإغماء بين أحوال العقلاء يزيل ذكرهم لما مضى من أحوالهم ؛ لأنّ سائر ماعددناه ممّا ينفي العلوم يجري مجرى الموت في هذا الباب ، وليس لهم أن يقولوا : إذا جاز في العاقل الكامل أن ينسى ماكان عليه في حال الطفوليّة جاز ما ذكرنا ، و ذلك أنّا إنّما أوجبنا ذكر العقلاء لما ادّعوه إذا كملت عقولهم من حيث جرى عليهم وهم كاملوا العقل ، ولوكانوا بصفة الأطفال في تلك الحال لم نوجب عليهم ما أوجبناه ، على أنّ تجويز النسيان عليهم ينقض الغرض في الآية ، و ذلك أنّ الله تعالى أخبر بأنّه إنّما قرّرهم وأشهدهم لئلاّ يدّعوا يوم القيامة الغفلة عن ذلك ، وسقوط الحجّة عنهم فيه ، فإذا جاز نسيانهم له عاد الأمر إلى سقوط الحجّة عنهم و زواله .

و إن كانوا على الصفة الثانية من فقد العلم و شرائط التكليف قبح خطابهم و تقريرهم وإشهادهم ، وصار ذلك عبثاً قبيحاً يتعالى الله عنه .

فإن قيل : قد أبطلتم تأويل مخالفيكم فما تأويلها الصحيح عندكم ؟

قلنا : في الآية وجهان : أحدهما أن يكون تعالى إنّما عنى بها جماعة من ذرّيّة بني آدم خلقهم و بلّغهم و أكمل عقولهم و قرّرهم على ألسن رسله عليهم السلام بمعرفته و ما يجب من طاعته ، فأقرّوا بذلك وأشهدهم على أنفسهم به ، لئلاّ يقولوا يوم القيامة : إنّا كنّا عن هذا غافلين ، أو يعتذروا بشرك آبائهم ، وإنّما اُتي من اشتبه عليه تأويل الآية من حيث ظنّ أنّ اسم الذرّيّة لايقع إلاّ على من لم يكن كاملاً عاقلاً ، وليس الأمر كما ظنّ لأنّا نسمّي جميع البشر بأنّهم ذرّيّة آدم ، وإن دخل فيهم العقلاء الكاملون ، وقد قال الله تعالى : « ربّنا و أدخلهم جنّات عدن الّتي و عدتهم و من صلح من آبائهم و أزواجهم و ذرّيّاتهم » ولفظ الصالح لايطلق إلاّ على من كان كاملاً عاقلاً ، فإن استبعدوا تأويلنا وحملنا الآية على البالغين المكلّفين فهذا جوابهم .

الجواب الثاني : أنّه تعالى لمّا خلقهم وركّبهم تركيباً يدلّ على معرفته ويشهد بقدرته و وجوب عبادته وأراهم العبر والآيات والدلائل في غيرهم وفي أنفسهم كان بمنزلة المشهد لهم على أنفسهم ، وكانوا في مشاهدة ذلك ومعرفته وظهوره فيهم على الوجه الّذي أراده الله تعالى ، وتعذّر امتناعهم منه وانفكاكهم من دلالته بمنزلة المقرّ المعترف ، وإن لم يكن هناك إشهاد ولا اعتراف على الحقيقة ، ويجري ذلك مجرى قوله تعالى : « ثمّ استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين » وإن لم يكن منه تعالى قول على الحقيقة ولا منهما جواب . و مثله قوله تعالى : « شاهدين على أنفسهم بالكفر » ونحن نعلم أنّ الكفّار لم يعترفوا بالكفر بألسنتهم ، وإنّما ذلك لمّا ظهر منهم ظهوراً لا يتمكّنون من دفعه كانوا بمنزلة المعترفين به ، و مثل هذا قولهم : جوارحي تشهد بنعمتك وحالي معترفة بإحسانك .

وما روي عن بعض الحكماء من قوله : سل الأرض من شقّ أنهارك ؟ وغرس أشجارك ؟ و جنى ثمارك ؟ فإن لم تجبك جؤاراً[1] أجابتك اعتباراً . وهذا باب كبير وله نظائر كثيرة في النظم والنثر ، يغني عن ذكر جميعها القدر الّذي ذكرناه منها .

ومنها ما ذكره الرازيّ في تفسير تلك الآية حيث قال : في تفسير تلك الآية قولان مشهوران :

الأوّل وهو مذهب المفسّرين وأهل الأثر ما روى مسلم بن يسار الجهنيّ أنّ عمر سئل عن هذه الآية فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله سئل عنها ، فقال : إنّ الله خلق آدم ثمّ مسح ظهره فاستخرج منه ذرّيّة ، فقال : خلقت هؤلاء للجنّة و بعمل أهل الجنّة يعملون ثمّ مسح ظهره فاستخرج ذرّيّة ، فقال : خلقت هؤلاء للنار و بعمل أهل النار يعملون ، فقال رجل : يا رسول الله ففيم العمل ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : إنّ الله إذا خلق العبد للجنّة استعمله بعمل أهل الجنّة حتّى يموت على عمل من أعمال أهل الجنّة فيدخل الجنّة ، وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتّى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخل النار .

و عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلّى الله عليه و آله : لمّا خلق الله آدم

(١) جار إلى الله : رفع صوته إلى الله .

مسح ظهره فسقط من ظهره كلّ نسمة[1] من ذرّيّته إلى يوم القيامة.

وقال مقاتل: إنّ الله مسح صفحة ظهر آدم اليمنى فخرج منه ذرّيّة بيضاء كهيئة الذرّ تتحرّك، ثمّ مسح صفحة ظهره اليسرى فخرج منه ذرّيّة سود كهيئة الذرّ؛ فقال: يا آدم هؤلاء ذرّيّتك، ثمّ قال لهم: «ألست بربّكم قالوا بلى» فقال للبيض: هؤلاء في الجنّة برحمتي وهم أصحاب اليمين، وقال للسود: هؤلاء في النار ولا اُبالي، وهم أصحاب الشمال وأصحاب المشأمة؛ ثمّ أعادهم جميعاً في صلب آدم، فأهل القبور محبوسون حتّى يخرج أهل الميثاق كلّهم من أصلاب الرجال وأرحام النساء. وقال تعالى فيمن نقض العهد الأوّل: «وما وجدنا لأكثرهم من عهد».[2] وهذا القول قد ذهب إليه كثير من قدماء المفسّرين كسعيد بن المسيّب، وسعيد بن جبير، والضحّاك، وعكرمة، والكلبيّ.

وأمّا المعتزلة فقد أطبقوا على أنّه لايجوز تفسير هذه الآية بهذا الوجه واحتجّوا على فساد هذا القول بوجوه:

الأوّل: أنّه قال: «من بني آدم من ظهورهم» فقوله: «من ظهورهم» بدل من قوله: «بني آدم» فلم يذكر الله أنّه أخذ من ظهر آدم شيئاً.

الثاني: أنّه لو كان كذلك لما قال: «من ظهورهم» ولا «من ذرّيّتهم» بل قال: من ظهره وذرّيّته.

الثالث: أنّه تعالى حكى عن اُولئك الذرّيّة أنّهم قالوا: إنّما أشرك آباؤنا من قبل وهذا الكلام لايليق بأولاد آدم لأنّه عليه السلام ما كان مشركاً.

الرابع: أنّ أخذ الميثاق لايمكن إلّا من العاقل، فلو أخذ الله الميثاق من اُولئك لكانوا عقلاء، ولو كانوا عقلاء واُعطوا ذلك الميثاق حال عقلهم لوجب أن يتذكّروا في هذا الوقت أنّهم اُعطوا الميثاق قبل دخولهم في هذا العالم لأنّ الإنسان إذا وقعت له واقعة عظيمة مهيبة فإنّه لايجوز مع كونه عاقلاً أن ينساها نسياناً كلّيّاً لا يتذكّر منها

---

(١) النسمة: الانسان، او كل دابة فيها روح، والمراد هنا الاول.

(٢) الاعراف: ١٠٢.

شيئاً لا بالقليل ولا بالكثير ، وبهذا الدليل يبطل القول بالتناسخ ، فإنّا نقول : لو كانت أرواحنا قدحصلت قبل هذه الأجساد فيأجساد اُخرى لوجب أن نتذكّر الآن أنّا كنّا قبل هذاالجسد فيأجساد اُخرى ، وحيث لم نتذكّرذلك كان القول بالتناسخ باطلاً فإذا كان اعتقادنا فيإبطال التناسخ ليس إلّا على هذا الدليل ، وهذاالدليلبعينه قائم في هذه المسألة وجبالقول بمقتضاه .

الخامس : أنّ جميع الخلق الّذين خلقهمالله من أولاد آدم عليه السلام عدد عظيم وكثرة كثيرة فالمجموع الحاصل من تلكالذرّات تبلغ مبلغاً فيالحجميّة والمقدار وصلب آدم عليهالسلام على صغره يبعدأن يتّسع لهذا المجموع .

السادس : أنّ البنية شرط لحصول الحياة والعقل والفهم ، إذ لولم يكن كذلك لم يبعد في كلّ ذرّة من ذرّات الهباء أن تكون عاقلاً فاهماً مصنّفاً للتصانيف الكثيرة فيالعلوم الدقيقة ، وفتحهذا الباب يفضي إلىالتزام الجهالات ، وإذا ثبت أنّ البنيةشرط لحصول الحياة فكلّ واحد من تلك الذرّات لا يمكن أن يكون فاهماً عاقلاً إلّا إذا حصلت له قدرة من البنية والجثّة ، وإذا كان كذلك فمجموع تلك الأشخاص الّذين خرجوا إلى الوجود من أوّل تخليق آدم إلى آخر فناء الدنيا لا تحويهم عرصة الدنيا ، فكيف يمكن أن يقال : إنّهم بأسرهم حصلوا دفعة واحدة في صلب آدم عليه السلام ؟ .

السابع : قالوا : هذا الميثاق إمّا أن يكون قد أخذه الله منهم في ذلك الوقت ليصير حجّة عليهم فيذلك الوقت ، أو ليصير حجّة عليهم عند دخولهم في دار الدنيا ، والأوّل باطل لانعقاد الإجماع علىأنّ بسبب ذلكالقدر منالميثاق لايصيرونمستحقّين للثواب والعقاب ، والمدح والذمّ ، ولايجوز أن يكون المطلوب منه أن يصير ذلكحجّة عليهمعند دخولهم فيدارالدنيا لأنّهم لمّا لم يذكروا ذلك الميثاق فيالدنيا فكيفيصير حجّة عليهمفيالتمسّكبالإيمان ؟ .

الثامن : قال الكعبيّ : إنّ حال اُولئك الذرّيّة لايكون أعلى في الفهم و العلم من حال الأطفال ، فلمّا لم يمكن توجيه التكليف على الطفل فكيف يمكن توجيهه على اُولئكالذرّ ؟ .

وأجاب الزجّاج عنه وقال : لمّا لم يبعد أن يؤتي الله النمل العقل كما قال : «قالت نملةٌ يا أيّها النمل»[1] وأن يعطي الجبل الفهم حتى يسبّح كما قال : «وسخّرنا مع داود الجبال يسبحن»[2] وكما أعطى الله العقل للبعير حتّى سجد للرسول صلى الله عليه وآله، و للنخلة حتّى سمعت وانقادت حين دعيت فكذا ههنا .

التاسع : أنّ اُولئك الذرّ في ذلك الوقت إمّا أن يكونوا كاملي العقول والقدر أوما كانوا كذلك فإن كان الأوّل كانوا مكلّفين لا محالة ، و إنّما يبقون مكلّفين إذا عرفوا الله بالاستدلال ، ولو كانوا كذلك لما امتازت أحوالهم في ذلك الوقت عن أحوالهم في هذه الحياة الدنيا ، فلو افتقر التكليف في الدنيا إلى سبق ذلك الميثاق لافتقر التكيف في وقت ذلك الميثاق إلى سبق ميثاق آخر ، ولزم التسلسل وهو محال .

وأمّا الثاني وهو أن يقال : إنّهم في وقت ذلك الميثاق ما كانوا كاملي العقول ولا كاملي القدر ، فحينئذ يمتنع توجيه الخطاب والتكليف عليهم .

العاشرة : قوله تعالى : «فلينظر الإنسان ممّ خلق خلق من ماء دافق»[3] ولو كانت تلك الذرّات عقلاء فاهمين كاملين لكانوا موجودين قبل هذا الماء الدافق ، ولا معنى للإنسان إلّا ذلك الشيء ، فحينئذ لايكون الإنسان مخلوقاً من الماء الدافق ، وذلك ردّ لنصّ القرآن .

فإن قالوا : لم لايجوز أن يقال : إنّه تعالى خلقه كامل العقل و الفهم و القدرة عند الميثاق ، ثمّ أزال عقله و فهمه وقدرته ، ثمّ إنّه خلقه مرّة اُخرى في رحم الاُمّ ، و وأخرجه إلى هذه الحياة ؟

قلنا : هذا باطل ، لأنّه لو كان الأمر كذلك لما كان خلقه من النطفة خلقاً على سبيل الابتداء ، بل كان يجب أن يكون خلقاً على سبيل الإعادة ، وأجمع المسلمون على أنّ خلقه من النطفة هو الخلق المبتدأ ، فدلّ هذا على أنّ ما ذكرتموه باطل .

الحادي عشر هي أنّ تلك الذرّات إمّا أن يقال : إنّه عين هؤلاء الناس أو غيرهم ،

(١) النمل : ١٨ . (٢) الانبياء : ٧٩ . (٣) الطارق : ٦

والقول الثاني باطل بالإجماع ، وفي القول الأوّل فنقول : إمّا أن يقال : إنّهم بقوا فهماء ، عقلاء ، قادرين حال ما كانوا نطفة و علقة و مضغة ، أوما بقوا كذلك ، والأوّل باطل ببديهة العقل . والثاني يقتضي أن يقال : الإنسان حصل له الحياة أربع مرّات : أوّلها وقت الميثاق ، و ثانيها في الدنيا ، وثالثها في القبر ، ورابعها في القيامة ، وأنّه حصل له الموت ثلاث مرّات : موت بعد الحياة الحاصلة في الميثاق الأوّل ، وموت في الدنيا ، وموت في القبر ، وهذا العدد مخالف للعدد المذكور في قوله تعالى : «ربّنا أمتّنا اثنتين وأحييتنا اثنتين».(١)

الثاني عشر قوله تعالى : «ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين»(٢) فلو كان القول بهذا الذرّ صحيحاً لكان ذلك الذرّ هو الإنسان ، لأنّه هو المكلّف المخاطب ، المثاب المعاقب ، وذلك باطل لأنّ الذرّ غير مخلوق من النطفة والعلقة والمضغة ، ونصّ الكتاب دليل على أنّ الإنسان مخلوق من النطفة والعلقة والمضغة ، و هو قوله : « ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين » وقوله : « قتل الإنسان ما أكفره من أيّ شيء خلقه من نطفة خلقه فقدّره »(٣) فهذه جملة الوجوه المذكورة في بيان أنّ هذا القول ضعيف .

و القول الثاني في تفسير هذه الآية قول أصحاب النظر و أرباب المعقولات أنّه أخرج الذرّ وهم الأولاد من أصلاب آبائهم ، وذلك الإخراج أنّهم كانوا نطفة فأخرجها الله تعالى في أرحام الاُمّهات ، وجعلها علقة ، ثمّ مضغة ، ثمّ جعلهم بشراً سويّاً ، وخلقاً كاملاً ، ثمّ أشهدهم على أنفسهم بما ركّب فيهم من دلائل وحدانيّته ، وعجائب خلقه و غرائب صنعه ، فبالإشهاد صاروا كأنّهم قالوا : بلى و إن لم يكن هناك قول باللّسان لذلك نظائر .

منها قوله تعالى : « فقال لها و للأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين» .

ومنها قوله تعالى : «إنّما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون»

وقول العرب : قال الجدار للوتد : لمَ تشقّني ؟ قال : سل من يدقّني ، فإنّ الّذي ورائي ما خلاني ورأيي . وقال الشاعر :

امتلأ الحوض وقال قطني .

---

(١) المؤمن : ١١ . (٢) المؤمنون : ١٢ .
(٣) عبس : ١٩ . (٤) فصلت : ١١ . (٥) النحل : ٤٢ .

فهذا النوع من المجاز والاستعارة مشهورة في الكلام فوجب حمل الكلام عليه ، فهذا هو الكلام في تقرير هذين القولين ، وهذا القول الثاني لاطعن فيه البتّة ، و بتقدير أن يصحّ هذا القول لم يكن ذلك منافياً لصحّة القول الأوّل ، إنّما الكلام في أنّ القول الأوّل هل يصحّ أم لا ؟.

فإن قال قائل : فما المختار عندكم فيه ؟ قلنا : ههنا مقامان : أحدهما أنّه هل يصحّ القول بأخذ الميثاق عن الذرّ ؟ والثاني أنّ بتقدير أن يصحّ القول به فهل يمكن جعله تفسيراً لألفاظ هذه الآية ؟

أمّا المقام الأوّل فالمنكرون له قد تمسّكوا بالدلائل العقليّة الّتي ذكرناها و قرّرناها .

ويمكن الجواب عن كلّ واحد منها بوجه مقنع .

أمّا الوجه الأوّل من الوجوه العقليّة المذكورة و هو أنّه لو صحّ القول بأخذ هذا الميثاق لوجب أن نتذكّره الآن .

قلنا : خالق العلم بحصول الأحوال الماضية هو الله تعالى لأنّ هذه العلوم عقليّة ضروريّة ، والعلوم الضروريّة خالقها هو الله تعالى ، وإذا كان كذلك صحّ منه تعالى أن يخلقها .

فإن قالوا : فإذا جوّزتم هذا فجوّزوا أن يقال : إنّ قبل هذا البدن كنّا في أبدان أُخرى على سبيل التناسخ ، و إن كنّا لانتذكّر الآن أحوال تلك الأبدان . قلنا : الفرق بين الأمرين ظاهر ، و ذلك لأنّا إذا كنّا في أبدان اُخرى و بقينا فيها سنين و دهوراً امتنع في مجرى العادة نسيانها أمّا أخذ هذا الميثاق إنّما حصل في أسرع زمان وأقلّ وقت فلم يبعد حصول النسيان ، و الفرق الظاهر حاكم بصحّة هذا الفرق لأنّ الإنسان إذا بقي على العمل الواحد سنين كثيرة يمتنع أن ينساها ، أمّا إذا مارس العمل الواحد لحظةً واحدةً فقد ينساها فظهر الفرق .

وأمّا الوجه الثاني وهو أن يقال : مجموع تلك الذرّات يمتنع حصولها بأسرها في

ظهر آدم عليه السلام ؟ قلنا : عندنا البنية ليست شرطاً لحصول الحياة والجوهر الفرد والجزء الّذي لايتجزّى قابل للحياة والعقل ، فإذا جعلنا كلّ واحد من تلك الذرّات جوهراً فرداً فلمَ قلتم : إنّ ظهر آدم لا يتّسع لمجموعها ؛ إلّا أنّ هذا الجواب لايتمّ إلّا إذا قلنا : الإنسان جوهر فرد وجزء لايتجزّى في البدن على ماهو مذهب بعض القدماء ، و أمّا إذا قلنا : الإنسان هو النفس الناطقه وأنّه جوهر غير متحيّز ولاحالّ في متحيّز فالسؤال زائل .

و أمّا الوجه الثالث وهو قوله : فائدة أخذ الميثاق هي أن تكون حجّة في ذلك الوقت ، أو في الحياة الدنيا ، فجوابنا أن نقول : يفعل الله مايشاء ويحكم مايريد ، وأيضاً أليس أنّ من المعتزلة إذا أرادوا تصحيح القول بوزن الأعمال و إنطاق الجوارح قالوا : لايبعد أن يكون لبعض المكلّفين في إسماع هذه الأشياء لطف فكذا ههنا لايبعد أن يكون لبعض الملائكة من تميّز السعداء من الأشقياء في وقت أخذ الميثاق لطف . وقيل أيضاً : إنّ الله تعالى يذكّرهم ذلك الميثاق يوم القيامة ؛ وبقيّة الوجوه ضعيفة و الكلام عليها سهل هيّن .

و أمّا المقام الثّاني وهو أنّ بتقدير أن يصحّ القول بأخذ الميثاق من الذرّ فهل يمكن جعله تفسيراً لألفاظ هذه الآية فنقول : الوجوه الثلاثة المذكورة أوّلاً دافعة لذلك ، لأنّ قوله : « أخذ ربّك من بني آدم من ظهورهم ذرّيّتهم » فقد بيّنّا أنّ المراد منه : وإذ أخذ ربّك من ظهور بني آدم ؛ وأيضاً لو كانت هذه الذرّيّة مأخوذة من ظهر آدم لقال : من ظهره ذرّيّته ولم يقل : « من ظهورهم ذرّيّتهم » أجاب الناصرون لذلك القول بأنّه صحّت الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه فسّر هذه الآية بهذا الوجه ، والطعن في تفسير رسول الله صلى الله عليه وآله غير ممكن ، فنقول : ظاهر الآية تدلّ على أنّه تعالى أخرج ذرّاً من ظهور بني آدم فيحمل ذلك على أنّه تعالى يعلم أنّ الشخص الفلانيّ يتولّد منه فلان ، ومن ذلك الفلان فلان آخر ، فعلى الترتيب الّذي علم دخولهم في الوجود يخرجهم و يميّز بعضهم من بعض ، وأمّا أنّه تعالى يخرج كلّ تلك الذرّيّة من صلب آدم فليس في لفظ الآية مايدلّ على ثبوته ، و ليس في الآية أيضاً مايدلّ علي بطلانه ، إلّا أنّ الخبر قد دلّ علية فثبت

إخراج الذرّيّة من ظهور بني آدم في القرآن، و ثبت إخراج الذرّيّة من ظهر آدم بالخبر، وعلى هذا التقدير فلامنافاة بين الأمرين ولامدافعة، فوجب المصير إليهما معاً صوناً للآية والخبر عن الطعن بقدر الإمكان، فهذا منتهى الكلام في تقرير هذا المقام انتهى.

ولنكتف بنقل مانقلناه من غير تعرّض لجرح وتعديل، فإنّ من له بصيرة نافذة إذا أحاط بما نقلنا من الأخبار وكلام من تكلّم في ذلك يتّضح له طريق الوصول إلى ما هوالحقّ في ذلك بفضله تعالى. [1] ثمّ اعلم أنّه سيأتي بعض الأخبار المناسبة لهذا الباب في باب علّة استلام الحجر من كتاب الحجّ، وباب خلق الأئمّة وباب أخذ ميثاقهم عليهم السلام من كتاب الإمامة وأبواب أحوال آدم عليه السلام من كتاب النبوّة.

﴿باب ١١﴾

﴿من لاينجبون من الناس، ومحاسن الخلقة وعيوبها اللتين تؤثران في الخلق﴾

١ - ل: ابن الوليد، عن الصفّار، عن ابن عيسى، عن أبيه، عن سعيد بن جناح [2] يرفعه إلى أبي عبدالله عليه السلام قال: ستّة لاينجبون: السنديّ، و الزنجيّ، والتركيّ، و الكرديّ، والخوزيّ، ونبك الريّ. «ج١ص١٥٩»

بيان: الخوزيّ: أهل خوزستان. والنبك: المكان المرتفع [3] ويحتمل أن يكون إضافته إلى الري بيانيّة؛ و في بعض النسخ بتقديم الباء على النون و هو بالضمّ أصل الشيء وخالصه.

---

(١) ما يشتمل عليه أخبار الباب ليس مسألة واحدة بل كل من مسألة نقل الاعمال ومسألة الطينة ومسألة أخذ الميثاق ومنه ميثاق الذر ومسألة بدء الخلقة مسائل مختلفة مرتبطة بالقضاء الكلى وقد خلطها الباحثون من المتكلمين والمفسرين؛ وبحثنا عنها في رسالة الافعال ورسالة الانسان قبل الدنيا ونرجو أن يوفقنا الله سبحانه لاستيفاء هذه الابحاث في مواضع تناسبها من تفسير الميزان ان شاء الله. ط

(٢) يحتمل قويا أن يكون الواسطة (مطرف مولى معن) الاتى بعد ذلك، لان سعيد بن جناح يروى عنه، وأن يكون الخبر متحداً مع الحديث الاتى بعده.

(٣) والاكمة المحددة الرأس، أو التل الصغير.

٢ ـ ل : أبي ، عن أحمدبن إدريس ، عن محمّدبن أحمد ، عن سهل ، عن منصور ،[١] عن نصر الكوسج ،[٢] عن مطرف مولى معن ، عن أبي‌عبدالله عليه‌السلام قال : لايدخل حلاوة الإيمان قلب سنديّ ، ولازنجيّ ، ولاخوزيّ ، ولاكرديّ ، ولابربريّ ، ولانبك الري ، ولا من حملته اُمّه من الزنا . «ج٢ص٧»

٣ ـ ع : أبي ، عن محمّد العطّار ، عن الحسين بن زريق ، عن هشام ، عن أبي عبدالله عليه‌السلام قال : ياهشام النبط ليس من العرب ولامن العجم ، فلاتتّخذ منهم وليّاً ولانصيراً . فإنّ لهم اُصولاً [٣] تدعو إلى غير الوفاء . [٤] «ص١٨٩»

٤ ـ ل : ابن إدريس ، عن أبيه ، عن محمّدبن أحمد ، عن محمّدبن عليّ الهمداني [٥] يرفعه إلى داودبن فرقد ، عن أبي‌جعفر وأبي‌عبدالله عليهما‌السلام قال : ثلاثة لاينجبون : أعور يمين ، وأزرق كالفصّ ، ومولدالسند . «ج١ص٥٤»

٥ ـ ل : أبي ، عن سعد ، عن البرقيّ ، عن عدّة من أصحابنا ، عن ابن أسباط ، عن بعض أصحابه عن أبي‌عبدالله عليه‌السلام قال : ما ابتلى الله به شيعتنا فلن يبتليهم بأربع : أن يكونوا لغير رشدة ، أوأن يسألوا بأكفّهم ،[٦] أو يؤتوا في أدبارهم ، أوأن يكون فيهم أزرق أخضر . «ج١ص١٠٧»

٦ ـ ل : أبي ، وابن الوليد ، عن محمّد العطّار ، و أحمدبن إدريس ، عن الأشعريّ بإسناده رفعه إلى أبي‌عبدالله عليه‌السلام قال : خمسة خلقوا ناريّين : الطويل الذاهب ، و القصير القميء ، والأزرق بخضرة ، والزائد ، والناقص . «ج ١ص١٣٨»

بيان : قمأ كجمع وكرم : ذلّ وصغر ، فهو قميء ذكره الفيروزآباديّ .

٧ـ ل : أبي ، وابن الوليد ، عن أحمدابن إدريس ، ومحمّدالعطّار ، عن الأشعريّ ، عن

---

(١) لعله منصوربن العباس أبوالحسين الرازى الضعيف ، وإلا فمجهول .

(٢) لم نجد له ولالمطرف ذكراً في التراجم .

(٣) في المصدر : اصواتا م .

(٤) الحديث مجهول بحسين بن زريق .

(٥) ضعفه الاصحاب .

(٦) فى نسخة : بكفهم .

محمد بن الحسين بإسناد له يرفعه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا يدخل الجنة مدمن خمر ولا سكير، ولا عاق، ولا شديد السواد، ولا ديوث، ولا قلاع وهو الشرطي، ولا زنوق وهو الخنثى، ولا خيوف[1] وهو النباش، ولا عشار، ولا قاطع رحم، ولا قدري.

قال الصدوق رضي الله عنه: يعني شديد السواد الذي لا يبيض شيء من شعر رأسه ولا من شعر لحيته مع كبر السن، ويسمى الغربيب. «ج٢ص٥٤»

٨ - ل: القطان، وعلي بن أحمد بن موسى، عن ابن زكريا القطان، عن ابن حبيب، عن ابن بهلول، عن أبي معاوية الضرير، عن الأعمش، عن جعفر بن محمد عليه السلام قال ابن حبيب: وحدثني عبدالله بن محمد بن ناطويه، عن علي بن عبدالمؤمن الزعفراني، عن مسلم بن خالد الزنجي، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده عليهم السلام؛ قال ابن حبيب: وحدثني الحسن بن سنان، عن أبيه، عن محمد بن خالد البرقي، عن مسلم بن خالد، عن جعفر بن محمد قالوا كلهم: ثلاثة عشر صنفاً - وقال تميم[2]: ستة عشر صنفاً - من أمة جدي صلى الله عليه وآله لا يحبونا ولا يحببونا إلى الناس، ويبغضونا ولا يتولونا، ويخذلونا ويخذلون الناس عنا، فهم أعداؤنا حقاً، لهم نار جهنم، ولهم عذاب الحريق قال: قلت: بينهم لي يا أبه وقاك الله شرهم، قال: الزائد في خلقه، فلا ترى أحداً من الناس في خلقه زيادة إلا وجدته لنا مناصباً ولم تجده لنا موالياً؛ والناقص الخلق من الرجال، فلا ترى لله عز وجل خلقاً ناقص الخلقة إلا وجدت في قلبه علينا غلاً[3]؛ والأعور باليمين للولادة، فلا ترى لله خلقاً ولد أعور اليمين إلا كان لنا محارباً ولأعدائنا مسالماً؛ والغربيب من الرجال فلا ترى لله عز وجل خلقاً غربيباً - وهو الذي قد طال عمره فلم يبيض شعره وترى لحيته مثل حنك الغراب - إلا كان علينا مؤلباً ولأعدائنا مكاثراً؛ والحلكوك من الرجال، فلا ترى منهم أحداً إلا كان لنا شتاماً ولأعدائنا مداحاً؛

(١) في نسخة: خنوف.

(٢) هو ابن بهلول الواقع في الطريق الاول.

(٣) الغل بكسر الغين وتشديد اللام: الحقد والغش.

والأقرع[١] من الرجال فلا ترى رجلاً به قرع إلّا وجدته همّازاً ، لمّازاً ، مشّاءاً بالنميمة علينا ؛ والمفصّص[٢] بالخضرة من الرجال فلا ترى منهم أحداً - وهم كثيرون - إلّا وجدته يلقانا بوجه ويستدبرنا بآخر ، يبتغي لنا الغوائل ؛[٣] والمنبوذ من الرجال ، فلا تلقى منهم أحداً إلّا وجدته لنا عدوّاً ، مضلّاً ، مبيناً ؛ و الأبرص من الرجال فلا تلقى منهم أحداً إلّا وجدته يرصد لنا المراصد ويقعد لنا ولشيعتنا مقعداً ليضلّنا بزعمه عن سواء السبيل ؛ و المجذوم ، وهم حصب جهنّم هم لها واردون ؛ و المنكوح فلا ترى منهم أحداً إلّا وجدته يتغنّى بهجائنا ويؤلّب علينا ؛ وأهل مدينة تدعى (سجستان) هم لنا أهل عداوة و نصب وهم شرّ الخلق والخليقة ، عليهم من العذاب ما على فرعون و هامان و قارون ؛ وأهل مدينة تدعى (الري) هم أعداء الله ، و أعداء رسوله ، و أعداء أهل بيته ، يرون حرب أهل بيت رسول الله ﷺ جهاداً ، ومالهم مغنماً ، ولهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا والآخرة ولهم عذاب مقيم ؛ وأهل مدينة تدعى (الموصل) هم شرّ من على وجه الأرض ؛ و أهل مدينة تسمّى (الزوراء) تبنى في آخر الزمان ، يستشفون بدمائنا ويتقرّبون ببغضنا ، يوالون في عداوتنا ، ويرون حربنا فرضاً ، و قتالنا حتماً . يا بنيّ فاحذر هؤلاء ثمّ احذرهم ، فإنّه لايخلو إثنان منهم بواحد من أهلك إلّا همّوا بقتله . واللّفظ لتميم من أوّل الحديث إلى آخره . «ج٢ص٩٤-٩٥»

بيان : قوله عليه السلام : مؤلّباً أي يجمع الناس علينا بالعداوة والظلم . و الحلكوك بالضمّ و الفتح : الشديد السواد . و المفصّص بالخضرة : هو الّذي يكون عينه أزرق كالفصّ ، كما مرّ في الخبر ، والفصّ أيضاً حدقة العين ، وفي بعض النسخ بالضادين المعجمتين وهو تصحيف . والمنبوذ : ولد الزنا . و الزوراء بغداد . ثمّ اعلم أنّه لا يبعد أن يكون

---

(١) الاقرع : من سقط شعر رأسه .

(٢) في النسخ المطبوعة ذكر ثلاثة عشر صنفاً بحذف قوله : والمفصص بالخضرة الى قوله : و الابرص ، وليس في آخرها جملة : واللفظ لتميم من اول الحديث إلى آخره . م

(٣) جمع الغائلة : الداهية . الفساد . المهلكة . الشر .

بعض البلاد كالري يكون هذا لبيان حالهم في تلك الأزمان لا إلى يوم القيامة ، ولعلّه سقط واحد من الستّة عشر من النسّاخ أو من الرواة .

٩ ـ ن : بالأسانيد الثلاثة عن الرضا ، عن آبائه عليهم السلام ، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : لا تجد في أربعين أصلع رجل سوء ، ولا تجد في كوسجاً رجلاً صالحاً ، و أصلع سوء أحبّ إليّ من كوسج صالح . «ص ٢١٠»

صح : عنه عليه السلام مثله .

بيان : الصلع : انحسار شعر مقدّم الرأس .

١٠ ـ ع : أبي ، عن أحمد بن إدريس ، عن محمّد بن أحمد ، عن عليّ الريّان ، عن الحسين بن محمّد ، عن عبد الرحمن بن أبي نجران ، عن عبد الرحمن بن حمّاد ، عن ذريح المحاربيّ ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : جاء رجل إلى النبيّ صلّى الله عليه وآله فقال : يا رسول الله يسأل الله عمّا سوى الفريضة ؟ قال : لا ، قال : فوالّذي بعثك بالحقّ لا تقرّبت إلى الله بشيء سواها ! قال : ولمَ ؟ قال : لأنّ الله قبّح خلقي ! قال : فأمسك النبيّ صلّى الله عليه وآله ونزل جبرئيل عليه السلام فقال : يا محمّد ربّك يقرؤك السلام ، و يقول : اقرء عبدي فلاناً السلام ، و قل له : أما ترضى أن أبعثك غداً في الآمنين ؟ فقال : يا رسول الله وقد ذكرني الله عنده ؟ قال : نعم ، قال : فو الّذي بعثك بالحقّ لا بقي شيء يتقرّب به إلى الله إلّا تقرّبت به . « ص ١٥٨ ـ ١٥٩»

١١ ـ ع : أبي ، عن سعد ، عن البرقيّ ، عن محمّد بن يحيى ، عن حمّاد قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام : جعلت فداك نرى الخصيّ من أصحابنا عفيفاً له عبادة ، ولا نكاد نراه إلّا فظّاً غليظاً سفيه الغضب ! فقال : إنّما ذلك لأنّه لا يزني . «ص ٢٠٠»

بيان : يحتمل أن يكون قوله عليه السلام : إنّما ذلك علّة لعفّته ، أو المعنى أنّ غلظته وفخره وعجبه بترك الزنا ؛ ويحتمل أن يكون المراد عدم قدرته على الجماع مطلقاً فإنّ به تندفع الموادّ الفاسدة وبه يستقيم الطبع والخلق .

١٢ ـ ع : بهذا الإسناد عن البرقيّ رفع الحديث إلى أبي عبدالله عليه السلام أنّه سئل عن الخصيّ ، فقال : لم تسئل عمّن لم يلده مؤمن ولا يلد مؤمناً ! . « ص ٢٠٠ »

١٣ ـ **ما** : محمّد بن عليّ بن حشيش ، عن محمّد بن أحمد بن عبد الوهّاب ، عن محمّد بن محمّد بن يحيى ، عن الحسن بن عليّ ، عن اللؤلؤيّ ، عن شعبة ، عن توبة العنبريّ ، عن أنس ابن مالك قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : عليكم بالوجه الملاح والحدق السود فإنّ الله يستحيي أن يعذّب الوجه المليح بالنار . «ص١٩٧»

١٤ ـ **ثو** : أبي ، عن عليّ ، عن أبيه ، عن محمّد بن عمرو ، عن موسى بن إبراهيم ، عن أبي الحسن الأوّل عليه السلام قال : سمعته يقول : ما حسّن الله خلق عبد ولا خلقه إلّا استحيى أن يطعم لحمه يوم القيامة النار . «ص١٧٥»

١٥ ـ **ين** : بعض أصحابنا ، عن حنّان بن سدير ، عن محمّد بن طلحة ، عن زرارة ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال : أيّما عبد كان له صورة حسنة مع موضع لا يشينه ثمّ تواضع لله كان من خالصة الله ؛ قال : قلت : ما موضع لا يشينه ؟ قال : لا يكون ضرب فيه سفاح .

بيان : يمكن توجيه تلك الأخبار على قانون أهل العدل بأنّ الله تعالى خلق من علم أنّهم يكونون شراراً باختيارهم بهذه الصفات ، وجعلهم من أهل تلك البلاد من غير أن يكون لتلك الأحوال مدخل في أعمالهم ؛ أو المراد أنّهم في درجة ناقصة من الكمال ، غير قابلين لمعالي الفضائل و الكمالات ، من غير أن يكونوا مجبورين على القبائح و السيّئات .

﴿باب ١٢﴾

﴿ علة عذاب الاستيصال ، وحال ولد الزنا ، وعلة اختلاف أحوال الخلق ﴾

الايات ، الانفال « ٨ » و اتّقوا فتنة لا تصيبنّ الّذين ظلموا منكم خاصّة واعلموا أنّ الله شديد العقاب ٢٥ .

حمعسق «٤٢» ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض و لكن ينزّل بقدر ما يشاء إنّه بعباده خبير بصير ٢٧ .

الزخرف : «٤٣» أهم يقسمون رحمة ربّك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتّخذ بعضهم بعضاً سخريّاً ورحمة ربّك خيرٌ ممّا يجمعون ✲ ولولا أن يكون الناس اُمّةً واحدةً لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضّة ومعارج عليها يظهرون ✲ و لبيوتهم أبواباً و سرراً عليها يتّكئون ✲ وزخرفاً وإن كلّ ذلك لمّا متاع الحيوة الدنيا والآخرة عند ربّك للمتّقين ٣٢ـ٣٥

تفسير : قال الطبرسيّ رحمه الله في الآية الاُولى : حذّرهم الله من هذه الفتنة ، و أمرهم أن يتّقوها ، وكأنّه قال : اتّقوا فتنة لاتقربوها فتصيبكم ، فإنّ قوله : «لاتصيبنّ» نهي مسوقٌ على الأمر ، ولفظ النهي واقع على الفتنة ، وهو في المعنى للمأمورين بالاتّقاء ، كقوله : «لاتموتنّ إلّا وأنتم مسلمون»[1] واختلف في معنى الفتنة ههنا فقيل : هي العذاب ، أمر الله المؤمنين أن لايقرّوا المنكر بين أظهرهم فيعمّهم الله بالعذاب ، والخطاب لأصحاب النبيّ صلّى الله عليه وآله خاصّة ، وقيل : هي البليّة الّتي يظهر باطن أمر الإنسان فيها .

عن الحسن قال : ونزلت في عليّ و عمّار وطلحة والزبير ، قال : وقد قال الزبير : لقد قرأنا هذه الآية زماناً و ما أرانا من أهلها فإذا نحن المعنيّون بها فخالفنا حتّى أصابتنا خاصّة . و قيل : نزلت في أهل بدر خاصّة فأصابتهم يوم الجمل فاقتتلوا . عن السدّيّ : وقيل : هي الضلالة وافتراق الكلمة ، ومخالفة بعضهم بعضاً . وقيل : هي الهرج الّذي يركب الناس فيه بالظلم ويدخل ضرره على كلّ أحد . ثمّ اختلف في إصابة هذه الفتنة على قولين : أحدهما أنّها جارية على العموم فتصيب الظالم وغير الظالم ، أمّا الظالمون فمعذّبون ، وأمّا المؤمنون فممتحنون ممحّصون . عن ابن عبّاس : و روي أنّه سئل عنها فقال : أبهموا ما أبهم الله .

والثاني أنّها تخصّ الظالم ، لأنّ الغرض منع الناس عن الظلم ، وتقديره : واتّقوا عذاباً يصيب الظلمة خاصّة ، وتقوّيه قراءة من قرأ «لتصيبنّ» باللّام . وقيل : إنّ «لا» في قوله : «لاتصيبنّ» زائدة ، ويجوز أن يقال : إنّ الألف في «لا» لإشباع الفتحة .

وقال البيضاويّ في قوله تعالى : «ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات» : و أوقعنا

(١) البقرة : ١٣٢

بينهم التفاوت في الرزق و غيره « ليتّخذ بعضهم بعضاً سخريّاً » ليستعمل بعضهم بعضاً في حوائجهم فيحصل بينهم تألّف و نظام ينتظم بذلك نظام العالم ، لا لكمال في الموسّع ، ولا لنقص في المقتر « ولولا أن يكون النّاس اُمّة واحدة » ولولا أن يرغبوا في الكفر إذا رأوا الكفّار في سعة وتنعّم لحبّهم الدنيا فيجتمعوا عليه .

١ ـ ع ، ن : الهمدانيّ ، عن عليّ ، عن أبيه ، عن الهرويّ ، عن الرضا عليه السلام قال: قلت له : لأيّ علّة أغرق الله عزّ وجلّ الدنيا كلّها في زمن نوح عليه السلام وفيهم الأطفال وفيهم من لا ذنب له ؟ فقال عليه السلام : ما كان فيهم الأطفال ، لأنّ الله عزّ وجلّ أعقم أصلاب قوم نوح عليه السلام و أرحام نسائهم أربعين عاماً ، فانقطع نسلهم فغرقوا ولا طفل فيهم ، وما كان الله عزّ وجلّ ليهلك بعذابه من لا ذنب له ، وأمّا الباقون من قوم نوح عليه السلام فاُغرقوا لتكذيبهم لنبيّ الله نوح عليه السلام ، وسائرهم اُغرقوا برضاهم بتكذيب المكذّبين ، و من غاب من أمر[1] فرضي به كان كمن شهده وأتاه . «ص٢٢ص٢٣١»

٢ ـ ع : ابن الوليد ، عن الصفّار ، عن ابن عيسى ، عن محمّد بن إسماعيل ، عن حنّان بن سدير ،[2] عن أبيه قال : قلت لأبي جعفر عليه السلام : أرأيت نوحاً عليه السلام حين دعا على قومه فقال : « ربّ لا تذر على الأرض من الكافرين ديّاراً إنّك إن تذرهم يضلّوا عبادك ولا يلدوا إلّا فاجراً كفّاراً » ؟ قال عليه السلام : علم أنّه لا ينجب من بينهم أحد . قال : قلت : وكيف علم ذلك ؟ قال : أوحى الله إليه « إنّه لن يؤمن من قومك إلّا من قد آمن » فعند هذا دعا عليهم بهذا الدعاء . «ص٢٢»

٣ ـ ع : طاهر بن محمّد بن يونس ، عن محمّد بن عثمان الهرويّ ، عن الحسن بن مهاجر ، عن هشام بن خالد ، عن الحسن بن يحيى ، عن صدقة بن عبدالله ، عن هشام ، عن أنس ، عن النبيّ صلّى الله عليه وآله ، عن جبرئيل عليه السلام قال : قال الله تبارك وتعالى : من أهان لي وليّاً فقد بارزني بالمحاربة ، وما تردّدت عن شيء أنا فاعله ما تردّدت[3] في قبض نفس المؤمن ، يكره

---

(١) في المصدر : عن أمر . م

(٢) بفتح السين وكسر الدال المهملتين ـ وزان شريف ـ هو حنان بن سدير بن حكيم بن صهيب ، أبو الفضل الصيرفي ، كوفي من أصحاب الصادق والكاظم عليهما السلام ، واقفي كما في (فهرست) ، واختلف الاصحاب في توثيقه وتضعيفه .

(٣) في نسخة : كترددي .

الموت و أكره مساءته ولابدّ منه ؛ و ما يتقرّب إليّ عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ؛ ولا يزال عبدي يبتهل إليّ [١] حتّى اُحبّه ، ومن أحببته كنت له سمعاً و بصراً ويداً و موئلاً ،[٢] إن دعاني أجبته ، وإن سألني أعطيته ؛ وإنّ من عبادي المؤمنين لمن يريد الباب من العبادة فأكفّه عنه لئلاّ يدخله عجب فيفسده ، وإنّ من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلاّ بالفقر ، ولو أغنيته لأفسده ذلك ، وإنّ من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلاّ بالغنى ولو أفقرته لأفسده ذلك ، وإنّ من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلاّ بالسقم ، ولو صحّحت جسمه لأفسده ذلك ، وإنّ من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلاّ بالقسم ولو صحّحته جسمه لأفسده ذلك ، وإنّ من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلاّ بالصحّة ولو أسقمته لأفسده ذلك ؛ إنّي اُدبّر عبادي بعلمي بقلوبهم فإنّي عليم خبير . «ص١٥ـ١٦»

بيان : قال الشيخ البهائيّ قدّس الله روحه : ما تضمّنه هذا الحديث من نسبة التردّد إليه سبحانه يحتاج إلى التأويل وفيه وجوه : الأوّل أنّ في الكلام إضماراً ، والتقدير: لو جاز عليّ التردّد ماتردّدت في شيء كتردّدي في وفات المؤمن .

الثاني أنّه لمّا جرت العادة بأن يتردّد الشخص في مساءة من يحترمه و يوقّره كالصديق الوفيّ والخلّ الصفيّ ، وأن لا يتردّد في مساءة من ليس له عنده قدر ولا حرمة كالعدوّ والحيّة و العقرب ، بل إذا خطر بالبال مساءته أوقعها من غير تردّد ولا تأمّل صحّ أن يعبّر بالتردّد و التأمّل في مساءة الشخص من توقيره و احترامه ، وبعدمهما عن إذلاله واحتقاره ، فقوله سبحانه : «ماتردّدت» المراد به ـ والله أعلم ـ : ليس لشيء من مخلوقاتي عندي قدر وحرمة كقدر عبدي المؤمن وحرمته فالكلام من قبيل الاستعارة التمثيليّة .

---

(١) أي يدعو ويتضرع . وفي الحديث : الابتهال : تبسط يديك وذراعيك إلى السماء حين ترى أسباب البكاء . وفي حديث آخر : الابتهال : مديده تلقاء وجهه إلى القبلة ، ولا يبتهل حتى تجري الدمعة . و في حديث آخر: الابتهال : رفع يديك تجاوز بهما رأسك .

(٢) الموئل : الملجأ والمنجأ .

الثالث أنّه قد ورد في الحديث من طرق الخاصّة والعامّة أنّ الله سبحانه يظهر للعبد المؤمن عند الاحتضار من اللّطف والكرامة والبشارة بالجنّة ما يزيل عنه كراهة الموت ، ويوجب رغبته في الانتقال إلى دار القرار ، فيقلّ تأذّيه به ، ويصير راضياً بنزوله ، راغباً في حصوله فأشبهت هذه المعاملة من يريد أن يولم حبيبه ألماً يتعقّبه نفع عظيم فهو يتردّد في أنّه كيف يوصل ذلك الألم إليه على وجه يقلّ تأذّيه فلا يزال يظهر له ما يرغّبه فيما يتعقّبه من اللّذّة الجسيمة والراحة العظيمة إلى أن يتلقّاه بالقبول ، ويعدّه من الغنائم المؤدّية الى إدراك المأمول . انتهى .

أقول : قد أثبتنا الأخبار الدالّة على علل اختلاف الخلق في باب الطينة والميثاق .

٤ - ع : أحمد بن محمّد ، عن أبيه ، عن محمّد بن أحمد ، عن إبراهيم بن إسحاق ، عن محمّد بن عليّ الكوفي ، عن محمّد بن الفضيل ، عن سعد بن عمر الجلّاب قال : قال لي أبو عبدالله عليه السلام : إنّ الله عزّ و جلّ خلق الجنّة طاهرة مطهّرة فلا يدخلها إلّا من طابت ولادته . وقال أبو عبدالله عليه السلام : طوبى لمن كانت أمّه عفيفة . «ص١٨٨»

٥ - ع : بهذا الإسناد ، عن محمّد بن أحمد ، عن إبراهيم بن إسحاق ، عن محمّد بن سليمان الديلميّ ، عن أبيه رفع الحديث إلى الصادق عليه السلام قال : يقول ولد الزنا : يا ربّ ما ذنبي ؟ فما كان لي في أمري صنع ! قال : فيناديه مناد فيقول : أنت شرّ الثلاثة أذنب والداك فتبت عليهما وأنت رجس ، ولن يدخل الجنّة إلّا طاهر . « ص١٨٨»

٦ - ثو : ابن البرقيّ ، عن أبيه ، عن جدّه أحمد ، عن أبيه ، عن ابن فضّال ، عن ابن بكير ، عن زرارة قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : لا خير في ولد الزنا ولا في بشره ولا في شعره ولا في لحمه ولا في دمه ولا في شيء منه ؛ يعني ولد الزنا . «ص٢٥٤- ٢٥٥»

سن : أبي ، عن ابن فضّال مثله . «ص١٠٨»

٧ - ثو : ابن الوليد ، عن الصفّار ، عن ابن عيسى ، عن الوشّاء ، عن أحمد بن عائذ ، عن أبي خديجة ،(١) عن أبي عبدالله عليه السلام قال : لو كان أحد من ولد الزنا نجا نجا سائح بني

---

(١) كنية لسالم بن مكرم .

إسرائيل ؟ فقيل له : وما سائح بني إسرائيل ؟ قال : كان عابداً ؟ فقيل له : إنّ ولدالزنا لا يطيب أبداً ولا يقبل الله منه عملاً ؟ قال : فخرج يسيح بين الجبال و يقول ما ذنبي ؟ . «ص ٢٥٥»

سن : في رواية أبي خديجة مثله . [1] «ص١٠٨ ـ ١٠٩ »

٨ ـ ص : الصدوق ، عن جعفر بن محمّد بن شاذان ، عن أبيه ، عن الفضل ، عن محمّد ابن زياد ، عن أبان بن عثمان ، عن أبان بن تغلب ، عن عكرمة ، عن ابن عبّاس قال : قال عزير : [2] يارب إنّي نظرت في جميع اُمورك وإحكامها فعرفت عدلك بعقلي ، وبقي باب لم أعرفه : إنّك تسخط على أهل البليّة فتعمّهم بعذابك وفيهم الأطفال ! فأمره الله تعالى أن يخرج إلى البرّيّة وكان الحرّ شديداً ، فرأى شجرة فاستظلّ بها ونام ، فجاءت نملة فقرصته فدلك الأرض برجله فقتل من النمل كثيراً ، فعرف أنّه مثل ضرب ، فقيل له : يا عزير إنّ القوم إذا استحقّوا عذابي قدّرت نزوله عند انقضاء آجال الأطفال فماتوا اُولئك بآجالهم وهلك هؤلاء بعذابي .

بيان : القرص : أخذك لحم إنسان بإصبعك حتّى تؤلمه ، ولسع البراغيث ، والقبض والقطع ؛ كذا ذكره الفيروز آباديّ .

أقول : لعلّه تعالى إنّما أراه قصّة النمل لبيان أنّ الحكمة قد تقتضي تعميم البليّة والانتقام لرعاية المصالح العامّة ، وحاصل الجواب إنّ الله تعالى كما أنّه يميت الأطفال متفرّقاً إمّا لمصلحتهم أو لمصلحة آبائهم أو لمصلحة النظام الكلّيّ كذلك قد يقدّر موتهم جميعاً في وقت واحد لبعض تلك المصالح ، و ليس ذلك على جهة الغضب عليهم ، بل هي رحمة لهم لعلمه تعالى بأنّهم يصيرون بعد بلوغهم كفّاراً ، أو يعوّضهم في الآخرة ويميتهم لردع سائر الخلق عن الاجتراء على مساخط الله ، أو غير ذلك ؛ مع أنّه ليس

(١) وفي المحاسن : ان كان احد من اولاد الزنا نجا لنجا اه وهذا احسن لمكان «إن» ووفاقا للمذاهب العدلية .

(٢) بتقديم الزاي المعجمة على الراء وزان (رجيل) نبي من أنبياء بني إسرائيل ، وهو الذي قال بنو اسرائيل فيه : (عزير ابن الله !!) بعد ما كتب التوراة عن ظهر قلبه . وسيأتي ذكره وقصته في كتاب النبوة .

يجب على الله تعالى إبقاء الخلق أبداً ، فكلّ مصلحة تقتضي موتهم في كبرهم يمكن جريانها في موتهم عند صغرهم والله تعالى يعلم .

٩ - سن : الحجّال ، عن حمّاد بن عثمان ، عن معمّر بن يحيى ، عن أبيّ خالد الكابليّ ، أنّه سمع عليّ بن الحسين عليه السلام يقول : لا يدخل الجنّة إلّا من خلص من آدم . « ص ١٣٩ »

١٠ - سن : القاسم بن يحيى ، عن جدّه الحسن ، عن ضريس الوابشيّ[1]، عن سدير قال : قال أبوجعفر عليه السلام : من طهرت ولادته دخل الجنّة . «ص١٣٩»

١١- سن : القاسم بن يحيى ، عن جدّه الحسن ، عن عبدالله بن سنان ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : خلق الله الجنّة طاهرة مطهّرة لايدخلها إلّا من طابت ولادته . «ص١٣٩»

١٢- سن : أبي ، عن النضر ، عن يحيى الحلبيّ ، عن أيّوب بن حرّ ، عن أبي بكر[2] قال : كنّا عنده و معنا عبدالله بن عجلان ، فقال عبدالله بن عجلان : معنا رجل يعرف ما نعرف و يقال : إنّه ولدزناء ؛ فقال : ما تقول ؟ فقلت : إنّ ذلك ليقال له ؛ فقال : إن كان ذلك كذلك بني له بيت في النار من صدر ، يردّ عنه وهج جهنّم[3] ويؤتى برزقه . «ص١٤٩»

بيان : من صدر أي يبنى له ذلك في صدر جهنّم وأعلاه ، والظاهر أنّه مصحّف (صبر) بالتحريك وهو الجمد .

١٣ - سن : أبي ، عن حمزة بن عبدالله ، عن هاشم أبي سعيد الأنصاريّ ، عن أبي بصير ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إنّ نوحاً حمل في السفينة الكلب والخنزير ، ولم يحمل فيها ولدالزنا ، وإنّ الناصب شرّ من ولد الزنا . «ص١٧٥»

١٤- كا : الحسين بن محمّد ، عن المعلّى ، عن الوشّاء ، عن أبان ، عن ابن أبي يعفور قال : قال أبوعبدالله عليه السلام : إنّ ولدالزنا يستعمل ، إن عمل خيراً جزي به ، وإن عمل شرّاً جزي به .

بيان : هذا الخبر موافق لما هو المشهور بين الإماميّة من أنّ ولد الزنا كسائر الناس

---

(١) ضريس وزان « زبير » ولم نجد في التراجم مايدل على مدحه أوذمه .
(٢) لعله عبدالله بن محمد الحضرمي ، وضمير «عنده» يرجع إلى الصادق عليه السلام .
(٣) الوهج : اتقاد النار .

مكلّف بأصول الدين وفروعه ، ويجري عليه أحكام المسلمين مع إظهار الإسلام ، ويثاب على الطاعات و يعاقب على المعاصي . ونسب إلى الصدوق والسيّد المرتضى وابن إدريس رحمهم الله القول بكفره وإن لم يظهره ، وهذا مخالف لاُصول أهل العدل إذ لم يفعل باختياره مايستحقّ به العقاب فيكون عذابه جوراً وظلماً ، والله ليس بظلّام للعبيد ، فأمّا الأخبار الواردة في ذلك فمنهم من حملها على أنّه يفعل باختياره مايكفر بسببه ، فلذا حكم عليه بالكفر وأنّه لايدخل الجنّة ، وأمّا ظاهراً فلايحكم بكفره إلّا بعد ظهور ذلك منه .

أقول : يمكن الجمع بين الأخبار على وجه آخر يوافق قانون العدل بأن يقال : لايدخل ولد الزنا الجنّة ، لكن لايعاقب في النار إلّا بعد أن يظهر منه مايستحقّه ، ومع فعل الطاعة وعدم ارتكاب مايحبطه يثاب في النار على ذلك ، ولايلزم على الله أن يثيب الخلق في الجنّة ، ويدلّ عليه خبر عبدالله بن عجلان ، ولا ينافيه خبر ابن أبي يعفور إذ ليس فيه تصريح بأنّ جزاءه يكون في الجنّة [(١)] وأمّا العمومات الدالّة على أنّ من يؤمن بالله ويعمل صالحاً يدخله الله الجنّة يمكن أن تكون مخصّصة بتلك الأخبار ، و بالجملة فهذه المسألة ممّا قد تحيّر فيه العقول ، وارتاب به الفحول ، و الكفّ عن الخوض فيها أسلم ، ولانرى فيها شيئاً أحسن من أن يقال : الله أعلم .

﴿باب ١٣﴾

﴿ الاطفال ومن لم يتم عليهم الحجة في الدنيا ﴾

الايات ، الطور «٥٢» و الّذين آمنوا و اتّبعتهم ذرّيّتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرّيّتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء ٢١

تفسير : قال الطبرسيّ رحمه الله يعني بالذرّيّة أولادهم الصغار والكبار لأنّ الكبار يتبعون الآباء بإيمان منهم ، والصغار يتبعون الآباء بإيمان من الآباء ، فالولد يحكم

(١) ويمكن حملها على بيان المبالغة ، وبيان أن الناجي منهم قليل ، والاكثرون منهم يختارون الغي على الرشاد ، والضلال على الهدى ، هذا مع غض النظر عما في كثير من أسنادها من الضعف والجهالة والارسال .

له بالإسلام تبعاً لوالده والمعنى : أنّا نلحق الأولاد بالآباء في الجنّة والدرجة من أجل الآباء لتقرّ عين الآباء باجتماعهم معهم في الجنّة كما كانت تقرّ بهم في الدنيا ، عن ابن عبّاس والضحّاك وابن زيد ، وفي رواية اُخرى عن ابن عبّاس أنّهم البالغون اُلحقوا بدرجة آبائهم وإن قصرت أعمالهم ، تكرمة لآبائهم ، و إذا قيل : كيف يلحقون بهم في الثواب ولم يستحقّوه ؟ فالجواب أنّهم يلحقون بهم في الجمع لا في الثواب والمرتبة .

وروى زاذان[1] عن علي عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إنّ المؤمنين وأولادهم في الجنّة ، ثمّ قرأ هذه الآية .

وروي عن الصادق عليه السلام قال : أطفال المؤمنين يهدون إلى آبائهم يوم القيامة «و ما ألتناهم من عملهم من شيء » أي لم ننقص الآباء من الثواب حين ألحقنا بهم ذرّيّاتهم .

١ـ فس : قوله : «والّذين آمنوا واتّبعتهم ذرّيّاتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرّيّتهم» فإنّه حدّثني أبي ، عن سليمان الديلميّ ، عن أبي بصير ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إنّ أطفال شيعتنا من المؤمنين تربّيهم فاطمة عليها السلام ، قوله : «ألحقنا بهم ذرّيّتهم» قال : يهدون إلى آبائهم يوم القيامة . «ص٦٤٩»

وقال عليّ بن إبراهيم في قوله : « وما ألتناهم من عملهم من شيء » : أي ما نقصناهم . «٦٥٠»

٢ ـ ل : أبي ، عن محمّد العطّار ، عن الأشعريّ ، عن عليّ بن إسماعيل ، عن حمّاد ، عن حريز ، عن زرارة ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : إذا كان يوم القيامة احتجّ الله عزّ وجلّ على خمسة : على الطفل ، والّذي مات بين النبيّين ، والّذي أدرك النبيّ وهو لا يعقل ، والأبله[2] والمجنون الّذي لا يعقل ، والأصمّ والأبكم ؛ فكلّ واحد منهم يحتجّ على الله عزّ وجلّ ؛ قال فيبعث الله إليهم رسولاً فيؤجّج لهم ناراً فيقول لهم : ربّكم يأمركم

---

(١) زاذان ـ بالزاى والذال المعجمتين بينهما ألف وزان (هامان) ـ أبوعمرة الفارسي عده الشيخ من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام ؛ وقال العلامة فى خاتمة القسم الاول من خلاصته : كنيته أبوعمر (ابوعمرو خ ل) . ويوجد ترجمته فى ص ١٦١ من تقريب ابن حجر ، قال : زاذان أبوعمر الكندى البزاز ، ويكنى أباعبدالله أيضاً ، صدوق ، يرسل ، وفيه شيعية ، من الثانية ، مات سنة ٧٢ .

(٢) هو من ضعف عقله وعجز رأيه .

أن تثبوا فيهـا ، فمن وثب فيها كانت عليه برداً و سلاماً ، ومن عصى سيق إلـى النار .

«ص١٣٦»

قال الصدوق رضي الله عنه : إنّ قوماً من أصحاب الكلام ينكرون ذلك ويقولون : إنّه لايجوز أن يكون في دار الجزاء تكليف ، و دار الجزاء للمؤمنين إنّما هي الجنّة ، و دار الجزاء للكافرين إنّما هي النار ، وإنّما يكون هذا التكليف من الله عزّ وجلّ في غير الجنّة و النار فلايكون كلّفهم في دار الجزاء ثمّ يصيّرهم إلى الدار الّتي يستحقّونها بطاعتهم أومعصيتهم ، فلاوجه لإنكار ذلك ، ولاقوّة إلّا بالله .

٣ ـ **مع** : أبي ، عن سعد ، عن أحمد بن محمّد ، عن أبيه ، عن حمّاد ، عن حريز ، عن زرارة قال : سألت أباجعفر عليه السلام : هل سئل رسول الله صلّى الله عليه وآله عن الأطفال ؟ فقال : قد سئل فقال : الله أعلم بماكانوا عاملين . ثمّ قال : يا زرارة هل تدري ماقوله : الله أعلم بمـا كانوا عاملين ؟ قلت : لا ، قال : لله عزّ وجلّ فيهم المشيّة ؛ إنّه إذاكان يوم القيامة اُتي بالأطفال ، والشيخ الكبير الّذي قد أدرك السنّ [(١)] ولم يعقل من الكبر والخرف ، [(٢)] والّذي مات في الفترة بين النبيّين ، والمجنون ، والأبله الّذي لايعقل فكلّ واحد يحتجّ على الله عزّ وجلّ ، فيبعث الله تعالى إليهم ملكاً من الملائكة و يؤجّج ناراً فيقول : إنّ ربّكم يأمركم أن تثبوا فيها ، فمن وثب فيها كانت عليه برداً وسلاماً ، ومن عصاه سيق إلى النار .

كا : عليّ ، عن أبيه ، عن حمّاد مثله . «ف ج ١ ص٦٨»

٤ ـ **غط** : ابن أبي عمير ، عن جميل بن درّاج ، عن زرارة ، عن جعفر بن محمّد عليهما السلام أنّه قال : حقيق علـى الله أن يدخل الضُلّال الجنّة ، فقال زرارة : كيف ذلك جعلـت فداك ؟ قال : يموت الناطق ولاينطق الصامت فيموت المرء بينهما فيدخله الله الجنّة . [(٣)]

«ص٢٩٢»

---

(١) في نسخة : قد أدرك النبي .

(٢) هو الذي فسد عقله من الكبر .

(٣) لانه لم تبلغه الحجة ، ولم يرشد إلى المحجة . والله تعالى يقول : «و ما كنا معذبين حتى نبعث رسولا» .

٥ - كنز : قوله تعالى : «يطوف عليهم ولدان مخلّدون» عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال : الولدان أولاد أهل الدنيا ، لم يكن لهم حسنات فيثابون عليها ، ولا سيّئات فيعاقبون عليها فأُنزلوا هذه المنزلة .

٦ - و عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه سئل عن أطفال المشركين ، فقال : خدم أهل الجنّة على صورة الولدان خلقوا لخدمة أهل الجنّة .

٧ - يد : الحسين بن يحيى بن ضريس ، عن أبيه ، عن محمّد بن عمارة السكّريّ ، عن إبراهيم بن عاصم ، عن عبدالله بن هارون الكرخيّ ، عن أحمد بن عبدالله بن يزيد ، عن أبيه يزيد بن سلام ، عن أبيه سلام بن عبيدالله ، عن أخيه عبدالله بن سلام مولى رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت : أخبرني أيعذّب الله عزّ وجلّ خلقاً بلا حجّة ؟ قال : معاذ الله ! قلت : فأولاد المشركين في الجنّة أم في النار ؟ فقال : الله تبارك و تعالى أولى بهم إنّه إذا كان يوم القيامة - وساق الحديث إلى أن قال - : فيأمر الله عزّ وجلّ ناراً يقال له : الفلق ، أشدّ شيء في نار جهنّم عذاباً ، فتخرج من مكانها سوداء مظلمة بالسلاسل و الأغلال ، فيأمرها الله عزّ وجلّ أن تنفخ في وجوه الخلائق نفخة ، فتنفخ فمن شدّة نفختها تنقطع السماء ، و تنطمس النجوم ، و تجمد البحار ، و تزول الجبال ، و تظلم الأبصار ، وتضع الحوامل حملها ، وتشيب الولدان من هولها يوم القيامة ؛ فيأمر الله تعالى أطفال المشركين أن يلقوا أنفسهم في تلك النار ؛ فمن سبق له في علم الله عزّ وجلّ أن يكون سعيداً ألقى نفسه فيها فكانت عليه برداً و سلاماً كما كانت على إبراهيم عليه السلام ، ومن سبق له في علم الله تعالى أن يكون شقيّاً امتنع فلم يلق نفسه في النار فيأمر الله تعالى النار فتلتقطه لتركه أمر الله وامتناعه من الدخول فيها فيكون تبعاً لآبائه في جهنّم .[1]

«ص ٣٩٩ - ٤٠١»

٨ - كا : العدّة ، عن سهل ، عن غير واحد رفعه أنّه سئل عن الأطفال فقال : إذا كان يوم القيامة جمعهم الله وأجّج ناراً[2] وأمرهم أن يطرحوا أنفسهم فيها ، فمن كان في

(١) للحديث تتمة ما نقلت بتمامها . م

(٢) في المصدر : واجج لهم ناراً . م

علم الله عزّ وجلّ أنّه سعيد رمى نفسه فيها وكانت عليه برداً و سلامة [1]، ومن كان في علمه أنّه شقيّ امتنع فيأمر الله تعالى بهم إلى النار، فيقولون: ياربّنا تأمر بنا إلى النار و لم يجر علينا القلم؟ فيقول الجبّار: قد أمرتكم مشافهة فلم تطيعوني فكيف لو أرسلت رسلي بالغيب إليكم؟ «ف ج ١ ص٦٨»

٩ ـ و في حديث آخر أمّا أطفال المؤمنين فإنّهم يلحقون بآبائهم، و أولاد المشركين يلحقون بآبائهم وهو قول الله عزّ وجلّ: «بإيمان ألحقنا بهم ذرّيّتهم». «ف ج ١ ص٦٨»

١٠ ـ كا: محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن الحسين بن سعيد، عن النضر بن سويد، عن يحيى الحلبيّ، عن ابن مسكان، عن زرارة قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن الولدان، فقال: سئل رسول الله صلّى الله عليه وآله عن الولدان والأطفال فقال: الله أعلم بما كانوا عاملين. «ف ج ١ ص ٦٨»

١١ ـ كا: عليّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن عمر بن أذينة، عن زرارة قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: ماتقول: في الأطفال الّذين ماتوا قبل أن يبلغوا؟ فقال: سئل عنهم رسول الله صلّى الله عليه وآله فقال: الله أعلم بما كانوا عاملين، ثمّ أقبل عليّ فقال: يا زرارة هل تدري ماعنى بذلك رسول الله صلّى الله عليه وآله؟ قال: قلت: لا، فقال: إنّما عنى: كفّوا عنهم ولاتقولوا فيهم شيئاً وردّوا علمهم إلى الله. «ف ج ١ ص٦٨»

١٢ ـ كا: العدّة، عن سهل، عن عليّ بن الحكم، عن سيف بن عميرة، عن ابن بكير، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: «والّذين آمنوا واتّبعتهم ذرّيّتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرّيّتهم» قال: فقال: قصرت الأبناء عن عمل الآباء [2] فألحقوا الأبناء بالآباء لتقرّ بذلك أعينهم. «ف ج ١ ص٦٨»

١٣ ـ يه: عن أبي بكر الحضرميّ، عنه عليه السلام مثله. «ص٤٣٩»

١٤ ـ كا: عليّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام، عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه

(١) في المصدر: وسلاماً. م

(٢) في المصدر: على عمل الاباء. م

سئل عمّن مات في الفترة[١] وعمّن لم يدرك الحنث[٢] والمعتوه[٣] فقال : يحتجّ الله عليهم يرفع لهم ناراً فيقول لهم : ادخلوها ، فمن دخلها كانت عليه برداً و سلاماً ، و من أبى قال : ها أنتم قد أمرتكم فعصيتموني . « ف ج١ ص٦٨ »

١٥ - كا : بهذا الإسناد قال : ثلاثة يحتجّ عليهم : الأبكم ، والطفل ، ومن مات في الفترة ، فيرفع لهم نارٌ فيقال لهم : ادخلوها ، فمن دخلها كانت عليه برداً و سلاماً ، ومن أبى قال تبارك و تعالى : هذا قد أمرتكم فعصيتموني . « ف ج ١ص٦٨ »

١٦ - نوادر الراوندي : بإسناده عن موسى بن جعفر ، عن آبائه عليهم السلام قال : قال : رسول الله صلى الله عليه وآله : لاتزوّجوا الحسناء الجميلة العاقرة[٤] فإنّي اُباهي بكم الاُمم يوم القيامة ، أوما علمت أنّ الولدان تحت عرش الرحمن يستغفرون لآبائهم ، يحضنهم إبراهيم ، وتربّيهم سارة عليهما السلام في جبل من مسك وعنبر و زعفران ؟ .

١٧ - يه : في الصحيح روى أبوزكريّا ، عن أبي بصير قال : قال أبوعبدالله عليه السلام : إذا مات طفل من أطفال المؤمنين نادى مناد في ملكوت السماوات والأرض : ألا إنّ فلان بن فلان قدمات ، فإن كان مات والداه أوأحدهما أوبعض أهل بيته من المؤمنين دفع إليه يغذوه ، و إلّا دفع إلى فاطمة عليها السلام تغذوه حتّى يقدم أبواه أوأحدهما أوبعض أهل بيته فتدفعه إليه . «ص٤٣٩»

١٨ - يه : في الصحيح عن الحسن بن محبوب ، عن عليّ بن رئاب ، عن الحلبيّ ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إنّ الله تبارك و تعالى يدفع إلى إبراهيم وسارة أطفال المؤمنين يغذوانهم بشجرة في الجنّة لها أخلاف[٥] كأخلاف البقر في قصر من الدرّ ،[٦] فإذا كان يوم

---

(١) اى في زمان انقطاع الرسل وعدم تيسر الوصول إلى الحجة .

(٢) أى البلوغ والادراك .

(٣) المعتوه : من نقص عقله . ويقال أيضاً : لمن دهش من غير مس جنون . و في الحديث اريد به المعنى الاول .

(٤) اى المرءة التى حبس رحمها فلم تلد .

(٥) جمع (خلف) بكسر الخاء وسكون اللام : حلمة ضرع الناقة .

(٦) في المصدر : من درة . م

القيامة اُلبسوا واُطيبوا واُهدوا إلى آبائهم ، فهم ملوك في الجنّة مع آبائهم ، وهوقول الله تعالى : «والّذين آمنوا واتّبعتهم ذرّيّتهم بإيمان ألحقنابهم ذرّيّتهم» . «ص٤٣٩»

بيان : يمكن الجمع بين الخبرين بأنّ بعضهم تربّيه فاطمة عليها السلام ، و بعضهم إبراهيم وسارة عليهما السلام على اختلاف مراتب آبائهم ، أوتدفعه فاطمة عليها السلام إليهما .(١)

١٩ ـ و روى الشيخ حسن بن سليمان في كتاب المختصر(٢) نقلاً من كتاب المعراج للشيخ الصالح أبي محمّد الحسن بإسناده عن الصدوق ، عن أبيه ، عن محمّد بن أبي القاسم ، عن محمّد بن عليّ الكوفيّ ، عن محمّد بن عبدالله بن مهران ، عن صالح بن عقبة ، عن يزيد بن عبدالملك ، عن الباقر عليه السلام قال : لمّا صعد رسول الله صلّى الله عليه وآله إلى السماء وانتهى إلى السماء السابعة ولقي الأنبياء عليهم السلام قال : أين أبي إبراهيم عليه السلام ؟ قالوا له : هو مع أطفال شيعة عليّ ؛ فدخل الجنّة فإذا هو تحت شجرة لها ضروع كضروع البقر ، فإذا انفلت الضرع من فم الصبيّ قام إبراهيم فردّ عليه ؛ قال : فسلّم عليه فسأله عن عليّ عليه السلام فقال : خلّفته في اُمّتي ، قال : نعم الخليفة خلّفت ، أما إنّ الله فرض على الملائكة طاعته ، وهؤلاء أطفال شيعته ، سألت الله أن يجعلني القائم عليهم ففعل ، و إنّ الصبيّ ليجرع الجرعة فيجد طعم ثمار الجنّة وأنهارها في تلك الجرعة .

٢٠ ـ يه : في الصحيح سأل جميل بن درّاج أبا عبدالله عليه السلام عن أطفال الأنبياء ، فقال : ليسوا كأطفال الناس ؛ وسأله عن إبراهيم بن رسول الله صلّى الله عليه وآله : لو بقي كان صدّيقاً نبيّاً ؟ قال : لو بقي كان على منهاج أبيه صلّى الله عليه وآله . «ص٤٣٩»

بيان : أي كان مؤمناً موحّداً تابعاً لأبيه لا نبيّاً .

٢١ ـ يه : روى وهب بن وهب ، عن جعفر بن محمّد ، عن أبيه عليهما السلام قال : قال عليّ عليه السلام : أولاد المشركين مع آبائهم في النار ، و أولاد المسلمين مع آبائهم في الجنّة . «ص٤٣٩»

---

(١) ليس في نظام الجنة تزاحم كما هو في الدنيا ، والكتاب والسنة ناطقان بذلك فلامنافاة بين تربية فاطمة عليها السلام لاطفال المؤمنين في الجنة و تربية إبراهيم و سارة عليهما السلام لهم حتى يحتاج الى الجمع بين الروايات . ط

(٢) أي المختصر من بصائر الدرجات لسعد بن عبدالله .

٢٢ ـ يه : في الصحيح روى جعفر بن بشير ، عن عبدالله بن سنان قال : سألت أباعبدالله عليه السلام عن أولاد المشركين يموتون قبل أن يبلغوا الحنث ؛ قال : كفّار ، والله أعلم بما كانوا عاملين ، يدخلون مداخل آبائهم . وقال عليه السلام : يؤجّج[1] لهم ناراً فيقال لهم : ادخلوها ، فإن دخلوها كانت عليهم برداً وسلاماً ، وإن أبوا قال لهم الله عزّ وجلّ : هو ذا أنا قد أمرتكم فعصيتموني ؛ فيأمر الله عزّ وجلّ بهم إلى النار . «ص٤٤٠»

بيان : قال الصدوق رحمه الله ـ بعد إيراد تلك الأخبار ـ : هذه الأخبار متّفقة وليست بمختلفة ، وأطفال المشركين والكفّار مع آبائهم في النار لاتصيبهم من حرّها لتكون الحجّة أوكد عليهم متى اُمروا يوم القيامة بدخول نار تؤجّج لهم مع ضمان السلامة متى لم يثقوا به ولم يصدّقوا وعده في شيء قد شاهدوا مثله .

أقول : جمع الصدوق بينها بحمل ما دلّ على إطلاق دخولهم النار على نار البرزخ ، وقال : لا يصيبهم حرّها حينئذ ، ورأى أنّ فائدة ذلك توكيد الحجّة عليهم في التكليف بدخول نار تؤجّج لهم في القيامة . ويمكن أن يقال : لعلّ الله تعالى يعلم أنّ كلّ أولاد الكفّار الّذين يموتون قبل الحلم لا يدخلون النار يوم القيامة بعد التكليف ، فلذا قال : الله أعلم بما كانوا عاملين أي في القيامة بعد التكليف ، ولذا جعلهم من أولادهم ، ويمكن أيضاً أن يحمل قوله عليه السلام : كفّار على أنّه يجري عليهم في الدنيا أحكام الكفّار بالتبعيّة في النجاسة وعدم التغسيل ، والتكفين ، والصلاة ، والتوارث ، وغير ذلك ؛ ويخصّ دخولهم النار ودخولهم مداخل آبائهم بمن لم يدخل منهم نار التكليف ، والأظهر حملها على التقيّة لموافقتها لروايات المخالفين وأقوال أكثرهم ، قال النووي في شرح صحيح المسلم : اختلف العلماء فيمن مات من أطفال المشركين فمنهم من يقول : هم تبع لآبائهم في النار ، ومنهم من يتوقّف فيهم ، والثالث ـ وهو الصحيح الّذي ذهب إليه المحقّقون ـ أنّهم من أهل الجنّة واستدلّوا بأشياء :

منها حديث إبراهيم الخليل حين رآه النبيّ صلى الله عليه وآله وحوله أولاد الناس ؛ قالوا : يا رسول الله وأولاد المشركين ؟ قال : وأولاد المشركين . رواه البخاريّ في صحيحه .

---

(١) في المصدر : وقال علي عليه السلام تؤجج . الخبر؛ والظاهر يؤجج

ومنها قوله تعالى : «وما كنّا معذّبين حتّى نبعث رسولاً »[1] ولا يتوجّه على المولود التكليف حتّى يبلغ فيلزم الحجّة انتهى .

وروى الحسين بن مسعود البغويّ في شرح السنّة بإسناده عن أبي هريرة قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وآله عن أطفال المشركين ، قال : الله أعلم بما كانوا فاعلين . وقال : هذا حديث متّفق على صحّته .

وروي بإسناد آخر عن صحيح مسلم و غيره عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلّى الله عليه و آله من يولد يولد على الفطرة ، وأبواه يهوّدانه وينصّرانه ، كما تنتجون البهيمة ، هل تجدون فيها جدعاء[2] حتّى تكونوا أنتم تجدعونها ؟ قالوا : يارسول الله أفرأيت من يموت وهو صغير ؟ قال : الله أعلم بما كانوا عاملين .

ثمّ قال : هذا حديث متّفق على صحّته . ثمّ قال في شرح الخبر : قلت : أطفال المشركين لا يحكم لهم بجنّة ولا نار ، بل أمرهم موكول إلى علم الله فيهم ، كما أفتى به الرسول صلى الله عليه وآله ، وجملة الأمر أنّ مرجع العباد في المعاد إلى ما سبق لهم في علم الله من السعادة والشقاوة . وقيل : حكم أطفال المؤمنين والمشركين حكم آبائهم و هو المراد بقوله : الله أعلم بما كانوا عاملين ، يدلّ عليه ما روي مفسّراً عن عايشة أنّها قالت : قلت يا رسول الله ذراري المؤمنين ؟ قال : من آبائهم ، فقلت : يارسول الله بلا عمل ؟ قال : الله أعلم بما كانوا عاملين ، قلت : فذراري المشركين ؟ قال : من آبائهم ، قلت : بلا عمل ؟ قال : الله أعلم بما كانوا عاملين .

و قال معمّر ، عن قتادة ، عن الحسن : إنّ سلمان قال : أولاد المشركين خدم أهل الجنّة ، قال الحسن : أتعجبون ؟ أكرمهم الله وأكرمهم به . انتهى .

أقول : فظهر أنّ تلك الروايات موافقة لما رواه المخالفون في طرقهم ، وقد أوّ لها أئمّتنا عليهم السلام بما مرّ في الأخبار السابقة . ثمّ اعلم أنّه لا خلاف بين أصحابنا في أنّ أطفال المؤمنين يدخلون الجنّة ، وذهب المتكلّمون منّا إلى أنّ أطفال الكفّار لا يدخلون النار

(١) اسرى : ١٥ .

(٢) أى مقطوع الاذن وناقص الاعضاء . وفي نسخة المصنف : من جدعاء .

فهم إمّا يدخلون الجنّة ، أو يسكنون الأعراف ؛ وذهب أكثر المحدّثين منّا إلى ما دلّت عليه الأخبار الصحيحة من تكليفهم في القيامة بدخول النار المؤجّجة لهم ؛ قال المحقّق الطوسيّ رحمه الله في التجريد : تعذيب غير المكلّف قبيح ، وكلام نوح عليه السلام مجاز والخدمة ليست عقوبة له ، والتبعيّة في بعض الأحكام جائزة .

وقال العلاّمة قدّس الله روحه في شرحه : ذهب بعض الحشويّة إلى أنّ الله تعالى يعذّب أطفال المشركين ويلزم الأشاعرة تجويزه ، والعدليّة كافّة على منعه ، والدليل عليه أنّه قبيح عقلاً فلا يصدر منه تعالى ، احتجّوا بوجوه :

الأوّل قول نوح عليه السلام : «ولا يلدوا إلاّ فاجراً كفّاراً» والجواب أنّه مجاز والتقدير أنّهم يصيرون كذلك لا حال طفوليّتهم .

الثاني : قالوا : إنّا نستخدمه لأجل كفر أبيه فقد فعلنا فيه ألماً وعقوبةً فلا يكون قبيحاً .

والجواب : أنّ الخدمة ليست عقوبةً للطّفل ، وليس كلّ ألم عقوبة ، فإنّ الفصد و الحجامة ألمان و ليسا عقوبة ، نعم استخدامه عقوبة لأبيه و امتحان له يعوّض عليه كما يعوّض على إمراضه .

الثالث : قالوا : إنّ حكم الطفل يتبع حكم أبيه في الدفن ، ومنع التوارث ، و الصلاة عليه ، ومنع التزويج .

والجواب : أنّ المنكر عقابه لأجل جرم أبيه ، وليس بمنكر أن يتبع حكم أبيه في بعض الأشياء ، إذا لم يحصل له بها ألم وعقوبة ، ولا ألم له في منعه من الدفن والتوارث وترك الصلاة عليه .

«باب ١٤»

(من رفع عنه القلم ، ونفي الحرج في الدين ، وشرائط صحة التكليف)

(ومايعذر فيه الجاهل وأنه يلزم على الله التعريف)

الايات ، البقرة «٢» لاإكراه في الدين قد تبيّن الرشد من الغيّ ٢٥٦. «وقال تعالى» : لا يكلّف الله نفساً إلّاوسعها لها ماكسبت وعليها ما اكتسبت ربّنا لاتؤاخذنا إن نسينا أوأخطأنا ربّنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الّذين من قبلنا ربّنا و لا تحمّلنا مالاطاقةلنا به واعف عنّا و اغفرلنا وارحمنا ٢٨٦ .

الا نعام «٦» قدجائكم بصائر من ربّكم فمن أبصرفلنفسه ومن عمي فعليها وما أنا عليكم بحفيظ ١٠٤ .

الانعام «٦» ، الاعراف «٧» لانكلّف نفساً إلّاوسعها ١٥٤ ، ٤٧ .

الا نفال «٨» ليهلك من هلك عن بيّنة ويحيى من حيّ عن بيّنة وإنّ الله لسميع عليمٌ ٤٢ .

التوبة «٩» وما كان الله ليضلّ قوماً بعد إذهديهم حتّى يبيّن لهم مايتّقون ١١٥ .

النحل «١٦» وعلى الله قصدالسبيل ومنهاجائر ولوشاء لهديكم أجمعين ٩ .

الاسرى «١٧» من اهتدى فإنّما يهتدي لنفسه ومن ضلّ فإنّما يضلّ عليها ولا تزر وازرةٌ وزر اُخرى وماكنّا معذّبين حتّى نبعث رسولاً ١٥ .

طه «٢٠» ولوأنّاأهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربّنا لولا أرسلت إلينارسولاً فنتّبع آياتك من قبل أن نذلّ ونخزى ١٣٤ .

الحج «٢٢» وماجعل عليكم في الدين من حرج ٧٨ .

النور «٢٤» كذلك يبيّن الله لكم الآيات والله عليم حكيم ٥٨ «وقال» : كذلك يبيّن الله لكم آياته والله عليم حكيم ٥٩ .

الشعراء «٢٦» و ما أهلكنا من قرية إلّا ولها منذرون ۞ ذكرى و ما كنّا ظالمين ١٠٨-١٠٩.

القصص «٢٨» ولولا أن تصيبهم مصيبةٌ بما قدَّمت أيديهم فيقولوا ربّنا لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتّبع آياتك ونكون من المؤمنين٤٦ «وقال تعالى» : وما كان ربّك مهلك القرى حتّى يبعث في اُمّها رسولاً يتلوا عليهم آياتنا و ما كنّا مهلكي القرى إلّا وأهلها ظالمون ٥٩ .

الاحزاب «٣٣» وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ماتعمّدت قلوبكم٥ .

الطلاق «٦٥» لايكلّف الله نفساً إلا ما آتيها ٧ .

تفسير : « لا إكراه في الدين» قيل : هو منسوخ بآيات الجهاد . وقيل : خاصٌ بأهل الكتاب . و قيل : الإكراه في الحقيقة إلزام الغير فعلاً لايرى فيه خيراً ؛ ولكن «قد تبيّن الرشد من الغيّ» أي تميّز الإيمان من الكفر بالآيات الواضحة ، و دلّت الدلائل على أنَّ الإيمان يوصل إلى السعادة ، والكفر يوصل إلى الشقاوة ، و العاقل متى تبيّن له ذلك بادرت نفسه إلى الإيمان من غير إلجاء و إكراه « إلّا وسعها » أي مايسعه قدرتها ، أو مادون مدى طاقتها ، بحيث يتّسع فيه طوقها كقوله تعالى : « يريد الله بكم اليسر» .

«إن نسينا أو أخطأنا» أي لا تؤاخذنا بما أدّى بنا إلى نسيان أو خطأ من تفريط وقلّة مبالاة ، أو يكون سؤالاً على سبيل التضرّع والاستكانة ، و إن كان ما يسأله لازماً على الله تعالى ، أو المراد بنسينا تركنا ، وبأخطأنا أذنبنا . «إصراً» اي عبئاً ثقيلاً يأصر صاحبه أي يحبسه في مكانه ، يريد به التكاليف الشاقّة . «مالاطاقة لنابه» أي من البلايا والعقوبة أوما يثقل علينا تحمّله من التكاليف الشاقّة ، وقد يقول الرجل لأمر يصعب عليه : إنّي لاأُطيقه ؛ أو يكون الدعاء على سبيل التعبّد كما مرّ .

«ليهلك من هلك عن بيّنة» أي ليموت من يموت عن بيّنة عاينها ، ويعيش من يعيش عن حجّة شاهدها ، لئلّا يكون له حجّة ومعذرة ؛ أو ليصدر كفر من كفر وإيمان من آمن عن وضوح بيّنة ، على استعارة الهلاك والحياة للكفر والإسلام ، والمراد بمن

هلك ومن حيّ المشارف للهلاك والحياة ، أومن هذا حاله في علم الله و قضائه .

« وما كان الله ليضل قوماً » أي ليسميهم ضلالاً ، أويؤاخذهم مؤاخذتهم ويعذّبهم ويضلّهم عن سبيل الجنّة .

قوله تعالى : وعلى الله قصد السبيل أي يجب على الله في عدله بيان الطريق المستقيم «ومنها جائر» أي من السبيل ما هوعادل عن الحقّ. قوله تعالى : «لولا أن تصيبهم مصيبة» لولا الأولى امتناعيّة ، و لولا الثانية تحضيضيّة ، و جواب الأولى محذوف ، أي ما أرسلناك . قوله تعالى : في اُمّها أي في أصلها ومعظمها فإنّ الأشراف غالباً يسكنون المدن . «إلّا ما آتيها» أي إلّا بقدر ما أعطاها من الطاقة .

۱ ـ ب : هارون ، عن ابن زياد ، عن جعفر ، عن أبيه ، عن النبيّ صلّى الله عليه وآله قال : ممّا أعطى الله اُمّتي و فضّلهم به على سائر الاُمم أعطاهم ثلاث خصال لم يعطها إلّا نبيّ ، وذلك أنّ الله تبارك وتعالى كان إذا بعث نبيّاً قال له : اجتهد في دينك ولاحرج عليك . وإنّ الله تبارك وتعالى أعطى ذلك اُمّتي حيث يقول : «وماجعل عليكم في الدين من حرج» يقول : من ضيق . الخبر « ص٤١ »

۲ ـ ب : البزّاز ، عن أبي البختريّ ، عن جعفر ، عن أبيه ، عن عليّ عليه السلام قال : لاغلظ على مسلم في شيء .[1] «ص٦٣»

۳ ـ ل : ابن الوليد ، عن الصفّار ، عن ابن عيسى ، عن محمّد بن سنان ، عن ابن مسكان ، عن موسى بن بكر قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام : الرجل يغمى عليه اليوم و اليومين والثلاثة والأربعة وأكثر من ذلك ، كم يقضي من صلاته ؟ فقال : ألا اُخبرك بما يجمع لك هذا وأشباهه ؟ كلّما غلب الله عزّوجلّ عليه من أمر فالله أعذر لعبده . وزاد فيه غيره : إنّ أباعبدالله عليه السلام قال : و هذا من الأبواب الّتي يفتح كلّ باب منها ألف باب . «ص١٧٤»

٤ ـ سن : عليّ بن الحكم ، عن أبان الأحمر ، عن حمزة الطيّار ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال لي : اكتب ، وأملى : أنّ من قولنا : إنّ الله يحتجّ على العباد بالّذي

(۱) كذا في نسخة المصنف بخطه الشريف ؛ وفي المصدر وكذا في بعض نسخ البحار : « لاغلط» أي ليس فيما لم يعرف وجه الصواب فيه على المسلم مؤاخذة ، أو حكم إلزامي .

آتاهم وعرّفهم ، ثمّ أرسل إليهم رسولاً وأنزل عليه الكتاب ، وأمر فيه ونهى ، أمر فيه بالصلاة والصوم فنام رسول الله صلى الله عليه وآله عن الصلاة فقال : أنا اُنيمك وأنا اُوقظك ، فإذا قمت فصلّ ليعلموا إذا أصابهم ذلك كيف يصنعون ليس كما يقولون : إذا نام عنها هلك ؛ و كذلك الصيام أنا اُمرضك و أنا اُصحّك ، فإذا شفيتك فاقضه . ثمّ قال أبوعبدالله عليه السلام : و كذلك إذا نظرت في جميع الأشياء لم تجد أحداً [1] إلّا و لله عليه حجّة وله فيه المشيّة ، ولا أقول : إنّهم ماشاؤوا صنعوا . ثمّ قال : إنّ الله يهدي ويضلّ ، وقال : ما اُمروا إلّا بدون سعتهم ، وكلّ شيء اُمر الناس به فهم يسعون له ، وكلّ شيء لايسعون له فموضوع عنهم ولكن النّاس لاخير فيهم ، ثمّ تلا : « ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الّذين لا يجدون ما ينفقون حرج » فوضع [2] عنهم « ماعلى المحسنين من سبيل والله غفوررحيم ولاعلى الّذين إذا ما أتوك لتحملهم » قال : فوضع عنهم لأنّهم لايجدون ماينفقون ، وقال : « إنّما السبيل على الّذين يستأذنونك وهم أغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون » . « ص٢٣٦ -٢٣٧ »

شي : عن زرارة وحمران ومحمّد بن مسلم ، عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام مثله .

٥ ـ سن : محمّد بن علي ، عن حكم بن مسكين الثقفيّ ، عن النضر بن قرواش قال : سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول : إنّما احتجّ الله على العباد بما آتاهم وعرّفهم . « ص٢٣٦ »

سن : بعض أصحابنا ، عن ابن أسباط ، عن حكم بن مسكين مثله . « ص٢٧٥-٢٧٦ »

٦ ـ سن : أبي ، عن صفوان ، عن منصور بن حازم قال : قال أبوعبدالله عليه السلام : الناس مأمورون ومنهيّون ومن كان له عذر عذره الله . [3] « ص٢٤٥ »

٧ ـ سن : ابن فضّال ، عن ثعلبة ، عن حمزة بن الطيّار ؛ وحدّثنا أبي ، عن فضالة عن أبان الأحمر ، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله : « ما كان الله ليضلّ قوماً بعد إذ هديهم حتّى يبيّن لهم ما يتّقون » قال : حتّى يعرّفهم ما يرضيه ومايسخطه ، وقال : « فألهمها

(١) في المصدر : في ضيق ولم تجد احداً . م

(٢) ليست في المصدر جملة « فوضع عنهم » الى « غفوررحيم » . م

(٣) أى قبل عذره ورفع عنه اللوم والذنب .

فجورها وتقويها » قال : بيّن لها ما تأتي وما تترك ؛ وقال : « إنّا هديناه السبيل إمّا شاكراً وإمّا كفوراً » قال : عرّفناه فإمّا أخذ و إمّا ترك .(١)

وسألته عن قول الله : « يحول بين المرء وقلبه » قال : يشتهي سمعه وبصره ولسانه ويده وقلبه ؛ أما إنّه هو عسى(٢) شيء ممّا يشتهي فإنّه لا يأتيه إلّا وقلبه منكر ، لا يقبل الّذي يأتي ، يعرف أنّ الحقّ غيره . وعن قوله : «فأمّا ثمود فهديناهم فاستحبّوا العمى على الهدى » قال : نهاهم عن فعلهم فاستحبّوا العمى على الهدى وهم يعرفون . «ص٢٧٦»

٨ - سن : ابن فضّال ، عن ابن بكير ، عن زرارة قال : سألت أباعبدالله عليه السلام عن قول الله : « إنّا هديناه السبيل إمّا شاكراً وإمّا كفوراً» قال : علّمه السبيل فإمّا آخذ فهو شاكر ، وإمّا تارك فهو كافر . «ص ٢٧٦»

٩ - سن : ابن يزيد ، عن رجل ، عن الحكم بن مسكين ، عن أيّوب بن الحرّ بيّاع الهرويّ قال : قال لي أبوعبدالله عليه السلام : ياأيّوب ما من أحد إلّا وقد يرد(٣) عليه الحقّ حتّى يصدع ، قبله أم تركه ، وذلك أنّ الله يقول في كتابه : «بل نقذف بالحقّ على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل ممّا تصفون» . «ص٢٦»

بيان : الصدع الإظهار والتبيين ، وقال البيضاويّ في قوله : «فيدمغه» أي فيمحقه وإنّما استعار لذلك القذف وهو الرمي البعيد المستلزم لصلابة المرميّ ، والدمغ الّذي هو كسر الدماغ بحيث يشقّ غشاؤه المؤدّي إلى زهوق الرّوح تصويراً لإبطاله ، ومبالغة فيه « فإذا هو زاهق» هالك ، والزهوق : ذهاب الروح ، وذكره لترشيح المجاز .

١٠ - سن : أبي ، عن يونس ، عن حمّاد بن عثمان ، عن عبد الأعلى قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام : هل جعل في الناس أداة ينالون بها المعرفة ؟ قال : لا ؛ قلت : فهل كلّفوا المعرفة ؟ قال : لا إنّ على الله البيان ، لا يكلّف الله العباد إلّا وسعها . ولا يكلّف نفساً إلّا ما آتاها . « ص٢٧٦-٢٧٧ »

---

(١) في نسخة : فاما آخذ وإما تارك .

(٢) في المصدر : اما انه هو غشي شيئاً .

(٣) في المصدر : برز .

١١ - سن : عدّة من أصحابنا ، عن عليّ بن أسباط ، عن جميل بن درّاج ، عن زرارة ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : إنّ الله تبارك و تعالى ليمنّ على قوم وما فيهم خير فيحتجّ الله عليهم فيلزمهم الحجّة . «ص٢٧٧»

١٢ - سن : ابن محبوب ، عن سيف بن عميرة ، و عبد العزيز العبديّ ، و عبدالله ابن أبي يعفور ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : أبى الله أن يعرّف باطلاً حقّاً ، أبى الله أن يجعل الحقّ في قلب المؤمن باطلاً ، لا شكّ فيه ، و أبى الله أن يجعل الباطل في قلب الكافر المخالف حقّاً ، لا شكّ فيه ، و لولم يجعل هذا هكذا ما عرف حقّ من باطل . « ص٢٧٧»

١٣ - ل : الحسن بن محمّد السّكونيّ ، عن محمّد بن عبدالله الحضرميّ ، عن إبراهيم ابن أبي معاوية ، عن أبيه ، عن الأعمش ، عن ابن ظبيان قال ، اُتي عمر بامرأة مجنونة قد فجرت ، فأمر برجمها ، فمرّوا بها على عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، فقال : ماهذه ؟ قالوا : مجنونة فجرت فأمر بها عمر أن ترجم ؛ قال : لاتعجلوا ، فأتى عمر فقال له : أما علمت أنّ القلم رفع عن ثلاث : عن الصبيّ حتّى يحتلم ، و عن المجنون حتّى يفيق ، و عن النائم حتّى يستيقظ ؟ . «ج ١ ص٤٦»

١٤ - يد ، ل : العطّار ، عن سعد ، عن ابن يزيد ، عن حمّاد ، عن حريز ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : رفع عن اُمّتي تسعة : الخطاء ، والنسيان ، وما اُكرهوا عليه ، ومالا يعلمون ، ومالا يطيقون ، وما اضطرّوا إليه ، والحسد ، والطيرة والتفكّر في الوسوسة في الخلق مالم ينطق بشفة . «ص٣٦٤» «ج٢ ص٤٤»

بيان : المراد بالرفع في أكثرها رفع المؤاخذة والعقاب ، و في بعضها يحتمل رفع التأثير ، وفي بعضها النهي أيضاً ، فأمّا اختصاص رفع الخطاء والنسيان بهذه الاُمّة فلعلّه لكون سائر الاُمم مؤاخذين بهما إذا كان مباديهما باختيارهم ، على أنّه يحتمل أن يكون المراد اختصاص المجموع ، فلا ينافي اشتراك البعض .

وأمّا ما اُكرهوا عليه فلعلّه كان يلزمهم تحمّل المشاقّ العظيمة فيما اُكرهوا عليه ، وقد وسّع الله على هذه الاُمّة بتوسيع دائرة التقيّة . وأمّا مالا يعلمون فرفع

كثير منها ظاهر كالصلاة في الثوب والمكان المغصوبين والثوب النجس ، والسجود على الموضع النجس ، وجهل الحكم في كثير من المسائل ، والجهل بالأحكام الّتي لم تصل إلينا ، ولعلّ سائر الأُمم كانوا يؤاخذون بالقضاء والإعادة ، واللّفظ و إن كان عامّاً لكنّه مختصّ بالإجماع بالموارد الخاصّة . وأمّا مالا يطيقون فقد مرّ بيانه .

وأمّا الطيرة - بكسر الطاء وفتح الياء و سكونها ، وهو ما يتشاءم به من الفال الرديّ - فيمكن أن يكون المراد برفعها النهي عنها ، بأن لاتكون منهيّاً عنها في الأُمم السالفة ، ويحتمل أن يكون المراد تأثيرها ، أو حرمة تأثّر النفس بها والاعتناء بشأنها ، والأخير أظهر ، وسيأتي بيانها . وكذا الحسد يحتمل الوجهين الأوّلين وثالثاً وهو عدم حرمة مالايظهر من الحسد ، وهو أظهر كما ورد في الأخبار : إلّا أنّ المؤمن لايظهر الحسد .

وأمّا التفكّر في الوسوسة في الخلق ويحتمل أن يكون المعنى التفكّر فيما يوسوس الشيطان في القلب في الخالق ومبدئه وكيفيّة خلقه فإنّها معفوّ عنها مالم يعتقد خلاف الحقّ ، ومالم ينطق بالكفر الّذي يخطر بباله ، أو المراد التفكّر في خلق الأعمال ومسألة القضاء والقدر ؛ أو المراد التفكّر فيما يوسوس الشيطان في النفس من أحوال المخلوقين وسوء الظنّ بهم في أعمالهم و أحوالهم ، و يؤيّد الأخير كثير من الأخبار ، وقد فصّلنا القول فيه في شرح روضة الكافي .

١٥ - ين : فضالة ، عن سيف بن عميرة ، عن إسماعيل الجعفيّ ، عن أبي عبدالله عليه‌السلام قال : سمعته يقول : وضع عن هذه الأُمّة ستّة : الخطاء ، والنسيان ، وما استكرهوا عليه ، ومالايعلمون ، وما لايطيقون ، وما اضطرّوا عليه .

١٦ - ين : عن ربعيّ ، عن أبي عبدالله عليه‌السلام قال : قال رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله : الله عفى عن أُمّتي ثلاثاً : الخطاء ، و النسيان ، والاستكراه . و قال أبوعبدالله عليه‌السلام : و فيها رابعة : ومالايطيقون .

١٧ - يه : عن الحلبيّ ، عن أبي عبدالله عليه‌السلام : وضع عن أُمّتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه .

١٨ ـ ين : عن أبي الحسن قال : سألته عن الرجل يستكره على اليمين فيحلف بالطلاق والعتاق وصدقة ما يملك ، أيلزمه ذلك ؟ فقال : لا . ثمّ قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : وضع عن اُمّتي ما اُكرهوا عليه ، وما لم يطيقوا ، وما أخطؤوا .

عد : اعتقادنا في التكليف هو أنّ الله تعالى لم يكلّف عباده إلّا دون ما يطيقون كما قال الله عزّ وجلّ : «لا يكلّف الله نفساً إلّا وسعها» والوسع دون الطاقة .

١٩ ـ قال الصادق عليه السلام : والله ما كلّف الله العباد إلّا دون ما يطيقون لأنّه كلّفهم في كلّ يوم وليلة خمس صلوات ، وكلّفهم في السنة صيام ثلاثين يوماً ، وكلّفهم في كلّ مائتي درهم خمسة دراهم ، وكلّفهم حجّة واحدة ، وهم يطيقون أكثر من ذلك . «ص٦٨ ـ ٦٩»

٢٠ ـ ما : جماعة ، عن أبي المفضّل ، عن أحمد بن محمّد بن الحسين العلويّ ، عن محمّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن موسى ، عن عمّيه عليّ والحسين ابني موسى بن جعفر ، عن آبائه عليهم السلام عن النبيّ صلّى الله عليه وآله قال : يوحي الله عزّ وجلّ إلى الحفظة الكرام : لا تكتبوا على عبدي المؤمن عند ضجره شيئاً . «ص١٦»

٢١ ـ نهج : قال أمير المؤمنين عليه السلام : قد بصّرتم إن أبصرتم ، [1] وقد هديتم إن اهتديتم ، واُسمعتم إن استمعتم .

٢٢ ـ وقال عليه السلام : قد أضاء الصبح لذي عينين . [2]

٢٣ ـ كتاب الغارات لإبراهيم بن محمّد الثقفيّ : بإسناده عن يحيى بن سعيد ، عن أبيه قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : إنّه ليس لهالك هلك من يعذره في تعمّد ضلالة حسبها هدى ، ولا ترك حقّ حسبه ضلالة .

٢٤ ـ سن : أبي ، عن يونس رفعه قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : ليس من باطل يقوم بإزاء الحقّ إلّا غلب الحقّ الباطل ، وذلك قوله : «بل نقذف بالحقّ على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق» . «ص٢٧٧»

(١) أى كشف الله لكم عن الخير والشر وعرّفهما لكم ان استعملتم بصركم . وكذا فيما بعده .
(٢) أى تبين ووضح سبيل الهدى لمن كان له بصيرة فى أمر الدنيا و فنائها ، و بصيرة فى الاخرة و بقائها .

٢٥ ـ سن : النّوفليّ ، عن السكونيّ ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : كلّ قوم يعملون على ريبة من أمرهم ، ومشكلة من رأيهم ، وزارىء منهم على من سواهم ، وقد تبيّن الحقّ من ذلك بمقايسة العدل عند ذوي الألباب . «ص٢٧٧»

٢٦ ـ شي : عن زرارة وحمران ومحمّد بن مسلم ، عن أحدهما عليهما السلام قال : في آخر البقرة لمّا دعوا اُجيبوا : «لايكلّف الله نفساً إلّا وسعها» قال : ما افترض الله عليها «لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت» وكذا قوله : «لاتحمل علينا إصراً كما حملته على الّذين من قبلنا» .

٢٧ ـ شي : عن عمرو بن مروان الخزّاز قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : رفعت عن اُمّتي أربع خصال : ما أخطؤوا ، وما نسوا ، وما اُكرهوا عليه ، وما لم يطيقوا ؛ وذلك في كتاب الله قول الله تبارك وتعالى : «ربّنا لاتؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربّنا ولاتحمل علينا إصراً كما حملته على الّذين من قبلنا ربّنا ولا تحمّلنا مالاطاقة لنابه» وقول الله : «إلّا من اُكره وقلبه مطمئنّ بالإيمان» .

٢٨ ـ شي : عن محمّد بن حكيم رفعه إلى أبي عبدالله عليه السلام قال : سألته أتستطيع النفس المعرفة ؟ قال : فقال : لا ، فقلت : يقول الله : «الّذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري وكانوا لايستطيعون سمعاً» قال : هو كقوله : «وما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون» قلت : فعابهم ؟ قال : لم يعبهم بما صنع في قلوبهم ، ولكن عابهم بما صنعوا ولولم يتكلّفوا لم يكن عليهم شيء .

بيان : أي الغطاء والمنع عن السمع والبصر إنّما ترتّبت على أعمالهم السيّئة ، فإنّما عاتبهم على أفعالهم الّتي صارت أسباباً لتلك الحالات ؛ أو المعنى أنّ المراد بالغطاء وعدم استطاعة السمع والبصر ماسلّطوا على أنفسهم من التعصّب والامتناع عن قبول الحقّ ، لاشيء صنعه الله في قلوبهم وسمعهم وبصرهم .

٢٩ ـ كا : عليّ ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن عليّ بن عطيّة ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : كنت عنده وسأله رجل عن رجل يجيء منه الشيء على حدّ الغضب : يؤاخذه الله

به ؟ فقال : الله أكرم من أن يستغلق عبده . و في نسخة أبي الحسن الأوّل عليه السلام : يستقلق عبده .

توضيح : قوله : من أن يستغلق عبده أي يكلّفه و يجبره فيما لم يكن له فيه اختيار ، قال الفيروز آبادي : استغلقني في بيعته : لم يجعل لي خياراً في ردّه . قوله : و في نسخة أبي الحسن الأوّل يستقلق لعلّه كان الحديث في بعض الأُصول مرويّاً عن أبي الحسن عليه السلام ، و فيه كان «يستقلق» بالقاف ، من القلق بمعنى الانزعاج والاضطراب ، و يرجع إلى الأوّل بتكلّف .

تذنيب : قال السيّد المرتضى رضي الله عنه : إن سأل سائل عن قوله تعالى : « ما كانوا يستطيعون السمع و ما كانوا يبصرون »[1] كيف نفى استطاعتهم للسمع و الإبصار ، وأكثرهم كان يسمع بأُذنه ويرى بعينه ؟ قلنا : فيه وجوه :

أحدها أن يكون المعنى : يضاعف لهم العذاب بما كانوا يستطيعون السمع فلا يسمعون ، و بما كانوا يستطيعون الإبصار فلايبصرون عناداً للحقّ ، فأُسقطت الباء من الكلام ، و ذلك جائز ، كماجاز في قولهم : لأجزينّك بماعملت ، ولأجزينّك ماعملت ؛ ولأُحدّثنّك بما عملت ، ولأُحدّثنك ماعملت .

والثاني أنّهم لاستثقالهم استماع آيات الله و كراهتهم تذكّرها وتدبّرها وتفهّمها جروا مجرى من لايستطيع السمع كما يقول القائل : ما يستطيع فلان أن ينظر لشدّة عداوته إلى فلان ، وما يقدر أن يكلّمه . ومعنى ماكانوايبصرون : أنّ إبصارهم لم يكن نافعاً لهم ولا مجدياً عليهم مع الإعراض عن تأمّل آيات الله تعالى و تدبّرها ، فلمّا انتفت عنهم منفعة الإبصار جاز أن ينفى عنهم الإبصار نفسه .

و الثالث أن يكون معنى نفي السمع و البصر راجعاً إلى آلهتهم لا إليهم ، و تقدير الكلام : أُولئك و آلهتهم لم يكونوا معجزين في الأرض ، يضاعف لهم العذاب ، ثمّ قال مخبراً عن الآلهة : ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون ، وهذا الوجه يروى عن ابن عبّاس ، وفيه أدنى بعد . ويمكن في الآية وجه آخر وهو أن تكون «ما»

(١) هود : ٢٠ .

في قوله : «ما كانوا يستطيعون السّمع» ليست للنفي بل تجري مجرى قولهم : لأواصلنّك مالاح نجم ، ويكون المعنى: أنّ العذاب يضاعف لهم في الآخرة ماكانوا يستطيعون السمع وماكانوا يبصرون ، أي أنّهم معذّبون ماكانوا أحياءاً .

وقال رحمه الله في تأويل قوله تعالى : « ربّنا لاتؤاخذنا إن نسينا»[1] قيل : المراد بنسينا تركنا ، قال قطرب : معنى النسيان ههنا الترك ، كما قال تعالى : « ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي»[2] أي ترك ، ولولا ذلك لم يكن فعله معصية ، وكقوله تعالى : « نسوا الله فنسيهم»[3] أي تركوا طاعته فتركهم من ثوابه و رحمته ، وقد يقول الرجل لصاحبه : لاتنسني من عطيّتك أي لاتتركني منها ، و قد يمكن في الآية وجه آخر و هو أن يحمل النسيان على السهو وفقد العلوم ، ويكون وجه الدعاء بذلك ماقد بيّنّاه فيما تقدّم من السؤال على سبيل الانقطاع إلى الله والاستغاثة به و إن كان مأموناً منه المؤاخذة بمثله ، و يجري مجرى قوله : «ولا تحمّلنا مالاطاقة لنابه» وهذا الوجه أيضاً يمكن في قوله : «أوأخطأنا » إذاكان الخطاء ماوقع سهواً أوعن غيرعمد ، فأمّا على ما يطابق الوجه الأوّل فقد يجوز أن يريد بالخطاء مايفعل من المعاصي بالتأويل السيّىء ، وعن جهل بأنّها معاص ، لأنّ من قصد شيئاً على اعتقاده أنّه بصفة فوقع ماهو بخلاف معتقده يقال : قد أخطأ فكأنّه أمرهم بأن يستغفروا ممّا تركوه متعمّدين من غير سهو ولا تأويل ، وممّا أقدموا عليه مخطئين متأوّلين ، و يمكن أيضاً أن يريد بأخطأنا ههنا أذنبنا وفعلنا قبيحاً ، و إن كانوا له متعمّدين وبه عالمين ، لأنّ جميع معاصينا لله تعالى قديوصف كلّها بأنّها خطأ من حيث فارقت الصواب ، و إن كان فاعلها متعمّداً ، وكأنّه أمرهم بأن يستغفروا ممّا تركوه من الواجبات ، و ممّا فعلوه من المقبّحات ليشتمل الكلام على جهتي الذنوب ، والله أعلم بمراده .

---

(١) البقرة : ٢٨٦ . (٢) طه : ١١٥ . (٣) التوبة : ٦٧ .

﴿باب ١٥﴾

❁(علة خلق العباد وتكليفهم ، والعلة التي من اجلها جعل الله في الدنيا)❁ ❁(اللذات والالام والمحن)❁

الآيات ، الحجر «١٥» وماخلقنا السموات والأرض وما بينهما إلّا بالحقّ وإنّ السّاعة لآتية ٨٥ .

الأنبياء «٢١» و ما خلقنا السماء و الأرض وما بينهما لاعبين ❁ لو أردنا أن نتّخذ لهواً لاتّخذناه من لدنّا إن كنّا فاعلين ❁ بل نقذف بالحقّ على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل ممّا تصفون ١٦-١٨ .

المؤمنين «٢٣» أفحسبتم أنّما خلقناكم عبثاً وأنّكم إلينا لاترجعون ١١٥ .

الفرقان «٢٥» قل ما يعبؤ بكم ربّي لولا دعاؤكم فقد كذّبتم فسوف يكون لزاماً ٧٧ .

الروم «٣٠» أولم يتفكّروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلّا بالحقّ وأجل مسمّى وإنّ كثيراً من النّاس بلقاء ربّهم لكافرون ٨ « وقال تعالى» : ظهر الفساد في البرّ و البحر بما كسبت أيدي النّاس ليذيقهم بعض الّذي عملوا لعلّهم يرجعون ٤١ .

الاحزاب «٣٣» إنّا عرضنا الأمانة على السموات والأرض و الجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنّه كان ظلوماً جهولاً ٧٢ .

ص «٣٨» وما خلقنا السماء و الأرض وما بينهما باطلاً ذلك ظنّ الّذين كفروا ٢٧ .

الزمر «٣٩» خلق السموات والأرض بالحقّ ٥ .

حمعسق «٤٢» وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير ٣٠ .

الدخان «٤٤» وما خلقنا السموات والأرض ومابينهما لاعبين ۞ ماخلقناهما إلّا بالحقّ ولكنّ أكثرهم لايعلمون ٣٨-٣٩ .

الجاثية «٤٥» وخلق الله السموات والأرض بالحقّ ولتجزى كلّ نفس بما كسبت وهم لايظلمون ٢٢ .

الاحقاف «٤٦» ماخلقنا السموات والأرض وما بينهما إلّا بالحقّ وأجل مسمى ٣.

الذاريات «٥١» وما خلقت الجنّ والإنس إلّا ليعبدون ۞ ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ٥٦ ـ ٥٧ .

القيامة «٧٥» أيحسب الإنسان أن يترك سدى ٣٦ .

تفسير : قال البيضاويّ في قوله تعالى : « وماخلقنا السماء والأرض ومابينهما لاعبين » : و إنّما خلقناها مشحونة بضروب البدائع تبصرةً للنظّار ، و تذكرةً لذوي الاعتبار ، وتسبيباً لما ينتظم به اُمور العباد في المعاش والمعاد ، فينبغي أن يتشبّثوا بها إلى تحصيل الكمال ، ولايغترّوا بزخارفها ، فإنّها سريعة الزوال . «لو أردنا أن نتّخذ لهواً » ما يتلهّى به ويلعب « لا تّخذناه من لدنّا » من جهة قدرتنا ، أو من عندنا ممّا يليق بحضرتنا من المجرّدات لامن الأجسام المرفوعة والأجرام المبسوطة ، كعادتكم في رفع السقوف وتزويقها ، وتسوية الفروش وتزيينها . وقيل : اللّهو : الولد بلغة اليمن . وقيل : الزوجة ، والمراد الردّ على النصارى . «إن كنّا فاعلين» ذلك ، ويدلّ على جوابه الجواب المتقدّم . وقيل : «إن» نافية ، والجملة كالنتيجة للشرطيّة «بل نقذف بالحقّ على الباطل» الّذي من عداد اللّهو «فيدمغه» فيمحقه « فإذا هو زاهق» هالك انتهى .[1]

(١) قال الرضى رحمه الله : و هذه استعارة لان حقيقة القذف من صفات الاشياء الثقيلة التى يرجم بها ، كالحجارة و غيرها ، فجعل سبحانه إيراد الحق على الباطل بمنزلة الحجر الثقيل الذى يرضّ ما صكه و يدمغ ماسّه ، و لما بدأ تعالى بذكر قذف الحق على الباطل - و فى الاستعارة حقها وأعطاها واجبها - فقال سبحانه : «فيدمغه» ولم يقل : فيذهبه ويبطله ؛ لان الدمغ إنما يكون عن وقوع الاشياء الثقال على طريق الغلبة و الاستعلاء ، فكأن الحق أصاب دماغ الباطل فأهلكه ، والدماغ مقتل ، ولذلك قال سبحانه من بعد : «فاذا هو زاهق» والزاهق : الهالك .

قوله تعالى : «أفحسبتم أنّما خلقناكم عبثاً» استدلال على البعث بان لذّات هذه الدار الفانية لاتليق بأن تكون مقصودةً لخلق هذه العالم مع هذه الآلام و المشاقّ و المصائب المشاهدة فيها فلولم يكن لاستحقاق داراً خرى باقية خالية عن المحن والآلام لكان الخلق عبثاً ولذا قال بعده : «وأنتم إلينالاترجعون» .

قوله تعالى: « قل ما يعبؤبكم ربّي لولا دعاؤكم »[1] أي ما يصنع بكم أولا يعتدّ بكم لولادعاؤكم إلى الدين ، أولولا عبادتكم ، أولولادعاؤكم لله عندالشدائد ، وهو المرويّ عن أبي جعفر عليه السلام .

قوله تعالى : « إنّا عرضنا الأمانة » قيل : هي التكليف بالأوامر والنواهي ، و المعنى أنّها لعظمة شأنها بحيث لو عرضت على هذه الأجرام العظام وكانت ذاشعور و إدراك «لأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان» مع ضعف بنيته ورخاوةقوّته لاجرم فإنّ الراعي لها بخيرالدارين «إنّه كان ظلوماً» حيث لم يراع حقّها «جهولاً» بكنه عاقبتها . و قيل : المراد الطاعة الّتي تعمّ الاختياريّة و الطبيعيّة ، و عرضها : استدعاؤها الّذي يعمّ طلب الفعل من المختار وإرادة صدوره من غيره ، وبحملها الخيانة فيها والامتناع عن أدائها . والظلم والجهالة : الخيانة والتقصير . وقيل : إنّه تعالى لمّا خلق هذه الأجرام خلق فيها فهماً و قال لها : إنّي فرضت فريضةً و ناراً لمن عصاني ، فقلن : نحن مسخّرات على ما خلقنا لانحتمل فريضة ، ولا نبغي ثواباً ولا عقاباً ؛ ولمّا خلق آدم عرض عليه مثل ذلك فحمله ، وكان ظلوماً لنفسه بتحمّل مايشقّ عليها ، جهولاً بوخاومة عاقبته وقيل : المراد بالأمانة العقل أوالتكليف ، وبعرضها عليهنّ اعتبارها بالإضافة إلى استعدادهنّ ، وبإبائهنّ الإباء الطبيعيّ الّذي هوعدم اللّياقة والاستعداد وبحمل الإنسان قابليّته واستعداده لها ، وكونه ظلوماً جهولاً لما غلب عليه من القوّة

---

(١) قال الراغب في مفرداته : ماعبأت به أى لم ابال به ، وأصله من العبء أى الثقل ، كأنه قال : ماأرى له وزناً وقدراً ، قال : «قل مايعبؤبكم ربى» وقيل : أصله من عبأت الطيب ، كأنه قيل : مايبقيكم لولادعاؤكم .

الغضبيّة والشهويّة ،[1] وقدورد في بعض الروايات أنّ المراد بها الخلافة والمراد بالإنسان أبوبكر ، و سيأتي شرحها في أبواب الآيات النازلة في أمير المؤمنين عليه السلام .

١ ـ ع : أبي ، عن أحمد بن إدريس ، عن الحسين بن عبيدالله ، عن الحسن بن عليّ بن أبي عثمان ، عن عبد الكريم بن عبيدالله ، عن سلمة بن عطا ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : خرج الحسين بن عليّ عليهما السلام على أصحابه فقال : أيّها الناس ! إنّ الله جلّ ذكره ماخلق العباد إلّا ليعرفوه ، فإذا عرفوه عبدوه ، فإذا عبدوه استغنوا بعبادته عن عبادة ماسواه فقال له رجل : يابن رسول الله بأبي أنت وأُمّي فما معرفةالله ؟ قال : معرفة أهل كلّ زمان إمامهم الّذي يجب عليهم طاعته . «ص ١٤»

قال الصدوق رحمه الله : يعني بذلك أن يعلم أهل كلّ زمان أنّ الله هو الّذي لا يخلّيهم في كلّ زمان من إمام معصوم ، فمن عبد ربّاً لم يقم لهم الحجّة فإنّما عبد غيرالله عزّ و جلّ .

بيان : يحتمل أن يكون المراد أنّ معرفة الله تعالى إنّما ينفع مع سائر العقائد الّتي منها معرفة الإمام ، أوأنّ معرفةالله إنّما يحصل من معرفة الإمام ، إذ هوالسبيل إلى معرفته تعالى .

---

(١) و قيل : المراد بذلك أهل السماوات و الارض و الجبال فحذف لفظ الاهل اختصاراً له لدلالة الكلام عليه ، ولما حذف الاهل أجرى الفعل على لفظ السماوات والارض والجبال فقيل : «فابين أن يحملنها وأشفقن منها» كقوله تعالى : «و نجيناه من القرية التى كانت تعمل الخبائث» أى من أهل القرية ، فلما حذف الاهل أجرى الفعل على القرية فقيل : «كانت تعمل الخبائث» رداً على أهل القرية ، وهذا موضع حسن . وقال بعضهم : عرض الشيء على الشيء و معارضته سواء ، و المعارضة والمقايسة والموازنة بمعنى واحد ، فاخبرالله تعالى عن عظم أمر الامانة وثقلها وأنها إذا قيست بالسماوات والارض والجبال ووزنت بها رجحت عليها ، ولم تطق حملها ضعفاً عنها ، وذلك معنى قوله تعالى : «فابين أن يحملنها وأشفقن منها» ومن كلامهم : (فلان يابى الضيم) إذا كان لايحتمله فالاباء ههنا هو أن لايقام بحمل الشيء ، والاشفاق فى هذا الموضع هوالضعف عن الشيء ، ولذلك كنى عن الخوف الذى هوضعف القلب ، فقالوا : (فلان مشفق من كذا) أى خائف منه ، يقول تعالى : فالسماوات والارض والجبال لم تحمل الامانة ضعفاً عنها ، و حملها الانسان ، أى تقلدها وتطوق المتآثم فيها للمعروف من كثرة جهله وظلمه لنفسه .

٢ ـ ع : الطالقانيّ ، عن عبد العزيز بن يحيى الجلوديّ ، عن محمّد بن زكريّا الجوهريّ ، عن جعفر بن محمّد بن عمارة ، عن أبيه قال : سألت الصادق جعفر بن محمّد عليه السلام فقلت له : لم خلق الله الخلق ؟ فقال : إنّ الله تبارك وتعالى لم يخلق خلقه عبثاً ولم يتركهم سدىً ، بل خلقهم لإظهار قدرته ، و ليكلّفهم طاعته فيستوجبوا بذلك رضوانه ، وما خلقهم ليجلب منهم منفعة ، ولاليدفع بهم مضرّة بل خلقهم لينفعهم ويوصلهم إلى نعيم الأبد . «ص١٤ ـ ١٥»

٣ ـ ع : أبي ، عن الحميريّ ، عن هارون ، عن ابن زياد قال : قال رجل لجعفر بن محمّد عليه السلام : يا أباعبد الله إنّا خلقنا للعجب ! قال : وماذاك ؟ الله أنت [1] قال : خلقنا للفناء ؟ فقال : مه يا ابن أخ ! خلقنا للبقاء ، وكيف تفنى جنّة لاتبيد ونار لاتخمد ؟ ولكن قل : إنّما نتحوّل من دار إلى دار . «ص١٥»

٤ ـ ع : الحسين بن يحيى بن ضريس البجليّ ، عن أبيه ، عن محمّد بن عمارة السكّريّ عن إبراهيم بن عاصم ، عن عبدالله بن هارون الكرخيّ ، عن أحمد بن عبدالله بن يزيد بن سلام بن عبدالله [2] مولى رسول الله صلّى الله عليه وآله ، عن أبيه عبدالله ، عن أبيه يزيد ، عن أبيه سلام بن عبدالله أخي عبدالله بن سلام ، عن عبدالله بن سلام مولى رسول الله صلّى الله عليه وآله قال : في صحف موسى بن عمران عليه السلام : ياعبادي إنّي لم أخلق الخلق لأستكثر بهم من قلّة ، ولا لآنس بهم من وحشة ، ولالأستعين بهم على شيء عجزت عنه ، ولا لجرّ منفعة ولا لدفع مضرّة ، ولو أنّ جميع خلقي من أهل السماوات و الأرض اجتمعوا على طاعتي و عبادتي لا يفترون عن ذلك ليلاً ولانهاراً مازاد ذلك في ملكي شيئاً ، سبحاني وتعاليت عن ذلك . «ص١٦» .

٥ ـ ع : السنانيّ ، عن محمّد الأسديّ ، عن النخعيّ ، عن النوفليّ ، عن عليّ بن سالم

---

(١) كذا في المصدر والبحار والظاهر «لله انت» كان المخاطب خاص وخالص له تعالى ويؤيده الحديث المذكور في هذا الباب عن مسعدة بن زياد قال : قال رجل لجعفر بن محمد عليه السلام : يا أباعبدالله انا خلقنا للعجب ؟ قال وماذاك لله انت ؟ . الحديث م

(٢) في المصدر : عبيدالله . م

عن أبيه ، عن أبي بصير قال : سألت أباعبدالله عليه‌السلام عن قوله عزّ وجلّ : « وما خلقت الجنّ والإنس إلّا ليعبدون » قال : خلقهم ليأمرهم بالعبادة ، قال : وسألته عن قوله عزّ وجلّ « ولا يزالون مختلفين إلّا من رحم ربّك و لذلك خلقهم » قال : خلقهم ليفعلوا ما يستوجبون به رحمته فيرحمهم . «ص١٦»

بيان : قال الطبرسيّ رحمه‌الله في قوله تعالى : « إلا ليعبدون » أي لم أخلق الجنّ والإنس إلّا لعبادتهم إيّاي فإذا عبدوني استحقّوا الثواب . وقيل : إلّا لآمرهم وأنهاهم وأطلب منهم العبادة ، واللّام لام الغرض ، والمراد أنّ الغرض في خلقهم تعريض الثواب ، وذلك لا يحصل إلّا بأداء العبادات ، فصار كأنّه سبحانه خلقهم للعبادة ، ثمّ إنّه إذا لم يعبده قوم لم يبطل الغرض ، و يكون كمن هيّأ طعاماً لقوم ودعاهم ليأكلوه فحضروا ولم يأكله بعضهم ، فإنّه لاينسب إلى السفه ويصحّ غرضه ، فإنّ الأكل موقوف على اختيار الغير ، وكذلك المسألة فإنّ الله إذا أزاح علل المكلّفين من القدرة والآلة والألطاف وأمرهم بعبادته فمن خالف فقد اُتي من قبل نفسه لامن قبله سبحانه . و قيل : معناه : إلّا ليقرّوا بالعبوديّة طوعاً وكرهاً . ثمّ قال تعالى : « ما اُريد منهم من رزق وما اُريد أن يطعمون » لنفي إيهام أن يكون ذلك لعائدة نفع تعود إليه تعالى ، فبيّن أنّه لعائدة النفع على الخلق دونه تعالى لأنّه غنيّ بنفسه ، غير محتاج إلى غيره ، وكلّ الخلق محتاجون إليه وقيل : معناه : ما اُريد أن يرزقوا أحداً من خلقي ، وإنّما أسند الطعام إلى نفسه لأنّ الخلق كلّهم عيال الله ، ومن أطعم عيال أحد فقد أطعمه .

٦ ـ ع : ابن الوليد ، عن الصفّار ، عن البرقيّ ، عن عبدالله بن أحمد النهيكيّ ، عن عليّ بن الحسن الطاطريّ ، عن درست ، عن جميل قال : قلت لأبي عبدالله عليه‌السلام : جعلت فداك مامعنى قول الله عزّ وجلّ : « وماخلقت الجنّ والإنس إلّا ليعبدون » ؟ فقال : خلقهم للعبادة .[1] «ص١٦»

٧ ـ ع : ابن المتوكّل ، عن السعدآباديّ ، عن البرقيّ ، عن الحسن بن فضّال ، عن ثعلبة ، عن جميل ، عن أبي عبدالله عليه‌السلام قال : سألته عن قول الله عزّ وجلّ : « وماخلقت

(١) وفي نسخة : خلقتهم للعبادة

الجنّ والإنس إلا ليعبدون» قال: خلقهم للعبادة، قلت: خاصّة أم عامّة؟ قال: لا بل عامّة. «ص١٦»

بيان: لمّا توهّم الراوي أنّ معنى الآية أنّ الغرض من الخلق حصول نفس العبادة فيلزم تخلّف الغرض في الكفّار، فلهذا سأل ثانياً أنّ هذا خاصّ بالمؤمنين، أو عامّ لجميع الخلق؟ فأجاب عليه السلام بأنّه عامّ، إذ الغرض التكليف بالعبادة وقد حصل من الجميع.

٨ ـ **ع**: أبي، عن سعد، عن ابن يزيد، عن ابن أبي عمير، عن حفص بن البختري قال: إنّما جعلت العاهات في أهل الحاجة لئلّا يستتروا ولو جعلت في الأغنياء لسترت. «ص٣٨ـ٣٩»

٩ ـ **لى**: العطّار، عن سعد، عن النهديّ، عن ابن محبوب، عن سماعة، عن الصادق جعفر بن محمّد عليهما السلام أنّه قال: إنّ العبد إذا كثرت ذنوبه ولم يجد ما يكفّرها به ابتلاه الله عزّ وجلّ بالحزن في الدنيا ليكفّرها، فإن فعل ذلك به وإلّا أسقم بدنه ليكفّرها به، فإن فعل ذلك به وإلّا شدّد عليه عند موته ليكفّرها به، فإن فعل ذلك به وإلّا عذّبه في قبره ليلقى الله عزّ وجلّ يوم يلقاه وليس شيء يشهد عليه بشيء من ذنوبه. «ص١٧٧»

١٠ ـ **ما**: الغضائري، عن عليّ بن محمّد العلويّ، عن الحسن بن عليّ بن صالح، عن الكلينيّ، عن عليّ بن محمّد، عن إسحاق بن إسماعيل النيسابوريّ، عن الصادق، عن آبائه عليهم السلام، عن الحسن بن عليّ عليهما السلام قال: إنّ الله عزّ وجلّ بمنّه ورحمته لمّا فرض عليكم الفرائض لم يفرض ذلك عليكم لحاجة منه إليه بل رحمة منه، لا إله إلّا هو، ليميز الخبيث من الطيّب، وليبتلي ما في صدوركم، وليمحّص ما في قلوبكم، ولتتسابقوا إلى رحمته، ولتتفاضل منازلكم في جنّته. إلى آخر ما سيأتي في كتاب الإمامة. «ص٥٦»

١١ ـ **نهج**: قال أمير المؤمنين عليه السلام في بعض خطبه: بعث رسله بما خصّهم به من وحيه، وجعلهم حجّة له على خلقه، لئلاّ تجب الحجّة لهم بترك الإعذار إليهم فدعاهم بلسان الصدق إلى سبيل الحقّ، إلّا أنّ الله قد كشف الحقّ كشفة لا أنّه جهل

ما أخفوه من مصون أسرارهم و مكنون ضمائرهم ، ولكن ليبلوهم أيّهم أحسن عملاً ، فيكون الثواب جزاءاً والعقاب بواءاً .

بيان : قال في النهاية : الجراحات بواء أي سواء في القصاص ، ومنه حديث عليّ عليه السلام : والعقاب بواء ؛ وأصل البوء : اللّزوم .

١٢ ـ **ل** : أبي ، عن الحميريّ ، عن هارون ، عن ابن زياد ، عن جعفر بن محمّد ، عن أبيه عليهما السلام قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : لولا ثلاث في ابن آدم ماطأطأ رأسه شيء :[1] المرض ، والفقر ، والموت ، وكلّهم فيه وإنّه معهم لوثّاب . «ج١ص٥٥»

١٣ ـ ج : و روي أنّه اتّصل بأمير المؤمنين عليه السلام أنّ قوماً من أصحابه خاضوا في التعديل والتجوير ،[2] فخرج حتّى صعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثمّ قال : أيّها الناس! إنّ الله تبارك و تعالى لمّا خلق خلقه أراد أن يكونوا على آداب رفيعة ، و أخلاف شريفة ، فعلم أنّهم لم يكونوا كذلك إلّا بأن يعرّفهم مالهم و ما عليهم ، والتعريف لا يكون إلّا بالأمر والنهي ، والأمر والنهي لايجتمعان إلّا بالوعد والوعيد ، والوعد لايكون إلّا بالترغيب ، والوعيد لايكون إلّا بالترهيب ، والترغيب لايكون إلّا بماتشتهيه أنفسهم و تلذّه أعينهم ، والترهيب لايكون إلّا بضدّ ذلك ، ثمّ خلقهم في داره وأراهم طرفاً[3] من اللّذّات ليستدلّوا به على ماورائهم من اللّذّات الخالصة الّتي لايشوبها ألم ، ألاوهي الجنّة ؛ وأراهم طرفاً من الآلام ليستدلّوا به على ماورائهم من الآلام الخالصة الّتي لا يشوبها لذّة ، ألاوهي النار ؛ فمن أجل ذلك ترون نعيم الدنيا مخلوطاً بمحنها ، وسرورها ممزوجاً بكدرها وغمومها .

---

(١) طأطأ الرأس : خفضه ، أي لولا ثلاث في ابن آدم ما تواضع ولاخضع ، وكان يتكبر و يعجب بنفسه .

(٢) في المصدر : والتجريح . م

(٣) الطرف بفتح الطاء والراء : طائفة من الشيء .

قيل : فحدّث الجاحظ[١] بهذا الحديث فقال : هو جماع الكلام الّذي دوّنه الناس في كتبهم و تحاوروه بينهم . قيل : ثمّ سمع أبوعليّ الجبّائيّ[٢] بذلك فقال : صدق الجاحظ ، هذا مالايحتمله الزيادة والنقصان . «ص١٠٩»

١٤ ـ ج : روى هشام بن الحكم أنّه سأل الزنديق أباعبدالله عليه السلام : لأيّ علّة خلق الخلق وهو غيرمحتاج إليهم ولامضطرّ إلى خلقهم ، ولايليق به العبث بنا ؟ قال : خلقهم لإظهار حكمته ، وإنفاذ علمه ، و إمضاء تدبيره ؛ قال : وكيف لايقتصر على هذه الدار فيجعلها دار ثوابه ومحبس عقابه ؟ قال : إنّ هذه دار بلاء ، ومتجر الثواب ،[٣] ومكتسب الرحمة ، ملئت آفات وطبّقت شهوات ليختبر فيها عباده بالطاعة ؛ فلايكون دار عمل دار جزاء . الخبر . «ص١٨٤»

١٥ ـ ما : جماعة ، عن أبي المفضّل ، عن عبدالله بن الحسين العلويّ ، عن عبدالعظيم الحسنيّ ، عن أبي جعفر الجواد ، عن آبائه عليهم السلام قال : قال أميرالمؤمنين عليه السلام : المرض لا أجر فيه ، ولكنّه لايدع على العبد ذنباً إلّا حطّه ، وإنّما الأجر في القول باللّسان ، والعمل بالجوارح ؛ وإنّ الله بكرمه وفضله يدخل العبد بصدق النيّة والسريرة الصالحة الجنّة . «ص٣٠»

١٦ ـ ثو : أبي ، عن أحمد بن إدريس ، ومحمّد العطّار جميعاً ، عن الأشعريّ ، عن محمّد بن حسّان ، عن الحسين بن محمّد النوفليّ ، عن جعفر بن محمّد ، عن محمّد بن عليّ ، عن عيسى ابن عبدالله العمريّ ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن أميرالمؤمنين عليه السلام : في المرض يصيب الصبيّ ؟ قال : كفّارة لوالديه . «ص١٨٧»

---

(١) هو أبوعثمان عمرو بن بحر بن محبوب الليثي البصري اللغوي النحوي ، كان من غلمان النظام ، و مائلا إلى النصب والعثمانية ، تثقف في البصرة و بغداد ، و اطلع على جميع العلوم المعروفة في عصره ، نسبت إليه فرقة الجاحظية من المعتزلة ، ولد بالبصرة ، وتوفي فيها سنة ٢٥٥ وأصابه الفلج في آخر عمره ، له كتب : منها (الحيوان) في سبعة أجزاء ، و(البيان والتبيين) و(البخلاء) و(العثمانية) التي نقض عليها أبوجعفر الاسكافي ، والشيخ المفيد ، والسيد أحمد بن طاووس .

(٢) هو محمد بن عبدالوهاب بن سلام بن خالد بن حمران بن أبان مولى عثمان بن عفان ، منسوب إلى (جبى) بالضم كورة بخوزستان ، أحد أئمة المعتزلة ، له مقالات كلامية على مذهب الاعتزال ، أخذ الكلام عن أبي يوسف يعقوب بن عبدالله الشحام البصري رئيس المعتزلة بالبصرة في عصره ، وعنه أخذ أبوالحسن الاشعري شيخ السنة علم الكلام ؛ ولد سنة ٢٣٥ وتوفي في شعبان سنة ٣٠٣ .

(٣) في نسخة المصنف : ومتجز الثواب .

١٧ - شي : عن يعقوب بن شعيب ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : سألته عن قول الله : « و ما خلقت الجنّ والإنس إلّا ليعبدون » قال : خلقهم للعبادة ؛ قال : قلت و قوله : « لايزالون مختلفين إلّا من رحم ربّك ولذلك خلقهم » ؟ فقال : نزلت هذه بعد تلك .

١٨ - كشف : من كتاب الدلائل للحميريّ ، عن داود بن أعين قال : تفكّرت في قول الله تعالى : « و ما خلقت الجنّ و الإنس إلّا ليعبدون » قلت : خلقوا العبادة ، و يعصون و يعبدون غيره ؟ و الله لأسألنّ جعفراً عن هذه الآية ، فأتيت الباب فجلست اُريد الدخول عليه ، إذ رفع صوته فقرأ : «وماخلقت الجنّ والإنس إلّا ليعبدون » ثمّ قرأ : «لاتدري لعلّ الله يحدث بعد ذلك أمراً» فعرفت أنّها منسوخة . «ص٢٣٧»

بيان : هذا الخبر والخبر السابق يدلّان على أنّ آية « و ما خلقت » منسوخة ، و لعلّ المعنى أنّه على تقدير تسليم دلالتها على مايزعمون فهي منسوخة بآيات معارضة لما نزلت بعدها ، ويكون المراد بالنسخ البداء ، أوالتخصيص ، أو التبيين .

أقول : إقامة البراهين العقليّة على حسن التكليف ووقوع الآلام والأحزان و الأمراض و وجوب العوض على الله تعالى فيها ، والفرق بين الثواب و العوض موكول إلى مظانّها من الكتب الكلاميّة ، والتعرّض لها خروج عن مقصود الكتاب .

«باب ١٦»

«عموم التكاليف»

الآيات ، المدثر «٤٧» يتساءلون عن المجرمين * ماسلككم في سقر * قالوا لم نك من المصلّين ٤٠ - ٤٣ .

١- شي : عن البرقيّ ، عن بعض أصحابنا ، عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله تعالى : « يا أيّها الّذين آمنوا كتب عليكم الصيام » قال : هي للمؤمنين خاصّة .

٢ - شي : عن جميل بن درّاج قال : سألت أباعبدالله عليه السلام عن قول الله : «كتب عليكم القتال ، يا أيّها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام» قال : فقال : هذه كلّها تجمع الضلّال و المنافقين و كلّ من أقرّ بالدعوة الظاهرة .

بيان : كون ظاهر الخطاب المصدّر بياأيّها الّذين آمنوا مختصّاً بالمؤمنين ، أوبهم و بالمنافقين والمخالفين لاينافي شمول التكاليف بدليل آخر لجميع المكلّفين ، وقد حقّق ذلك في كتب الاُصول و كتب الكلام .

٣ ـ **نهج** : قال أميرالمؤمنين عليه السلام : اعلموا أنّه لن يرضى عنكم بشيء سخطه على من كان قبلكم ، ولن يسخط عليكم بشيء رضيه ممّن كان قبلكم ، و إنّما تسيرون في أثر بيّن ، وتتكلّمون برجع قول قدقاله الرجال من قبلكم .

﴿ باب ١٧ ﴾

(أنّ الملائكة يكتبون أعمال العباد)

الايات ، الانعام «٦» وهوالقاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظةً ٦١ .

يونس «١٠» إنّ رسلنا يكتبون ماتمكرون ٢١ .

الرعد «١٣» له معقّباتٌ من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمرالله ١١ .

مريم «١٩» كلاّ سنكتب مايقول ٧٩ .

الا نبياء «٢١» فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلاكفران لسعيه و إنّا له كاتبون ٩٤ .

المؤمنون «٢٣» ولدينا كتاب ينطق بالحقّ[(١)] وهم لايظلمون ٦٢ .

يس «٣٦» ونكتب ماقدّموا وآثارهم ١٢ .

الزخرف «٤٣» أم يحسبون أنّا لانسمع سرّهم ونجويهم بلى[(٢)] ورسلنا لديهم يكتبون ٨٠ .

الجاثية «٤٥» كلّ اُمّة تدعى إلى كتابها اليوم تجزون ماكنتم تعملون ۞ هذا كتابنا ينطق عليكم بالحقّ إناكنّا نستنسخ ماكنتم تعملون ٢٨ ـ ٢٩ .

---

(١) قيل : وصف الكتاب بالنطق مبالغة في وصفه باظهار البيان وإعلان البرهان ، تشبيهاً باللسان الناطق في الابانة عن ضميره ، والكشف عن مستوره ؛ وقد يقال الناطق لمايدل على شيء ، و على هذا قيل لحكيم : ماالناطق الصامت ؟ فقال : الدلائل المخبرة والعبر الواعظة .

(٢) أي بل نسمع ذلك و ندركه ومع ذلك رسلنا لديهم يكتبون .

ق «٥٠» إذ يتلقّى المتلقّيان عن اليمين و عن الشمال قعيد ✿ مايلفظ من قول إلّا لديه رقيب عتيد[1] ١٧ ١٨ .

القمر«٥٤» وكلّ شيء فعلوه في الزبر ✿ [2] وكلّ صغير وكبير مستطرٌ ٢٥ـ٥٣ .

التكوير «٨١» وإذا الصحف نشرت ١٠ .

الانفطار «٨٢» وإنّ عليكم لحافظين ✿ كراماً كاتبين ✿ يعلمون ماتفعلون ١٠ـ١٢ .

الطارق «٨٦» إن كلّ نفس لمّا عليها حافظٌ ٤ .

تفسير : قال الطبرسيّ رحمه الله : « ويرسل عليكم حفظة » أي ملائكة يحفظون أعمالكم ، و يحصونها عليكم و يكتبونها ؛ و في قوله تعالى : «إنّ رسلنا» : يعني الملائكة الحفظة ؛ وفي قوله تعالى : « له معقّبات » : قيل : إنّها الملائكة يتعاقبون ، تعقب ملائكة اللّيل ملائكة النهار و ملائكة النهار ملائكة اللّيل ، وهم الحفظة يحفظون على العبد عمله . و قيل : هم أربعة أملاك مجتمعون عند صلاة الفجر ، و روي ذلك أيضاً عن أئمّتنا عليهم السلام ؛ وقيل : إنّهم ملائكة يحفظونه عن المهالك حتّى ينتهوا به إلى المقادير .

وفي قوله تعالى : « كلّا سنكتب مايقولون» : أي سنأمر الحفظة بإثباته عليه لنجازيه به في الآخرة ؛ وفي قوله تعالى : « و إنّا له كاتبون » أي نأمر ملائكتنا أن يكتبوا ذلك فلايضيع منه شيء . وقيل : أي ضامنون جزاءه ؛ وفي قوله تعالى : « ولدينا كتاب ينطق بالحقّ » يريد صحائف الأعمال ؛ و في قوله تعالى : « إذ يتلقّى المتلقّيان » إذ متعلّقة بقوله : « ونحن أقرب إليه من حبل الوريد » أي و نحن أعلم به وأملك له حين يتلقّى المتلقّيان ، وهما الملكان يأخذان منه عمله فيكتبانه كما يكتب المملى عليه « عن اليمين و عن الشمال قعيد » أراد : عن اليمين قعيد ، و عن الشمال قعيد ، فاكتفى بأحدهما عن الآخر ؛ و المراد بالقعيد هنا الملازم الّذي لايبرح ، لا القاعد الّذي هو ضدّ القائم . وقيل : عن اليمين كاتب الحسنات ، وعن الشمال كاتب السيّئات . وقيل : الحفظة أربعة : ملكان بالنهار ، وملكان باللّيل ، « وما يلفظ من قول » أي مايتكلّم بكلام فيلفظه ، أي

---

(١) الرقيب : الحارس ، الحافظ . العتيد : الحاضر المهيا والمعد للزوم الامر . وقيل : القعيد : الرصيد . و يوصف به الواحد والاثنين والجمع .

(٢) أى مكتوب في الكتب التى كتبتها الحفظة .

يرميه من فمه « إلّا لديه » حافظ حاضر معه ، يعني الملك الموكّل به ، إمّا صاحب اليمين ، وإمّا صاحب الشمال ، يحفظ عمله ، لا يغيب عنه . والهاء في لديه تعود إلى القول أو إلى القائل .

وعن أبي أمامة عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال : إنّ صاحب الشمال ليرفع القلم ستّ ساعات عن العبد المسلم المخطىء أو المسيء ، فإن ندم واستغفر الله منها ألقاها وإلّا كتب واحدة .

وفي رواية اُخرى إنّ صاحب اليمين أمير على صاحب الشمال ، فإذا عمل حسنة كتبها له صاحب اليمين بعشر أمثالها ، وإذا عمل سيّئة فأراد صاحب الشمال أن يكتبها قال له صاحب اليمين : أمسك ، فيمسك عنه سبع ساعات ، فإن استغفر الله منها لم يكتب عليه شيء وإن لم يستغفر الله كتبت له سيّئة واحدة .

و قال في قوله تعالى : « إنّ عليكم لحافظين » أي من الملائكة يحفظون عليكم ماتعملونه من الطاعات والمعاصي ، ثمّ وصف الحفظة فقال : « كراماً » على ربّهم « كاتبين » يكتبون أعمال بني آدم يعلمون ماتفعلون من خير و شرّ فيكتبونه عليكم لا يخفى عليهم من ذلك شيء . وقيل إنّ الملائكة تعلم مايفعله العبد إمّا باضطرار و إمّا باستدلال . وقيل : معناه : يعلمون ماتفعلون من الظاهر دون الباطن .

١ ـ كا : عدّة من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ، عن يحيى بن المبارك ، عن عبدالله بن جبلة ، عن إسحاق بن عمّار ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إنّ المؤمنين إذا قعدا يتحدّثان قالت الحفظة بعضها لبعض : اعتزلوا بنا فلعلّ لهما سرّاً وقد ستر الله عليهما ؛ فقلت : أليس الله عزّ وجلّ يقول : « مايلفظ من قول إلّا لديه رقيب عتيد » ؟ فقال : يا إسحاق إن كانت الحفظة لاتسمع فإنّ عالم السرّ يسمع ويرى .

٢ ـ كا : عليّ بن محمّد ، عن سهل بن زياد ، عن أحمد بن محمّد بن أبي نصر ، عن عبد الرحمن بن سالم ، عن إسحاق بن عمّار قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام : أخبرني بأفضل المواقيت في صلاة الفجر ، فقال : مع طلوع الفجر إنّ الله تعالى يقول : « وقرآن الفجر إنّ قرآن الفجر كان مشهوداً » يعني صلاة الفجر تشهده ملائكة اللّيل وملائكة النهار ، فإذا صلّى العبد الصبح مع[1] طلوع الفجر اُثبتت له مرّتين : أثبتها ملائكة اللّيل وملائكة النهار . « ف ج ١ ص٧٨ »

---

(١) في نسخة من المصدر : من طلوع الفجر . م

٣ ـ نهج : اعلموا عباد الله أنّ عليكم رصداً من أنفسكم ، وعيوناً[1] من جوارحكم ، وحفّاظ صدق يحفظون أعمالكم وعدد أنفاسكم ، لاتستركم منهم ظلمة ليل داج ، ولا يكنّكم[2] منهم باب ذو رتاج .

بيان الرصد بالتحريك القوم يرصدون . والرتاج بالكسر : الغلق .

٤ ـ ين : الحسين بن علوان ، عن عمرو بن شمر ، عن جابر ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : سألته عن موضع الملكين من الإنسان ، قال : ههنا واحد ، و ههنا واحد . يعني عند شدقيه .[3]

٥ ـ ين : ابن أبي عمير ، عن محمد بن حمران ، عن زرارة قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : مامن أحد إلّا ومعه ملكان يكتبان مايلفظه ، ثمّ يرفعان ذلك إلى ملكين فوقهما فيثبتان ما كان من خير وشرّ ويلقيان ماسوى ذلك .

٦ ـ ين : حمّاد ، عن حريز ، و إبراهيم بن عمر ، عن زرارة ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : لا يكتب الملكان إلّا ما نطق به العبد .

٧ ـ ين : حمّاد ، عن حريز ، عن زرارة ، عن أحدهما عليهما السلام قال : لايكتب الملك إلّا مايسمع قال الله عزّ وجلّ : «واذكر ربّك في نفسك تضرّعاً وخيفةً» قال : لايعلم ثواب ذلك الذكر في نفس العبد غير الله تعالى .

٨ ـ ين : النضر ، عن حسين بن موسى ، عن أبي حمزة ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : إنّ في الهواء ملكاً يقال له : إسماعيل على ثلاثمائة ألف ملك ، كلّ واحد منهم على مائة ألف ، يحصون أعمال العباد ، فإذا كان رأس السنة بعث الله إليهم ملكاً يقال له : السجلّ فانتسخ ذلك منهم ، و هو قول الله تبارك و تعالى : « يوم نطوي السماء كطيّ السجلّ للكتب » .

---

(١) جمع العين : الجاسوس والديدبان .

(٢) أى لايستركم ولايخفاكم .

(٣) الشدق بكسر الشين وفتحها و سكون الدال : زاوية الفم من باطن الخدين . ولعله إشارة إلى احاطة الملكين بما يلفظ ، وشدة اطلاعهما بما يتكلم .

٩ ـ ين : النضر ، عن عاصم بن حميد ، عن أبي بصير ، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله تبارك وتعالى : « إذ يتلقّى المتلقّيان عن اليمين وعن الشمال قعيد » قال : هما الملكان . وسألته عن قول الله تبارك وتعالى : « هذا ما لديّ عتيد » قال : هو الملك الّذي يحفظ عليه عمله . وسألته عن قول الله عزّ وجلّ : «قال قرينه ربّنا ما أطغيته» قال : هو شيطان .

١٠ ـ ج : سأل الزنديق الصادق عليه السلام : ما علّة الملائكة الموكّلين بعباده يكتبون عليهم ولهم ، والله عالم السرّ وما هو أخفى ؟ قال : استعبدهم بذلك وجعلهم شهوداً على خلقه ليكون العباد لملازمتهم إيّاهم أشدّ على طاعة الله مواظبة ، وعن معصيته أشدّ انقباضاً ، وكم من عبد يهمّ بمعصية فذكر مكانها فارعوى وكفّ ، فيقول : ربّي يراني ، و حفظتي بذلك تشهد ،[1] وإنّ الله برأفته و لطفه أيضاً وكلهم بعباده يذبّون عنهم مردة الشياطين ، وهوامّ الأرض ، و آفات كثيرة من حيث لا يرون بإذن الله إلى أن يجيء أمر الله عزّ وجلّ . «ص١٩١»

١١ ـ **أقول** : روي في كتاب قضاء الحقوق و ثواب الأعمال و رجال الكشّي بأسانيدهم عن إسحاق بن عمّار قال : لمّا كثر مالي أجلست على بابي بوّاباً يردّ عنّي فقراء الشيعة ، فخرجت إلى مكّة في تلك السنة فسلّمت على أبي عبدالله عليه السلام ، فردّ عليّ بوجه قاطب مزوّر ،[2] فقلت له : جعلت فداك ما الّذي غيّر حالي عندك ؟ قال : تغيّرك على المؤمنين ، فقلت : جعلت فداك والله إنّي لأعلم أنّهم على دين الله ولكن خشيت الشهرة على نفسي ، فقال : يا إسحاق أما علمت أنّ المؤمنين إذا التقيا فتصافحا أنزل الله بين إبهاميهما مائة رحمة ، تسعة و تسعين لأشدّهما حبّاً ، فإذا اعتنقا غمرتهما الرحمة ، فإذا لبثا لا يريدان بذلك إلّا وجه الله تعالى قيل لهما . غفر لكما ؛ فإذا جلسا يتساءلان قالت الحفظة بعضها لبعض : اعتزلوا بنا عنهما فإنّ لهما سرّاً وقد ستره الله عليهما ؛ قال قلت : جعلت فداك فلا تسمع الحفظة قولهما ولا تكتبه وقد قال تعالى : « ما يلفظ من قول إلّا لديه رقيب عتيد » ؟ قال : فنكس رأسه طويلاً ثمّ رفعه وقد فاضت دموعه على لحيته ،

---

(١) في المصدر : وحفظتي على ذلك يشهد . م

(٢) قطب الرجل . زوى وقبض ما بين عينيه وعبس . وزور عنه : مال .

وقال : إن كانت الحفظة لا تسمعه ولا تكتبه فقد سمعه عالم السرّ وأخفى ، يا إسحاق خف الله كأنّك تراه ، فإن كنت لا تراه فإنّه يراك ، فإن شككت أنّه يراك فقد كفرت وإن أيقنت أنّه يراك ثمّ بارزته بالمعصية فقد جعلته أهون الناظرين إليك .(١)

١٢ ـ **سعد السعود** : رواه من كتاب قصص القرآن للهيصم بن محمّد النيسابوريّ قال : دخل عثمان على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : أخبرني عن العبد كم معه من ملك ؟ قال : ملك على يمينك(٢) على حسناتك ، وواحد على الشمال ، فإذا عملت حسنة كتب عشراً ، وإذا عملت سيّئة قال الّذي على الشمال للّذي على اليمين أكتب ؟ قال : لعلّه يستغفر ويتوب فإذا قال ثلاثاً قال : نعم اكتب ، أراحنا الله منه فبئس القرين ، ما أقلّ مراقبته لله عزّ وجلّ ! وما أقلّ استحياؤه منه !(٣) يقول الله : «ما يلفظ من قول إلّا لديه رقيب عتيد» وملكان بين يديك ومن خلفك يقول الله سبحانه : «له معقّبات من بين يديه ومن خلفه» وملك قابض على ناصيتك ، فإذا تواضعت لله رفعك ، وإذا تجبّرت على الله وضعك وفضحك ، وملكان(٤) على شفتيك ليس يحفظان إلّا الصلاة على محمّد صلى الله عليه وآله ، وملك قائم على فيك لا يدع أن تدخل الحيّة في فيك ، وملكان على عينيك ، فهذه عشرة أملاك على كلّ آدميّ ، وملائكة اللّيل سوى ملائكة النهار ، فهؤلاء عشرون ملكاً على كلّ آدميّ ، وإبليس بالنهار وولده باللّيل ، قال الله تعالى : «وإنّ عليكم لحافظين» الآية . وقال عزّ وجلّ : «إذ يتلقّى المتلقّيان» الآية .

ثمّ قال السيّد رحمه الله : واعلم أنّ الله عزّ وجلّ وكل بكلّ إنسان ملكين يكتبان عليه الخير والشرّ . ووردت الأخبار بأنّه يأتيه ملكان بالنهار وملكان باللّيل ، وذلك قوله تعالى : «له معقّبات» لأنّهم يتعاقبون ليلاً ونهاراً ، وإنّ ملكي النهار يأتيانه إذا انفجر الصبح فيكتبان ما يعمله إلى غروب الشمس ، فإذا غربت نزل إليه الملكان الموكّلان بكتابة اللّيل ، ويصعد الملكان الكاتبان بالنهار بديوانه إلى الله عزّ وجلّ فلا يزال ذلك دأبهم إلى

---

(١) وروى الكليني في باب المصافحة باسناده عن إسحاق بن عمار نحوه .

(٢) في نسخة : عن يمينك .

(٣) في نسخة : منا .

(٤) في نسخة : وملكان مقربان .

حضور أجله ، فإذا حضر أجله قالا للرجل الصالح : جزاك الله من صاحب عنّا خيراً ، فكم من عمل صالح أريتناه ، وكم من قول حسن أسمعتناه ، وكم من مجلس حسن أحضرتناه ، فنحن لك اليوم على ما تحبّه ، وشفعاء إلى ربّك ؛ وإن كان عاصياً قالا له : جزاك الله من صاحب عنّا شرّاً ، فلقد كنت تؤذينا ، فكم من عمل سيّىء أريتناه ، وكم من قول سيّىء أسمعتناه ، وكم من مجلس سوء أحضرتناه ، ونحن لك اليوم على ماتكره ، وشهيدان عند ربّك .

١٣ ـ وفي رواية أنّهما إذا إراد النزول صباحاً ومساءاً نسخ لهما إسرافيل عمل العبد من اللّوح المحفوظ فيعطيهما ذلك ، فإذا صعدا صباحاً و مساءاً بديوان العبد قابله إسرافيل بالنسخة الّتي نسخ لهما حتّى يظهر أنّه كان كما نسخ لهما .

١٤ ـ وعن ابن مسعود أنّه قال : الملكان يكتبان أعمال العلانية في ديوان و أعمال السرّ في ديوان آخر .[1]

١٥ ـ كا : العدّة ، عن البرقيّ ، عن عثمان بن عيسى ، عن سماعة ، عن أبي بصير ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إنّ المؤمن ليهمّ بالحسنة ولا يعمل بها فتكتب له حسنة ، فإن هو عملها كتبت له عشر حسنات ؛ وإنّ المؤمن ليهمّ بالسيّئة أن يعملها فلا يعملها فلا تكتب عليه . « ج٢ص٤٢٨ ـ ٤٢٩ »

١٦ ـ كا : العدّة عن البرقيّ ، عن عليّ بن حفص العوسيّ ، عن عليّ بن السائح ، عن عبدالله بن موسى بن جعفر ، عن أبيه قال : سألته ، عن الملكين : هل يعلمان بالذنب إذا أراد العبد أن يفعله أو الحسنة ؟ فقال : ريح الكنيف وريح الطيّب[2] سواء ؟ قلت : لا ، قال : إنّ العبد إذا همّ بالحسنة خرج نفسه طيّب الريح فقال صاحب اليمين لصاحب الشمال : قم[3] فإنّه قد همّ بالحسنة ، فإذا فعلها كان لسانه قلمه ، وريقه مداده ، فأثبتها له ؛ وإذا همّ بالسيّئة خرج نفسه منتن الرّيح فيقول صاحب الشمال لصاحب اليمين :

(١) الديوان : مجتمع الصحف . والكتاب يكتب فيه أهل الجيش وأهل العطية ، والجمع دواوين ودياوين .

(٢) بفتح الطاء وتشديد الياء ، أو بكسر الطاء ، وكان هذين ريحان معنويان يجدهما الملائكة قاله المصنف في المرآت .

(٣) في نسخة : قف .

قف فإنّه قد همّ بالسيّئة ، فإذا هو فعلها كان لسانه قلمه ، و ريقه مداده ، فأثبتها عليه . «ج٢ص٤٢٩»

١٧ ـ كا : محمّد بن يحيى ، عن ابن عيسى ، عن عليّ بن الحكم ، عن فضيل بن عثمان المراديّ قال : سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أربع من كنّ فيه لم يهلك على الله بعدهنّ إلّا هالك[1] : يهمّ العبد بالحسنة فيعملها فإن هو لم يعملها كتب الله له حسنة بحسن نيّته ، وإن هو عملها كتب الله له عشراً ؛ ويهمّ بالسيّئة أن يعملها فإن لم يعملها لم يكتب عليه شيء وإن هو عملها اُجّل سبع ساعات ، وقال صاحب الحسنات لصاحب السيّئات و هو صاحب الشمال : لا تعجل عسى أن يتبعها بحسنة تمحوها ، فإنّ الله يقول : « إنّ الحسنات يذهبن السيّئات» أوالاستغفار . فإن هو قال : «أستغفر الله الّذي لا إله إلّا هو ، عالم الغيب والشهادة ، العزيز الحكيم ، الغفور الرحيم ذو الجلال والإكرام وأتوب إليه » لم يكتب عليه شيء ، وإن مضت سبع ساعات ولم يتبعها بحسنة ولا استغفار[2] قال صاحب الحسنات لصاحب السيّئات : اكتب على الشقيّ المحروم . «ج٢ص٤٢٩ـ٤٣٠»

١٨ ـ نهج : قال : أميرالمؤمنين عليه السلام : فاتّقوا الله الّذي أنتم بعينه ، ونواصيكم بيده ، وتقلّبكم في قبضته ، إن أسررتم علمه ، و إن أعلنتم كتبه ، وقد وكّل بذلك حفظة كراماً ، لا يسقطون حقّاً ولا يثبتون باطلاً .

---

(١) قال المصنف في مرآت العقول : اعلم أن الهلاك في قوله : (يهلك) بمعنى الخسران واستحقاق العقاب ، وفي قوله : (هالك) بمعنى الضلال والشقاوة الجبلية ، وتعديته بكلمة (على) إما بتضمين الورود ، أي لم يهلك حين وروده على الله ، أو معنى الاجتراء ، أي مجترئاً على الله ، أو معنى العلو و الرفعة ، كأن من يعصيه تعالى يترفع عليه ويخاصمه . ويحتمل أن يكون (على) بمعنى (في) نحوه قوله تعالى : (على حين غفلة) أي في معرفته وأوامره ونواهيه ، أو بمعنى (من) بتضمين معنى الحينية ، كما في قوله تعالى : «إذا اكتالوا على الناس يستوفون» أو بمعنى (عن) بتضمين معنى المجاوزة ، أو بمعنى (مع) أي حال كونه معه ومع ماهو عليه من اللطف والعناية . أقول : الخصال الاربع : اولها أن يهم بالحسنة من دون عمل ، الثانية أن يعمل بها ، الثالث أن يهم بالسيئة من دون عمل و الرابعة أن يعمل بها ولكن يتبعها بحسنة تمحوها ، أو استغفار قبل مضي سبع ساعات .

(٢) في المصدر : ولم يتبعها حسنة واستغفار . م

١٩ ـ يب : محمّد بن عليّ بن محبوب ، عن اليقطينيّ ، عن الحسن بن عليّ ، عن إبراهيم ابن عبدالحميد قال : سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول : إنّ أميرالمؤمنين عليه السلام كان إذا أراد قضاء الحاجة وقف على باب المذهب [1] ثمّ التفت يميناً وشمالاً إلى ملكيه فيقول أميطا عنّي [2] فلكما الله عليّ أن لاأحدث حدثاً حتى أخرج إليكما .

٢٠ ـ ين : ابن المغيرة ، عن جميل بن درّاج ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إذاهمّ العبد بسيّئة لم تكتب عليه ، وإذاهمّ بحسنة كتبت له .

٢١ ـ عد : اعتقادنا أنّه مامن عبد إلّا وملكان موكّلان به يكتبان جميع أعماله ، ومن همّ بحسنة ولم يعملها كتب له حسنة ، فإن عملها كتب له عشر ، فإن همّ بسيّئة لم تكتب حتّى يعملها ، فإن عملها كتب عليه سيّئة واحدة ، [3] والملكان يكتبان على العبد كل شيء حتّى النفخ في الرماد ، قال الله عزّ وجلّ : « و إنّ عليكم لحافظين كراماً كاتبين يعلمون ماتفعلون » .

ومرّ أميرالمؤمنين عليه السلام برجل وهو يتكلّم بفضول الكلام فقال : ياهذا ؟ إنّك تملي على كاتبيك [4] كتاباً إلى ربّك فتكلّم بما يعنيك ودع مالايعنيك . «ص٨٦»

٢٢ ـ وقال عليه السلام : لايزال الرجل المسلم يكتب محسناً مادام ساكتاً فإذا تكلّم كتب إمّا محسناً أومسيئاً ، و موضع الملكين من ابن آدم الشدقان ، صاحب اليمين يكتب الحسنات ، وصاحب الشمال يكتب السيّئات ، وملكا النهار يكتبان عمل العبد بالنهار ، وملكا اللّيل يكتبان عمل العبد في اللّيل . «ص٨٦»

٢٣ ـ و روى الصدوق رحمه الله في كتاب فضائل الشيعة : عن أبيه ، عن سعد ، عن عبّاد بن سليمان ، عن سدير الصيرفيّ ، [5] عن أبي عبدالله عليه السلام قال : دخلت عليه و عنده أبوبصير وميسر وعدّة من جلسائه ، فلمّا أن أخذت مجلسي أقبل عليّ بوجهه ، وقال :

(١) أي باب الكنيف . (٢) أي ابعدا وتنحاعني .

(٣) في المصدر : وان عملها اجل سبع ساعات فان تاب قبلها لم يكتب عليه وان لم يتب كتب عليه سيئة واحدة . م

(٤) في نسخة : ملائكتك (٥) سدير وزان شريف .

يا سدير أما إنّ وليّنا ليعبدالله قائماً وقاعداً و نائماً وحيّاً وميّتاً ؛ قال : قلت جعلت فداك : أمّا عبادته قائماً و قاعداً وحيّاً فقد عرفنا ، فكيف يعبدالله نائماً وميّتاً ؟ قال : إنّ وليّنا ليضع رأسه فيرقد فإذا كان وقت الصلاة وكل به ملكين خلقا في الأرض لم يصعدا إلى السماء و لم يريا ملكوتها ، فيصلّيان عنده حتّى ينتبه فيكتب الله ثواب صلاتهما له ، و الركعة من صلاتهما تعدل ألف صلاة من صلاة الآدميّين ؛ و إنّ وليّنا ليقبضه الله إليه فيصعد ملكاه إلى السماء فيقولان : يا ربّنا عبدك فلان بن فلان انقطع واستوفى أجله ، ولأنت أعلم منّا بذلك ، فأذن لنا نعبدك في آفاق سمائك وأطراف أرضك ؛ قال : فيوحي الله إليهما : أنّ في سمائي لمن يعبدني وما لي في عبادته من حاجة بل هو أحوج إليها ، وأنّ في أرضي لمن يعبدني حقّ عبادتي ، وما خلقت خلقاً أحوج إليّ منه فأهبطا إلى قبر وليّي ؛ فيقولان : يا ربّنا من هذا يسعد بحبّك إيّاه ؛ قال : فيوحي الله إليهما : ذلك من أخذ ميثاقه بمحمّد عبدي و وصيّه و ذرّيّتهما بالولاية ، اهبطا إلى قبر وليّي فلان بن فلان فصلّيا عنده إلى أن أبعثه في القيامة ، قال : فيهبط الملكان فيصلّيان عند القبر إلى أن يبعثه الله فيكتب ثواب صلاتهما له ، و الركعة من صلاتهما تعدل ألف صلاة من صلاة الآدميّين ؛ قال سدير : جعلت فداك يابن رسول الله فإذاً وليّكم نائماً و ميّتاً أعبد منه حيّاً وقائماً ؟ قال : فقال : هيهات ياسدير إنّ وليّنا ليؤمن على الله عزّ وجلّ يوم القيامة فيجيز أمانه .

٢٤ ـ **ما** : جماعة عن أبي المفضّل ، عن أحمد بن محمّد بن إسحاق العلويّ العريضيّ ، عن محمّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن موسى بن جعفر ، عن عمّيه عليّ والحسين ابني موسى ، عن أبيهما موسى بن جعفر ، عن آبائه ، عن عليّ عليه السلام عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال : يوحي الله عزّ وجلّ إلى الحفظة الكرام : لاتكتبوا على عبدي المؤمن عند ضجره شيئاً .[1] « ص٦١ »

أقول : الأخبار الدالّة على الكاتبين مبثوثة في الأبواب السابقة و اللّاحقة وفيما ذكرناه هنا كفاية .

٢٥ ـ **محاسبة النفس** : للسيّد عليّ بن طاووس قدّس الله روحه : من أمالي المفيد

(١) نقل هذه الرواية بعينها في باب من رفع عنه القلم تحت رقم ٢٠ عن هذا المصدر . م

بإسناده إلى عليّ بن الحسين عليهما السلام قال : إنّ الملك الموكّل على العبد يكتب في صحيفة أعماله ، فأملوا بأوّلها و آخرها خيراً يغفر لكم ما بين ذلك .

٢٦ - ومنه نقلاً من كتاب الدعاء لمحمّد بن الحسن الصفّار بإسناده عن الصادق عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : طوبى لمن وجد في صحيفة عمله يوم القيامة تحت كلّ ذنب : استغفر الله .

٢٧ - ومنه مرسلاً عن الصادق عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : لا تقطعوا نهاركم بكذا وكذا ، وفعلنا كذا وكذا ، فإنّ معكم حفظة يحصون عليكم وعلينا .

٢٨ - ومنه نقلاً من تبيان شيخ الطائفة في تفسير قوله تعالى : « و قل اعملوا فسيرى الله عملكم و رسوله و المؤمنون » قال : روي في الخبر أنّ الأعمال تعرض على النبيّ صلى الله عليه وآله في كلّ إثنين وخميس فيعلمها ، وكذلك تعرض على الأئمّة عليهم السلام فيعرفونها وهم المعنيّون بقوله : والمؤمنون .

٢٩ - ومنه نقلاً من كتاب الأزمنة لمحمّد بن عمران المرزبانيّ قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله يصوم الإثنين والخميس ، فقيل له : لم ذلك ؟ فقال صلى الله عليه وآله : إنّ الأعمال ترفع في كلّ اثنين وخميس ، فأحبّ أن ترفع عملي و أنا صائم .

٣٠ - و بإسناده عن أبي أيّوب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ما من اثنين ولا خميس إلّا ترفع فيه الأعمال إلّا عمل المقادير .

٣١ - ومنه نقلاً من كتاب التذييل لمحمّد بن النجّار بإسناده إلى الصادق عليه السلام قال : إذا كان يوم الخميس عند العصر أهبط الله عزّ وجلّ ملائكة من السماء إلى الأرض ، معها صحائف من فضّة ، بأيديهم أقلام من ذهب تكتب الصلاة على محمّد و آله إلى غروب الشمس .[1]

٣٢ - ومنه نقلاً من كتب بعض الأصحاب بإسناده إلى عبد الصمد بن عبد الملك قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : آخر خميس من الشهر ترفع فيه الأعمال .

٣٣ - ومنه بإسناده إلى شيخ الطائفة ، بإسناده إلى عنبسة العابد ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : آخر خميس في الشهر ترفع فيه أعمال الشهر .

(١) في نسخة : عند غروب الشمس .

٣٤ ـ ومنه نقلاً من كتاب خطب أمير المؤمنين عليه السلام لعبدالعزيز الجلودي قال : إنّ ابن الكوّاء سأل أمير المؤمنين عن البيت المعمور والسقف المرفوع ، قال : ويلك ذلك الضراح بيت في السماء الرابعة حيال الكعبة من لؤلؤة واحدة ، يدخله كلّ يوم سبعون ألف ملك ، لا يعودون إليه إلى يوم القيامة ، فيه كتاب أهل الجنّة عن يمين الباب يكتبون أعمال أهل الجنّة ، وفيه كتاب أهل النار عن يسار الباب يكتبون أعمال أهل النار بأقلام سود ، فإذا كان وقت العشاء ارتفع الملكان فيسمعون منهما ما عمل الرّجل فذلك قوله تعالى : « هذا كتابنا ينطق عليكم بالحقّ إنا كنّا نستنسخ ما كنتم تعملون » .

٣٥ ـ ومنه نقلاً من كتاب ابن عمر الزاهد صاحب تغلب قال : أخبرني عطاء ، عن الصباحيّ أستاد الإماميّة من الشيعة ، عن جعفر بن محمّد الصادق ، عن آبائه عليهم السلام قالوا : قال أمير المؤمنين عليه السلام : إنّ الملكين يجلسان على ناجذي الرجل ، يكتبان خيره وشرّه ، ويستمدّان من غريه وربّما جلسا على الصماغين.

فسمعت تغلباً يقول : الاختيار من هذا كلّه ما قال أمير المؤمنين عليه السلام . قال : الناجدان : النابان ، والغران : الشدقان ، والصامغان والضماغان ـ ومن قالهما بالعين فقد صحّفهما ـ : مجتمعا الريق من الجانبين ، وهما اللّذان يسمّيهما العامّة الصوارين . و قال : سئل عن قول أمير المؤمنين عليه السلام : نظّفوا الصماغين فإنّهما مقعدا الملكين ، فقال تغلب : هما الموضع الّذي يجتمع فيه الريق من الإنسان ، وهما الّذي يسمّيه العامّة الصوارين .

بيان روى في النهاية الخبرين عن أمير المؤمنين عليه السلام و قال : النواجذ : هي الّتي تبدو عند الضحك ، وقال الغران بالضمّ : الشدقان . وقال : الصماغان : مجتمع الريق في جانبي الشفة . و قيل : هما ملتقي الشدقين ، و يقال لهما : الصامغان و الصماغان و الصواران .

«باب ١٨»

الوعد والوعيد و الحبط والتكفير

الايات البقرة «٢» ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ٢١٧ .

آل عمران «٣» إنّ الله لايخلف الميعاد ٩ «وقال تعالى» : أُولئك الّذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة ومالهم من ناصرين ٢٢ «وقال» : إنّك لا تخلف الميعاد ١٩٤.

النساء «٤» إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفّر عنكم سيّئاتكم ٣١ «وقال تعالى» : ليس بأمانيّكم ولا أمانيّ أهل الكتاب من يعمل سوءً يجز به ١٢٣ .

الاعراف «٧» والّذين كذّبوا بآياتنا ولقاء الآخرة حبطت أعمالهم ١٤٧ .

الانفال «٨» يا أيّها الّذين آمنوا إن تتّقوا الله يجعل لكم فرقاناً ويكفّر عنكم سيّئاتكم ويغفر لكم والله ذوالفضل العظيم ٢٩ .

التوبة «٩» ماكان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أُولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون ١٧ «وقال» : أُولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة ٦٩ .

الرعد «١٣» إنّ الله لايخلف الميعاد ٣١.

الكهف «١٨» أُولئك الّذين كفروا بآيات ربّهم ولقائه فحبطت أعمالهم ١٠٥ .

العنكبوت «٢٩» و الّذين آمنوا و عملوا الصالحات لنكفّرنّ عنهم سيّئاتهم و لنجزينّهم أحسن الّذي كانوا يعملون ٧.

الروم «٣٠» وعدالله لا يخلف الله وعده ولكنّ أكثر النّاس لايعلمون ٦ «وقال سبحانه» : فاصبر إنّ وعدالله حقّ ولايستخفنّك الّذين لايوقنون ٦٠ .

الاحزاب «٣٣» وإذ يقول المنافقون والّذين في قلوبهم مرض ماوعدنا الله ورسوله إلّا غروراً ١٢ «وقال تعالى» : أُولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم و كان ذلك على الله يسيراً ١٩ .

الزمر «٣٩» وعدالله لايخلف الله الميعاد ٢٠ «وقال تعالى» : ليكفّر الله عنهم أسوء الّذي عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الّذي كانوا يعملون ٣٥ .

المؤمن «٤٠» إنّ وعدالله حقّ ٧٧ .

محمد «٤٧» كفّر عنهم سيّئاتهم وأصلح بالهم ٢ «وقال تعالى» : ذلك بأنّهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم ٩ «وقال» : ذلك بأنّهم اتّبعوا ما أسخط الله و كرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم ٢٨ «وقال» : إنّ الّذين كفروا و صدّوا عن سبيل الله و شاقوا الرسول من بعد ماتبيّن لهم الهدى لن يضرّوا الله شيئاً وسيحبط أعمالهم ٣٢ .

الفتح «٤٨» ويكفّر عنهم سيّئاتهم ٥ .

الحجرات «٤٩» ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لاتشعرون ٢ .

التغابن «٦٤» ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً يكفّر عنه سيّئاته ٩ .

الطلاق «٦٥» ومن يتّق الله يكفّر عنه سيّئاته ٥ .

التحريم «٦٦» عسى ربّكم أن يكفّر عنكم سيّئاتكم ٨ .

الزلزال «٩٩» فمن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره ☆ و من يعمل مثقال ذرّة شرّاً يره ٧-٨ .

تحقيق : اعلم أنّ المشهور بين متكلّمي الإماميّة بطلان الإحباط و التكفير ، بل قالوا باشتراط الثواب والعقاب بالموافاة ، بمعنى أنّ الثواب على الإيمان مشروط بأن يعلم الله منه أنّه يموت على الإيمان ؛ والعقاب على الكفر و الفسوق مشروطٌ بأن يعلم الله أنّه لا يسلم ولايتوب و بذلك أوّلوا الآيات الدالّة على الإحباط و التكفير ، وذهبت المعتزلة إلى ثبوت الإحباط والتكفير للآيات و الأخبار الدالّة عليهما .

قال شارح المقاصد : لاخلاف في أنّ من آمن بعد الكفر والمعاصي فهو من أهل الجنّة ، بمنزلة من لا معصية له ، ومن كفر - نعوذ بالله - بعد الإيمان و العمل الصالح فهو من أهل النار ، بمنزلة من لاحسنة له ؛ وإنّما الكلام فيمن آمن وعمل صالحاً و آخر سيّئاً كما يشاهد من الناس فعندنا مآله إلى الجنّة ولو بعد النار ، و استحقاقه للثواب

والعقاب بمقتضى الوعد والوعيد ثابت من غير حبوط ، والمشهور من مذهب المعتزلة أنّه من أهل الخلود في النار إذا مات قبل التوبة ، فأشكل عليهم الأمر في إيمانه و طاعاته ، ومايثبت من استحقاقاته ، أين طارت؟ و كيف زالت ؟ فقالوا : بحبوط الطاعات ، و مالوا إلى أنّ السيّئات يذهبن الحسنات ، حتّى ذهبت الجمهور منهم إلى أنّ الكبيرة الواحدة تحبط ثواب جميع العبادات . وفساده ظاهر ، أمّا سمعاً فللنصوص الدالّة على أنّ الله تعالى لايضيع أجر من أحسن عملاً وعمل صالحاً ، وأمّا عقلاً فللقطع بأنّه لايحسن من الحليم الكريم إبطال ثواب إيمان العبد ومواظبته على الطاعات طول العمر بتناول لقمة من الربا ، أوجرعة من الخمر . قالوا : الإحباط مصرّح في التنزيل ، كقوله تعالى : « ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم ، اُولئك حبطت أعمالهم ، ولاتبطلوا صدقاتكم بالمنّ والأذى » قلنا : لا بالمعنى الّذي قصدتم ، بل بمعنى أنّ من عمل عملاً استحقّ به الذمّ ، وكان يمكنه أن يعمله على وجه يستحقّ به المدح والثواب ؛ يقال : إنّه أحبط عمله كالصدقة مع المنّ والأذى وبدونها . وأمّا إحباط الطاعات بالكفر بمعنى أنّه لايثاب عليها البتّة فليس من التنازع في شيء ؛ وحين تنبّه أبوعليّ وأبوهاشم لفساد هذا الرأي رجعا من التمادي بعض الرجوع ، فقالا : إنّ المعاصي إنّما يحبط الطاعات إذا اُوردت عليها ، و إن اُوردت الطاعات أحبطت المعاصي ، ثمّ ليس النظر إلى أعداد الطاعات و المعاصي بل إلى مقادير الأوزار و الاُجور ، فربّ كبيرة يغلب وزرها أجر طاعات كثيرة ، ولا سبيل إلى ضبط ذلك بل هو مفوّض إلى علم الله تعالى ، ثمّ افترقا فزعم أبوعليّ أنّ الأقلّ يسقط ولا يسقط من الأكثر شيئاً ، و يكون سقوط الأقلّ عقاباً إذا كان الساقط ثواباً ، وثواباً إذا كان الساقط عقاباً ، و هذا هو الإحباط المحض . وقال أبوهاشم : الأقلّ يسقط ويسقط من الأكثر مايقابله ، مثلاً من له مائة جزء من العقاب واكتسب ألف جزء من الثواب فإنّه يسقط منه العقاب ومائة جزء من الثواب بمقابلته ، ويبقى له تسعمائة جزء من الثواب ، وكذا العكس ، وهذا هو القول بالموازنة انتهى كلامه .

أقول : الحقّ أنّه لايمكن إنكار سقوط ثواب الإيمان بالكفر اللّاحق الّذي

يموت عليه ، وكذا سقوط عقاب الكفر بالإيمان اللاّحق الّذي يموت عليه . وقد دلّت الأخبار الكثيرة على أنّ كثيراً من المعاصي يوجب سقوط ثواب كثير من الطاعات ، و أنّ كثيراً من الطاعات كفّارة لكثير من السيّئات ، والأخبار في ذلك متواترة ، وقد دلّت الآيات على أنّ الحسنات يذهبن السيّئات ، ولم يقم دليل تامّ على بطلان ذلك ، و أمّا أنّ ذلك عامّ في جميع الطاعات و المعاصي فغير معلوم ، و أمّا أنّ ذلك على سبيل الإحباط والتكفير بعد ثبوت الثواب والعقاب ، أوعلى سبيل الاشتراط بأنّ الثّواب في علمه تعالى على ذلك العمل مشروطٌ بعدم وقوع ذلك الفسق بعده ، وأنّ العقاب على تلك المعصية مشروطٌ بعدم وقوع تلك الطاعة بعدها فلايثيب ، أولا ثواب و عقاب ، فلايهمّنا تحقيق ذلك ، بل يرجع النزاع في الحقيقة الى اللّفظ ، لكنّ الظاهر من كلام المعتزلة و أكثر الإماميّة أنّهم لايعتقدون إسقاط الطاعة شيئاً من العقاب ، أو المعصية شيئاً من الثواب سوى الإسلام والارتداد والتوبة ، وأمّا الدلائل الّتي ذكروها لذلك فلايخفى وهنها ، وليس هذا الكتاب موضع ذكرها .

ثمّ اعلم أنّه لاخلاف بين الإماميّة في عدم خلود أصحاب الكبائر من المؤمنين في النار ، و أمّا أنّهم هل يدخلون النار ، أويعذّبون في البرزخ و المحشر فقط ؟ فقد اختلف فيه الأخبار وسيأتي تحقيقها .

١ ـ سن : عليّ بن محمّد القاسانيّ ، عمّن ذكره ، عن عبدالله بن القاسم الجعفريّ ، عن أبي عبدالله ، عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : من وعده الله على عمل[1] ثواباً فهو منجزله ، ومن أوعده على عمل عقاباً فهو فيه بالخيار . «ص٢٤٦»

٢ ـ **كنز الكراجكي** : عن المفيد ، عن أحمد بن الحسن بن الوليد ، عن أبيه ، عن محمّد بن الحسن الصفّار ، عن عليّ بن محمّد القاسانيّ ، عن القاسم بن محمّد الإصبهانيّ ، عن سليمان بن خالد المنقريّ ،[2] عن سفيان بن عيينة ، عن حميد بن زياد ، عن عطاء بن يسار ، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : يوقف العبد بين يدي الله تعالى فيقول : قيسوا بين

(١) في المصدر : من وعده على عمل . م

(٢) نسبة إلى منقر ـ وزان منبر ـ أبو بطن من سعد ثم من تميم ، وهو منقر بن عبيد بن مقاعس .

نعمي عليه و بين عمله ، فتستغرق النعم العمل ؛ فيقولون : قد استغرق النعم العمل ، فيقول : هبوا له النعم ، وقيسوا بين الخير و الشرّ منه ، فإن استوى العملان أذهب الله الشرّ بالخير ، وأدخله الجنّة ، وإن كان له فضل أعطاه الله بفضله ، وإن كان عليه فضل و هو من أهل التقوى ولم يشرك بالله تعالى واتّقى الشرك به فهو من أهل المغفرة يغفر الله له برحمته إن شاء ، ويتفضّل عليه بعفوه .

عد : اعتقادنا في الوعد والوعيد هو أنّ من وعده الله على عمل ثواباً فهو منجزه ، ومن وعده على عمل عقاباً فهو فيه بالخيار ، إن عذّبه فبعدله ، و إن عفا عنه فبفضله ، و ما الله بظلّام للعبيد ، وقد قال الله عزّ وجلّ : « إنّ الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء » .(١) «ص٨٦»

واعتقادنا في العدل هو أنّ الله تبارك وتعالى أمرنا بالعدل ، وعاملنا بما هو فوقه وهو التفضّل ، وذلك أنّه عزّ وجلّ يقول : «من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها و من جاء بالسيّئة فلا يجزى إلّا مثلها وهم لا يظلمون » .(٢) «ص٨٦-٨٧»

بيان : قال الشيخ المفيد قدّس الله روحه في شرح القول الأخير : العدل هو الجزاء على العمل بقدر المستحقّ عليه ، و الظلم هو منع الحقوق ، والله تعالى كريم ، جواد ، متفضّل ، رحيم ، قد ضمن الجزاء على الأعمال ، والعوض على المبتدأ من الآلام ، ووعد التفضّل بعد ذلك بزيادة من عنده ، فقال تعالى : «للّذين أحسنوا الحسنى وزيادة »(٣) فخبّر أنّ للمحسن الثواب المستحقّ وزيادة من عنده ، وقال : «من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها» يعني له عشر أمثال ما يستحقّ عليها « ومن جاء بالسيّئة فلا يجزى إلّا مثلها وهم لا يظلمون » يريد أنّه لا يجازيه بأكثر ممّا يستحقّه . ثمّ ضمن بعد ذلك العفو ، ووعد بالغفران ، فقال سبحانه : « وإنّ ربّك لذو مغفرة للناس على ظلمهم »(٤) وقال : «إنّ الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء »(٥) وقال : « قل بفضل الله و برحمته فبذلك فليفرحوا »(٦) والحقّ الّذي للعبد هو ما جعل الله حقّاً له واقتضاء جود الله وكرمه ، وإن

(١) النساء : ٤٨ و ١١٦ .
(٢) الانعام : ١٦٠ .
(٣) يونس : ٢٦ .
(٤) الرعد : ٦ .
(٥) النساء : ٤٧ .
(٦) يونس : ٥٨ .

كان لو حاسبه بالعدل لم يكن له عليه بعد النعم الّتي أسلفها حقّ ، لأنّه تعالى ابتدأ خلقه بالنعم ، وأوجب عليهم بها الشكر ، وليس أحد من الخلق يكافىء نعم الله تعالى عليه بعمل ، ولا يشكره أحد إلّا وهو مقصّر بالشكر عن حقّ النعمة ، وقد أجمع أهل القبلة على أنّ من قال : إنّي وفيت جميع ما لله عليّ وكافأت نعمه بالشكر فهو ضالّ ، وأجمعوا على أنّهم مقصّرون عن حقّ الشكر ، و أنّ لله عليهم حقوقاً لو مدّ في أعمارهم إلى آخر مدى الزمان لما وفوا الله سبحانه بما له عليهم ، فدلّ ذلك على أنّ ما جعله حقّاً لهم فإنّما جعله بفضله وجوده وكرمه ، ولأنّ حال العامل الشاكر خلاف حال من لا عمل له في العقول ، و ذلك أنّ الشاكر يستحقّ في العقول الحمد ، ومن لا عمل له فليس له في العقول حمد ، وإذا ثبت الفصل بين العامل ومن لا عمل له كان ما يجب في العقول من حمده هو الّذي يحكم عليه بحقّه ويشار إليه بذلك ، و إذا أوجبت العقول له مزيّة على من لا عمل له كان العدل من الله تعالى معاملته بما جعل في العقول له حقّاً ، وقد أمر تعالى بالعدل و نهى عن الجور فقال تعالى : « إنّ الله يأمر بالعدل و الإحسان »(1) الآية انتهى .

وقال العلّامة رحمه الله في شرحه على التجريد : ذهب جماعة من معتزلة بغداد إلى أنّ العفو جائز عقلاً ، غير جائز سمعاً ، و ذهب البصريّون إلى جوازه سمعاً وهو الحقّ ، واستدلّ المصنّف رحمه الله بوجوه ثلاثة :

الأوّل أنّ العقاب حقّ لله تعالى فجاز تركه ، والمقدّمتان ظاهرتان .

الثاني أنّ العقاب ضرر بالمكلّف ، ولا ضرر في تركه على مستحقّه ، وكلّ ما كان كذلك كان تركه حسناً ، أمّا أنّه ضرر بالمكلّف فضروريّ ، وأمّا عدم الضرر في تركه فقطعيّ ، لأنّه تعالى غنيّ بذاته عن كلّ شيء ، وأما إنّ ترك مثل هذا حسن فضروريّة ، وأمّا السمع فالآيات الدالّة على العفو كقوله تعالى : « إنّ الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك » فإمّا أن يكون هذان الحكمان مع التوبة أو بدونها ، والأوّل باطل لأنّ الشرك يغفر من التوبة فتعيّن الثاني ، وأيضاً المعصية مع التوبة يجب غفرانها ،

(1) النحل : ٩٠ .

وليس المراد في الآية المعصية الّتي يجب غفرانها لأنّ الواجب لايعلّق بالمشيّة ، فما كان يحسن قوله : « لمن يشاء » فوجب عود الآية إلى معصية لايجب غفرانها ؛ ولقوله تعالى : « إنّ ربّك لذو مغفرة للناس على ظلمهم » و «على» يدلّ على الحال أو الغرض كما يقال : ضربت زيداً على عصيانه أي لأجل عصيانه ، و هو غير مراد هنا قطعاً فتعيّن الأوّل ، والله تعالى قد نطق في كتابه العزيز بأنّه عفوّ غفور ، وأجمع المسلمون عليه ، ولامعنى له إلّا إسقاط العقاب عن العاصي انتهى . أقول : سيأتي الآيات والأخبار في ذلك .

إلى هنا تمّ الجزء الخامس من كتاب بحار الأنوار من هذه الطبعة المزدانة
بتعاليق نفيسة قيّمة و فوائد جمّة ثمينة ؛ ويحوي
هذا الجزء ٥٢٨ حديثاً في ١٨ باباً .
والله الموفّق للخير و الرشاد .
ذيحجّة الحرام ١٣٧٦

﴿ ابواب العدل ﴾

باب الوعد والوعيد

سن علي بن محمد القاساني عمن ذكره عن عبد الله بن القاسم الجعفري عن ابي عبد الله عن آبائه عليهم السلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله من وعده الله على عمل ثوابا فهو منجز له ومن اوعده على عمل عقابا فهو فيه بالخيار

قال الشيخ رحمه الله اعتقادنا في الوعد والوعيد هو ان من وعده الله على عمل ثوابا فهو منجزه ومن وعده على عمل عقابا فهو فيه بالخيار ان عذبه فبعدله وان عفا عنه فبفضله وما الله بظلام للعبيد وقد قال الله عز وجل ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء واعتقادنا في العدل هو ان الله تبارك وتعالى امرنا بالعدل وعاملنا بما هو فوقه وهو التفضل وذلك انه عز وجل يقول من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وهم لا يظلمون

بيان قال العلامة رحمه الله في شرحه على التجريد ذهب جماعة من معتزلة بغداد الى ان العفو جائز عقلا غير جائز سمعا وذهب البصريون الى جوازه سمعا وهو الحق واستدل المصنف رحمه الله بوجوه ثلثة الاول ان العقاب حق لله تعالى فجاز تركه والمقدمتان ظاهرتان اذ الثاني ان العقاب ضرر بالمكلف ولا ضرر في تركه على مستحقه وكلما كان كذلك كان تركه حسنا اما انه ضرر بالمكلف فضروري واما عدم الضرر في تركه فقطعي لانه تعالى غني بذاته عن كل شيء واما ان ترك مثل هذا حسن فضروري واما السمع فالآيات الدالة على العفو كقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ولا يمكن ان يكون هذا الحكم مع التوبة او بدونها والاول باطل لان الشرك يغفر مع التوبة فيتعين الثاني وايضا المعصية مع التوبة يجب غفرانها وليس المراد في الآية المعصية التي يجب غفرانها لان الواجب لا يعلق بالمشية فما كان يحسن قوله لمن يشاء فوجب عود الآية الى معصية لا يجب غفرانها وقوله تعالى ان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وعلى هاهنا للحال او الغرض كما يقال ضربت زيدا على عصيانه اي لاجل عصيانه وهو غير مراد هاهنا قطعا فتعين الاول والله تعالى قد نطق في كتابه العزيز بانه عفو غفور واجمع المسلمون عليه ولا معنى له الا اسقاط العقاب عن العاصي انتهى اقول سيأتي الآيات والاخبار في ذلك

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي امر عباده بالعدل وهو تعالى اولى به من المامورين وزجرهم فنهى عن الظلم والزجر به وكلف الخلق بعد استطاعتهم ليكونوا بطاعته في جنانه متنعمين وبمعصيته في نيرانه معذبين والصلوة على شافع المذنبين وفخر المرسلين محمد خاتم النبيين وعلى وصيه رافع لواء الحمد يوم الدين والساقي من حوض احمد شيعته المرحومين وعلى اوصيائهما الاطهرين وذريتهما الاكرمين ما اظلت السموات على الارضين اما بعد فهذا هو المجلد الثالث من كتاب بحار الانوار المشتمل على اخبار العدل والمعاد وعلل تكاليف العباد مما الفه الراجي لرحمة ربه وشفاعة نبيه يوم التناد محمد باقر بن محمد تقي رزقهما الله سلوك سبيل الرشاد وغفر لهما ولوالديهما يوم المعاد

كتاب العدل باب نفي الظلم والجور عنه تعالى وابطال الجبر والتفويض واثبات الامر بين الامرين واثبات الاختيار [illegible]

لي ابي عن سعد عن ابن يزيد عن ابن ابي عمير عن صباح بن عبد الحميد وهشام وحفص وغير واحد قالوا قال ابو عبد الله الصادق ع انا لا نقول جبرا ولا تفويضا يد ن

لي السناني عن محمد الاسدي عن سهل عن عبد العظيم الحسني عن الامام علي بن محمد عن ابيه محمد بن علي عن ابيه الرضا علي بن موسى عليهم السلم قال خرج ابو حنيفة ذات يوم من عند الصادق ع فاستقبله موسى بن جعفر ع فقال له يا غلام ممن المعصية فقال لا تخلو من ثلثة اما ان تكون من الله عز وجل وليست منه فلا ينبغي للكريم ان يعذب عبده بما لا يكتسبه واما ان تكون من الله عز وجل ومن العبد فلا ينبغي للشريك القوي ان يظلم الشريك الضعيف واما ان تكون من العبد وهي منه فان عاقبه الله فبذنبه وان عفى عنه فبكرمه وجوده ب

~~ابن حكيم عن البزنطي قال كتبت الى ابا الحسن ع قلت للرضا ع ان اصحابنا بعضهم يقول بالجبر وبعضهم يقول بالاستطاعة [illegible] الى اكتب قال الله يا ابن ادم بمشيتي كنت انت الذي تشاء وبقوتي اديت الي فرائضي وبنعمتي قويت على معصيتي جعلتك [illegible] سميعا بصيرا قويا ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك وذلك اني اولى بحسناتك منك وانت اولى بسيئاتك مني وذلك اني لا اسئل عما افعل وهم يسئلون قد نظمت لك كل شيء تريد [illegible]~~

قال سالت ابا الحسن ع قال فقال الي اكتب قال الله يا ابن آدم بمشيتي كنت انت الذي

بسمه تعالی

قد قوبل هذا الجزء من هذا الكتاب القيّم بعدّة نسخ مطبوعة و مخطوطة، منها نسخة ثمينة نفيسة توجد بخطّ المصنّف قدّس سرّه الشريف، و يجد القارئ أنموذجاً من صورتها الفتوغرافيّة في أوّل الجزء وفي آخره.

والنسخة لخزانة كتب فضيلة الفقيد ثقة الإسلام والمحدّثين الحاجّ السيّد (صدرالدين الصدرالعاملي) الخطيب الشهير الإصفهانيّ رضوان الله عليه؛ وقد أتحفنا إيّاها ولده المعظّم العالم العامل الحاجّ السيّد (مهدي الصدر العاملي) نزيل طهران فمن واجبنا أن نقدّم إليه ثناءنا العاطر وشكرنا الجزيل؛ وفّقه الله تعالى وإيّانا لجميع مرضاته. وممّا يشكر عليه ويقدر جدّاً قيام فضيلة الخطيب المصقع المفوّه المفضال الحاجّ السيّد (مصطفى الطباطبائيّ القمي) مقابلة مافي البحار من الحديث بمصادره المنقول عنها و بيان ماهنالك من الاختلاف و ذكر أرقام صفحاته عدا المخطوط منها وما لم يتح له الوقوف عليه و نحن نرمز تلكم التعاليق بـ (م) والله المستعان إنّه وليّ التوفيق.

يحيى عابدى

(رموز الكتاب)

ب : لقرب الاسناد .
بشا : لبشارة المصطفى .
تم : لفلاح السائل .
ثو : لثواب الاعمال .
ج : للاحتجاج .
جا : لمجالس المفيد .
جش : لفهرست النجاشي .
جع : لجامع الاخبار .
جم : لجمال الاسبوع .
جنة : للجنة .
حة : لفرحة الغري .
ختص : لكتاب الاختصاص .
خص : لمنتخب البصائر .
د : للعدد .
سر : للسرائر .
سن : للمحاسن .
شا : للارشاد .
شف : لكشف اليقين .
شي : لتفسير العياشي .
ص : لقصص الانبياء .
صا : للاستبصار .
صبا : لمصباح الزائر .
صح : لصحيفة الرضا (ع) .
ضا : لفقه الرضا (ع) .
ضوء : لضوء الشهاب .
ضه : لروضة الواعظين .
ط : للصراط المستقيم .
طا : لامان الاخطار .
طب : لطب الائمة .

ع : لعلل الشرائع .
عا : لدعائم الاسلام .
عد : للعقائد .
عدة : للعدة .
عم : لاعلام الورى .
عين : للعيون والمحاسن .
غر : للغرر والدرر .
غط : لغيبة الشيخ .
غو : لغوالي اللئالي .
ف : لتحف العقول .
فتح : لفتح الابواب .
فر : لتفسير فرات بن ابراهيم
قس : لتفسير علي بن ابراهيم
فض : لكتاب الروضة .
ق : للكتاب العتيق الغروي
قب : لمناقب ابن شهرآشوب
قبس : لقبس المصباح .
قضا : لقضاء الحقوق .
قل : لاقبال الاعمال .
قية : للدروع .
ك : لاكمال الدين .
كا : للكافي .
كش : لرجال الكشي .
كشف : لكشف الغمة .
كف : لمصباح الكفعمي .
كنز : لكنز جامع الفوائد و تاويل الايات الظاهرة معاً .
ل : للخصال .

لد : للبلد الامين .
لي : لامالي الصدوق .
م : لتفسير الامام العسكري (ع) .
ما : لامالي الطوسي .
محص : للتمحيص .
مد : للعمدة .
مص : لمصباح الشريعة .
مصبا : للمصباحين .
مع : لمعاني الاخبار .
مكا : لمكارم الاخلاق
مل : لكامل الزيارة .
منها : للمنهاج .
مهج : لمهج الدعوات .
ن : لعيون اخبار الرضا (ع)
نبه : لتنبيه الخاطر .
نجم : لكتاب النجوم .
نص : للكفاية .
نهج : لنهج البلاغة .
ني : لغيبة النعماني .
هد : للهداية .
يب : للتهذيب .
يج : للخرائج .
يد : للتوحيد .
ير : لبصائر الدرجات .
يف : للطرائف .
يل : للفضائل .
ين : لكتابي الحسين بن سعيد او لكتابه والنوادر .
يه : لمن لايحضره الفقيه .